

الادراك المبرور  
طبقات ريك الحار

ألفت  
السيدة الفاضلة  
السيدة زينب بنت علي قزويني  
١٢٧٦ / ١٢٦٢ هـ / ١٨٦١ / ١٨٧٤

منه ما يشهد به  
محمد أمين  
الجليل الاول  
المستوفى  
أمانة سنة  
دار الكتب العلمية



**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi  
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ  
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ





# الدُّرُ الْمُنْتَبُوهُ

## فِي طَبَقَاتِ رَبَّاتِ الْخَدُورِ

تأليف  
الأديبة الفاضلة السيِّدة زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيِّ فَوَّاز  
العامليَّة اللبنانيَّة  
١٢٧٦/١٣٣٢هـ - ١٨٦٠/١٩١٤م



وضع حواشيه وعلق عليه  
محمد أمين ضناوي

للجزء الاوّل

مستورات  
محمد علي بيضون  
دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

## جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

135462

Copyright ©

All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

## دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت  
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١ ٠٠)  
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١، بيروت - لبنان

## DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

\*Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.  
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98  
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2 - 7451 - 2903 - 1



9 782745 129031

http : www.al-ilmiyah.com.lb  
e-mail : sales@al-ilmiyah.com  
info@al-ilmiyah.com

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

قال ﷺ: «نساء الدنيا

أفضل من الحور العين»<sup>(١)</sup>

روض مليء بثتى الأخبار والحكايات من التاريخ البعيد والقريب هو كتاب «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور».

في هذا الكتاب ما يروق لذوي العقول والعلم والأدب. وفيه إشارات إلى أهمية العلاقات الإنسانية وإلى أهمية التوافق بين الزوج والزوجة. كما أن فيه حضراً على الاعتناء بأمور المرأة، من تعليم، وثقيف، وتدبير.

وقد حرصت المؤلفة على تقديم معلومات إحصائية بغرض تعليمي تربوي غير مباشر.

كما تشير إلى أن الفوارق الطبقية والاجتماعية تزول مع التربية والتعليم. فالعلم أولى بالاحترام من كل الاعتبارات الأخرى.

وفي الكتاب الكثير من ذكر الفلاسفة والعلماء الذين اهتموا بالمرأة وأدبها وشعرها معها بكيانها وبضرورة نيلها لحقوقها الإنسانية كافة.

أما من حيث الأسلوب ففي الكتاب ثغرات تعبيرية ربما تعود لسجادة الكتابة لعصرها. فلقد قمت خلال عملي بهذا الكتاب بضغط وتصويب بعض الألفاظ، فاعتبرت ذلك واجباً عليّ إليها في مواضعها.

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٤ - ١٣٦). ونيهشبي في مجمع الزوائد (١٠ - ٤١٧). والترمذي في إتحاف السادة المتقين (١ - ٥٤٤). والسيوطي في البدائع (٦ - ١٥١).

ومن ناحية ثانية فقد قمت بضبط التواريخ التي أوردتها المؤلفة دون تحديد ما إذا كانت ميلادية أم هجرية .

أما الشخصيات التي ترجمت لها المؤلفة فقد رتبها ترتيباً ألفبائياً، لكنها لم تكن دقيقة الضبط من حيث الترتيب وتتالي الأسماء ضمن الحرف الواحد. لكننا لم نغير مواقع تلك الأسماء، بل تركناها حسب ترتيب الأصل الذي عملنا على ضبطه .

أما الآفت في هذا الكتاب هو تدخل الكاتبة من حين لآخر وإبداء رأيها . ونسوق على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في ترجمة «ألمس»<sup>(١)</sup> حيث تقول الكاتبة مداخلةً: «... وكان عبده الحمولي المغني الشهير هو المشهور بين الرجال في ذلك الوقت فأخذه الخوف على شهرته وارتعب من إطفاء اسمه... ولما رأى ذلك... وكثر مادحوها، وقلّ الالتفات إلى جهته عمد إلى الحيلة والمكر اللذين يتهم بهما النساء...»<sup>(٢)</sup>.

وفي موضع آخر في ترجمة عائشة بنت طلحة بن عبيد الله<sup>(٣)</sup> لها مداخلة أخرى: «فيظهر من هذه الرواية أن طباعهم في ذلك العصر كانت كطباع الغربيين في عصرنا هذا من قبل النساء، لا كرجالنا الذين يخافون أن يُظهروا للنساء أدنى شيء من الفضل غيرة عليهن ويزعمون أن هذا هو العز الأكبر...»<sup>(٤)</sup>.

وأخيراً أتمنى أن أكون قد وُفقت في عملي هذا إلى ما أصبو إليه من تعميم الفائدة لكل طالب علم ومعرفة .

محمد أمين الضناوي

- 
- (١) الجزء الأول من هذا الكتاب، ص ١٥٢ .  
 (٢) الجزء الأول من هذا الكتاب، ص ١٥٢ .  
 (٣) الجزء الثاني من هذا الكتاب، ص ٥١ .  
 (٤) الجزء الثاني من هذا الكتاب، ص ٦١ - ٦٢ .

## ترجمة المؤلفة<sup>(١)</sup>

هي الأديبة الفاضلة والبارعة الكاملة السيدة زينب بنت علي بن حسين بن عبد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي السورية مولداً<sup>(٢)</sup> سنة (١٢٧٦ هـ / ١٨٦٠ م) وموطناً المصرية منشأً وسكناً.

كانت امرأة جميلة المنظر، عذبة الحديث من خيرة ربّات البيوت تربية وعلماً، أديبة، مؤرّخة، من شهيرات الكاتبات، تعلّمت بالإسكندرية وتلمذت فيها للشاعر حسن حسني الطويراني<sup>(٣)</sup>، وكتبت واشتهرت، وانتقلت إلى القاهرة.

زارت دمشق فتزوجت بأديب نظمي الدمشقي، وافترقا بعد قليل، فعادت إلى القاهرة، وتوفيت<sup>(٤)</sup> بها سنة (١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م).

### كتبها

- «الرسائل الزينية»، كتاب مطبوع، وهو عبارة عن مجموعة من مقالاتها.
- «مدارك الكمال في تراجم الرجال»، لم نقف على معلومات عن هذا الكتاب، إذ طبع أم لا.
- «الجواهر النضيد في مآثر الملك الحميد».
- «ديوان شعر»، جمعت فيه منظومات لها.
- «حسن العواقب»، رواية أدبية، طبعت.

- (١) للاستزادة يراجع: مجلة العرفان، أداب ريدان (٤ - ٢٩٥) تم نشرها في ٩١ - ١٣٥٥.
- (٢) ورد في الأعلام، خير الدين الزركلي ج ٣/ ٦٧ أنها مولدة في العسقلان في سورية.
- (٣) هو صاحب جريدة النيل.
- (٤) وردت في تحقيق كتاب المشرق خير وفاتها في ٢٠ صفر سنة ١٣٣٢ هـ - ١٥ كانون الثاني سنة ١٩١٤ م.



- «الهوى والوفاء»، رواية أدبية، طبعت.

- «الملك قورش»، رواية أدبية، طبعت.

تقول الكاتبة من نظمها في كتابها هذا:

كتابي تبدى جنة في قصورها      تروّح روح الفكر حور التراجم  
خدمت به جنسي اللطيف وإنه      لأكرم ما يهدى لغرّ الكرائم

## تقريظ جميل لهذا الكتاب

جاد به فكر ملتزمه الماجد الأمثل حضرة محمد أفندي زهران . قال حفظه الله :

من أمعن فكره ونظر بنبراس عقله علم جلياً أن من أهم ما يقتنى وأنفس ما يدخر نشر  
المنافع العمومية والسعي وراء الخدمة الإنسانية، فإن بها يتحقق معنى الإنسان ويكون قد ارتقى  
أوج الكمال واستحق أن يلقب بالعضو النافع لجسم الهيئة الاجتماعية، فينال الذكر الحسن  
والثناء الجميل، ويكون عاملاً بقول القائل :

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وكذا ينال الجزاء العظيم من العزيز الحكيم في دار الخلد والنعيم كما وعد بذلك جل  
وعلا في قرآنه الكريم لا سيما إذا كانت المنافع متعلقة بالعلوم الأدبية الموشحة بالنبيل  
التاريخية، فإنها تكون أجلاً وأسمى لأن الشيء يشرف بشرف متعلقه، وناهيك بلعلم شرف  
ولما كان كتاب الست المصونة ربة اليراع البارء وصاحبة المذهب الأمامي نادرة العصر وغزاة جيب  
الدهر زينب فواز - المسمى بالدر المنثور في طبقات ربات الخدور - فقد في هذا الكتاب  
أحببت أن أشاركها في ذلك الفضل فالتزمت بطبعه على نفقتي قيدا بواجب الإنسانية ودمعة  
لحضرتها على البر عملاً بقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (1) وقد  
شهرة هذا الكتاب بين ذوي الألباب لا سيما ذوات الحجاب عسى أن يسرن سيرة هذا المستحق  
على منوالها، فإنه وأيم الحق كتاب جليل قد اشتمل على حكم جميلة ومنازل عذبة  
ينهتدى إلى الرشده وتستنير سماء العقل وفي ذلك فيتنفس المتدافسون.

محمد حسن

وبعد أن انتهى تأليف هذا الكتاب المستطاب ودانها هذا التقريظ الموقر من  
الأديب الفاضل والفيلسوف العاقل، العالم، النحرير، والكاتب المرموق حسن بنت حسني (2)

- (1) أخرجه البخاري في الصحيح (1) (129) وأبو داود في صحيحه (1) (129) وأبو داود في صحيحه (1) (129) وأبو داود في صحيحه (1) (129)
- (2) هو حسن حسني باشا بن حسن عارف الخديوي، شاعر مشهور، عالم بالأدب والفقه، ولد في القاهرة سنة 1892م.

صاحب جريدة «النيل» فأدرجنه في فاتحة هذا الكتاب وشكرنا حضرته على ما أولانا من الثناء وهو قوله:

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ملهم الصواب، والصلاة والسلام على منبع الحكمة، وفصل الخطاب وعلى آله وصحبه الأطهار الأنجاء.

وبعد، فقد أحطت خيراً بمجمل هذا الكتاب الجزيل الفائدة الجليل العائدة، النبيل المقصد الشريف المبدأ والغاية، فألفيته سيد المال ثمين المضمون، عالي الأمل، مبرور العمل جمع إلى رشاقة الأسلوب لطف المفاد، وضم إلى حسن السياق والترتيب جمال العبارة وكمال التركيب فجاء اسمه «الدر المثور في تراجم ربات الخدور» عنواناً على مسماه متجلى عرائس الأفكار في أعالي قصور الاعتبار متملي السطور بجواهر المعاني مسترق أحرار الأذهان برصانة هاتيك المباني، قد اشتمل على تراجم العدد العظيم من ربات الخدور، وسيدات القصور، وأميرات العصور على سياق غير مسبوق المثال في متقدمي الأجيال فسبحان من وفق ووهب، وأقام للسيدات ظهيرة فضل وأدب، والحق أحق بأن يقال ويسمع أن هذا الموضوع من أهم ما يجب أن يعتني به العالم المدني لاشتماله على قسم عظيم من تراجم شهيرات نصف العالم البشري، وهنّ القيمّ الوحيد على تربية الملكات الأولى، والشريك الأمين في الأعمال الحياتية، وناهيك ما هنالك من الأهمية التهذيبية التي تستفاد بتداول مثل هذه الآثار النفيسة خصوصاً وقد قامت بأداء هذا الواجب حضرة المصنفة الفاضلة، البارعة، الكاتبة الشهيرة ذات العفاف السيدة زينب فواز فجادت وأجادت في هذا الكتاب بما يروق ذوي العقول، ويشوّف أرباب الألباب ولا غرابة فإنها ربة الفكر والقلم اللذين طالما زينا الأوراق، وطارا بجناحي شهرتها الفاضلة في الآفاق، وسابقا الشمس في السير والإشراق.

فثنني على هذه السيدة الثناء الجزيل ونشكر مسعاها المثل بكل لسان شكر جميل فلا برحت زينة العلم والأدب ولا زالت مشكورة الأيادي العالية عند كل من قال وكتب:

بالقاهرة جال في بلاد أفريقية وآسيا والروم، أقام بالقسطنطينية إلى أن توفي. كان أبي النفس بعيداً عن التزلف للكبراء، في خلقته دمامة. كان يجيد الشعر والإنشاء في اللغتين العربية والتركية، له في العربية نحو ستين مصنفاً، وفي التركية نحو عشرة مصنفات. أكثر كتبه مقالات وسوانح، نظم ستة دواوين شعر في اللغة العربية، ودواوين باللغة التركية، أنشأ مجلة «الإنسان» بالعربية، ثم حولها إلى جريدة، فعاشت خمسة أعوام. وهو صاحب جريدة «النيل».

بدا درّها المنشور بالفضل زينب  
جلت لعيون الفكر آثار حكمة  
حكى الفلك الأعلى فكل صحيفة  
حوى حسنات الدهر بين سطوره  
فلا برحت للفضل بالفضل زينب  
فياحبذا الدرّ النثير المرتب  
عرائسها تزهي وبالفضل تخطب  
به أفق فيها من الزهر موكب  
وقومها ذاك اليراع المهذب  
تقول مقال الفاضلين وتكتب

حسن حسني

وصل لنا هذا التقريظ من حضرة شاعرة العصر وربة الفضل السيدة عائشة التيمورية<sup>(١)</sup>  
فقبلناه مع الشكر والممنونية لحضرتها:

سجدت لعزة بالبطيح فحول  
لمعت لآلي العقد تزهو نضرة  
دعني وما التقطوه من بحر طمي  
هذا هو الدر الذي غواصه  
إذ ذاك من صدف وهذا جوهر  
درّ كدريّ زهت أنواره  
هتوا ذوات الخدر بالفوز الذي  
ولقد علت طبقاتهن وزانها  
طبقات منشور بريق ضيائها  
كم أمطرت غيث الدموع بقولها  
نالت سواعد عزها ما لم تكن  
لله درّ طباق زينب أصبحت  
مد أسفرت عن أصل جوهر عفة  
فعلى العفيفات الشاء لفضلها

لما تحلى جيدها المصقول  
كصفا لجبين راق فيه شمول  
فمن ادعى طبق القياس جهول  
بعزيز آيات الثنا مشمول  
لفظته أذهان ذكّت وعقول  
يشهد بها المعقول والمنقول  
يعلو على سحب البها ويظول  
بتفاخر بعد الخمول قبول  
كشعاع شمس بأسها موصول  
تاج الفخار وهل إليه ومول  
رؤياه في سنة الكرى مأمول  
بدرأ له بين الأناء هلول  
قد كان قبل سطوره محمول  
ما جدّدت في العالمين دول

عائشة عصمت التيمورية بسطر

وأنا هذا التقريظ أيضاً من حضرة شاعر عصره، وأديب دهره عبد الله أفندي فريح  
الشهير فتلقيناه بغاية الشكر والممنونية:

الشرق لا تعجبوا أن عمه النور فالشرق بالنور منذ الدهر مشهور

(١) هي عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا من محمد كاشف سمور، ومولده سنة ١٢٤٠ هـ في مدينة قونية في  
الجزء الثاني من هذا الكتاب

بالحلم والعلم والآداب مخبور  
 فالكل منها بفضل الله مغمور  
 فراح يحسدها الولدان والهور  
 به انجلي عن ظلام الجهل ديحور  
 محض الثناء عليها وهو مقصور  
 تته بعجب وذيل الفخر مجرور  
 وحظها في بني الآداب موفور  
 بالفضل فينا ومنها السعي مشكور  
 إلا حسود حليف الغي مغرور  
 فذكرها في جميع الكون منشور  
 فكل لبّ به في الناس مسحور  
 كل لها خبر في العلم مأثور  
 لها من الله أجر فيه مأجور  
 والكل منه تبدى وهو مسرور  
 وبيت تاريخه بالدرّ معمور  
 بالسعد فيه بهي الدر منشور

[عبد الله أفندي فريج]

لا سيما في زمان ساده ملك  
 عباس باشا الذي عمت مآثره  
 به غدت مصر كالجنات يانعة  
 والعلم إذ خفقت أعلامه شرفاً  
 ألم تروا قاصرات الطرف كيف غدا  
 أضحت تباري رجالاً في العلوم ولم  
 وقد سمت بينهن اليوم غانية  
 أعني كريمة فواز التي برعت  
 لم ينكر الفضل منها في الورى أبدا  
 وحسبنا تحفة منها قد اشتهرت  
 مؤلف فيه بالسحر الحلال أتت  
 به نرى فاضلات الشرق من عرب  
 لها جزيل الثنا منا عليه كما  
 والآن إذ جمعه رقت شمائله  
 شدا فريج بأبيات يقرّظه  
 أبهى كتاب سما جاهاً لفاضلة

## [خطبة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أزهق روض المنى بما تألف من منشور الأفراح، وبما أسفر من حسن أبتكار الابتكار على مشهد الإيضاح والإفصاح، وانجابت برافع الغياهب عن مخدرات العبارات، وتألف نبراس عقائل الفضائل فاستنارت أرجاء البراعات، وأشكرك يا من زينت بشكرك صدور سطور المباني، كما زينت بقلائد الفصاحة نحور خرائد المعاني، وأنرت مشكاة البصيرة بزواهر جواهر معارفك المستنيرة، ونظمت أخبار الأولين في سمط كتابك المستنير المستبين، فسبحانك من إله اتسعت دائرة علمه فأحاطت جميع الكائنات، وعلم ما تحت الأرض كما علم ما فوق أديمها من المخلوقات، وشرف نوع الإنسان بما خصه به من كمال القوى والعرفان، ونشر نور المعرفة بين أولي الأبواب فمن أصاب من ذلك النور فعقله على قدر ما أصاب، والصلاة والسلام على من أرشدنا بكتاب قويم إلى صراط مستقيم محمد الذي جمع من المحاسن ما تشتت في غيره أحسن من حسنت سيرته وأحسن في سيره، وعلى آله مصابيح الدجنة وأصحابه الذين حازوا المجد بالأفلام والأسنة.

وبعد:

فأقول وأنا المفتقرة إلى الله وبه أستعين زينب بنت علي فواز بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز السورية مولداً وموطناً المصرية منشأً وسكناً. ولما كان علم التاريخ أحسن العلوم، وأفضل المنطوق والمفهوم كثرت رجائه واتسع نطاقه، وانتشرت في الخافقين صحفه وأوراقه، لأن أهل كل طبقة وجهابذة كل أمة قد اهتموا به الأدب وتفلسفوا في العلوم على كل لسان، وخاضوا في بحر تاريخ كل أمة، وساروا في سبيلهم أفرغ غايته وبذل مجهوده في اختصار تاريخ المتقدمين، واحتجبوا عنهم المتأخرين من السالفين وبعضهم ألف المطولات في ذلك حتى احتاجت إلى اختصار، ولم أر في كل ذلك من تطرف وأفرد لنصف العالم الإنساني باباً باللغة العربية جمع فيه من اشتهر بالفضائل، وتنزه عن الرذائل مع أنهم نبغ منهم جملة سيدات لهن المؤلفات التي حاكين بها أعظم العلماء، وعارضن فحول الشعراء فلحقتني الحمية والغيرة النوعية على تأليف سفر يسفر عن

محيا فضائل ذوات الفضائل من الأنسات والعقائل ، وجمع شتات تراجمهن بقدر ما يصل إليه الإمكان ، وإيراد أخبارهن من كل زمان ومكان .

ولما كانت هذه الطريقة صعبة المسالك تعسر على كل سالك - خصوصاً على من كانت مثلي ذات حجاب ومتنقبة من المنعة بنقاب - فقد استعنت على هذا التأليف بما جاء في التواريخ العمومية والمجلات العلمية ووضعت على الحروف الهجائية حتى ظهر غريباً في بابه ، فسيحاً في رحابه ، وقد سميته :

« الدر المنثور في طبقات ربات الخدور » : وجعلته خدمة لبنات نوعي بعدما أفرغت في تنقيحه وسعي ، متجنباً كل ما يؤدي إلى الملل مختصرة عن الأسانيد والعنونة ، والأمكنة والأزمنة .

وقد ابتدأت في تأليفه في ٤ ربيع الأول سنة ( ١٣٠٩ هجرية الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٨٩١ إفرنجية ) وقد جمعته من كتب جمّة تاريخية وأدبية منها الكتب الآتية وهي :

- تاريخ الكامل لابن الأثير .
- تاريخ الكامل للمبرد .
- تاريخ الوفيات والأعيان لابن خلكان .
- تاريخ نفح الطيب لأحمد المقرئ .
- تاريخ أخبار الأول فيمن تصرّف في مصر من الدول للإسحاق .
- كتاب العبر لابن خلدون .
- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني .
- كتاب دائرة المعارف لبطرس البستاني .
- كتاب السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي .
- كتاب السيرة النبوية للسيد أحمد زيني دحلان .
- كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه .
- كتاب تزيين الأسواق للشيخ داود الأنطاكي .
- كتاب المستطرف في كل فنّ مستظرف لشهاب الدين أحمد الأبهسي .
- كتاب ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي .
- كتاب قطف الزهور في تاريخ الدهور ليوحنا أبقاريوس .
- كتاب أسد الغابة بمعرفة الصحابة لابن الأثير الجزري .
- كتاب نور الأبصار في مناقب أهل بيت المختار للشيخ سيد مؤمن الشبلنجي .

- كتاب ألف با ليوسف بن محمد البلوي .
- خطط مصر التوفيقية للأمير علي باشا مبارك .
- ديوان الحماسة لأبي تمام .
- ديوان الخنساء بنت عمرو بن الشريد السليمي .
- رسالة الشيخ الصبان .
- تحفة الناظرين للشيخ عبد الله الشرقاوي .
- الفتح الوهبي على تاريخ أبي النصر العتبي .
- روض الرياحين للشيخ عفيف الدين .
- تحفة النظار في غرائب الأمصار لابن بطوطة .
- مشاهير النساء تركي لمحمد ذهني .
- الطبقات الكبرى للشيخ عبد الوهاب الشعراني .
- قصص الأنبياء المسمى بالعرائس للشيخ أحمد الثعلبي .
- حديقة الأفراح .
- فتوح الشام للواقدي .
- اللطائف لشاهين مكاربوس .
- المقتطف ليعقوب صروف وفارس نمر .
- خزانة الأدب لابن حجة الحموي .
- الروضتين في أخبار الدولتين .
- الفتح القدسي للعماد الكاتب .
- بدائع هارون لسليم عنجوري .
- العيون شرح رسالة ابن زيدون .
- مروج الأخبار في مناقب الأبرار .

وهذه خلاف ما جمعته من المجالات العلمية، والجدالات الأدبية، وما التقطته من مقالات لبنات هذا العصر اللاتي تربين أحسن التربية، وتعلمن العلم في المدارس العالمية، وصار لهن شهرة في هذا العالم الإنساني.

وإني ذاكرة بعض مقالاتهن في مقدمة هذا الكتاب ليعلم قراؤه أن عصرنا هذا نبغ فيه سدا، لم يتقدمهن أحد من نوعهن في العصر الخالية، وما ذلك إلا بإعطائهن حقه قبح من دونهن الذين عرفوا الحق واتبعوه.



## [ ذكر مقالات بعض معاصرات المؤلفة ]

## [ سارة نوفل ]

ولنبداً بما قالته حضرة الأنسة والأديبة السيدة «سارة نوفل»، كريمة الفاضل نسيم أفندي نوفل، من الاقتراحات التي اقترحتها على علماء اللغة العربية قالت:

نحن في عصر سطعت فيه شمس العلوم والآداب فأنارت بأشعتها مدارك ذوي الألباب، فلا غرو إذا سميناه بعصر الاختراعات والاكتشافات، وقد رأينا فيه من فعل البخار والنور أعجب العجائب، ومن قوة البرق والكهرباء أغرب الغرائب حتى لم يبق فيه محل للغرابة إذ تطلت في هذا المقام على نصراء العلم والعلماء، وأرباب الفضل الألباء باقتراح يهمني الحصول على نتيجته، والوصول إلى فائدته كما يهمل البنات الشرقيات اللواتي عرفن ما كان لهن من الحق المسلوب، وما عليهن من الواجب المفروض.

فأقول، بعد الاستسماح من ذوي الفضل والآداب: قد علم السواد الأعظم أن الأوروبيين وغيرهم من الأمم الأكثر تمدناً قد اتحدوا بعقد الخناصر، واتفاق الخواطر سواء كان في محافلهم العلمية، ومجتمعاتهم الأدبية أو في نواديهم العمومية وهيئاتهم الاجتماعية وقرروا وجوب احترام المرأة يوم عرفوها عضواً مهماً في جسم الكون للارتقاء وحسن التربية، ولما عم في أرجائهم هذا القرار العادل وصار نظاماً مرعياً بين الخاص والعام أخذت المرأة بالتقدم إلى مراتب الوجود، ومقام الكمال الإنساني حتى بلغت ما بلغته من المعارف والواجبات وقد رفعت بواسطتهما علم السلام بين أولادها وذويها وتمكنت بسببهما من عقد وثاق الحب والولاء بين كل من أفراد عائلتها إلى غير ذلك مما نراه من آثار آدابها في أكثر الشعوب الغربية.

ولم يكتف الغربيون بهذه الأمنية حتى استنبطوا للتمييز بين البنت العذراء، والمرأة المتزوجة لفظة افتخارية قائمة بذاتها كقولهم في اللغة الفرنسية للمرأة: مدام، وللعذراء مادموازيل. وفي الإنكليزية: مسز، ومس. وباللغوية: كريا وسبينيس. وبالإيطالية سنيوره، وسنيورينة، أو ماداما، ومدام، وهكذا في غيرها من اللغات الأجنبية الأكثر انتشاراً في وقتنا الحاضر.

أما نحن الشرقيين عموماً والغربيين خصوصاً فقد أغمضنا الجفن عن هذا التخصيص رغماً عن اتساع اللغة العربية وتسايقنا إلى انتحال أكثر عوائد الغربيين وأزيائهم، واشتركنا في معظم هيئاتهم ومنتدياتهم واستحسان أخلاق البعض منهم، إلا أننا لسوء الحظ لم نحذ حذوهم بإعطاء البنات هذا التمييز الاحترامي والإشارة الخاصة بهن عندهم.

والأغرب من هذا أننا لو فتشنا وبحثنا ملياً بين مائة مليون نفس وأكثر من الناطقين بالضاد لما وجدنا فيها كلمة واحدة تقوم مقام المدام والمادموازيل في معناها ومعناها، وإن قيل: إن كلمتي ست وستيته يستعملان بمعنى مدام ومادموازيل في الفرنسية إلا أن هاتين الكلمتين ليستا صحيحتين على ما يظهر وفضلاً عن ذلك فإن التصغير في ستيته هو للاحتقار لا للافتخار خلافاً للمعنى المقصود بالمادموازيل، كما لا يخفى على كل لبيب. أديب، نعم عندنا كلمتان مترادفتان وهما السيدة والخاتون، ولكن نراهما غير وافيتين بالمرام لأنهما [تطلقان]<sup>(١)</sup> على العذراء والمتزوجة في آن واحد بلا استثناء، وليس في إحداهما صفة خاصة تدلنا على معرفة الموصوفة بإحداهما معرفة حقيقية، والدليل على ذلك أننا لو عثرنا على مقالة لإحدى السيدات والخواتين الشرقيات في إحدى الجرائد العربية لما قدرنا أن نحكم ما إذا كانت المحررة بنتاً أو امرأة، بل نقف بالالتباس حيارى بين هذه وتلك إلى ما شاء الله.

هذا وإن شئنا أن نعرب كلمة مس أو مادموازيل ونستخدمهما كما هم في كتبنا وحديثنا العام نخاف الملامة ممن درسوا مفردات اللغة ولسان حالهم يقول: «كل الصيد في جوف الفرا»، فنحتاج وقتئذٍ إلى أحد أمرين إما المباحثة والجدال الطويل وإما أن نسكت ونستر الوجه بأكمام الخجل حين لا نرى في كتب اللغة كلمة واحدة تتميز بها العذراء من المتزوجة احتراماً، كما تميزا في اللغات المذكورة آنفاً.

فرجاؤنا من أئمة اللغة وجهابذة الفضل من أبناء هذا العصر أن يبحثوا عن كلمة عربية تقوم مقام المادموازيل بوضعها ومعناها بحيث تصبح عامّة بين الرفيع والوضيع لفظاً ودلالة، وإلا فلا لوم علينا ولا تشریب إذا التجأنا إلى لغات الأعاجم باستخدام هذه الكلمة وغيرها مما لا شبه له في لغتنا العربية التي إن طال عليها مطال هذه الاستعارات أصبحت يوماً داللة المألوية اختلالاً وامتزاجاً.

ولا ننكر أن في زمن تدوين اللغة العربية كانت المرأة في عين الرجل حقيرة في البيت وأكثر من أدوات البيت أو كباقة من الأزهار تطرح خارجاً حينئذٍ، لذلك لم يحفظ بيت أحد من ذلك العصر أن يستنبط في اللغة كلمة مثل هذه تدل على المرأة دلالة صحيحة احتراماً وتوقير ولكن نحن الآن في عصر تنوعت فيه أنواع الاستنباطات فلا يعسر على نساء اللغة ابتكار كلمة كالمادموازيل للدلالة والتميز مع حفظ صفة الاحترام والافتخار، وحيداً أو أضافوا إلى اللغة ما لا يوجد فيها من الكلمات المستحدثة، ولكن هذا يحتاج إلى معصدة

(١) وردت في الأصل: «يطلقان»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

الحكومة بإقامة مجمع علمي أكاديمي وليس من خصائصي أن أبحث فيه وأحث عليه في هذا المقام هذا وأرجو من جمهور الألباء، وأصحاب الفضل الأذكياء أن يسبلوا حجاب العفو والمعذرة على ما تطفلت به تجاه ساحات حلمهم إذ قصد لي من هذا الاقتراح إلا أن نباري الأجانب في هذا الشأن والاستفادة من نفثات أصحاب الفضل وخير الناس من أفاد، وبناء على هذا الاقتراح استنبط بعض علماء اللغة لفظة أنسة للبت وعقيلة للمتزوجة واستعملهما أكثر الجرائد.

### [جلييلة كريمة الخواجة نخلة موسى]

وقالت حضرة الأنسة جلييلة كريمة الخواجة نخلة موسى حاضرة على لزوم تربية الأولاد والبنات لأجل تحسين حالة نسلهم وهذا ما قالت:

لقد علم كل إنسان بأن كل ما يراه الولد في صغره يستمرّ راسخاً في ذهنه أيام حياته كلها فعلى الوالدين أن يجتهدوا في تربية أولادهم وأن يكون اجتهادهم هو القاعدة الوحيدة لتثقيفهم، وقد أجمع على أن المرأة هي علة الترقى والنجاح، وأنها قابلة للتقدم فمن ثمّ لا بدّ أن يكون لتربيتها تأثير عظيم، فقد رأينا سلوك الإنسان مدى حياته قائماً على محور التربية التي ترباها في طفوليته وحدثته، ولما كان في نعومة أظفاره على الفطرة كان قابلاً أن يتخلق بأخلاق الخير، أو بأخلاق الشر على ما يريه والداه وما يسمعه ويراه منهما من التصرف، فهل من مناسبة بين من تربي أولادها بالاحتداد والشتائم والكذب والحيل، ومن تربيه بطول الأناة والنصائح والإرشاد والصدق، فمن تربي على الخير قام بأعماله حق قيام مكرماً في حياته ومأسوفاً عليه بعد مماته، والعكس بالعكس فمن أراد أن يحيا بمقتضى النواميس الأدبية والدينية يجب أن يحيد عن طريق الشر ويسير بحسب الاستقامة فإذا أخل بشيء كان من الخاسرين.

قيل: «ومن يشابه أباه فما ظلم»<sup>(١)</sup>. ففي ذلك دليل على اتباع الأولاد أثر والديهم صلاحاً أو طلاحاً. وقيل: «رب الولد على مخافة الله فمتى شاخ لا يحيد عنها». وذلك برهان على رسوخ التربية في الأحداث ففي حسن التربية سعادة الوالدين والأولاد معاً، ويجب على الوالدين أن ينظروا إلى طرق أولادهم وأن ينصحوهم وينذروهم لكيلا يسلكوا طريقاً معوجة

(١) يضرب مثلاً في تقارب الشبه، ومعناه: من أشبه أباه فقد وضع الشبه في موضعه، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، المثل قديم حكاه كعب بن زهير في شعره فقال:

فقلت شبيهات بما قال عالم بهنّ ومن يشبه أباه فما ظلم

«لكل مقام مقال» حكم وأمثال، محمد أمين الضناوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧.

ولا ينهمكوا في الشهوات ولا يتورطوا حباً في الدنيا وغرورها، بل يتقصون هذه الشجرة في صغرها، فكم من الأولاد يتعلمون القذف، والشتائم، والكلام القبيح قبل أن يتفوهوا بالصالحات، ولا يخفى على الوالدين أنهم مسؤولون في أولادهم عند الله وعند السلطة والألفة معاً فإنما الأولاد للآخرة ولوطنهم ولأبناء جلدتهم.

فإذا فطن الآباء إلى تهذيب أولادهم في صغرهم ارتاحوا وأراحوا مدى الحياة فخير للوالدين أن يشددوا على أولادهم في صغرهم من أن يطلقوا لهم العنان فيندموا ويوقعوا أولادهم في ورطات عظيمة.

فمن الناس من يرى ولده عليلاً ولا يبادر إلى دفع الأذى عنه أو جريحاً، ولا يسعى في مداواة كلومه<sup>(١)</sup> فإذا كانت هذه غيرتهم وعلل أولادهم جسدية فكم يقضي من الزمن في مداواة أمراضهم النفسية فمن أحب ابنه أدبه فليس التأديب إهانة وذلاً، بل شفاء وخلاصاً.

فقد نهى تعالى شعبه عن الامتزاج بالأمم لفسادها وسن له نواميس الإصلاح حتى إنه أذن بأن ينهوا في التربية ويهلك جيلهم فيها من أن يدخلوا أرض الميعاد بفساد مصر.

فعلى المرأة الراغبة في تربية أولادها أن تكون على جانب وافر من الأدب وحبذا لو كانت ذات معارف وصاحبة تدبير ففي ذلك تهذيب أولادها وراحة قرينها فعلى المرأة تدبير المنزل فتساعد قرينها في الاقتصاد، فكم من امرأة هدمت بيتها بسوء تدبيرها، وكم من امرأة أحيت موات منزلها بحسن إدارتها. فلا فائدة للغنى مع الإسراف ولا للمداخيل مع التدبير، وهي خلال إذا تربي عليها الأولاد زاد البلاء بلاء وما نفع أبو العائلة إذا سعى جهداً وحريصاً وأحرز إذا كانت المرأة تبدد أمواله وتفسد تربية أولاده بعدم تعقلها وترويضها فسن في الإصلاح علم الفتيات، وغرس في فؤادهن المبادئ الصالحة، وزين عقولهن بالحكمة، وحبسهن عن حب الفضيلة والله در من قال: «لو كانت الآداب بالعقود، والقلائد والأساور، والخدوش والحدال المال إنما هو نفس التمدن».

فأشقى الأمم من حجب الله عنهم الحكمة والأدب فأول شيء، ثم حسن العشرة بين أفراد الولد من أنثى وذكر حب الله، وحب الوالدين، وحب السلطة، وحب القريب، وحب المسكين، وحب الفقير في فؤاده هذه المبادئ وتربي عليها أفلح ومال إلى الشغل والجد والاجتهاد، وان أديب حسن السلوك والتدبير ففي الدرس والمطالعة والمجالسة، والمعايشة حسن الحديث، واللين في الحديث ولطف الأخلاق ودمائتها.

(١) كلومه: جروحه. [القاموس المحيط، مادة: كلم]

هذا ولا بد لكل أنثى أو ذكر من مهمة يهتم بها، فقيمة المرء ما يحسنه، فعليه بإحكام صناعته، وأن يحرص على حاله ويستجيدها، فالصناعة تكسبه مالاً وتجبره على نبذ الكسل وعلم الحساب يقيه من الخطأ، وأعمال اليد تساعد على ترتيب المعيشة وثمره السعي الترتيب وحسن النظام.

أوليس الأليق بنا التخلق بالأخلاق الحميدة، وأن نزدان بالعلوم والمعارف، ونعكف على الشغل والعمل من أن نمضي الأوقات فيما لا طائل تحته من الأحاديث بل بالقده والطعن والنميمة، والثلب والتعصب، والإغراض. فعلينا أن نكون كالرياحين زهراً وزهاء لا كالأرض البور قرطباً وعوسجاً.

[هنا كوراني]

وقالت حضرة الأديبة الفاضلة العقيلة «هنا كوراني» مظهرة واجب الزوجة نحو الرجل وإليك ما قالت:

والحق إذا علا، والفضل إذا سما، والصلاح إذا بدا، والعقل إذا ارتقى. فهناك مقام البهجة والحبور ومرتع الانبساط والسرور، ومجتمع السلام والهناء، وملتقى الراحة والصفاء في منزل من سارت به زوجة تلاقيك بوجه طلق ومحيا بشوش، وتهدي إليك من رقة أنغام صوتها لطفاً، وحلاوة يأخذان منك بمجامع القلوب، وتنظر إليك بألحاظ الفطنة والذكاء فتعيرك نشاطاً جديداً، وتهديك طريقاً قويماً تلك التي رسم التعقل والحلم والرصانة على جبينها آيات بما لها من الفضل والعفاف، وكريم المآثر معلّات بينات. الزوجة كما تعلمون مدبرة العالم الإنساني، وعليها يترتب أمر التقدم والانحطاط وذلك لأنها ربة المنازل وسيدة المساكن من قصر باذخ يناطح برأسه السحاب إلى كوخ على جانب كبير من الفقر ورثة الحال، ولهذا كان مركزها في غاية قصوى من الأهمية جديراً بأن يعار معظم الاعتبار وخليقاً بأن تحوم حوله دوائر صائبي الأفكار لتسلم من شرّ عواقبه الوبيلة على العباد أجارنا الله منه.

إذا تأملنا في أحوال ما حولنا من البشر ووقفنا على دخائل أمورهم نرى بعين آسفة أن معظم الشقاء والتعاسة والآلام التي نصادفها صادرة عن جهل اللاتي يتخذن مقام الزوجة بما يترتب على ذلك من الواجب واللازم فيسود في مساكنهن الخصام والشقاق وتفترّ الراحة من أمامهن على جناح السرعة إلى مقام السلام وتكون حياتهن مع أزواجهن عبارة عن سلسلة متصلة حلقاتها بالمرارة والويلات، مرتبطة أجزاءها بالمصائب والتنهيدات مع أنه كان بوسعهن لو دبرن أو أردن أن يتقين ذلك البلاء الأعظم الذي يفتك ببهجة الحياة ورونقها.

ولا وافي لذلك الداء العضال الذي لا ملجأ من آلامه مدى الحياة سوى عمل الزوجة بما يفرضه عليها الدين والأدب حتى الطبيعة من الواجب نحو رجلها، فالزوجة التي هي شريكة حياة الرجل يجب أن تتأكد بأن مسرتها ومسرة زوجها يتوقفان على محبتها الحقيقية له، وخدمتها الآمنة لجميع حاجاته كما أنه يدور بخدمتها ويفعل ما به يطيب خاطرها، ويشترط عليها أن تعمل بقلب فرح إذ لا أحب إلى الرجل من الزوجة البشوشة، لأن البشاشة تنير وجهها وإن يكن غير جميل فالفتاة الجميلة الفاتنة التي تصنع بعد زواجها حنجرة كدرة لا تقدر أن توجه لوماً إلا على نفسها إذا غاب رجلها كثيراً عن المنزل، لأنه من طبع الرجل كراهة الوجه المنقلب والسحنة الشكسة.

وعلى المرأة أن تدرس طباع وأخلاق رجلها درساً جيداً لتستطيع السلوك معه بحسب مشتهاه، لأنها إن فعلت ذلك لا ريب تصيب لديه المنزلة الأولى، والمقام الأجل فصبح إرادته رهن رضاها أو مناه تلبية أمرها اللهم إلا إذا كان بعيداً من الإنسانية بشيء لا يخفى داخل جسده البشري ذا قلب وحشي لا يلين ومن أهم واجب الزوجة الذي قلما تكثرت به المحافظة على حسن صحتها في الاعتدال في المأكل والمشرب والملبس لئلا تبلى بداء يرميها العمر على فراش السقام فتكون حملاً لا يطاق على عاتق رجلها، فضلاً عن أنها تخسر محبته الأولى وهذا أمر بديهي إذ الرجل لم يقترن بالمرأة ليمرضها بل لتكون عوناً وشريكته في حمل أثقال الحياة ومتاعبها الجمة وما قصدت بهذا أن يراد الرجال الذين لا يعتنون بنسائهم كلاً لأنه من أول واجب الرجل أن يبذل مستطاعه في تطيب زوجته إذا فاجأها مرض أو بلاء، بل لأذكر النساء بأمر ربما لم يخطر لها ببال فتستفيد للاستقبال حقاً واجباً.

إن واجب الزوجة نحو رجلها فرض مقدس سن من قبل الخالق والوجود فإهماله يعود عليها بشقاء مستمر إذ إنها تخسر محبة زوجها وثقته بها، وبإعظم الخسارة فيصير قلبها ميتاً في تعسر وتكدير بخلاف ما إذا قامت بمطلوبات مركزها بجهد وأمانة فالسعادة تظلمها في البركة والسلام بأويان منزلها، وكم قد أطنب الشعراء والكتبة في وصف الزوجات الصالحات ورفعوا من منزلتها، وأكثروا من مدحها وذلك دلالة على سمو شأنها وعبقريتها في عالم الوجود.

والزوجة الصالحة هي التي تمتاز بأفكارها الطاهرة الشريفة وبشعورها الخفي العفيف وبأخلاقها البهجة الأنيسة، وبصبرها الجميل، وعريكتها اللينة، وعفتها النقية فتراها مرتدية النظافة واللياقة ثوباً، ومغتذية مع عائلتها على حدود الاعتدال والاقتصاد تلك التي تسير يدها بالعمل، وتكره رجلها التبخر، فتنهض في الصبح باكراً متسرّبة القوة، والشاؤم لتطيب أشغال

النهار، والقيام بمهام منزلها فتكون ينبوع سعادة رجلها، وفخر أولادها الذين يسمعون أناشيد مدحها فيهمون طرباً ويزيدون من إكرامها شيئاً عظيماً، هذه هي المرأة التي ترفع شأن الإنسانية وتعمل في تقدم الجنس البشري أشرف وأجل عملاً والتي فوائدها لا تحصى، وآثارها لا تستقصى فإنها تفعل في ارتقاء العالم أكثر جداً من التعليم والإنذار، والتوبيخ وبدونها لا تفيد وسائل التقدم شيئاً مذكوراً، ولذلك كانت حاجتنا نحن الذين أخذنا ندرج سلم المعالي لمثلها شديدة فإنني أرى البلاد ظمأى لتأثيرها المحيي، ومآثرها الغراء فرجائي أن يصيب مقالي في قلوب نسائنا ثرى ثرياً ليجتنبن نكراً، ويزدودن فضلاً، ويثمرن معروفأً، فتسمو بهن البلاد والعباد، والله ولينا وبه نتوفق إلى خير الأحوال.

[مريم خالد]

وقالت حضرة الكاتبة الأدبية «مريم خالد» في مقالها التي عنوانها: «وجوب تعليم البنات رداً على معترض هذا المقصد».

لا أدري ما الذي دفع بالمتعرض إلى هذا القول، ولا أعلم ما هذا الغشاء الذي قام أمام عينيه فلم يعد ينظر من ورائه الفوائد الحاصلة التي لا ينكرها إلا من أعماه الجهل، وخيم فوق رأسه الغرور، وكأني به وقد رأى كلاً بيدي رأياً ويتكلم بما يعن له من محسنات ومسيبات النجاح كقوله: «هل تقصد أن ترسل ابنتك للمكتب...؟» أراد أن يتكلم. فبحث في زوايا دماغه وفتش مخبات قريحته فلم ير إلا أن تعلمنا صورة خارجية وضرر عظيم، فهل يظن أن العلم خلق للرجل.

لعمري إنه في ضلال مبین وخطأ عظيم، ولنفرض أننا سلمنا اعتقاده وجاريناه على قصده حسب زعمه أن العلم لا ينفع البنات بل ينتج المضار فما هي يا ترى؟ أيحسب أن أولها النفقات التي تبذل لوضعهن في المدارس؟

ثم إن المدارس جامعة البنات من رتب وطبائع مختلفة فتدخل الابنة بسيطة لا تعرف الحي من اللي فتستنير [بعدئذ] (١)، وتتغلب عليها آفة الغيرة فتجرب أن تجاري البنات اللواتي هن أعظم منها رتبة وغنى بالملابس والزينة الخارجية، وتقتبس كل عوائدهن حتى يصعب على الإنسان أن يرى الفرق بين الغنية والفقيرة وتتمرن على الراحة والرفاهية حتى متى رجعت إلى البيت تراها شامخة بأنفها، معجبة بنفسها لا يعجبها العجب ولا تمارس الأشغال البيتية، فتخسر والديها مبالغ لا طائل تحتها فكان الأجدر بها أن تبقى في البيت مثل هذه حجة المعترض لتكن.

(١) وردت في الأصل: «بعد إذ»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

وا أسفاه على المعترض لا يعلم أن هذا الغلط غير لاحق بالبنات فقط بل بالشبان أيضاً فإني أقر بهذا الغلط، ولكنه ليس عمومياً ألا يعلم أن للناس طبائع وأميالاً مختلفة فالبعض يميلون إلى الإسراف والتبذير، والبعض إلى العلم والتهديب، والبعض لغرور العالم وشهواته. فلا خوف على ابنة واقعة تحت ظروف كهذه فمهما كانت طائشة وميالة للإسراف لا بد من أن يعلق في ذهنها أثر التهذيب، والتي لا يفعل فيها التهذيب المدرسي، لا يفعل فيها لو لزم البيت، فكفى أن المدرسة تربي فيها ميلاً للعلم والأدب، وتدرّبها في أعمال الحياة بعد خروجها من المدرسة، ودخولها في العالم. ومن جهة الأشغال البيتية لا يلزمها أفكار وتعب جزيل لتتعلم ممارستها، فعليك أيها المعارض أن تشجع ولا تخاف من هذه المضار بل أن تصوّب آمالك للفوائد الجمة التي تنتج من تعليم البنات، ولا تحتقر علمهن فإنك بذلك تحتقرهن، ولا تنس أن المرأة هي المحور الذي تدور عليه أسباب النجاح، وهي سبب التقدم والفلاح، وهي حافظة للهيئة الاجتماعية، ومرآة الآداب العمومية.

لا مشاحة أنها تبلغ في العالم مبلغ الرجل أحياناً فلذلك يجب تعويدها على إطلاق أعتة الأقلام في ميادين التصورات العقلية لتجتني من الطبيعة عسلها الشهي، وبذلك يعلم العالم أنها على شيء وينطق لسان الأبكم بفضلها و[عندئذ] <sup>(١)</sup> تبكم الألسنة القائلة بحطّة عقولها وحقوقها.

أما أنا فعندي أن صرير أقلامنا الحاضرة سيدوي في وديان سوريا، ويؤثر في أذان الهيئة الاجتماعية. فعلياً أيتها السيدات بالتحفظ من كل أمر يحط شأننا وملازمة الخطة التي نرفع قدرنا ومقامنا. واعلمن بأن الأنظار تراقبنا والإصلاحات تنتظرنا، والمرأة مرآة الوطن فيها يظهر هيكله، ومنها يعرف كيف هو، ورجاؤنا أن نكون نحن الرابحات والسعترضون الخاسرين.

وأخيراً، يجب علينا الشكر لله ولوفرة اهتمام الحضرة العلية الشهدية في تربية البنات والرعية، وأكثر الآباء الآن أدركوا أهمية تعليم بناتهم حتى مسار تعليمهن عند البعض أم لا، فأطلقوا قيودهن حتى يبدن على نور المساعدة المبدئية لهن في مجرى حياتهن.

[استيرازهري]

وقالت حضرة الأديبة الأنسة «استيرازهري» مقالتها التي منه أنها «الإحسان الحدي»  
المرء بعد الموت أحدوثة يفنى وتبقى منه آثاره

(١) وردت في الأصل: «عند إذ»، ولعل الصحيح ما أنتهتاه



وأحسن الحالات حال امرئ تطيب بعد الموت أخباره

وماذا يفضل حالة من يكرس نفسه لنشر الآداب وإعلاء منارها، وأي خبر نشره أطيّب ممن يصل سواد ليله ببياض نهاره سعياً وراء هداية غيره سبل المعرفة مستجلباً عويصها له، كاشفاً غوامضها، لا يأخذه بذلك ملل، ولا يناله كلل أجل أليست هذه حالة العلماء والفلاسفة منذ نشأ العلم إلى اليوم أشغلوا جلّ أوقاتهم بكتابة الكتب التي تعود على عموم العالم بالنتفح وتدرأ عنهم المضارّة، وبهذه الوساطة لم تقصر إفاداتهم على الجيل الذي عاشوا معه، أو البقعة التي قضوا فيها حياتهم، بل لا تزال منتشرة في كل قطر مدّت المعرفة سماءها عليه لابسّة من الحياة ثوباً قشيباً لا تبليه الأيام، ولا يؤثر به كرور الأعوام فخلدت أسماؤهم وكانت خير أثر. ومن رغب في أن يأتي بالإحسان الكتابي لا يحتاج أن يجمع الشعب من حوله ليلقي عليهم معارفه كما كانت تفعل العلماء في سالف الأيام بل خوّلته التقدّمات العصرية مقدرة على وضع أفكاره وتعاليمه في كتاب ينشره بين الملأ فتناوله الأيدي، ويقطف أثماره القاصي والداني، ونرى تأليفه يقوم مقامه في كل عصر حتى إذا فنى المؤلف ولعبت الديدان في جسده، بقي كتابه بين أيدي الذين بعده يغذون عقولهم بموادّه.

وعليه نرى الإحسان الكتابي آلة يستخدمها المحسنون لإذاعة الآداب واستمرارها فتغني الطلاب عن الأساتذة فكم من الناس الذين لم تسمح لهم أخوالهم بالدخول إلى المدارس، وجدوا هذا الأستاذ ينادي بصوته الجمهوري قائلاً: «تعالوا يا محبي المعرفة وراغبى التقدّم، فها أنا أستقبلكم على الرحب والسعة وسترون مني أستاذاً شفوفاً محبباً محسناً أرغب في تقدّمكم وإعلاء شأنكم، لا أطلب منكم أجراً ولا تعويضاً فلا أترك غامضاً في السماء أو تحت الثرى إلا وأجلوه لكم، وأظهر مخبّاتّه فلا يأخذكم بذلك ملل، بل ثابروا على خطتكم واجتهدوا بالثبات فيها تروني طلق المحيا لا أسأم عندما يتعذر عليكم فعل أمر، وها أنا أهدي الشاب منكم صراطاً سوياً وأعد شيخكم بالتقدّم ممثلاً له قول الشاعر:

لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل»

فأطاعوا دعوته وولجوا حدائقه الناضرة ومروجه الخضراء، فاقتطفوا منها ما طاب لهم، وعادوا ظافرين [فعندئذ] <sup>(١)</sup> شعروا بفضل ومثّة من أحسن إليهم بتأليفه التي أنارت عقولهم، فاقتدوا به وبدأوا بتأليف الكتب التي تخفف على الغير مشاق الدرس الذي لزمهم، فأحسنوا كما أحسن إليهم ومن يتأمل المتاعب التي تحدى بالعلماء لا يتبعد عن إكرامهم وتبجيلهم ما أمكن فضلاً عن الاضطهادات التي كان يجازى بها من صرح بحقيقة لم يدركها زملاؤه في

(١) وردت في الأصل: «فعند إذ»، ولعل الصحيح ما أثبتناه. 135462

الأجيال الغابرة وكفى «بغليلو»<sup>(١)</sup> برهاناً فعندما صادق على قول «كوبرنيكوس»<sup>(٢)</sup> بكون الشمس ساكنة والأرض متحركة نفي إلى سجن مدينة غربية بعيداً عن أهله وخلانه، ومات فيه. وعليه «بغليلو» كان أسير الاعتصاب كما قال «ملتنى»<sup>(٣)</sup> الشاعر الإنكليزي عند محاماته عنه: ألا أن أضداده لم يقدرُوا على سجن الحقيقة التي أذاعها «بغليلو»، وعليه فكم يجب علينا أن نقدم الشكر لله تعالى الذي أوجدنا في هذا العصر الحميدي تاج العصور الغابرة ففسح فيه للعلماء مجال بث حقائقهم بين الشعوب فكان ذلك أكبر نصير لتقدم العلوم وأعظم عاضد لنشرها.

ومما مر نرى أن العلماء لم يكن يستفزههم وعد أو يرهبهم وعيد، بل كانوا يقبلون الموت فداء لحقائقهم فكانوا يساقون لتناول ضروب العذاب كمن يذهب لينال إكليل الظفر، ولو لا ذلك لانفتت المعرفة وعم الفساد وإذا رغبوا في الحياة لا تكون غايتهم منها سوى نفع الغير فينكرون ذواتهم في سبيل الإحسان ويؤيد ذلك ما قاله «ملتون»<sup>(٤)</sup> عندما كان يؤلف كتابه المسمى «بدفاع الإنكليز» عندما أنذره الأطباء بالعمى إن لم يكف عن الدرس والتأليف فقال: «إن كثيرين يبتاعون الخير الصغير بالشر الكبير، أما أنا فحسبي أن أبتاع الخير الكبير بالشر الصغير». حاسباً عمى عينيه شراً صغيراً في جنب الخير الكبير الذي هو خير بلاده.

وعلى الراغب بالإحسان كتابياً أن لا يرهب في الحق لومة لائم، بل يذيع الصواب منتصراً له بكليته ولو خائته المسكونة بأسرها مبتعداً عن أن يطوي عليه كشحاً، وإذا فعل ذلك لا يكون قد أدى المعارف حق خدمتها، ولكن عليه أن يراعي ذوق الجمهور بالبحث عن ما يرى منهم الإقبال عليه فإذا أراد مثلاً ردعهم عن طرق ألفوها، وهي مضرّة لهم تبعدهم عن التقدم فعليه أن يظهر وجوه المضار التي تحصل منها الوسائط للابتعاد عنها ولا يؤخذ من كلامه لهجة الأمر، بل كمريد الإصلاح وعليهم حسن الاختبار وعند ذلك يكونون قد قدموا بالخدمة المطلوبة منهم.

- (١) غليلو: أو غليليه «Galilei»، عالم إيطالي، ولد سنة ١٥٦٤ م من أهم علماء الفلك المشهورين. اكتشف حركة دوران الأرض حول الشمس، ذاته كالميكروسكوب سنة ١٦٣٣ م. اخترع التلسكوب سنة ١٦٠٨ م. من مخترعاته ميزان الحرارة والمنظار الفلكي «Telescope» سنة ١٩٩٢ م.
- (٢) كوبرنيكوس: هو نقولا كوبرنيك (Nicolas Copernic)، ولد سنة ١٤٧٣ م، عالم بولندي، قدم دوران الكرة الأرضية على ذاتها وحول الشمس توفي سنة ١٥٤٣ م.
- (٣) ملتنى: أو جون ملتون (John Milton)، ولد سنة ١٦٠٨ م وهو من مشاهير الشعراء الإنكليز، نظرته فأملى على زوجته، ابنته ملحمته الخالدة «القدوس المفقود» (The Lost Paradise) سنة ١٦٧٤ م.
- (٤) ورد سابقاً «ملتنى» وقد جملنا له على أنه «ملتون» تهجاً للمصباح، وإذ لا نستطيع

وقالت حضرة الكاتبة الأدبية الأنسة «استير هوري» في مقالتها التي عنوانها: «الروايات» التي تلتها في دار المدرسة الإسرائيلية عند تمثيل رواية: «المسرف»:

الروايات والكل تعلمون حقائق لا بل فوائد ملبسة بلباس الهزل، ومنافع قدّمت في معرض المجون تلذ للسامع، وتخوّل الناظر قوة تحكم بين صحيح الأمور وفاسدها فيراها بعين الخبرة وقد أميط النقاب عن مؤدّاهها ويسبر غور تجارب أخذت قسماً عظيماً من الزمن بما يفوق القليل منه فتحنكه بلا تعب ولا كدّ وربما عن غير قصد في معرض اللذة التي ينالها عند تمثيلها ففتيده، وبالبحري تربيته بالوقائع التي يشاهدها كأنها مرت عليه وقد قال الشاعر:

تعطي التجارب حكمة لمجرّب حتى تربي فوق تربية الأب

وفوائدها أعظم من أن تحصر بخطاب يدوّنه قلم عاجزة نظيري ومقالة يحصرها يراع قاصرة مثلي. بيد أني وجدت للكلام مجالاً فعملت بقول من قال: «وإن وجدت قائلاً فقل».

فإذا تمعنا في الروايات منذ نشأتها إلى عهدنا هذا نرى أنها كانت عنوان فضائل الأجيال الغابرة، أو أخلاقها بحسب الموضوع الذي كتبت فيه، ولكن عند ابتداء عهدها كانت لعقاب المجرمين، وإعدام الأسرى، فكانت تمثل في ذلك الوقت بهيئة تقشعر منها الأبدان وتشمئز منها النفوس بحيث إن ممثليها قلما يستطيعون أن يلعبوا دورهم بعد ذلك في رواية الحياة الكبرى.

ثم سمت غايتها [بعدئذ] <sup>(١)</sup> فاستعملت لإظهار بعض العقائد الدينية ثم صارت لتسلية الملوك والأمراء إلى أن تحسنت أكثر فأكثر وصارت غايتها العظمى إصلاح ما فسد من العوائد والأخلاق، وبيان مصير تابعيها إلى النتائج الرديئة التي تكدر كأس صفاء حياتهم، وتعبث براحتهم من كل جانب وإظهار ما للفضائل من المزايا الحسنى لكي نقتدي بها، ولا نحب أن يعزب عن بالنا ما لها من الفوائد التاريخية فتخبر الجمع الحاضر بكل ما جرى فيما سلف من الزمان.

وهي مفيدة لتلامذة المدارس بما ليس دون فائدتها في الناس بل أسمى وأجلّ لأن تأثير الحوادث في مخيلة الأحداث يفوق بمرات تأثير الكلام المجرد فيها، فإذا راجع كل منا تاريخ حياته يرى صحة قولي وناهيك بالفوائد التي يجتنيها المشخصون أنفسهم من عبارات يلتقطونها، وأمثال يحفظونها، وحكم يستوعبونها فكلما طرّقوا خزانة التذكار يرون ما الذي وعوه فيها من الآثار، ولا حاجة أن نقول: إن وقوفهم وهم في هذا السن في محفل حافل كهذا

(١) وردت في الأصل: «عند إذ»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

يجعل وقوفهم في المستقبل بأحسن مما ترون مني إلا تصفيق. وللروايات شروط لو تعدتها لسقطت فوائدها وعبث بالمقصود منها، غير أنني أضرب عن تعدادها الآن، ولدينا رواية تنطق بأوضح ما يعبر عنه لسان موضوعها من أحسن المواضيع ومادتها من أغزر المواد ومغزاها أحسن مغزى فهي قد خاضت بحر الشعر والنثر، فالتقطت منها أنفاس الدرر، وتقلدت بها زينة وبهاء فشكر الناسج بردها أفاض فأجاد، ولمساعي رئيس المدرسة الهمام ومدحاً لفتية نجباء أحسنوا التمثيل وأجادوا الإلقاء نسأل الله دائماً نفعنا بما نراه فهو المجيب السميع.

وقالت حضرة الأديبة «سارة نوفل» تحت عنوان «الصححة أفضل من المودة»<sup>(١)</sup> (الزّي):

هرعت نساء الغرب إلى دائرة التفنن بأنواع البهارج، وأساليب الزخارف، وأخذن بمناظرة بعضهن في اختراع الأزياء والتلاعب في صورها وأشكالها تباهاً وافتخاراً حتى وصلن بها إلى ما هي عليه في الوقت الحاضر من الوضع والتركيب ولسان حالهن يقول:

لم يرق لي منزل بعد النقا لا ولا مستحسن من بعد مي

ولما كانت هذه الأزياء بعيدة عنا غريبة منا، كانت نساؤنا وبناتهن قانعات بما ورثته من التقاليد والعوائد سواء كانت صحيحة المبنى، أو سقيمة المبدأ، راضيات بما يختاره رجائهن وآبائهن من الأزياء وأشكالها والأثواب وألوانها، وكن بحالتهن هذه ممتعات بتمام الرفاهية والهناء، وكمال الصححة والصفاء.

ولكن لم تلبث أن تقدّمت نحونا تلك المناظرة بخيلها ورجلها ودخلت بلادنا ضيف غير محتشم واستمالت قلوب النساء والبنات إلى الأخذ بناصرها فتغيّرت الحالة الأولى بضده واستحالت عوائدنا القديمة إلى عكسها، وارتفع علم «المودة» (أي الزّي الجديد) في ربوعنا حتى راجت بضاعته، ونال من أفئدتنا بغيته، وما كان رافعه إلا بعض اللواتي أعرضن الجنس عما يتخلل هذه المودة من الإضرار بالصحة العمومية، وأقدمن بحكم التشبه والتشابه على جنسهن الغربيات إلى الانقياد لحكم الأزياء الجديدة التي لو عرضنها على الأفندي لصددهن من أثواب الهزل كأثواب المساحر التي تلبسها الآن بعض النساء في بلادنا مع الموديين من إعداد التقاطيع والأشكال، وعديد الصور والألوان، ولم تصدح هذه لبعض تلك الحكمة وقانون الصححة لحكمهن على نفوسهن بالخطأ، وعلمن كيف تضرهن ما هم الذين ما يفتنون الواجب المفروض عليهن في نظام الصححة العامة التي يتوجب على ملامتها عدم الجنس الضار وصيانتها من أفة الأمراض الوراثية.

(١) المودة: وهي ما نعرفه بالعامية: «المودمة»، وهي «الزّي» (Fashion).

ومن البديهي المقرر في الأذهان أن الأثواب الضيقة جداً هي وحدها عشرة للدورة الدموية في جسم لابسها ومتى اختل نظام هذه الدورة الطبيعي كان الجسم معرضاً لكثير من الأمراض فكيف لو شددت النساء خصورهن بمشدّ موسوم بلغة الإفرنج «بكورسيه»<sup>(١)</sup> أو «بوسطوري» حبال متينة وأضلاع حديدية لا يقوى على احتمال قوتها الضاغطة جسم، أو ضمّن أرجلهن وأصابعهن بأحذية لا نقدر أن نفيها حق التشبيه إلا بقولنا بالأحذية الصينية صغراً وقالباً حتى لا يستطعن بعد ذلك أن يأكلن بلذة أو يمشين مستقيماً بحرية، بل نرى الواحدة منا مع هذه المضايقة وذاك الأسر ممسكة بأذيال هذه العادة الوخيمة صاغرة لأحكامها الصارمة قائمة بأمرها إلى ما شاء الله.

وإذا سألنا إحدى اللواتي ربين في مهد الفضيلة والآداب وتثقت عقولهن في مدارس الحكمة حتى عرفن أن الكمال إنما هو بمحاسن الأعمال أن أي الثوبين الآتي ذكرهما أحسن نفعاً وأكثر فائدة وألطف منظراً، أثوب بسيط منسوج من الصوف أو من القطن أو الحرير، أو الكتان يوافق كلاً من فصول السنة الأربعة ويجر بذيله عنوان العفة والوقار، وسمات الطهارة والقناعة، ثم يحفظ بوسعه القليل راحة المرأة وصحتها مدى الحياة، أو ثوب من أثواب الأزياء الجديدة الحاكمة علينا بالخضوع لأحكام التقليد واستبداده فضلاً عما يلهيها من الإسراف والتبذير لقلت:

وما عن رضا كانت سليمة بديلة بليلى ولكن للضرورة أحكام

نعم، نقدر أن نلومك أيتها القائلة إذا كنت متوسطة الوجاهة والثروة، ولا ننكر عليك حكم الضرورة التي أشرت إليها لأنك معذورة بعدم انفرادك عن زميلاتك والافتداء ببنات جلدتك، على أننا نلوم ولا نعذر تلك المرأة الوجبة الغنية التي نفع الدهر عليها بواسع الخيرات، وغاية الوجاهة ولم تشن عزمًا عن مناظرة اللواتي هن أقل منها رتبة ومقاماً، وأضعف حالاً وثروة لأنها قادرة أن تجعل نفسها نبراس الفضائل ليقتدي بها النساء اللواتي هن أصغر منها منزلة، وهكذا تقتدي الصغرى بالكبرى تدريجاً حتى تصل إلى حيث المطلوب والمقصود والمرغوب.

أما الآن فنرى المسألة معكوسة من جميع وجوهها حيث نجد المثریات منا اللواتي ينبغي أن يكن قدوة لجمعيات يتسابقن إلى ميدان المودة، ويبرزن بحللهن وحليهن تيهاً وإعجاباً، ويتفاخرن كل يوم بثوب جديد إعلماً ببذخهن وإسرافهن إلى غير ذلك مما يجدد في نفوس

(١) كورسيه: وهو حزام من القماش والمطاط، ترتديه النساء البدينات فيبدون أقل بدانة بضم أضلاع الصدر، وترفع دائرة الخصر.

عامّة النساء روح الغيرة والافتقار ويحملهن على إقدامهن على نحو هذا التقليد المضر بصالحهن المادّي والأدبي فضلاً عن إضراره بصحتهن وراحتهن .

وقد سمعت يوماً من إحدى السيدات المثریات ما يعرب عن ميلها إلى استئصال «المودة» ومضارها الصحیة والمادیة حیث قالت: إنني أودّ من صمیم فؤادي أن أحذو حذو السيدات الأمريكيات في أزيائهن لما فيها من اللطافة واللباقة، واللباقة، والراحة لكنني أخاف أن أكون البادئة لئلا ينسب إليّ البخل والتقتير المخلان بشرف وجاهتي وثروتي أو يظن بي الفقر، وعدم الافتقار على مجارة نسيبتي دعد، وحسبتي وصاحبتي أسماء وحبيبتني سلمى وهذا أمر يزري بالمجد ويمس التمدن، ولكن بحكم الوهم على أنني لو رأيت واحدة من أمثالي تقدّمت قبلي إلى نبد أحكام «المودة» لكنت وأيم الله ثانية لها والله عليم بذات الصدور .

فإلى ذوات الأثر والمآثر وربات الفضل والمبادئ الصحیحة أرفع عجالتني هذه بعد أن ألتمس من منازل لطفهن حلماً، ومن واسع آدابهن عفو العلى أفوز بمن تحمد من هذين الأمرين ما لا يقبل النقص<sup>(١)</sup> والإبرام<sup>(٢)</sup> والتنكيت<sup>(٣)</sup> والتبکيت<sup>(٤)</sup>، لأن التطرف بـ«المودة» قد أوصلنا إلى منازل لا تحمد عواقبها والتشبه يقضي بين الأحساب والأنساب، والأقران، والأمثال بأن ينفقوا كل غالٍ حياً للمساواة بين المقلد والمقلد، وكم من امرأة قد باعت ما لديها من الحلّي والعقار، وابتاعت بقيمته قبعات وأثواباً ومراوح إلى غير ذلك من لوازم «المودة» العائدة بخراب بلادنا، والمنفعة لغيرها من البلاد التي تختلق لنا لزوم ما لا يلزم، فنتهاقت إلى ابتياعه ولا تهافت الجياع إلى القصاع حالة كوننا موجودين في عصر كثرت فيه احتياجات الإنسان كما قلت موارد الرزق، وسدت أبواب المصالح تجاه وجوه أربابها، ولم يبق من مسيل للتخلص من الضنك المستحوذ على أكثر الشعوب إلا الافتقار بعدم الالتفات إلى مهابت الأزياء .

فعلينا أن نترك التقاليد الإفرنجية ونتمسك بأحاسن العوائد التي يمكننا أن نقطف منها مجموع عوائد الغربيين والشرقيين وحبذا لو اقتدينا بعقائل نساء الإفرنج اللواتي لا يمسسن إلا بالجدّ والصالح، وحسبنا شاهداً اللواتي تراهن كل عام يسخن من جهة إلى جهة لينة ومن قارة إلى قارة أخرى تبديلاً للهواء واستطلاعاً لما في الوجوه من المناظر، العجائب، والآثار، والعجائب .

(١) النقص: المخالفة. [القاموس، مادة نقص]

(٢) الإبرام: الحكم الفاطح الذي لا مناس منه. [القاموس المحيط، مادة إبرام]

(٣) التنكيت: التنديد والتعيب في القول والعمل. [القاموس المحيط، مادة تنكيت]

(٤) التبکيت: التعنيف والتدبير. [القاموس المحيط، مادة تبکيت]

وهن بغاية البساطة في ملابسهن وتقليداتهن، ومن المستحيل أن نرى واحدة منهن لابسة ذاك المشدّ الحديديّ الذي تستلزمه «المودة» لضم أضلاع الصدر وترفيح دائرة الخصر إلى حدّ لا تطيقه المعدة، والمعدة بيت الداء كما لا يخفى وبناء على ذلك يجدر بنا نحن الشرقيات أن نقبس من أدبيات الأجانب ونقتدي بفاضلاتهن ولا نتجرّع كأس الضرر ونحن على علم بأن السم في الدسم، ويجب علينا أن نتحد من الآن فصاعداً على نبذ كل عادة مضرّة بأجسامنا ومصالحنا ونعرف ما لنا من الحقوق وما علينا من الواجبات، فهلمّ يا بنات سوريا الأدبيات يا من سطعت بكنّ شمس ذوات الخدور فغنيتن بالضياء عن الدور إلى نشر هذه المبادئ في جرائد الوطن ولسان الحال لكي تصير علناً، ونفوز بالأمنية ونستأصل من بين ظهرانينا آفة الاقتداء بغيرنا ممن لا يهمهم همنا، ولا يسرّهم وفاقنا والسلام.

ولنبداً الآن بسرد التراجم والله المعين في البداية والنهاية.

## حرف الألف

### آمنة<sup>(١)</sup> ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب أم النبي ﷺ

قال القرماني: أعطها الله تعالى من الجمال والكمال ما كانت تدعى به حكيمة قومها، وكانت من الفصاحة والحكمة والبلاغة على جانب عظيم لم يسبقها إليه أحد من نساء العرب، توفيت بعد مولد النبي ﷺ بست سنوات، ودفنت بالأبواء<sup>(٢)</sup>.

قال ياقوت في «معجمه»<sup>(٣)</sup>: «والسبب في دفنها هناك أن عبد الله والد رسول الله كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمرأ، فمات بالمدينة، فكانت زوجته آمنة تخرج إلى المدينة تزور قبره، فلما أتى على رسول الله ﷺ ست سنوات خرجت زائرة لقبره، ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله، فلما صارت بالأبواء منصرفه إلى مكة ماتت بها.

ويقال: إن أبا طالب زار أخواله بني النجار بالمدينة، وحمل معه آمنة [أم رسول الله ﷺ]<sup>(٤)</sup>، فلما رجع منصرفاً إلى مكة ماتت آمنة بالأبواء»<sup>(٥)</sup>.

وقيل: دفنت بدار راتعة وهو موضع بمكة.

وقيل: بمكة في شعب أبي دُب، وكانت من شاعرات العرب المجيدات.

- (١) للاستزادة يراجع: طبقات ابن سعد (١: ٣١، ٥٨، ٦٠، ٧٣). سيرة ابن هشام (١: ٥٣، ٥٨). تاريخ الإسلام (١: ٢١، ٣٥). تهذيب الأسماء واللغات (١: ٢٢، ٢٤). الدر المنثور (١٦: ١٦٦). البحار (١: ٤٤). عيون الأثر (١: ٢٤).
- (٢) الأبواء: قرية من أعمال الفرع في المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. معجم البلدان، ج ١/ص ١٠٢.
- (٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ١/ص ١٠٢.
- (٤) زيادة أثبتناها من معجم البلدان، ج ١/ص ١٠٢.
- (٥) قال الحميري: «وكانت آمنة قدمت به ﷺ إلى مكة من بني عبد المطلب، فماتت وهي راجعة به ﷺ إلى مكة». الدر المنثور (١٢: ١٢).



ومن شعرها قولها وهي في نزع الموت وكانت نظرت إلى النبي ﷺ، وهو يلعب بجانبها فتأسفت على تركه صغيراً وأنه سينشأ يتيماً من الأب والأم، ولكن تأست بما يناله من الفخر والمجد في قومه وفي العالم بأسره مما رأت منه في حال صغره وهذا ما قالته:

بارك الله فيك من غلام  
نجا بعون الملك العلام  
بمائة من إبل سوام  
فأنت مبعوث إلى الأنام  
تبعث بالتوحيد والإسلام  
فالله أنهاك عن الأصنام  
يا ابن الذي في حومة الحمام  
فودي غداة الضرب بالسهام  
إن صح ما أبصرت في المنام  
تبعث في الحل وفي الحرام  
دين أيبك البرّ أبراهام  
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكرى باقٍ. وسلمت روحها<sup>(١)</sup>.

وقيل: إن بعضهم رثاها بهذه الأبيات:

نبكي الفتاة البرّة الأمينه  
زوجة عبد الله والقرينه  
وصاحب المنبر بالمدينه  
لو فوديت لفوديت ثمينه  
لا [تبقى]<sup>(٢)</sup> ظعناً ولا ظعينه  
أما دلت أيها الحزينه  
فكلنا والهة حزينه  
ذات الجمال العفة الرزينه  
أم نبى الله ذي السكينه  
صارت لثدى حفرتها رهينه  
وللمنأيا شفرة متينه  
إلا أتت وقطعت وتينه  
عن الذي ذو العرش يعلي دينه  
نبكيك للعطلة أو للزينه

### أمنة ابنة عتيبة بن الجارث بن شهاب اليربوعي<sup>(٣)</sup>

كانت شاعرة من شاعرات العرب في الجاهلية اللاتي يشار لهن بالبنان، وكان شعرها قليلاً إلا أنه ذو بلاغة عجيبة. وكان أبوها عتيبة قتله ذؤاب بن ربيعة الأسدي يوم خو من أيام العرب، ثم أسر ذؤاب وقتل فوراً بعتيبة ولأمنة في أيها مرات كثيرة لم يصل إلينا منها إلا قولها:

(١) كان ذلك عام ٤٥ ق. هـ / ٥٧٥ م.

(٢) وردت في الأصل: «تبقى»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

(٣) بنو يربوع: بطن من حنظلة من تميم من العدنانية، وهم بنو يربوع بن حنظلة.

على مثل ابن مية فانعياه      بشق نواعم البشر الجيوباً  
 وكان أبي عتبية سمهرياً      فلا تلقاه يدخر النصيباً  
 ضروباً للكمي<sup>(١)</sup> إذا اشعلت<sup>(٢)</sup>      عوان الحرب لا ورعاً هيوباً

### آمنة ابنة أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن

### صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن

ولها يقول<sup>(٣)</sup> نابغة بني جعدة<sup>(٤)</sup>:

وشاركتم قريشاً في تقاها      وفي أنسابها شرك العنان  
 بما ولدت نساء بني هلال<sup>(٥)</sup>      وما ولدت نساء بني أبان<sup>(٦)</sup>

وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عبد شمس<sup>(٧)</sup> معاصراً لعبد المطلب بن هاشم<sup>(٨)</sup> جد

- (١) الكمي: من ستر نفسه بالدرع والبيضة. [القاموس المحيط، مادة: كمي].
- (٢) اشعل: اشعل القوم، واشعلت الحرب أي ثارت، والغارة انتشرت. [القاموس، مادة: شعرا].
- (٢) ديوان النابغة الجعدي.
- (٤) هو النابغة الجعدي، قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلى، شاعر، صحابي من المعمرين، قيل: «اسمه حسان بن قيس»، سمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول شعراً، ثم نبغ فقاله، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر، قبل ظهور الإسلام، وقد عفى النبي ﷺ عنه فأسلم، وأدرك صفين، فشهدها مع علي بن أبي طالب، ثم سكن الكوفة فسيروه معاوية مع أخيه لأنه إلى أصبهان فمات فيها وقد كَفَّ بصره، وجاوز المائة. أخباره كثيرة جمعت لأسة مائة بيتاً في «Maria Nallino» ما وجدت من متفرقات شعره في السيوطي مع ترجمة بطائفة من شخصيات للاستزادة يراجع: السيوطي في شرح شواهد لسفي (٢٠٩). لأبي جعد السلمي (١٢٦ - ١٣٩). الإصابة (٣: ٢٧). المشع (٦٤). القاموس المحيط، مادة: شعرا. [القاموس، مادة: شعرا]. (١: ١٩٠). سمط اللامي (٢٤٧). طبقات الشعراء (١٠٣).
- (٥) بنو هلال: بطن من عامر بن صعصعة بن هوازن من العدنانية.
- (٦) بنو أبان: بطن من بني أمية من قريش من العدنانية، وهم من أولاد بن فهر بن مالك بن قيس بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
- (٧) هو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، من قريش جد لأمة بني النضر، ولأبشور بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. كانت له قيادة الحرب في قريش بعد أبي عبد مناف، وهو جد بني النضر، وكان من سكان مكة. هو وابن عمه عبد المطلب بن هاشم في من وفد على سيف بن ذي يزن في قصة «العقد» بدمشق، لتنهته بانتصاره على الحيشة، وروى له الأثر في أبياتا من الشعر في رحلته هذه، وهو من بني النضر بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. نقله عن أدركه، قال: رأيت شيخاً قصيراً، نحيف الجسم، يقوده عبده دهاناً، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث، وهو جد قريش في الحجاز.
- (٨) هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث، وهو جد قريش في الحجاز.

النبي فولدت لأمية العاص وأبا العاص، وأبا العيص والعويص، وصفية، وتوبة، وأروى بني أمية وقد سموا بالأعياص وكانت دائماً تفتخر بهم، فلما مات تزوجها بعده ابنه أبو عمرو، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده فولدت له أبا معيط فكان بنو أمية من أمة إخوة أبي معيط وعمومته.

وقيل: إن ابنها أبا العاص تزوجها أخاه أبا عمرو، وكان هذا نكاحاً تنكحه الجاهلية فأنزل الله تعالى تحريمه.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٢٢] فسمي نكاح المقت.

وكانت أمة مسموعة الكلمة مطاعة عند قومها، وكانت موصوفة بالشجاعة والمنعة وطالما افتخرت على باقي العرب في عزها ورجالها.

### أمة الرملية رضي الله عنها

كانت من أهل القرن الثالث للهجرة، وكانت من الزاهدات العابدات المنقطعَات للتبتل، وكان أكثر زهاد زمانها يترددون عليها، ويتبركون بها، وكان بشير بن الحارث - رضي الله عنه - يزورها. ومرض بشير مرة فعادته أمة من الرملية فينما هي عنده إذ دخل الإمام أحمد بن حنبل<sup>(١)</sup> - رضي الله تعالى عنه - يعودده كذلك فنظر إلى أمة فقال لبشير: من هذه فقال له بشير:

سادات العرب ومقدميهم. مولده في المدينة سنة ١٢٧ ق. هـ/ ٥٠٠ م، نشأ بمكة. كان عاقلاً، ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب، أحبه قومه ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة. هو جد رسول الله ﷺ. قيل: اسمه شيبه ولقبه عبد المطلب غلب على اسمه. وهو ممن وفد على الملك سيف بن ذي يزن في وجوه قریش يهثونه بالنصر على الحبشة. وقيل: هو أول من خضب بالسواد من العرب. كان أبيض مديد القامة، مات بمكة عن نحو ثمانين عاماً أو أكثر حوالي سنة ٤٥ ق. هـ/ ٥٧٩ م. للاستزادة يراجع: ابن الأثير (٢: ٤). الطبري (٢: ١٧٦). تاريخ الخميس (١: ٢٥٣). اليعقوبي (١: ٢٠٣). خلاصة تاريخ العرب (٣٩). سيرة ابن هشام (١: ٥٧). ملوك حمير (١٥٢ - ١٥٥).

(١) هو أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، وهو أحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ/ ٧٨٠ م. كان أبوه والي سرخس. فنشأ منكباً على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفاراً كبيرة إلى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام وغيرها. كان أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، يلبس البياض، يخضب رأسه ولحيته بالحناء. في أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن ومات قبل أن يناظر ابن حنبل. تولى المعتصم بعد المأمون فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن. أطلق سنة ٢٢٠ هـ، ولم يصبه شر في زمن الواثق بالله. ولي بعده أخوه المتوكل بن المعتصم، فأكرم الإمام أحمد وقدمه.

هذه آمنة الرملية بلغها مرضي فجاءت من الرملة تعودني فقال أحمد لبشير: فاسألها أن تدعو لنا فقال لها بشير: ادعي الله لنا. فقالت: اللهم إن بشير بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين. قال الإمام أحمد: فلما كان من الليل رأيت فيما يرى النائم أن طرحت لي رقعة من الهواء مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم قد فعلنا ذلك ولدينا مزيد رضي الله عنهم.

## أن لويز جرمان ابنة الكونت نكر وزير مالية فرنسا

ولدت هذه الشهيرة بباريس سنة ١٧٦٦م، وتولت أمها تعليمها ولكنها كانت تجهل مقتضيات التربية ومراعاة حال الأولاد من حيث مزاجهم وميلهم واتجاه عواطفهم، فشددت على ابنتها في التعليم، واتخذت الصرامة ديدناً في التربية والتأديب، فلذلك لم يعلق قلب ابنتها بها ولا كان لكلامها وقع قبول في نفسها، ومن جملة ما بين ذلك أنها كانت تحب اللعب بما يشبه التشخيص في المراسح، وتميل إلى ذلك ميلاً شديداً فتعمل ملوكاً وملكات من الورق، وتشخص لها مواقع من فكرتها، وتتكلم في التشخيص عنها. وكانت أمها تكره المراسح والتشخيص وتمنعها من اللعب بتلك الصور غير مراعية ميلها الشديد إلى ذلك فكانت ابنتها تختبئ وتلعب خفية عنها، ولا تكاشفها بشيء مما يخطر ببالها من ذلك.

وأما أبوها: فكان أوفر من أمها حكمة وأكثر معرفة في معاملة ابنته فيلاطفها ويمارحها ويحدثها حتى تأنس إليه وتكشف له قلبها، وكان رجلاً عظيماً ووزيراً على مائة «لويس» (السادس عشر)<sup>(٢)</sup> ملك فرنسا، مهيباً بعيد الصيت والسطوة والنفوذ يختلف إلى بيته غطساً فرنسا، وعلماءؤها وشعراؤها، فكانت أمها تأتي بها وهي صغيرة السن إلى قاعة الاستقبال، وتجلسها على كرسي مستدير بجانبها وتوصيها من حين إلى حين بالجلوس مستقيمة لئلا تكون حدباء الظهر متى كبرت فتجلس هناك شاخصة إلى الزوار وتلتقط كل كلمة تخرج من أفواههم وتصغي أتم الإصغاء إلى أحاديثهم، وتذوق معانيهم حتى يرى الناظر من علامات وجهها أنها

ومكث مدة لا يولي أحداً إلا بمشورته، وتوفي الإمام أحمد بن حنبل وهو من كبار علماء المسلمين له مصنفات عدة أشهرها: المسند وهو ستة مجلدات بحوالي ثمانين ألفاً من الأحكام الشرعية. (راجع: ابن عساکر (٢: ٢٨). حلية الأولياء، (٩: ١٦١). تاريخ الخلفاء، (٢: ١٩٠). تاريخ الخلفاء، (٤١٢). البداية والنهاية (١٠: ٣٢٥، ٣٤٣).

(١) وردت في الأصل: «لونيس»، ولعل الصحيح ما أنشأه.  
(٢) لويس السادس عشر: ملك من ملوك فرنسا وهو واحد من ثمانية عشر ملك من الملوك الفرنسيين الذين حملوا هذا الاسم «لويس». ولد في باريس سنة ١٧٥٤م، تزوج من ماري أنطوانيت النمساوية اندلعت الثورة الفرنسية في عهده. أعدم سنة ١٧٩٣م.

لا تدع فائدة تفوتها، وأنها تبتلع المعاني ابتلاعاً على صغر سنها، وكانوا كلهم يحدثونها كما يحدثون كبار السن ويحدثونها فيما تعلمته ويحدثونها على درس ما لم تتعلمه، فلم تكثر عليها السنون حتى بلغت قوى عقلها مبلغاً قلما تدركه العقول في سنها ولم تجيء عليها السنة الخامسة عشرة حتى شرعت في التأليف واشتد حبها للعلماء والعظماء فكان قلبها ينبض شديداً عند رؤيتهم، وصيتهم يستفزها إلى مجاراتهم ومسابقتهم، ولما بلغت عشرين سنة من عمرها شاع ذكرها في الآفاق، وانطلقت الألسنة بوصفها تزوجت بسفير أسوج في فرنسا واسمه «روستاييل» سنة ١٧٨٦ [م] فانفتح أمامها باب السياسة، وكانت في بداية عمرها تعتبر فلسفة «جان جاك روسو»<sup>(١)</sup> اعتباراً عظيماً.

ولما ابتدأت الثورة الفرنسية وكان أبوها قد أنجد حزب الثائرين مالت إليها حاسبة أنها الطريقة الوحيدة لسعادة فرنسا ونعيمها، ولكن لما تفاقم خطبها ورأت فظائعها، وعلمت أن أحسن أهل وطنها يقتلون بها نفرت منها وجعلت همها تخليص الذين قد وقعوا في حبالها من الموت فسعت في نجاة العائلة الملكية وفرارها إلى بلاد الإنكليز، ولكنها خابت مسعى فعمدت إلى تخليص غيرهم وكانت كلما خلصت شخصاً لا تستريح حتى تخلص كل من يتعلق به من الأقرباء والأصدقاء وتخاطر بنفسها لخلاص غيرها مخاطرة أعظم الناس بأساً، واتفق أن الدول المتحالفة ضيقت على الحكومة الثورية سنة ١٧٩٢ [م]، فقال رجال هذه الحكومة: لا نأمن على أنفسنا إن لم نقتل كل من له ضلع مع الملكية في باريس فاستباحوهم قتلاً ونهباً. وكان لمدام «روستاييل» أصدقاء كثيرون بينهم فخلصت بواسطتهم حياة كثيرين وبقي رجل اسمه «دومونتسكيو»<sup>(٢)</sup> فعزمت على أن تخرج به من باريس كخادم لها فلقبها الثائرون في الطريق فأنزلوها من مركبها كرهاً وذهبوا بها إلى زعيمهم فاخترقت الصفوف مرتجفة والسيوف والبنادق قد سدّت الآفاق من حولها، ولو زلت قدمها لقتلت دوساً، ولكنها ثبتت على ضعفها ست ساعات تسمع صراخ القتلى وأنين المعذبين حتى أطلق سبيلها، فخرجت من فرنسا فرحة بأنها قد لقيت ما لقيت فداء نفس خلصتها من الموت، وكتبت كتاباً بليغاً في الدفاع عن الملكة

- (١) جان جاك روسو «Rousseau»: كاتب فرنسي وفيلسوف اجتماعي، ولد في جنيف سنة ١٧١٢ م. نادى بطبيعة الإنسان والعودة إلى الطبيعة. تأثرت بمبادئ الثورة الفرنسية والأدب الرومنطقي. من أشهر مؤلفاته: «العقد الاجتماعي»، «إميل»، «الأدب الرومنطقي».
- (٢) هو شارل دومونتسكيو «Montesquieu»، ولد سنة ١٦٨٩ م، كاتب فرنسي له مؤلفات عدة اجتماعية، وسياسية، أهمها: «روح الشرائع» الذي كان له تأثير كبير في تطور الدستور الفرنسي إبان الثورة. وله أيضاً «الرسائل الفارسية». توفي سنة ١٧٥٥ م.

«ماري أنتوانت»<sup>(١)</sup>، ولكنه لم يأت بالفائدة المقصودة فجزعت على قتلها جزعاً شديداً.

وفي سنة ١٧٩٧م]: عادت من سويسرا حيث كانت متوجهة إلى باريس فوقع الخلاف بينها وبين «نابليون بونابارت»<sup>(٢)</sup> لأنها أوجست منه السوء بعد تعرّفها به بقليل قالت: إني لما تعرفت به أعجبني خلقه وعقله وقلت: إنه قد انفرد بهما كما انفرد بنصراته<sup>(٣)</sup>، وإنه رجل معتدل الطباع من أهل الجدّ والوقار بعكس زعماء الثورة ذوي الطباع الصعبة الذين كانوا يحكمون قبله، ولكن لما هدا الجأش من إعجابي به وعدت إلى نفسي شعرت بنفور عظيم منه لما وجدته فيه، فإنه كالسيف البارد الماضي يجمد جموداً على حين يجرح جرحاً، وعلمت أنه يحتقر الأمة التي يريد أن يملك عليها.

وجاهرت بمعاندته، فكنت ترى قاعتها غاصّة بجماهير النافرين من «بونابارت» الناقلين عليه، فأوجس «بونابارت» خيفة منها، وحاول أن يرشوها بالمال لترجع عن معاندته فوعدها بأن يدفع لها مليوني ليرة كانا لأبيها على الدولة فرفضت قبول تلك الرشوة. فقال لها «جوزف بونابارت»: «قولي إذا ماذا تشتهين» قالت: «لا أشتهي شيئاً وإن سيري هذا طبق لما أعتقد».

وكانت تحب سكن باريس محبة شديدة وتخاف النفي منها جداً ولا تسرّ إلا بمعاشرة الأدباء محفوفة بأهل الفضل والأصدقاء. وكان «نابليون بونابارت» يعلم ذلك فلما رأى إصرارها على معاداته أبي إلا أن ينتقم منها، فنفاها إلى مدينة سويسرا ولم يسمح لها بالاستعداد عن منزلها أكثر من ميلين وحرّمها من العودة إلى باريس فكان ذلك عليها مصيبة لا تطوق فقضت باقي أيامها حزينة على فراق باريس، وتولت تربية أولادها فكانت تعلمهم أكثر منهم ولم تنقطع عن ذلك في أشد أيامها حزناً وكآبة، ولذلك كان أولادها يحبونها حباً عظيماً.

(١) ماري أنتوانيت: أو ماري أنطوانيت، وهي ابنة ماري تيريز إمبراطورة النمسا، ولدت سنة ١٧٥٥ م. تزوجت لويس السادس عشر ملك فرنسا سنة ١٧٧٠ م. دعت زوجها إلى الثورة في ١٧٩٣ م. أعدمت سنة ١٧٩٣ م.

(٢) هو نابليون الأول «Napoleon»، ولد في أجاسيو سنة ١٧٦٩ م. من أشهر القادة في التاريخ. قاد حملة على مصر سنة ١٧٩٨ - ١٧٩٩ م، فانتصر في معركة الأهرام. قاد حملة على القديس إيلر وسد أول مطبعة عربية (بولاق). كان قنصل أول سنة ١٧٩٩ م، ثم قنصل معدي لحملة سنة ١٨٠٠ م. سقط الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية بالدولة (الكويك، دا ١٨٠١ م). شهد القديس إيلر سنة ١٨٠٤ م. أصبح إمبراطوراً سنة ١٨٠٤ م. غزا سنة ١٨١٤ م. التزم في جزيرة إلها عاد إلى باريس بعد هزيمته. فتحالفت أوروبا ضده، فهزم في معركة واترلو سنة ١٨١٥ م بعد حكم أمته يوم ٢٠ تموز ١٨١٥ م. القديسة هيلانة حيث توفي سنة ١٨٢١ م.

(٣) لعل المقصود بها «بانتصاراته»

ويخاطرون بأنفسهم دفاعاً عنها كما روى ذلك كثيرون من المؤرخين المشهورين، وقد اشتهرت مدام «روستايل» بمحامد كثيرة ظهر بعضها فيما مرّ ونزید عليه محبتها للحق والوقوف على حقائق الأمور ولذلك كانت تبذل جهودها في تعلم كل شيء ولو مهما كلفها من المشقة وكانت تقول:

«جهل الناس للحق والحقائق أكبر دليل على انحطاطهم». وقالت عن بونابارت: «إني علمت بانحطاطه منذ رأيت له لا يهتم بحقائق الأمور».

وكانت تحب الموسيقى وتلهو بها عن أشغال التأليف، وتزید السامعين طرباً بحلاوة صوتها، وكان لها ميل شديد إلى التشخيص، وموهبة عظيمة فيه فكانت تعرف كل المراسح الأجنبية جيداً، وتعلمت في كبرها اللغات التي فاتها تعلمها في صغرها ومن أقوالها: إن درس اصطلاحات اللغة أحسن المثقفات للعقل وأسهل السبل لمعرفة أخلاق أهلها. كما هي وأعظم ما اشتهرت به كتبها التي بلغ عددها ثمانية عشر مجلداً في كل فن مستظرف حتى سموها «فولتير النساء» لكثرة المباحث التي بحثت فيها وقد قضت مؤلفاتها ثلاث غايات من أسمى الغايات.

إحداها: توسيع علم الجمال عما كان في زمانها.

والثانية: مهاجمة فلاسفة فرنسا المؤدبين كـ«ديدرو»<sup>(١)</sup> و«دولباش» و«كندلاك» وغيرهم. مهاجمة عنيفة زعزعت أركان فلسفتهم.

والثالثة: بث روح الحرية في صدور قومها إذ أبانت لهم أن الحرية أعظم شرط لسلامة الآداب والديانة الصحيحة، وكانت فاضلة تقية ورعة غير مترفضة.

وماتت في ١٤ تموز (يوليو) سنة ١٨١٧م] بعد أن جالت زماناً في النمسا وروسيا وأسوج وبلاد الإنكليز الذين كانت تعتبرهم اعتباراً عظيماً.

## إيت كججك ابنة السلطان أوزبك

قال ابن بطوطة<sup>(٢)</sup> في «رحلته»: اسمها «إيت كججك وإيت» (بكسر الهمزة وياء مد وتاء

(١) هو ديس ديدرو «Diderot»، ولد سنة ١٧١٣ م وهو فيلسوف فرنسي نشر مبادئ الإلحاد والفلسفة العقلانية في القرن الثامن عشر. أسس «الإنسيكلوبيديا» وأشرف على إصدارها.

(٢) ابن بطوطة: هو محمد بن عبد الله بن محمد إبراهيم اللواتي الطنجي أبو عبد الله، رحالة، مؤرخ. ولد سنة ٧٠٣ هـ/١٣٠٤ م، في طنجة ونشأ فيها بالمغرب الأقصى. خرج منها سنة ٧٢٥ هـ، طاف في بلاد المغرب، ومصر، والشام، والحجاز، والعراق، وفارس، واليمن، والبحرين، وتركستان، وما وراء النهر، وبعض الهند، والصين، والجاوة، وبلاد التتر، وأواسط إفريقيا. اتصل بكثير من الملوك =

مثناة، وكجُجُك بضم الكاف وضم الجيمين). وقال: إنه لما كان عند السلطان «أوزبك» طلب منه أن يزور نساءه وبناته وخواص مملكته على حسب عادة أهل ذلك الزمان فأذن له وكان من ضمن بناته «كجُجُك» هذه قال: إنه لما توجه إلى هذه الخاتون وهي في محلة منفردة على نحو ستة أميال عن محلة والدها أمرت بإحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد، وجماعة الطلبة، والمشايخ، والفقراء، وحضر زوجها الأمير عيسى فقعدها معها على فراش واحد وهو معتل بالنقرس<sup>(١)</sup> لا يستطيع السعي على قدميه، ولا ركوب الفرس، وإنما يركب العربة، وإذا أراد الدخول على السلطان أنزله خدمه وأدخلوه إلى المجلس محمولاً ورأى من هذه الخاتون ابنة السلطان من المكارم وحسن الأخلاق ما لم يره من سواها، وأجزلت له الإحسان وأفضلت، وأما معارفها وعلومها وكرمها فلم يضاهاها فيها أحد سواها من نساء زمانها.

### أتالانتا ابنة شيني ملك سكروس (مملكة يونانية)

كانت شديدة الكلف بالصيد، فاكسبت من ذلك سرعة في العدو لا مزيد عليها حتى إنه لم يكن لأحد من الرجال الأقوياء السريعي الجري أن يجاريها في الميدان، وقتلت بالنشاب حيتين كبيرتين تبعها ليقطلاها وكانت ذات جمال باهر فتان فطلبها كثيرون للاقتران بها وألحوا عليها فأقسمت أن لا تقترن إلا بالذي يسبقها في الميدان بشرط أن يكون عارياً من السلاح، ويكون بيدها حربة تضربه بها إذا أدركته فهلك بمسابقتها كثيرون من طلابها وأتائها «إبومان»، وكان من المقربين عند الكهنة والفائزين بوقايتها فتسابقوا ولما وصلا إلى نصف الميدان أخذ «إبومان» ثلاث تفاحات من ذهب كانت قد أعطته إياها الكهنة المذكورون، فرماه على الأرض بعيافة ولياقة، فتشاغلت «أتالانتا» بها فتمكن من سبقها، وتقرر له الفوز فاقترن بها، وبعد ذلك غضب عليهما الكهنة لأنهما دلسا هيكل الزهرة فقتلوهما.

وقد قيل في «أتالانتا» هذه غير ذلك، وهو أنها ولدت في «أركاديا» وأنها ابنة إبسيوس، كان أبوها قد طلب إلى معبوداته أن ترزقه ولداً ذكراً فولدت «أتالانتا» فغداً من ولادتها

والأمراء، فمدحهم واستعان بهياتهم على أسفاره. عاد إلى المعرة لأفسيوس، فاصطحب ربه سيفه إلى عنان «من ملوك بني رين». فأقام في بلاده. أملى أخاه علي محمد بن جرتي الخشي بمقديس في سنة ٧٥٦ هـ وسمّاها: «تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار». كان يحسن التمشية والتمشية استغرقت رحلته ٢٧ عاماً من سنة ١٣٢٥ م - ١٣٥٢ م مات في مراكش سنة ٧٧٩ هـ - ١٣٧٧ م للاستزادة يراجع: الدرر الكامنة (٣: ٤٨٠). إلى حالة المسلمة ن (١٧٦ - ١٧١)

(١) النقرس: داء معروف يأخذ في الرجل وهو ورم يحصل في مفاصل القدم وإبهامها، ويسمى داء الممك [القاموس المحيط، مادة: النقرس].



وألقاها على الجبل البرتنباني فرضعت من دبة وأخذت تنمو حتى بلغت مبلغ النساء، وحافظت على بكارتها، وصارت أسرع الناس جرياً على قدميها، فغلبت الحيتين المقدم ذكرهما واشتركت مع الأبطال في قتل خنزير كالبدون وكان لها مواقع في الألعاب البليانية ثم رضي عنها أبوها وألح عليها بأن تتزوج، فكان من أمرها ما تقدم. ولعل الرواية الأولى أصح.

### أديسا ابنة أدغر ملك إنكلترا

ولدت سنة ٩٦١ للميلاد ربته أمها في «دير ولتون» بالقرب من «سلزيري»، ولما كانت السنة الخامسة عشرة من عمرها صارت راهبة، ويعد ذلك بثلاث سنين قتل أخوها «إدوارد» الذي خلف أباه، وذلك بأمر رايته «ألفريدا» فعرض عليها تاج الملك فرفضته باتضاع مسيحي وآثرت تخصيص نفسها لتقريبية<sup>(١)</sup> الفقراء والأيتام على تخت الملك، وصرفت أيامها في ذلك إلى أن توفيت سنة ٩٨٤م، ودفنت في كنيسة «سان دنيس» التي بنتها في حياتها وتعتبرها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. ولها عندها تذكاري في ١٦ أيلول (سبتمبر) من كل سنة.

### إدلينه ديباتي المغنية

إن هذه المغنية كانت تربت من صغرها في المراسح وتخرجت بضروب الغناء، وساعدها الحظ بحسن صوتها وجمالها الذي جذب إليها الأنظار ولما آنت رشدها بلغت من الشهرة ما لم يبلغه غيرها من مغنيات الإفرنج وزادت شهرة في بلادها على شهرة مغنيات الخلفاء في مدة العباسيين والأمويين، ونالت من الثروة ما يبلغ دخله السنوي المليون فرنك، وقد حازت جملة «نياشين»<sup>(٢)</sup> افتخار من ملوك أوروبا وملكاتهن والذي زاد افتخارها تشرف ملوك أوروبا بوضع إمضاءاتهم على مروحتها لأنها كانت تحمل مروحة فريدة في نوعها وبلا مثل في العالم فإن جميع الملوك والمعاصرين لها كتبوا عليها بخط أيديهم أقوالاً مختلفة تتضمن الثناء عليها والرضا عنها، فكتب القيصر الروسي: «لا شيء يسكن مثل غنائك». وكتب إمبراطور ألمانيا: «إلى بلبل جميع الأزمان» وكتبت الملكة «خرستيان» في إسبانيا: «ملكة تفتخر بأن تحسبك في جملة رعاياها». وكتبت «فكتوريا»<sup>(٣)</sup> ملكة إنكلترا: «إذا صدقت كلمات الملك ليار القائل: «إن الصوت العذب موهبة» تكونين أنت يا عزيزتي إدلينه أغنى

(١) التقريبية: إكرام الضيف وتقديم الضيافة. [القاموس، مادة: قَرِي].

(٢) نياشين: لفظة عامية معناها الأوسمة.

(٣) فكتوريا (Victoria): ملكة إنكلترا سنة ١٨٣٧ م وإمبراطورة الهند سنة ١٨٧٦ م. عملت على تقارب إنكلترا وفرنسا. خلفها ابنها إدوارد السابع. ولدت عام ١٨١٩ م، وتوفيت سنة ١٩٠١ م.

النساء». والإمبراطور النمساوي والملكة «إيزابلا»<sup>(١)</sup> وضعا إمضاءهما أيضاً وكتبت ملكة البلجيك صورة المشرع الأول للأغنية الشهيرة، ثم يوجد في وسط المروحة هذه الكلمات: «أمد إليك يدي يا مليكة الطرب» مذيبة بهذا الإمضاء «بترس» رئيس الجمهورية الفرنسية إن هذا الافتخار وهذا الاعتبار لم ينله أحد في العالم وما ذلك إلا لحسن الآداب من هذه المرأة التي بها جذبت إليها قلوب أكبر أهل الأرض.

### أرجى ابنة أدرستوس

هي زوجة «بوليلينكيوس» اشتهرت بمحبتها لزوجها فإنها بعد انهزام الرؤساء السبعة أمام «طيوه» عاصمة المصريين القدماء ذهبت مع «انتيقونه» امرأة أخيها لتقدم لزوجها الواجبات الأخيرة فقتلت بأمر «كريون» ملك ذاك الزمان وماتت صابرة حباً في زوجها لكي تلحقه في حفرة.

### أزاةة ملكة قسطيلة<sup>(٢)</sup>

هي بكر «ألفونس السادس»<sup>(٣)</sup> وأخت «بتريسة» زوجة ملك البرتغال تزوجت أولاً بـ«ريمون البرغوني» الذي جعله «ألفونس السادس» كونت جيليقية<sup>(٤)</sup>، ثم تزوجت سنة ١١٠٩ م [بـ«ألفونس لوبانلبود» ملك «نواره» و«أراغون»<sup>(٥)</sup>] ثم كرهها زوجها هذا لابتدال الحرية في سلوكها وعنادها في طلب حقوق الملك إرثاً عن أبيها «ألفونس السادس» ثم خلعت نائب ملك قسطيلة بواسطة زوجها الذي اتخذ له حزباً قوياً هناك فأسرت وحجز عينيها في «أراغون»، لكنها فرّت من السجن وطلبت إلى الكرسي فسُخِ عَقْدُ زواجيتها، فصالحها «ألفونس» مؤقتاً، ثم طلقها ثانياً سنة ١١١١ م [فلجأت إلى محاربتة لتفرده من مسكنها

- (١) إيزابلا: الملقبة بالكاثوليكية، ملكة قشتالة، ولدت عام ١٥٥١ م تزوجت بعد ذلك ملك البرتغال.
- (٢) قسطيلة: أوقسطيلية أو قشتالة مدينة بالأندلس وهي حاضرة نحو دولة قشتالة.
- (٣) ألفونس: اسم حمله عدد من ملوك إسبانيا، والد ألفونس السادس.
- (٤) جيليقية: أو غليشيا (Galicia)، منطقة في شمال غربي إسبانيا، على الأطلنطي، كانت لاستقلالها سنة ١٩٨٠ م.
- (٥) أراغون (Aragon): منطقة في شمال شرقي إسبانيا عدد سكانها ١.٢١٣.٠٠٠ نسمة، عاصمتها سرقسطة. تزوج ملكها فرديناند بإيزابلا ملكة قشتالة فالتحقت الدولتان، نشأت مملكة إسبانيا سنة ١٤٧٩ م.

فانكسرت ومضت إلى جليقة وكان لها من زوجها الأول ولدٌ «ألفونس الثامن»<sup>(١)</sup> فنادت باسمه ملكاً سنة ١١١٢ [م]، وحكمت باسم محبوبها كونت «لاراه» في سنة ١١١٢ [م] فخلعه كبار قسطنطين ونادوا باسم «ألفونس الثامن» فلم تقبل ذلك أراكة إلا بعد معاركة انتشبت بينها وبين ابنها فأسرت وحجز عليها في دير «سردتها» فماتت فيه بعد أربع سنوات.

### أريا الرومانية

قد اشتهرت بشجاعته وذلك أن ابن زوجها دخل في مؤامرة ضد الإمبراطور فحكم عليه بأن يقتل نفسه فلما تشجعه أخذت خنجرأ وطعنت به نفسها، ثم ناولته إياه وقالت: خذها فإنه لا يؤلم ففعل مثلها وماتا معاً.

فهذه لعمرى هي المحبة الزائدة التي تفضي إلى الهلاك من جنس النساء خصوصاً.

### أرسلان خاتون<sup>(٢)</sup>

هي خديجة ابنة داود أخي السلطان «طغرلبك»<sup>(٣)</sup> السلجوقي تزوجها الخليفة القائم بأمر الله<sup>(٤)</sup> العباسي سنة ٤٤٨ هجرية، ثم لما وقعت الوحشة بينهما أخذها «طغرلبك» بصحبته إلى الري سنة ٤٥٥ [هـ]، ثم أعيدت إلى بغداد سنة ٤٥٩ [هـ] واستقبلها الوزير فخر الدولة بن جهير على بعد فرسخ.

وهي التي دعته امرأة السلطان ملك شاه في تزويج ابنتها بالخليفة المقتدي<sup>(٥)</sup> من غير

(١) ألفونس الثامن: ملك قشتالة من سنة ١١٥٨ م حتى سنة ١٢١٤ م. انتصر على الموحدون في لاس نافاز دي تولوزا سنة ١٢١٢ م.

(٢) خاتون: المرأة الشريفة، والعرب يلقبون بها نساء الملوك وهي لفظة تترية [المنجد في اللغة والأعلام، مادة: الخاتون].

(٣) طغرلبك: ابن ميكائيل المتوفى سنة ١٠٦٣ م هو مؤسس سلالة السلاجقة. قضى على البويهيين ودخل بغداد سنة ١٠٥٥ م فخلع عليه القائم العباسي لقب السلطان وملك الشرق والغرب. قضى على البساسيري وأعاد الخطابة للخليفة العباسي سنة ١٠٦٠ م.

(٤) القائم بأمر الله: هو عبد الله بن أحمد القادر بالله ابن الأمير إسحاق بن المقتدر العباسي، أبو جعفر، القائم بأمر الله، ولد سنة ٣٩١ هـ/١٠٠١ م. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٢ هـ بعهد منه. كان ورعاً، عادلاً كثير الرفق بالرعية. له فضل، وعناية بالأدب والإنشاء. وفي أيامه كانت فتنة البساسيري سنة ٤٥٠ هـ. ورد في تاريخ ابن الأثير: «أن أمه أرمنية». للاستزادة يراجع: ابن الأثير حوادث سنة ٤٢٢ - ٤٦٧. سير أعلام النبلاء المجلد ١٥.

(٥) المقتدي: أو المقتدي بأمر الله، عبد الله بن محمد بن القائم بن المقتدر، أبو القاسم. من خلفاء الدولة العباسية. ولد في بغداد سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م. عهد إليه بالخلافة جده القائم بأمر الله، لقبه المقتدي =

اشتراط المهر لأنها كانت تعززت واشترطت حمل مهرها أربعمائة ألف دينار، فأشارت عليها أرسلان خاتون بأن تزوجها له بدون اشتراط مهر فوثقت بكلامها، وفعلت ما أرادت وكانت المترجمة من النساء الكريمات الخيرات محبة للعلماء ولها جملة أوقاف على محلات خيرية مثل جوامع وتكايا وبیمارستانات<sup>(١)</sup> ومدارس وخلافها في بغداد وغيرها من الممالك الإسلامية.

## أرسولا العذراء

هي من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قيل: إنها ابنة أمير مسيحي من بريطانيا، وقد اختلفوا في تاريخ استشهادها فقيل: سنة ٢٣٧ بعد الميلاد. وقيل: سنة ٣٨٣ [م]. وقيل: سنة ٥٤١ [م]. وسبب ذلك قيل: إن أميراً طلب أن يتزوجها فأجابته في الظاهر خوفاً على بيت أبيها من شره، لكنها اشترطت أن يعطيها فرصة ثلاث سنوات وإحدى عشرة سفينة وعشر رفيقات من بنات الأشراف، ولها ولكل واحدة منهن ١٠٠٠ عذراء فلما أعطيت ذلك أخذت تدرس معهن فن سلك البحار، ولما دنا وقت زفافها تضرعت إلى الله فأرسل فجأة عاصفة قذفت سفنها إلى مصب نهر «الرين»<sup>(٢)</sup> ومن هناك إلى «بازل»<sup>(٣)</sup> فترك السفن ومضين ماشيات إلى رومية وبينما هن راجعات صادفن في «كولونيا» جيشاً من الهوتيين<sup>(٤)</sup>، فلما رأى أمير الجيش دعاهن إليه فلما حضرن أعجبه «أرسولا» فطلب أن يقترن بها فأبت عليه، فأمر بقتلهن جميعاً وتركوهن وانصرفوا، فوارى أهل «كولونيا» أشلاءهن في التراب وأقيم لتذكارهن بعد ذلك معبد مخصوص إلى الآن يوجد في ذلك المعبد مجموع عظام يقال: إنها عظام «أرسولا» ورفيقاتها وجعل «لأرسولا» عيد في ٢١ ت الأول (أكتوبر) من كل سنة.

= فوليتها بعد وفاته سنة ٤٦٧ هـ، وعمره ثمانية عشر عاماً، فانصرف إلى عمران بغداد ثم إلى المغنيات والمفسدات، وقلع أبراج الطيور، ومنع إجراء ماء الحمامات إلى دجلة، وأمر بفتح آبار للمياه. ومنع الملاحين أن يحملوا في زوارقهم الرجال والنساء مجتمعين. وعنى بهمة علم بالأدب والشعر وأيامه خير وسعة واطمئنان. مات فجأة في بغداد سنة ٤١١ هـ ١٠٩٤ م.

(١) البیمارستان: محل مُعدّ لمعالجة المرضى. وإقامتهم. يُعرف بالمستشفى. وهو الخط الذي يربط بين المستشفيات.

(٢) الرين: نهر في شمالي سويسرا.

(٣) بازل، أو بال (Basel): مدينة في شمالي سويسرا على الرين يبلغ عدد سكانها ٣٦٥٠٠٠ نسمة.

(٤) الهوتيين: مرفأ نهري، ومركز صناعي، ومتاحف غنية.

(٤) الهوتيين: المخشئين. [القاموس المحيط، مادة: هيت].

## أرسينوي ابنة بطليموس<sup>(١)</sup> الأول ملك مصر

تزوجت بـ «ليسيماخوس»<sup>(٢)</sup> ملك تراقية<sup>(٣)</sup> بعد أن طلق امرأته لأجلها فحاولت «أرسينوي»<sup>(٤)</sup> أن يكون الملك لولدها بعده فسعت بقتل «أغاتوكليس» ابن زوجها، وهربت امرأته بأولادها إلى سوريا ملتجئة إلى «سلوقس»<sup>(٥)</sup>، وطلبت إليه أن يأخذ بثأرها فنشأت عند ذلك حرب بين ملك تراقية وملك سوريا قتل بها «ليسيماخوس» سنة ٢٨١ قبل الميلاد فمضت «أرسينوي» إلى «كسندريه» من مدن «مكدونية»<sup>(٦)</sup> وبقيت هي وأولادها مدة تحت ظل الأمان.

فلما قتل «بطليموس» «سيروتوس»<sup>(٧)</sup> سلوقس واستولى على «مكدونية» سنة ٢٨٠ ق. م طمعا في الزواج بـ «أرسينوي» ليقتل أولاد «ليسيماخوس».

فلما أجابته إلى الزواج واستولى على كسندرية قتل الأولاد بين يدي أمهم فهربت هي إلى تراقية ومنها إلى مصر فقبلها «بطليموس فلاذ»<sup>(٨)</sup> بالإكرام ثم تزوج بها.

- (١) بطليموس: اسم أطلق على ملوك مصر الهلنستيين المعروفين بالبطالسة أو اللاجيين (٣٠٦ - ٣٠ ق. م) وعددهم ١٦. أشهرهم: بطليموس الأول وهو سوتير المخلص (٣٦٠ - ٢٨٣ ق. م) ابن لاغس ومؤسس السلالة، من قواد الإسكندر الكبير. جعل الإسكندرية عاصمته وأسس فيها خزانة للكتب.
- (٢) ليسيماخوس، أو ليسماخس (Lusimakhos): أحد قواد الإسكندر، ملك تراقيا ثم مقدونيا، قتله سلوقس الأول سنة ٢٨١ ق. م.
- (٣) تراقية، أو تراقيا (Thrakê): منطقة قديمة في جنوب شرقي أوروبا، هي اليوم قسمان: غربي يتبع اليونان، وشرقي يكون القطاع الأوروبي من تركيا بين المضائق وبحر مرمرة، أهم مدنه إستنبول على البوسفور والقرن الذهبي.
- (٤) أرسينوي، أو أرسينوه: وهو اسم أربع أميرات من البطالسة، أشهرهن أرسينوي الثانية (٣١٦ - ٢٧٠ ق. م).
- (٥) سلوقس: اسم ستة من ملوك سوريا السلوقيين. وهو نيكاتور (٣٠٥ - ٢٨٠ ق. م). مؤسس السلالة، من قادة الإسكندر، أسس إنطاكية على العاصي. ملك البلاد ما بين الفرات والهندوس وسوريا وآسيا الصغرى. قتله ليسيماخوس سنة ٢٨٠ ق. م.
- (٦) مكدونية، أو مقدونيا: منطقة قديمة في شبه جزيرة البلقان سيطرت على اليونان في عهد فيلبس الثاني والد الإسكندر الكبير (٣٥٦ - ٣٣٦ ق. م). حكمها الأنتيغونيون (٢٧٦ - ١٦٨ ق. م) وأخضعها الرومان بعد معركة بيدنا تقاسمها اليوم بلغاريا، واليونان، قاعدتها تسالونيكى، وجمهورية مقدونيا، عاصمتها سكوبيا. أصبحت عضواً في الأمم المتحدة سنة ١٩٩٣ م.
- (٧) لعل المقصود هو نيكاتور (٣٠٥ - ٢٨٠ ق. م) لأن الفترة الزمنية التي تحدثت عنها المؤلفة لا تنطبق على الفترة التي عاشها سيروتوس.
- (٨) بطليموس فيلاذ، أو فيلادلفس (٢٨٣ - ٢٤٦ ق. م) حامي الفنون والآداب، أنشأ مكتبات ومتاحف، =

## أرسينوي ابنة بطليموس أقلية وأخت كليوباترا الشهيرة<sup>(١)</sup>

أقامها الإسكندريون ملكة بعد أن أسر القيصر الروماني أخاها «بطليموس دنيسيوس» سنة ٤٧ قبل الميلاد، ثم وقعت هي أيضاً في قبضة القيصر المذكور سنة ٤٦ ق.م فأرسلها إلى رومية افتخاراً بأسرها غير أن حسن سلوكها مال بالرومانيين إليها فأرجعت إلى مصر، ولما هربت من وجه أختها «كليوباترا» إلى هيكل «ديانا»<sup>(٢)</sup> أخرجها منه «أنطونيوس»<sup>(٣)</sup> بأمر «كليوباترا» وقتلها في سنة ٤١ قبل الميلاد.

## أرسينوي ابنة بطليموس أقرجيه

تزوج بها أخوها «فيلوباتر»<sup>(٤)</sup> ورافقته في حربه مع «أنطيوخوس الكبير»<sup>(٥)</sup> سنة ٢١٧ [قبل الميلاد]<sup>(٦)</sup>، وبعد سنين قليلة قتلها «فيلمون» أحد خواص الملك فنهض أصحابها وقتلوه بثأرها مع كل عائلته، و«أرسينوي» هذه هي أم «بطليموس أبيفانوس فيلوباتر»<sup>(٧)</sup> قد اشتهرت بحسن سياستها وخبرتها بالأحكام وخصوصاً في الفنون الحربية، ولذلك كان زوجها دائماً يرافقها في غزواته، وقد انتصر على أعدائه جملة مراراً وكل ذلك بأرائها الصائبة.

وترك أثراً عمرانية أهمها منارة الإسكندرية. إلى عهده تعود ترجمة التوراة السبعينية.

- (١) سترد ترجمتها في حرف الكاف.
- (٢) ديانا (Diana): إلهة الصيد عند الرومان، هي أرطيمس اليونان.
- (٣) أنطونيوس: هو أنطونيوس مرقس (٨٣ - ٣٠ ق.م) قائد روماني فتنته كليوباترا ملكة مصر.
- (٤) وقعة أكسيوم البحرية ٣١ ق.م. انتصر في حصار الإسكندرية.
- (٥) فيلوباتر: (٢٢١ - ٢٠٣ ق.م) هزم أنطيوخوس الثالث في معركة رافيا (رفع) سنة ٢١٧ ق.م.
- (٦) أنطيوخوس: اسم حمله ثلاثة عشر ملكاً من السلوقيين في سوريا أنطيوخوس الخامس (٢٢٣ - ١٨٧ ق.م) انتصر عليه بطليموس فيلوباتر الرابع في رافيا (رفع) سنة ٢١٧ ق.م.
- (٧) الهند (٢١٢ - ٢٠٥ ق.م) انتصر على بطليموس الخامس في بانين (باناس) سنة ٢٠٠ ق.م. وقاتل نفسه وانتزع سوريا الجوفاء من البطالسة نزل هنيئيل في بلاطه سنة ١٩٦ ق.م. انتصر عليه بطليموس في مغنيسيا ١٨٩ ق.م. مما أدى إلى عقد معاهدة أقامية سنة ١٨٨ ق.م.
- (٨) وردت في أوصل: «ميلادية»، لكن سياق الكلام، الفترة الزمنية التي عاشت فيها مع «أنتوخوس» و«أنطيوخوس» كانت ما قبل الميلاد. ولعل الصحيح ما أثنناه.
- (٩) بطليموس أبيفانوس فيلوباتر (٢٠٣ - ١٨١ ق.م) انتصر عليه أنطيوخوس الثالث في معركة «بانين» (بانياس) سنة ٢٠٠ ق.م. وانتزع منه سورية وفلسطين، فانهزت إمبراطورية البطالسة الثلاثة وأصبح ملوكها خاضعين لروما وتابعين لسلطنتها. آخر ملوكها بطليموس السادس سنة ١٠٠ ق.م. انتصر في حصار قيصر وكليوباترا. أعدمهن أوكتافيانس (أغسطس) بعد معركة أكسيوم سنة ٣٠ ق.م.

## أريانو ابنة منيوس ملك أكريت

هي ابنة «منيوس»<sup>(١)</sup> من زوجته «باسيفا»<sup>(٢)</sup> قال: «أوميروس»<sup>(٣)</sup> أحببت «تيسوس» لما أتى «أكريت»<sup>(٤)</sup> لمقابلة «فيوتود» مع الأتيين الذين أتوا ليقدموا له الجزية وأعطته ربطة من الخيطان استعان بها على الخروج من البربي التي دخلها لقتل «مينوثور» فعرض عليها «تيسوس» أن يتزوجها مقابلة لها على صنعها فأجابته «أريانو» إلى ذلك وسافرت معه إلا أنهما لما وصلا إلى جزيرة «نكسوس» تركها «تيسوس» ورجع إلى بلاده قائلاً: «إن التي لم يكن لها خير في وطنها وأهله لم يكن لها خير في غيره» وبقيت هناك إلى أن ماتت جوعاً.

## أريانو ابنة لاون<sup>(٥)</sup> ملك اليونان

تزوجت «زينون»<sup>(٦)</sup> الذي جلس على تخت الملك سنة ٤٧٤ للميلاد وساءها ما بدا من فواحش زوجها وخطئه ويقال: إنها دفنته في الأرض حياً وهو سكران، وتزوجت «أنسطاس»<sup>(٧)</sup> وأجلسته على تخت الملك بدلاً عنه، وكانت وفاتها سنة ٥١٥ للميلاد ولها جملة مآثر في مملكتها.

- (١) منيوس أو مينيوس (Minos): ملك كريت الأسطوري، ديّان الجحيم. زوج باسيفايه، والد أريانا أو أريانو، وفيدر. حبس الغول مينوتور في متاهة متشعبة التلافيف.
- (٢) باسيفا: أو باسيفايه (Pasiphae): زوجة منيوس أو مينيوس ملك كريت ووالدة أريانو (أريانا)، وفيدر، ومينوتور.
- (٣) أوميروس: أو هوميروس (Homerus) عاش في القرن التاسع ق. م ولد في آسيا الصغرى. شاعر ملحمي يوناني. قيل: إنه كان أعمى. نسب إليه المؤرخون اليونانيون أشعار الإلياذة والأوديسة والأغاني الهوميرية التي أثرت تأثيراً عميقاً على مستقبل الشعر اليوناني.
- (٤) أكريت: أو كريت أو أكريطش قديماً (Kriti)، هي جزيرة يونانية في المتوسط ٨٣٣٦ كلم<sup>٢</sup>، ٥٢٠٠٠٠ نسمة من مدنها خانيا، وهيراكليون، وكنوسوس. تجتازها سلسلة جبال عالية موازية للساحل الجنوبي، أعلى قممها إيدا ٢٤٥٦ م. مشهورة ب: الزيتون والزيت وخمور، سياحة من مراكز الحضارة في العالم القديم بلغت أوج ازدهارها في الألف الثاني ق. م. أخذت بالانحطاط بعد القرن الخامس الميلادي. تنازعها العرب والبيزنطيون، احتلها العثمانيون في القرن السابع عشر. استعادتها اليونان سنة ١٩١٣ م.
- (٥) لاون: اسم ستة أباطرة بيزنطيين وهو من ردّ عن القسطنطينية حملة مسلمة بن عبد الملك.
- (٦) زينون (Zenon): إمبراطور بيزنطي (٤٧٤ - ٤٩١ م). حاول التوفيق بين القائلين بالطبيعة الواحدة، والرأي الكاثوليكي، فأصدر سنة ٤٨٢ م قرار التوحيد «هينوتيكون» الذي أدى إلى خلاف مع روما دام ٣٥ سنة.
- (٧) أنسطاس: أو أنستازيوس الأول، إمبراطور بيزنطي ٤٩١ - ٥١٨ م. مال إلى المونوفيزية. بنى سور القسطنطينية.

## أزدوجا خاتون زوجة السلطان أوزبك

اسمها «أزدوجا» (بضم الهمزة وإسكان الراء، وضم الدال المهملة، وجيم وألف) وأورد: بلسانهم المحلة، وسميت بذلك لولادتها في المحلة، وهي ابنة الأمير الكبير «عيسى» بيك أمير الألوس (بضم الهمزة واللام) ومعناه أمير الأمراء.

قال ابن بطوطة في «رحلته»: لما مررت بتلك البلاد وزرت السلطان أوزبك وامرؤته ووزراءه وكان ذلك الأمير حياً وهو متزوج ببنت السلطان «آيت كججك» وابنة «أزدوجا خاتون» من أفضل الخواتين وألطفهن شمائل، وأشفقهن وهي التي بعثت إليّ لما رأته بيتي على التل عند جوار المحلة، ولما دخلنا عليها رأينا من حسن خلقها وكرم نفسها ما لا مزيد عليه وأمرت بالطعام فأكلنا بين يديها ودعت بالشراب فشرب أصحابنا وسألت عن حالنا فأجبتنا، وانصرفنا من عندها ونحن شاكرون معروفها.

ولها مآثر وخيرات دارة على مساجد وتكايا ومدارس في بلادها وكانت مقرّبة عند السلطان لتقرب أبيها منه ومسموعة الكلمة عنده.

## أروجا ملكة كيلوكري في بلاد طوالس

هذه الملكة بنت ملك «طوالس» وهي بلاد واسعة مجاورة لبلاد الصين كان أبوها يفتح الفتوحات ويضع فيها من يشاء من أولاده، ولما فتح «كيلوكري» وضع ابنته «أورجا» لعلمها بالسياسة وشجاعته بالحرب وإقدامها على الأهوال.

قال ابن بطوطة في «رحلته»: «لما وصلنا إلى «كيلوكري» ورسينا بميناها استدعت هذه الملكة الناخورة (أي القبودان)<sup>(١)</sup> صاحب المركب والكواني - وهو الكاتب - والتجار والرؤساء والتدبيل - وهو مقدم الرجال - وسياه مالار - وهو مقدم الرماة - لضيافة صنعتهن لهم على عاداتها، ورغب الناخورة مني أن أحضر معهم فأبيت الذهاب.

فلما حضروا عندها قالت لهم: هل بقي أحد منكم لم يحضر فقال لها الناخورة: لم يبق إلا رجل واحد بخشي وهو القاضي بلسانهم (وبخشي بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء وكسر الشين المعجمتين) وهو لا يأكل طعامكم فقالت: ادعوه، فجاء جنادرتها<sup>(٢)</sup> وأصحاب

(١) القبودان: لعل المقصود بها اللفظ العامي «الربان السفينة»، وربما كانت تحريف لفظة قبطان (Captain).

(٢) جنادرتها: رجال الملكة وربما المقصود فيها «الشرطة». لعل هذه اللفظة هي المقصود فيها اللفظ التركي «الجندرمة» (Gendarmerie).



الناخورة فقالوا: أجب الملكة. فأتيها وهي بمجلسها الأعظم وبين يديها نسوة بأيديهن الأزمة يعرضن ذلك عليها، وحولها النساء القواعد وهن وزيراتها، وقد جلسن تحت السرير على كراسي الصندل وعليه صفائح الذهب، وبالمجلس مساطب خشب منقوش، وعليها [أوان<sup>(١)</sup>] ذهب كثيرة من كبار وصغار كالخوابي والقلال واليواقيل، أخبرني الناخورة أنها مملوءة بشراب مصنوع من السكر مخلوط بالأفاويه يشربونه بعد الطعام وأنه عطر الرائحة حلو المطعم يفرح ويطيب النكهة، ويهضم.

فلما سلمت على الملكة قالت لي بالتركية: - ما معناه -: كيف حالك، كيف أنت؟ وأجلستني بالقرب منها، وكانت تحسن الكتابة العربية فقالت لبعض خدمها: آتني دواة وقرطاساً فأتى بذلك، فكتبت:

### بسم الله الرحمن الرحيم

فقلت: ما هذا؟ فقلت لها: تنضري تنكري نام (وتنضري بفتح التاء الفوقية وسكون النون وفتح الضاد وراء وياء) ونام (بنون وألف وميم) ومعنى ذلك اسم الله فقالت: جيد، ثم سألتني من أي البلاد قدمت فقلت لها: من بلاد الهند. فقالت: بلاد الفلفل؟ فقلت: نعم، فسألتني عن تلك البلاد وأخبارها، فأجبته. فقالت: لا بد أن أغزوها وأخذها لنفسي فإني أعجبني كثرة مالها وعساكرها. فقلت لها: افعلي، وأمرت لي بأثواب وحمل فيلين من الأرز وبجاموستين، وعشرين من الضأن، وأربعة أرطال جلاب، وأربعة مرطبانات وهي ضخمة مملوءة بالزنجبيل والفلفل والليمون والضبا، كل ذلك مملوح مما يعد للبحر.

وأخبرني الناخورة أن هذه الملكة لها في عسكرها نسوة وخدم وجوار يقاتلن كالرجال وأنها تخرج في عساكر من رجال ونساء فتغير على عدوها وتشاهد القتال، وتبارز الأبطال.

وأخبرني أنه وقع بينها وبين أعدائها قتال شديد، وقتل كثير من عسكرها وكادوا ينهزمون فدفعت بنفسها وخرجت الجيوش حتى وصلت إلى الملك الذي كانت تقاتله فطعته طعنة كان فيها حتفه فمات وانهزم عسكره، وجاءت برأسه على رمح فأفتكته أهله منها بمال كثير فلما عادت إلى أبيها ملكها تلك المدينة التي كانت بيد أخيها.

وأخبرني أن أبناء الملوك يخطبونها فتقول: لا أتزوج إلا من يبارزني فيغلبني فيحتشمون مبارزتها خوف المعرة أن تغلبهم.

ولهذه الملكة غارات ووقائع غريبة مع ملوك الهند وملوك الصين من المسلمين وعبد

(١) وردت في الأصل: «أواني»، ولعل الصحيح ما أثبتناه، لأنه اسم منقوص.

الأوثان وما زالت مالكة تلك البلاد مدة من الزمان حتى توفي والدها وإخوتها جميعاً وملك سائر ملك أبيها وأخيراً قتلت بفراشها بدسياسة أحد ملوك الصين وانقرض ملكها بموتها.

### أربلاي المؤلفة

مدام «دو أربلاي» مؤلفة إنكليزية ولدت سنة ١٧٥٢ [م]، وتوفيت سنة ١٨٤٠ [م]، وكانت في حداثتها قليلة الكلام جبانة، لكنها لما كبرت هذب العلم أخلاقها فكتبت سنة ١٧٧٨ [م] قصة تشهد ببراعتها وطول باعها في هذا الفن، ثم كتبت عدّة روايات غيرها واتخذتها الملكة لخدمتها الخصوصية.

وبعد أن خدمت ٥ سنوات ألجأها ضعف جسمها إلى الاستعفاء، واقرنت سنة ١٧٩٣ [م] برجل فرنسي واستمرت على التأليف حتى إن مؤلفاتها زادت جداً وبقيت بعدها ميراثاً لورثتها حتى أغنتهم غنى فائق الحد وطبعت جميع مؤلفاتها وانتشرت في جميع أنحاء العالم الغربي.

### أرتصيا ملكة هاليكرناسوس<sup>(١)</sup> من كاريا

هذه الملكة كانت من ذوي الحكمة والدراية بالأمر الحربية والسياسية، وكان قورش<sup>(٢)</sup> ملك فارس لما هاجم بلاد اليونان اشتركت معه لكونها كانت خاضعة له، وأخذت معها أسطولاً مؤلفاً من خمس سفن.

واشتهرت بما كان منها من البسالة والحكمة في معركة «سلاميس» التي نشبت سنة ٤٨٠ قبل الميلاد، وذكر في رواية مشكوك في صحتها أنها شغفت بحب شاب من «أبيدوس»<sup>(٣)</sup> اسمه «وردانوس» إلا أنه لم يشاركها في حبها فسملت عينيه لئلا يتركها بعد على قساوتها، واستشارت المعبودات فيما يجب أن تفعل كفارة عن ذنبها فقالت لها: من الواجب أن تطرح نفسها في البحر عن منحرج جزيرة «لوكاريا» ففعلت ذلك وماتت غريقة.

- (١) هاليكرناسوس (Halikarnassos): مدينة يونانية قديمة في آسيا الصغرى، مؤلفها «أبيدوس» من «بودروم». عاصمة كاريا. فيها مدفن «موزول» شاعر «الجمهورية» الفسيفسائي المشهور في القرن الرابع ق. م. إحدى عجائب الدنيا السبع.
- (٢) قورش: اسم اثنين من ملوك السلالة الأخمينية في فارس. وقورش المذكور هنا هو قورش الثاني الأكبر الكبير (٥٥٧ - ٥٢٨ ق. م). استولى على آسيا الصغرى وبابل أذن لليهود بالعودة إلى فلسطين.
- (٢) أبيدوس، أو أبيدوس (Abydos): مدينة قديمة في آسيا الصغرى على الدردنيل مسقط رأس فيليب الخامس المقدوني سنة ٢٠٠ ق. م.

## أرجوان جارية أبي العباس الذخيرة

وهو محمد بن القائم [بأمر الله] <sup>(١)</sup> العباسي بسببها بقيت الخلافة في ولد القائم لأنه لم يكن له ولد سوى أبي العباس هذا، وتوفي في حياة أبيه ولم يعقب فحزن القائم في أواخر أيامه حزناً لا مزيد عليه، وانقطع أمل الناس من خلافة عقبه وظنوا أن دولة البيت القادري قد انقرضت، وكان أبو العباس يختلف إلى هذه الجارية فاتفق أنها حملت منه، فلما رأى الناس هذه الحالة، وما ألمّ بالقائم من الهم والحزن أعلنت حملها فتعلقت آمال الناس بها وتوجهت الأفكار إليها، ثم إنها ولدت بعد وفاة مولاها بستة أشهر غلاماً ففرح القائم فرحاً مفرطاً، وفرح الناس لبقاء الخلافة في بيته، وهذا هو الذي لقب بالمقتدر <sup>(٢)</sup>، وكان من أمره ما جاء في تاريخه وأرجو أن هذه أم ولد أرمينة تدعى قرة العين وأدركت خلافة ابنه المستظهر بالله <sup>(٣)</sup> وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله <sup>(٤)</sup>.

## [أروى ابنة عبد المطلب]

أروى <sup>(٥)</sup> ابنة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية عمّة رسول الله ﷺ. ذكرها

- (١) وردت في الأصل: «القائم بالله» ولعل الصحيح ما أثبتناه.
- (٢) المقتدر، أو المقتدر بالله العباسي: هو جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل المقتدر بالله ابن المعتضد ابن الموفق. خليفة عباسي، ولد في بغداد سنة ٢٨٢ هـ/٨٩٥ م. بويح بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي سنة ٢٩٥ هـ فاستصغره الناس، فخلعوه سنة ٢٩٦ هـ ونصبوا عبد الله بن المعتز، ثم قتلوا ابن المعتز وأعيد المقتدر بعد يومين، فطالت أيامه وكثرت فيها الفتن. توفي سنة ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م.
- (٣) المستظهر بالله: هو أحمد بن المقتدي الخليفة العباسي الثامن والعشرون (٤٨٧ هـ - ٥١٢ هـ). بدأت في عهده الحملات الصليبية وسقط بيت المقدس. كان كريم الأخلاق فاضلاً عارفاً بالآداب، وباسمه ألف الغزالي كتابه «فضائح المعتزلة» ويعرف بالمستظهري.
- (٤) المسترشد بالله: الفضل بن أحمد «المستظهر بالله» ابن المقتدي عبد الله بن محمد الهاشمي العباسي. أبو منصور من خلفاء الدولة العباسية بويح بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٥١٢ هـ، وكان عالي الهمة شجاعاً، فصيحاً، بليغ التوقيعات، له شعر جيد. حدثت في آخر أيامه فتنة بهمدان، قام بها أمير أمراءه السلطان مسعود بن ملكشاه السلجوقي، فجرّد المسترشد جيشاً لقتاله. ودس له السلطان جمعاً من رجاله، أظهروا الطاعة، حتى نشبت الحرب في موضع يقال له دايمرج فانقلبوا على الخليفة، وانهمز عسكره، وثبت وحده في مقره فاعتقله السلطان مسعود وأخذه معه يريد بغداد فلما كانوا على باب مراغة دخل عليه جمع من الباطنية، أرسلهم السلطان سنجر السلجوقي لقتله، فقتلوه، ومثلوا به، ودفن في مراغة.
- (٥) هي أروى ابنة عبد المطلب بن هاشم القرشية، عمّة رسول الله ﷺ وإحدى فضليات النساء في الجاهلية =

أبو جعفر في الصحابة وذكر أيضاً أختها عاتكة<sup>(١)</sup> ابنة عبد المطلب قال محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي لما أسلم طليب بن عمير<sup>(٢)</sup> دخل على أمه أروى بنت عبد المطلب فقال لها: قد أسلمت وتبعت محمداً أو تتبعينه فقد أسلم أخوك حمزة<sup>(٣)</sup>. قالت: انظر ما تصنع إخوتي ثم أكون مثلهن.

قال: فقلت: إني أسألك بالله ألا أتيتك وسلمت عليه وصدقتك، وشهدت أن لا إله إلا الله. قالت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم كانت بعد تعضد النبي ﷺ وتعينه بلسانها وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره وكانت من الشاعرات الأديبات والمتكلمات في العرب.

ومن قولها ترثي والدها عبد المطلب مع باقي أخواتها حين طلب منهن ذلك قبل موته ليعلم قوتهن في الرثاء:

بكت عيني وحق لها البكاء	على سمح سجيته <sup>(٤)</sup> الحياء
على سهل الخليفة أبطحي	كريم الخيم <sup>(٥)</sup> شيمته العلاء
على الفياض شيبة ذي المعالي	أيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أملس شيطمي	أغر كان غرته ضياء

والإسلام. كانت راجحة الرأي، تقول الشعر الجيد. أدركت الإسلام فأسلمت، وعسرت إلى خلافة عمر بن الخطاب، توفيت سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م.

(١) هي عاتكة ابنة عبد المطلب بن هشام، شاعرة، لها في ديوان الحماسة أبيات مختارة، وهي من عسرت النبي ﷺ. اختلف في إسلامها، والثابت أنها كانت يوم وقعة بدر سنة ٢ هـ / ٦٢٤ م بمكة مع مشركي قريش. قال ابن سعد: أسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينة.

(٢) هو طليب بن عمير بن وهب من بني قصي بن كلاب، القرشي، أبو عدي، صحابي قديم الإسلام. ولد سنة ٢٢ ق. هـ / ٦٠٠ م. هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة. كان من الشجعان الأشداء. شهد كثير من الوقائع. قتل يوم أجنادين، وقيل: في اليرموك سنة ١٣ هـ / ٦٣٤ م.

(٣) هو حمزة بن عبد المطلب بن هشام، أبو عمارة، من قريش، عم النبي ﷺ، واحد من المهاجرين الذين سادتهم في الجاهلية والإسلام. ولد سنة ٥٤ ق. هـ / ٥٥٦ م، نشأ بمكة. كان من قريش وأمه شكيمة. ولما ظهر الإسلام تردد في اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعازر المشركين في مكة، فدفعه حمزة وضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عز محمد وإن حمزة سميته. وقيل: عن بعض ما كانوا يسيئون به إلى المسلمين. هاجر حمزة مع النبي ﷺ إلى المدينة وحضر وقعة بدر وعسرت. قال المدائني: أول لواء عقده رسول الله ﷺ كان لحمزة. وكان شعار حمزة في الحرب بريشة ناعمة لأنه كان يوم بدر معلماً بريشة ناعمة حمراء يضعها على صدره، ولما كان يوم بدر قاتل بسيفين، فعلى الأفاعيل، قتل يوم أحد سنة ٣ هـ / ٦٢٥ م فدفنه المسلمون في المدينة والقرض عقبه.

(٤) السجية: الطبيعة والخلق. [القاموس المحيط، مادة: سجا].

(٥) الخيم: الطبيعة والسجية. [القاموس المحيط، مادة: الخام].

أَقْبَ (١) الكشْح (٢) أَوْرَعُ ذُو فَضُولٍ لَهُ الْمَجْدُ الْمَقْدَمُ وَالْتِنَاءُ  
 أَبِي الضَّيْمِ أْبْلَجٌ (٣) هَبْرَزِيٌّ (٤)  
 وَمَعْقَلٌ مَالِكٌ وَرَبِيعٌ فَهْرٌ (٥)  
 وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَمًا وَجُودًا  
 إِذَا هَابَ الْكَمَاءُ (٦) الْمَوْتَ حَتَّى  
 مَضَى قَدَمًا بَدِي رَأَى مَصِيبَ  
 عَلَيْهِ حِينَ تَبَصَّرَهُ الْبُهَاءُ  
 وَقَدْ أَسْنَتْ وَمَاتَتْ فِي خِلَافَةِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ (٧) وَدَفِنَتْ بِمَا يَلِيقُ بِهَا مِنَ الْإِكْرَامِ.

### أُرْوَى (٨) ابْنَةُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ

كانت فريدة زمانها وبليغة عصرها وأوانها إذا خطبت أعجزت، وإن تكلمت أوجزت، ولا غرو فإنها ابنة البلاغة ومعدن الفصاحة والحصافة.

- (١) أقب: دقيق وضامر. [القاموس المحيط، مادة: قب].
- (٢) الكشْح: من الجسم وهو ما بين السرة ووسط الظهر. [القاموس المحيط، مادة: كشح].
- (٣) أبلج: طلق الوجه. [القاموس المحيط، مادة: بلج].
- (٤) هبرزي: الجميل الوسيم من كل شيء. [القاموس المحيط، مادة: هبر].
- (٥) فهر: بطن من بني كنانة وهو فهر بن غالب بن مالك بن النضر بن كنانة. ويقال لبني فهر من قريش: الظواهر.
- (٦) الكماء: الشجعان أو لابسو الأسلحة، لأنهم يكمون أنفسهم ويحمونها ويسترونها بالدرع والبيضة. [القاموس المحيط، مادة: كمي].
- (٧) هو عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين هو ذلك الرجل العظيم الذي يُعدّ من أقوى رجال التاريخ شكيمة، وأشدّهم بؤساً نسبه عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، وكنيته أبو حفص. يجتمع نسبه مع الرسول ﷺ في الجد السابع من أبيه، ويجتمع معه من جهة أمه في الجد السادس. للاستزادة يراجع: الفاروق عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين، محمد رضا حقه وعلق عليه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
- (٨) هي أروى ابنة الحارث بن عبد المطلب القرشية، صحابية اشتهرت بالفصاحة. عاشت إلى زمن معاوية بن أبي سفيان، وكان مقامها بالمدينة، فوفدت عليه إلى دمشق وهي عجوز، معاتبته على خصومته لعلي بن أبي طالب (ابن عمها) وفاخرته ببني هاشم وفضلتهم على بني أمية. فاعترضها عمرو بن العاص فعبّرت به بنسبه، وتكلم مروان فأفحمتها، فاعتذر لها معاوية عنهما وسألها عن حاجتها، فقالت: ما لي إليك حاجة، وقامت فخرجت، فقال معاوية لأصحابه: والله لو كلمها من في مجلسي جميعاً لأجابت كل واحد بغير ما تجيب به الآخر، وإن نساء بني هاشم لأفصح من رجال غيرهم، وبعث لها قبل رحيلها فأكرمها، وعادت إلى المدينة فتوفيت بها في أيامه سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م.

قيل: إنها وفدت على معاوية بن أبي سفيان<sup>(١)</sup> لما ولي الخلافة وكانت عجوزاً كبيرة فلما رآها معاوية قال: مرحباً بك وأهلاً يا خالة فكيف كنت بعدنا فقالت: يا ابن أخي، لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقدك من غير دين كان منك ولا من آبائك، ولا سابقة في الإسلام بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ فأتعس الله منكم الجدود، وأضرع منكم الخدود، وردّ الحق إلى أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا ﷺ هو المنصور فوليتم علينا من بعده وتحتجون بقرابتكم من رسول الله ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى<sup>(٣)</sup> فغایتنا الجنة وغایتكم النار، فقال لها عمرو بن العاص<sup>(٤)</sup>: كفى أيتها العجوز الضالة وأقصري عن قولك مع ذهاب عقلك إذ لا تجوز شهادتك وحدك. فقالت له: وأنت يا ابن الباغية، تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة بغي بمكة وأخذهن للأجرة ادعاك خمسة نفر من قريش فسئلت أمك عنهم فقالت: كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فألحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل<sup>(٥)</sup>

- (١) هو معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي، الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، أسلم سنة ٨ هـ، وتعمد الكوفة والحساب، واستعمله النبي ﷺ لكتابة الوحي، هو أول مسلم ركب بحر الروم للغزوة، وكان عرسه الخطاب يقول إذا نظر إليه: «هذا كسرى العرب».
- (٢) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم الرسول ﷺ، ولد سنة ٢٣ ق. هـ/ ٦٠٠ م بمكة، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم. كنيته أبو الحسن، صهر رسول الله ﷺ، علي ابنته فاطمة وأبو السبطين (الحسن والحسين - رضي الله عنهما) هو أول هاشمي، وهو من هاشميين، وهو الخليفة الراشدي الرابع، وأول خليفة من بني هاشم، وأحد عظماء وشهداء المشهورين، والزهاد المذكورين، والخطباء المفهرين، حين أسلم لم يكن قد بلغ الخامسة عشرة من سنه إسحاق: إنه كان يومئذ ابن عشر سنين. وكان أصغر من جعفر وعقيل، طالت خدمته النبي ﷺ حتى يوحى إليه، لأن قريش أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب كثير العيال قبيح الحال، فأسلم علياً وضمه إليه. هاجر علي إلى المدينة وشهد بدرًا وكل معارك المسلمين حتى استشهد سنة ٤٠ هـ/ ٦٦١ م. للاستزادة يراجع: الإمام علي بن أبي طالب، محمد باقر المجلسي، دار الفوائد، ١٩٩١.
- (٣) منزلة هارون من موسى: هي الوزارة، ذلك استناداً لآية الحديد: «من قومه نعتاه في ولقد ماتت موسى الكتف وجعلنا معه أخاه هرون وزيراً» [الفرقان: ٣٥].
- (٤) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، أبو عبد الله السهمي، القرشي، الأموي، سنة ٤٣ هـ أسلم في عام الحديبية، وهو واحد من عظماء العرب ودعاتهم، وأول من أجاز الهجرة والدهاء.
- (٥) هو العاص بن وائل، أو العاصي بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش أحد العظماء في الجاهلية.

فلحقت به . فقال مروان<sup>(١)</sup> : كفى أيتها العجوز وأقصري لما جئت له . فقالت له : وأنت أيضاً يا ابن الزرقاء تتكلم ، ثم التفتت إلى معاوية فقالت : والله ما جرأ عليّ هؤلاء غيرك فإن أمك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناكم بيوم بدر      والحرب بعد الحرب ذات سعر  
ما كان لي عن عتبة<sup>(٢)</sup> من صبر      وشكر وحشي<sup>(٣)</sup> عليّ دهري

نديماً لهشام بن المغيرة، أدرك الإسلام، وظلّ على الشرك، ويُعدّ من المستهزئين، ومن الزنادقة الذين ماتوا كفاراً وثنيين. كان على رأس بني سهم في حرب الفجار سنة ٣٣ ق . هـ / ٥٥١ م . قيل في خبر موته : خرج يوماً على راحلته، ومعه أبناء له، ينزهه، ونزل في أحد الشعاب، فلما وضع قدمه على الأرض صاح، فطافوا فلم يروا شيئاً، وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، ومات . فقالوا : لدغته الأرض وكان ذلك عام ٣ ق . هـ . وهو والد عمرو بن العاص الصحابي المعروف، وفتح مصر .

(١) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك، المولود سنة ٢ هـ، خليفة أموي هو أول من ملك من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب بنو مروان، ودولتهم المروانية، ولد بمكة ونشأ بالطائف، سكن المدينة، فلما كانت أيام عثمان جعله خاصته واتخذه كاتباً له، ولما قتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه، وقاتل مروان في وقعة الجمل قتالاً شديداً، وانهزم أصحابه فتواري . شهد صفين مع معاوية، ثم أمته علي فاتاه وبايعه، وانصرف إلى المدينة فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فولاه المدينة سنة ٤٢ - ٤٩ هـ . أخرجها منها عبد الله بن الزبير، فسكن الشام، ولما ولي يزيد بن معاوية الخلافة، وثب أهل المدينة على من فيها من بني أمية فأجلوهم إلى الشام، وكان فيهم مروان، ثم عاد إلى المدينة، وحدثت فتن كان من أنصارها، وانتقل إلى الشام مدة، ثم سكن تدمر، وبعد اعتزال معاوية بن يزيد الخلافة، دعا مروان إلى نفسه، فبايعه أهل الأردن سنة ٦٤ هـ، ودخل الشام فأحسن تدبيرها وولى ابنه عبد الملك على مصر بعد أن خرج لها وبعد أن تفشّت فيها البيعة لابن الزبير، ثم عاد إلى دمشق ولم يطل أمره، توفي سنة ٦٥ هـ بالطاعون . وقيل : غطته زوجته أم خالد بالوسادة وهو نائم، فقتلته . فدام حكمه تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً، وهو أول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١]، وكان يلقب : خَيْطُ باطل، لطول قامته واضطراب خلقه .

(٢) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية . كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، خطيباً مفوهاً، نافذ القول . نشأ يتيماً في حجر حرب بن أمية . وأول ما عُرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار بين هوازن وكنانة، وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضت الحرب على يده . وكان يقال : لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب، فإنهما سادا بغير مال . أدرك الإسلام . وطغى فشهد بدرأ مع المشركين، وكان ضخماً الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم بدر فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالاً شديداً فأحاط به علي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه سنة ٢ هـ / ٦٢٤ م .

(٣) هو وحشي بن حرب الحبشي، أبو دسمة، مولى بني نوفل، صحابي من سودان مكة . كان بطلاً من أبطال الموالى في الجاهلية . وهو قاتل حمزة عم النبي ﷺ قتلته يوم أحد . قال ابن عبد البر : استخفى له خلف حجر، ثم رماه بحربة كان يرمي بها رمي الحبشة فلا يكاد يخطئ، ثم وفد على النبي ﷺ مع وفد أهل الطائف، بعد أخذها، وأسلم، فقال له النبي ﷺ : «غيب عني وجهك يا وحشي، لا أراك» ، =

## حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها ابنة عمي وهي تقول:

خزيت في بدر وبعد بدر يا ابنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية: عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك. فقالت: ما لي إليك حاجة، وخرجت عنه. وبعد خروجها التفت معاوية إلى أصحابه وقال لهم: والله لئن كلمها كل من في مجلسي لأجابت كل واحد منهم بجواب خلاف الآخر بدون توقف.

وهكذا فإن نساء بني هاشم أصعب في الكلام من رجال غيرهن وأمر لها بجائزة تليق بمقامها، وبقيت مكرمة بين قومها إلى أن توفيت بالمدينة<sup>(١)</sup> بخلافة معاوية.

## أروى<sup>(٢)</sup> ابنة كرز بن عبد شمس

كذا نسبها ابن منده<sup>(٣)</sup> وأبو نعيم<sup>(٤)</sup> والصواب ابنة كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهي أم عثمان بن عفان وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عممة النبي ﷺ ماتت في خلافة عثمان، وكانت عاقلة ورعة لها صحبة بالنبي ﷺ وروث عنه الحديث وحدثت أناساً كثيرين.

## أزرميدخت ابنة أبرويز<sup>(٥)</sup>

كانت من أجمل النساء وجهاً وأحسنهن ذكاء، وأوفرهن عقلاً، وأليقهن فعلاً وتعلق الفرس بمحبتها ورغبتهم في علو همتها ملكوها عليهم بعد قتل «خشينده» من بني عم «أبرويز»

- =
- (١) شهد اليرموك وشارك في قتل مسيلمة، وزعم أنه رماه بحرته التي قتل بها حمزة، ودان يقول: قتلت بحرته هذه خير الناس وشر الناس. سكن حمص، فمات بها في خلافة عثمان سنة ٢٥ هـ/٦٤٥ م.
- (٢) توفيت سنة ٥٠ هـ/٦٧٠ م.
- (٣) يراجع: ذو النورين، عثمان بن عفان الخليفة الثالث، محمد رضا، حققه، عمته السيدة محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
- (٤) هو ابن منده، أبو عبد الله المتوفى سنة ٣٩٥ هـ/١٠٠٥ م. محدث أصبهاني من الثرية. فتح الباك في الكنى والألقاب.
- (٥) هو أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله المتوفى سنة ٤٢٨ هـ/١٠٣٨ م. مؤرخ. محدث من أهل أصبهان. من مؤلفاته: «حلية الأولياء»، «تاريخ أصبهان»، «دلائل النبوة».
- (٥) أبرويز: هو كسرى الثاني أبرويز، ملك ساساني (٥٩٠-٦٢٨ م) ابن هرماد الرابع، هو صاحب العرش بمساعدة موريق الإمبراطور البيزنطي. احتل أورشليم سنة ٦١٤ م، انتصر عليه هرقلا في المعركة في السجن، هو خسرو زوج شيرين، وقد تغنى الفردوسي بحبهما في الشاهنامه.



والدها الأبعدين، وكان عظيم الفرس يومئذ: «هرمز»<sup>(١)</sup> أصبهبد» خراسان<sup>(٢)</sup> فأرسل إليها يخطبها فقالت: إن التزوج للملكة غير جائز وغرضك قضاء حاجتك مني فسر إلي وقت كذا ففعل وسار إليها تلك الليلة فتقدمت إلى صاحب حرسها أن يقتله فقتله وطرح في رحبة دار المملكة، فلما أصبحوا رأوه قتيلاً فغيبوه. وكان ابنه رُسْتَم<sup>(٣)</sup> وهو الذي قاتل المسلمين بالقادسية<sup>(٤)</sup> خليفة أبيه بخراسان فسار إليها في عسكر حتى نزل بالمدائن<sup>(٥)</sup> وحاصرها حتى ضاقت به ذراعاً فطلب أهلها منه الأمان فأمنهم بشرط تسليم الملكة إليه فقبلوا منه ذلك ودخل المدينة وألقى القبض على «أزرميدخت» وسمل عينيها وقتلها<sup>(٦)</sup>. وقيل: بل سملت نفسها وكانت مدة ملكها ستة عشر شهراً.

### أسباسيا زوجة بركليس<sup>(٧)</sup>

كانت من أشهر نساء اليونان حسناً وجمالاً وعقلاً، وفصاحة، وبلاغة، وأدباً، وفطنة،

- (١) هُرْمَز: اسم خمسة لملوك الساسانيين ولعل المقصود هنا هو هرمز الرابع (٥٧٩ - ٥٩٠ م) وهو والد كسرى الثاني أبرويز.
- (٢) خراسان: منطقة قديمة في آسيا جنوبي مجرى آمودريا وغربيه، من مدنها نيسابور، وهراة، وبلخ، ومرو. قامت فيها الدعوة العباسية. تقاسمها اليوم إيران الشرقية وأفغانستان وتركمانستان. معجم البلدان ج ٢/ص ٤٠١.
- (٣) رُسْتَم: بضم الراء وتسكين السين وفتح التاء، هو رُسْتَم بن الفرخزاد. ورُسْتَم لفظة فارسية، معناها: نَجَوْتُ، ويقال: إن أمه تعذبت بولادته لشدة تعسرها. وعندما وضعت صاحته: رُسْتَم أي نَجَوْتُ، فسُمي بهذا الاسم. قتلت أزرميدخت والده. وهو من القواد المشهورين في فارس. هزمه سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية. الفاروق، عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين، محمد رضا حَقَّقه وعلق عليه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص ٧٩ الهامش رقم ٦.
- (٤) القادسية: بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً وبينها وبين العذيب أربعة أميال، واختلَف في سبب تسميتها، فقيل: سُميت بالقادسية بقادس هراة. وروى ابن عُيينة قال: مرَّ إبراهيم بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً فغسلت رأسه، فقال: «قدست من أرض»، فسُميت القادسية. معجم البلدان ج ٤/ص ٣٣١.
- (٥) المدائن: بالفتح جمع المدينة. قال يزدجر بن مهبندار الكسروي: «... إن الإسكندر لما سار في الأرض ودانت له الأمم، وبنى المدن العظام في المشرق والمغرب رجع إلى المدائن وبنى فيها مدينة وسورها وهي ألى هذا الوقت موجودة الأثر. وهي في بلاد العراق قرب بغداد. معجم البلدان، ج ٥/ص ٨٨.
- (٦) أزرميدخت هي من قتلت والد رُسْتَم. الفاروق عمر بن الخطاب، ثاني الخلفاء الراشدين، محمد رضا، حَقَّقه وعلق عليه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص ٧٩ الهامش، رقم ٦.
- (٧) بركليس: أو پركليس (Periklês): سياسي أثيني ٤٩٥ - ٤٢٩ ق. م، وطَّد الحكم الديمقراطي وبسط سيادة أثينا على مدن اليونان. عُني بالعمران وشجَّع الآداب والفنون، فبلغت أثينا في عهده أوج عصرها الذهبي المشهور بعصر پركليس ٤٦١ - ٤٢٩ ق. م، من آثاره العمرانية البارثينون.

وخطاباً لها اليد الطولى على جميع نساء عصرها بموافقته لزوجها حتى إنها كانت تسير معه أين سار، وتشاركه في كل أعماله العقلية والفعالية، والألعاب الرياضية وميادين النزال، وتعمل أعمالاً يعجز عنها أقوى الرجال حتى إنها اكتسبت بذلك شجاعة وشهرة لم يسبقها عليها أحد من نساء اليونان، وتقاطرت على بابها العلماء والشعراء والفلاسفة والرياضيون والبلغاء، وكان ناديها أحسن ناد جمع فيه العلم والأدب، ولذلك وصفتها المؤلفة الشهيرة مدام «أون» في كتابها المشتمل على سير أبطال النساء عند ترجمتها إذ قالت: إن بيتها أعظم بيت من بيوت عظماء اللاتينيين فلذلك لو نظرت إلى جدرانها تجدها مرصعة بتمائيل الرجال العظام، وأمام بابه رواق رفيع العماد وعلى الباب أسجاف<sup>(١)</sup> الأرجوان، وبجانبه أفاريز<sup>(٢)</sup> من المرمر الأصفر وكوى البيت مشبكة كلها بقضبان النحاس على أشكال وضروب شتى، وأرضه مغطاة بالفسيفساء البديعة الأشكال، وعليها أرائك<sup>(٣)</sup> من القرمز<sup>(٤)</sup> والأرجوان، أهدابها مطرزة بالذهب، وفي البيت مكتبة من الخشب الثمين مملوءة بالدروج من الرق والحلفاء فلو نظر القارئ في الصباح إلى هذا البيت يرى «أسباسيا» قد نزلت من غرفتها على درج من المرمر الأبيض ومشت في الصحن، وخرجت إلى الرواق الجنوبي الذي يطل على بستان البيت لتستنشق نسيم الصباح مضمخاً بأريج الأزهار والرياحين، وخرج «بركليس» وهو ماش بجانبها وتجاذبا أطراف الحديث في السياسة والفلسفة وهي طويلة القامة مشوقة القَدَّ جعدة الشعر شقراؤه، نجلاء العينين حوراؤهما، شماء الأنف صغيرة الأذنين، حمراء الوجنتين والشفنتين.

تفتّر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبيب

لابسة رداء أبيض على رديه<sup>(٥)</sup> أبازيم<sup>(٦)</sup> من الذهب وفوقه رداء قصير من الأرجوان بل أردان أذياله مطرزة بالذهب وعلى كتفيها رداء ثالث مسدول عليهما سدلاً، والنسيم يعيث في ذهابها وإيابها فتخالها ملكاً ناشراً جناحيه للطيران وفي أصابعها خواتم الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ولم تكن «أسباسيا» من ربات الغنج والدلال اللذاتي يدهين بالحنين

(١) أسجاف: الستائر أو الخُجُب. [القاموس المحيط، مادة: سحفا]

(٢) الأفاريز: الإفريز من الحائط. جمعها أفاريز، طُنْفَة (فاسية). [المنجد في اللغة والأعلام، مادة: سحفا].

(٣) أرائك: مفردا أريكة وهو السرير المزين الفاخر. [القاموس المحيط، مادة: أرائك]

(٤) القرمز: صبغ أحمر أرمني الأصل. [المنجد في اللغة والأعلام، مادة: القرمز]

(٥) الردين: أصل الكَمْ، طرف الكَمْ الواسع وكانت العرب تضع فيه الداهم والدنانير، ومنه «ثقل ردين» أي كثر ماله. [المنجد في اللغة والأعلام، مادة: ردين]

(٦) أبازيم: مفردا بزيم وهو ورق النخيل يشد بها البقل وهنا بمعنى حيوان، فبعضه مغطى من الذهب. [المنجد في اللغة والأعلام، مادة: بزيم]

والحلل، بل من أهل الحجة المربين مع الفلاسفة والحكماء، وكان بيتها هذا نادياً تتقاطر إليه الفلاسفة ورجال السياسة كسقراط<sup>(١)</sup> وأفلاطون<sup>(٢)</sup> وغيرهما فتباحثهم في أسماء المواضيع الفلسفية والسياسية حتى إذا كلّ عصب الدماغ منها ومنهم أدارت أزيمة الحديث إلى الفكاهات واللطائف تديرها عليهم صرفاً فتسكروهم بعدوبة كلامها كما أسكرتهم بسمو معانيها، وكان سقراط الحكيم يعترف بفضلها عليه ويشهد بأنها هذبت أخلاقه وكملت معارفه و«بركليس» زوجها كان ينسب إليها كل شهرته في الخطابة وقال: إنه تعلم منها البلاغة والسياسة.

وكان نساء أثينا يترددن على بيتها أيضاً ويتعلمن منها التهذيب واللباقة، وكانت الفنون الجميلة كالتصوير والبناء والنقش في أوج مجدها فعضدتها «أسباسيا» بيمينها وسعت جهدها في رفع شأن ذويها ولم تكن هذه الفاضلة من الأثينيات، ولذلك لم تحسب زوجة شرعية لـ «بركليس» لأن شريعة أثينا كانت تحرم على الأثينيين اتخاذ الزوجات من الأجانب إلا أن جمالها المفرط وسمو عقلها وغزارة معارفها، وكثرة فضائلها ألجمت ألسن الناس عن الطعن عليها زماناً طويلاً، والحسد - وقاك الله منه - عدو ألد لا يبهره الجمال، ولا تتغلب عليه الفضائل فنفتح في آذان بعض ذويه فقاموا عليها واتهموها باحتقار الأثينيات وبلغت القحّة منهم حتى طعنوا في عرضها واتهموا معها «أتكفوراس»<sup>(٣)</sup> الفيلسوف «وفيدياس»<sup>(٤)</sup> النقاش فقتلوا أحدهما ونفوا الآخر نفياً مؤبداً وحامى «بركليس» عنهما بكل مجهده فلم يستطع إنقاذهما.

٤

ولما وصل الدور إلى «أسباسيا» صار كله ألسنة وبلاغة فدافع عنها في مجمع «أرنوس باغوس»، وكان من أفصح أهل زمانه لساناً، وأثبتهم جناناً، وأقواهم حجة، ولما عجز لسانه

(١) سقراط: نحو ٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م، هو فيلسوف يوناني، ولد في أثينا وعلم فيها، فأحدث ثورة في الفلسفة بأسلوبه وفكره. جعل محور معرفة الإنسان نفسه ودرس تصرفاته والنواميس التي تدفع إليها وبهذا أسس علم الأخلاق. كان تعليمه شهيماً عن طريق السؤال والجواب فساعد تلاميذه على اكتشاف المعرفة بذاتهم. حارب السفسطة وانتقد الحكم، فاتهمه أخصامه بالزندقة وحكموا عليه بالإعدام، ففضل الموت على الهرب احتراماً لشرائع مدينته. شرب السم فمات في سجنه. وصلت إلينا تعاليمه في كتب تلميذه: أفلاطون وكسينوفون.

(٢) أفلاطون (Platôn): من مشاهير فلاسفة اليونان ٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م، هو تلميذ سقراط ومعلم أرسطو. درس في بستان أكاديمس في أثينا. أساس فلسفته «نظرية الأفكار»، مثالها الأسمى «فكرة الخير» من مؤلفاته: «الجمهورية»، و«السياسي»، و«المحاورات»، «كريتون»، و«فيدون»، و«تيمه»، و«الوليمة»، و«الشرائع».

(٣) أتكفوراس: فيلسوف يوناني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد وعاصر سقراط وأفلاطون.

(٤) فيدياس (Pheidias): أشهر نحاتي اليونان. عهد إليه بركليس بتزيين البارثينون في القرن الخامس قبل الميلاد تعتبر أعماله ذروة الإبداع في الفن اليوناني.

عن أقوال إربه دافع عنها بدموع عينيه حتى قيل: إنه أنقذها من الموت بالدمع ولم يكن من ضعاف العزائم الذين تفيض دموعهم عند أخف النكبات ولا كان من المتعلقين بحبال الهوى المنقادين بزمام الشهوات فإنه لما فشا الوباء واختطف ابنته البكر وأخته وكثيرين من أقاربه تحمل هذه النكبة الشديدة بصدر أرحب من البید، وصبر أغزر من البحر، ولم يسكب عليهم دمعة، ولكنه لما رأى الفضيلة مهانة بإهانة زوجته، والعفة والطهارة مهتوكة أستارهما ظلماً وعدواناً لم يتمالك عن البكاء، وكذا لما اختطفت أيدي المنون ابنته الصغرى وحمل إكليل الفرهر ليكلل به جبينه غلبت عليه الشفقة الأبوية ففاضت دموعه رغماً عنه، وكانت ولادة «أسباسيا» بـ«مليتوس» سنة ٤٧٠ قبل الميلاد واقرن بها «بركليس» بعد أن هجر زوجته الأولى، وانقاد إليها أشد الانقياد حتى قال «أرستوفانيس»<sup>(١)</sup>: إنها هي التي حملته على إثارة حرب «ساموس»<sup>(٢)</sup> و«بلويومتبسوس» ولكن «فلوطرخس» المؤرخ الثقة نفى عنها هذه التهمة وتوفي «بركليس» بالطاعون فتزوجت «أسباسيا» بعده رجلاً من التجار فصار بسببها من مشاهير أثينا وخطبائها.

### إستير ستنهوب ابنة كارلوس الثالث في عائلة ستنهوب

امرأة إنكليزية شريفة ذات أطوار غريبة ولدت في لندن في ١٢ آذار (مارس) سنة ١٧٧٦ [م]، وتوفيت في «جون» التابعة إقليم الخروب من جبل لبنان في ٢٣ حزيران (يونيو) سنة ١٨٣٩ [م]، وكانت أكبر أولاد «كارلوس الثالث أرلات ستنهوب» من زوجته «إستير» ابنة «إرل تشتام» دخلت في السنة العشرين من عمرها بيت عمها «وليم بت» فكان يعتمد عليها ويكاشفها أسرارها، واستمرت عنده إلى أن مات سنة ١٨٠٦ [م]، وقبل وفاته أوصى بها الأمة الإنكليزية فعين لها مرتب سنوي قدره ٢٠٠ ليرة إنكليزية غير أن السبلغ لم يكف لسد المصاريف التي كان يقتضيها مركزها وبذخها فانفردت في «والسن» ثم ترحلت وطافت أوروبا وكانت حينئذ فتية نضرة جميلة غنية، فقبولت في البلدان التي زارتها بالاحترام والتعظيم اللذين تقتضيهما صفاتها إلا أنها أبت الزواج مع أن خاطبها كائن من أهالي المنطقة والشأن وبعد أن زارت أكبر عواصم أوروبا لاح لها أنها تحصل في الشاق على مركز عظيم

(١) أرستوفانس (Aristophanès): أكبر شعراء اليونان الهلانيين ٤٤٥-٣٨٦ ق. م. ولد في أثينا من مسرحيات هزلية، منها: الغمام، النابيد، العصفور، الضفادع، حيا، حيا، الدولة، والبلدانية والمجتمع وحتى الالهة

(١) ساموس (Samos): جزيرة يونانية في بحر إيجه قرب الساحل الشرقي من آسيا الصغرى، وسميت على اسم ملكها السادس قبل الميلاد (خمسة).

فسارت إلى القسطنطينية، وأقامت فيها بضع سنين واختلف الناس في سبب خروجها من بلادها فذهب بعضهم إلى أنه حملها على ذلك حزنها على جنرال إنكليزي شاب قتل في إسبانيا وكانت تحبه فأثر فيها موته تأثيراً شديداً حتى لم تطب لها الإقامة بعده في إنكلترا، وذهب آخرون إلى أن الذي حملها على ذلك إنما هو ميلها إلى القيام بعظائم الأمور وحب الشهرة.

ثم خرجت من القسطنطينية قاصدة سوريا سنة ١٨١٠ [م] في سفينة إنكليزية كان فيها قسم كبير من ثروتها وأنواع كثيرة مختلفة من الحلبي والتحف، فلما وصلت السفينة إلى جون «مكري» تجاه جزيرة «رودس»<sup>(١)</sup> صدمت صخوراً فتحطمت على مسافة بعض أميال من الساحل، وغرقت أمتعة «إستير ستهوب» وأموالها ولم تنج هي من الموت إلا بعد عناء شديد فحملت على لوح السفينة إلى جزيرة صغيرة قفرة فقامت فيها ٢٤ ساعة لم تذوق طعاماً ولم يكن لها منقذ ولا مجير إلا أن جماعة من صيادي «مرموريزا» وجدوها في تلك الجزيرة في أثناء تفتيشهم على بقايا السفينة، فساروا بها إلى «رودس» وهناك أخبرت قنصل إنكلترا فجمعت ما بقي لها من المتاع وباعت قسماً من أملاكها، بأبخس الأثمان وركبت سفينة ملأتها تحفاً نفيسة وهدايا ثمينة للبلدان التي عازمت على السياحة فيها فلم يصادفها في مسيرها نوء. وأتت اللاذقية<sup>(٢)</sup> فأقامت هناك، وتعلمت اللغة العربية، وعرفت عادات الأهالي وطباعهم، وجهزت قافلة كبيرة وحملت إلى البدو هدايا نفيسة على ظهور الجمال، وطافت أنحاء سوريا كلها، فزارت القدس<sup>(٣)</sup>، ودمشق<sup>(٤)</sup>، وحمص<sup>(٥)</sup>،

(١) رودوس (Rodos): جزيرة جبلية يونانية أهم جزر دوديكانيز في بحر إيجه، قاعدتها مرفأ رودس. فيها منتجع صيفي وشتوي. أسوار قديمة وكنائس بيزنطية، وقصر فرسان رودس في القرن الرابع عشر. احتلها سليمان الثاني بعد حصار شاق عام ١٥٢١ م. استولت عليها إيطاليا سنة ١٩١٢ م، واستعادتها اليونان سنة ١٩٤٧ م.

(٢) اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام تُعد من أعمال حمص وهي غربي جبله بينهما ستة فراسخ، وهي الآن من أعمال حلب، معجم البلدان، ج ٥/ص ٦.

(٣) القدس: قال الليث: القدس تنزه الله عز وجل. وهو جبل عظيم بأرض نجد. معجم البلدان، ج ٤/ص ٣٥٣.

(٤) دمشق: البلدة مشهورة وهي قسبة الشام وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة وكثرة مياه. قيل: سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا. معجم البلدان، ج ٢/ص ٥٢٧.

(٥) حمص: بالكسر ثم السكون، بلد مشهور قديم مسور وفي طرفه القبلي قلعة حصينة وهي بين دمشق وحلب يذكر ويؤنث، بناه رجل يقال له حمص بن المهرب بن جان بن مكنف. وقيل حمص بن مكنف العمليقي. معجم البلدان، ج ٢/ص ٣٤٧.

وبعلبك<sup>(١)</sup>، وتدمر<sup>(٢)</sup>. ولما وصلت إلى تدمر اجتمع إليها كثيرون من قبائل البدو ومكنوها من الوصول إلى تلك المدينة، وكان عددهم حينئذٍ من ٤٠ إلى ٥٠ ألفاً وكانوا كلهم يتعجبون من جمالها ولطفها، وأبهتها فجعلوها ملكة لتدمر وعاهدوها على أن جميع الإفرنج الذين يحصلون على حمايتها يمكنهم أن يزوروا «بعلبك» وتدمر آمين على أرواحهم، ولكن بشرط أن يدفع كل منهم ضريبة قدرها ألف قرش، واستمرت تلك المعاهدة مدة طويلة يعمل بها وعند رجوعها من تدمر عازمت قبيلة قوية من البدو عدوة لتدمر التعدي عليها، غير أن أحد حشمها أنبأها في الحال بوقوعها في ذلك الخطر الجسيم فأخذت في السير ليلاً، وكان خيلها من أجود الخيل فاجتازت في مدة ٢٤ ساعة مسافة طويلة وبذلك تمكنت هي ومن معها من النجاة وأتت دمشق وأقامت فيها شهراً عند الوالي العثماني الذي كان الباب العالي قد وصاه بإكرامها وإعزازها وصرفت زماناً طويلاً في الطواف والجولان في البلاد الشرقية وأذهل الأهالي ما شاهدوه ومن أعمالها وغناها فكانوا يعاملونها كملكة، وكانت هي تحاول بحذاقتها أن تضاهي «زينوبيا»<sup>(٣)</sup> ملكة الشرق في أعمالها وسنة ١٨١٣ [م].

استوطنت دير القديس إلياس المهجور الواقع في جوار قرينه على مسافة ساعة من صيدا<sup>(٤)</sup>، فبنت هناك عدة بيوت محاطة بسور أشبه بالأسوار التي كانت تبني في القرون

- (١) بعلبك: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا ففيها من عجيب الآثار: الملعبان، الكبير بني في أيام سليمان بن داود - عليه السلام - وضلع الحجر من حجراته عشرة أذرع على عمد شاهقة يروع منظرها، وبهذه المدينة من الهياكل شيء عجيب هي قديمة البناء جداً حتى إن عوام أهلها يزعمون أن سورها من بنيان الشياطين لا يغيره زمان ولا يهلكه حدثان. معجم البلدان، ج ١/ ص ٥٣٧.
- (٢) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في بيرة الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام. قيل سبقت تدمر من حسان بن أذينة بن السميدع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح - عليه السلام - وهي من عجائب الأبنية، موضوعة على عمد الرخام، زعم قوم أنها من بنته الجدي سليمان - عليه السلام - وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داود - عليه السلام - بألف سنة أو نحوها ولكن الناس إذا رأوا بناء عجيماً جهلوا بانيه وأضافوه إلى سليمان وإلى الحجر الذي هو عليه السلام. ج ٢/ ص ٢٠.
- (٢) زينوبيا: وهي الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح - عليه السلام - وهي من عجائب الأبنية، موضوعة على عمد الرخام، زعم قوم أنها من بنته الجدي سليمان - عليه السلام - وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داود - عليه السلام - بألف سنة أو نحوها ولكن الناس إذا رأوا بناء عجيماً جهلوا بانيه وأضافوه إلى سليمان وإلى الحجر الذي هو عليه السلام. ج ٢/ ص ٢٠.
- (٣) زينوبيا: وهي الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح - عليه السلام - وهي من عجائب الأبنية، موضوعة على عمد الرخام، زعم قوم أنها من بنته الجدي سليمان - عليه السلام - وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داود - عليه السلام - بألف سنة أو نحوها ولكن الناس إذا رأوا بناء عجيماً جهلوا بانيه وأضافوه إلى سليمان وإلى الحجر الذي هو عليه السلام. ج ٢/ ص ٢٠.
- (٤) صيدا: قال أبو منصور: الصيذاء حجر أبيض يعمل من الأيام جميع أنواعه، وقيل الصيذاء هو الصياد.

المتوسطة، وأنشأت هناك بستاناً على نسق البساتين التركية فغرست فيه الأزهار والأشجار والفاكهة وكروماً، وأقامت كشوكاً مزينة بالنقوش والصور العربية، وجعلت للماء قنوات من الرخام وكانت تنبعث من نافورات وسط بلاط من الرخام مزين بأنواع النقوش أيضاً، وكانت أشجار البرتقال والتين والأترج الملتفة تزيد ذلك البستان جمالاً ونزهة ولم يمكث ذلك الدير حتى صار حصناً وملجأً يلتجئ إليه المظلومون فتجيرهم، فبقيت هناك عدة سنين في أبهة شرقية محاطة بتراجمة سوريين وأوروبيين وحاشية كبيرة من النساء، وجماعة من العبيد السود وكانت تلبس لبس أمير وتتقلد السلاح وتدخن وكان لها علائق حبية وسياسة مع الباب العالي، وعبد الله باشا<sup>(١)</sup>، والأمير بشير الشهابي<sup>(٢)</sup> حاكم لبنان، والشيخ بشير جان بلاط<sup>(٣)</sup> ومشايخ البدو في براري سوريا وبغداد.

ثم اتخذت لها مسكناً في بيت أخذته من رجل دمشقي مسيحي غنيّ واقع على مرتفع يعرف بظرف جون نسبة إلى قرية «جون» التابعة لمديرية إقليم الخروب من جبل لبنان على مسافة ٨ أميال من صيدا، ووسعت دائرة ذلك البيت، وأقامت حوله جنيحة وسوراً وبقيت فيه إلى أن توفيت، ثم أخذت ثروتها العظيمة تتناقص لعدم انتظام مصالحها التي لم يكن من يحسن القيام عليها في غيابها فبلغ دخلها السنوي ١٣٠ و ٤٠ ألف فرنك وكان مع ذلك غير كافٍ لسد المصاريف التي تقتضيها حالتها، غير أنه مات بعض الذين صحبوا من الإفرنج وتركها البعض الآخر وخدمت محبة الأهالي لها لأن توافدها كان موقوفاً على مواساتهم بالهدايا

= الأرض التي تربتها أجزاء غليظة الحجارة مستوية الأرض. وهي مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ. معجم البلدان، ج ٣/ص ٤٩٦.

(١) عبد الله باشا: واحد من الحكام المصريين الذين تناوبوا على جبل لبنان أثناء السيطرة المصرية على المنطقة.

(٢) الأمير بشير الشهابي: هو بشير بن قاسم بن عمر الشهابي، أكبر الأمراء الشهابيين، وكان لهم شأن في لبنان ووادي التيم بسوريا. ولد سنة ١١٧٣ هـ/ ١٧٦٠ م في قرية غزير قرب بيروت. مات أبوه سنة ١١٨١ هـ. فتزوجت أمه وأهملت أمره. فعطفت عليه خادمة كانت لأبيه، فنقلته إلى برج البراجنة وأسعفتها أمه بشيء من الدراهم، ولما بلغ السادسة عشرة من العمر قصد دير القمر وأقام في بيت الدين مدة عبر شيخ خلوة، كان قد توسم فيه النجابة، ثم اتصل بأحمد باشا الجزائر والي صيدا فقربه، ولم يزل إلى أن ولّاه إمارة لبنان سنة ١٢٠٣ هـ، فكانت له حوادث كثيرة، عُزل مرّات وأعيد. كثر خصومهم فقاومهم، حتى قدم إبراهيم باشا المصري فأزّره الأمير بشير، ولما عاد إبراهيم من سوريا قبض الإنكليز على الأمير بشير ونفوه إلى مالطة سنة ١٢٥٦ هـ، ثم التمس الإقامة في الأستانة فأذن له وتوفي فيها سنة ١٢٦٦ هـ/ ١٨٥٠ م.

(٣) الشيخ بشير جنبلط: هو من الإقطاعيين اللبنانيين في عهد الأمير بشير الشهابي ومن أهم من حاربهم الأمير بشير للقضاء على الإقطاع.

والعطايا فأمست منفردة وقلّت علائقها مع الناس، ولكن ظهر منها في هذه الأحوال ما يدهش الخواطر ويحير العقول لأنها صبرت وتجلدت ولم يخطر لها ألبتة أن ترجع عن الأعمال التي أقبلت عليها، ولم تتأسف على ما فات ولا على العالم أجمع ولم يحزنها ترك خلائقها وثروتها وميلها إلى الشيخوخة فأقامت وحدها من غير كتب ولا جرائد ولا رسائل من أوروبا ولم يكن عندها صديق يؤانسها ولا سمير يجالسها، بل بقي لها فقط جماعة من الجوّاري السود وعبيد سود صغار السن، وبضعة فلاحين سوريين يعتنون بشأنها وخيلها، ويسهرون عليها من الطوارق.

وقد تحققت أن ما امتازت به من الصبر والعزم والحزم لم يكن ناشئاً عن طباعها فقط، بل عن مبادئها الدينية المؤذنة بالشطط، وكان في تلك المبادئ ما يدل على أنها جمعت بين الحقائق وعوائد شرقية خرافية ولا سيما غرائب فن التنجيم وعجائبه وقصارى الكلام أنها حصلت بأعمالها على شهرة عظيمة في الشرق وزهدت أوروبا كلها وكان الأهالي عموماً يسمونها بالست الإنكليزية. وأما الإفرنج فتعرف عندهم بـ «لاري ستنهوب».

ولما عزم إبراهيم باشا<sup>(١)</sup> على فتح سوريا سنة ١٨٣٣ م [اضطره الأمر إلى أن طلب إليها أن تكون على الحيادة، ويقال: إن بعد حصار عكا<sup>(٢)</sup> في السنة نفسها أوت مئين من الفارين وكانت تتعاطى فن التنجيم وغيره من الفنون السرية، واستمسكت ببعض عقائد دينية مستغربة فلم تعدل عنها حتى مماتها، ومما يدل على أن عقلها لم يخل من الاختلال في بعض الأمور أنها ربت حجرتين في إسطنبول لتركب المسيح واحدة منها عند مجيئه إلى الأرض وتركب هي الأخرى مرافقة له إلى القدس، وفي السنين الأخيرة من حياتها كان قد بلغ أهلها في إنكسار

(١) هو إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، قائد، بعيد المطامح من ولاية مصر، ولد في بصطاني سنة ١٢٠٤ هـ/ ١٧٩٠ م، بالقرب من قولة، قدم مصر مع طوسون بن محمد علي سنة ١٢٢٠ هـ، وتعاون بها. وأرسله أبوه (أو متبنيه) محمد علي سنة ١٢٣١ هـ بحملة إلى الحجارة، ثم شارك في الحملة المصرية في حرب المورة سنة ١٢٣٩ هـ، وفي سنة ١٢٤٧ هـ سببه حشيش زعيم الثورة فاستولى على عكة ودمشق وحمص وحلب، وانفادت له بلاد الشام فوجهت إليه حشيشاً لقتله، فظفر به إبراهيم في الإسكندرونة، فتجاوز جبال طوروس وقارب لاسنة فدخلت الدول الأحسية وعقدت معاهدة «كوناهية» وتفضي بضم سوريا إلى مصر، ثم ليه إبراهيم عليها، فعاد إلى سوريا وجعل عاصمته إنطاكية. يقول معاصره «بوا لو كنت» إنه كان يحاهم بالقومية العربية، بعد نفسه من الأتراك، وسئل: كيف تطعن في الأتراك؟ وهو منهم. فأجاب: «أنا لست تركياً، فإني جئت مصر مسلماً، ومصر ذلك الحين مصرتني شمسها وغيرت دمي وجعلته دماً عربياً»

(٢) عكا: مدينة في فلسطين على المتوسط. فتحها العرب سنة ٦٣٨ م ازدهرت في عهد الشيخ طاهر العمري والجزار في القرن الثامن عشر. اشتهرت بمقاومة حصار بونايرت سنة ١٧٩٩ م



ما كان من أمرها، وإسرافها فقطعوا عنها الإمدادات المالية فتراكمت عليها الديون التي كانت تقترضها من الأهالي بسعي رجل يعرف باللقمجي فتوفيت ولم تقدر على وفائها، وهكذا الذين كانوا يحسبون أن في القرب منها ربحاً لهم آل الأمر إلى خسارتهم.

ويقال: إن مضايقاتها المالية مما كان بينها وبين الأمير بشير الشهابي من الاختلاف والضغينة، وقد سبب ذلك فيها من الخوف الذي أوقعها في مرض عضال قضت به نحبها ولم يكن عندها حال وفاتها أحد من الإفرنج، بل أحاط بها جماعة من خدامها من أهل البلاد فذهبوا بيتها حالما أدركتها المنية وعند وفاتها حضر قنصل الإنكليز من بيروت لأجل دفنها، ودفنت بالبستان المجاور لدارها، وقد روى الأهالي عنها قصصاً كثيرة غريبة تكاد أن تكون من الخرافات لا يوثق بها وكتب الدكتور «مريون» الذي بقي عندها بضع سنين طبيباً لها سيرة حياتها بالإنكليزية في ثلاثة مجلدات رواية عنها وقصة أسفارها في ثلاثة مجلدات طبعت بالإنكليزية بعد وفاتها بمدة قصيرة.

وقد زارها كثير من السياح الأوروبيين ومن جملتهم «دو لامرتين»<sup>(١)</sup> الشاعر الفرنسي المشهور فإنه لما كان في سوريا سنة ١٨٣٢ [م] يطوف في نواحيها ويتفرج على بلدانها ومناظرها رغب في زيارة تلك الخاتون إلا أنه كان في ذلك الوقت من أصعب الأمور على الإفرنج أن يقابلوها ولا سيما الإنكليز ومن كانوا من ذوي قرابتها فبعث إليها مع رسول بالرسالة الآتية ترجمتها:

سيدتي، من سائح مثلك في الشرق وغريب في هذه الديار جاءها ليتأمل في مناظر الطبيعة وآثارها وأعمال الله فيها، وقد وصل إلى سوريا منذ مدة مع عائلته وهو يحسب يوماً يتمكن فيه من مقابلة امرأة هي نفسها من عجائب الشرق الذي جاءه زائراً من أجمل أيام سياحته وألذها، فإذا شئت أن تقابليني فاذكري لي اليوم الملائم لذلك وقولي لي أينبغي أن أتوجه وحدي أو يمكنني أن أسير إليك بجماعة من خلاني يرغبون مثلي كل الرغبة في التشرف بمقابلتك، وأرجو يا سيدتي أن لا يكون هذا الطلب سبباً لتكلفك ما يزعجك في عزلتك فإنني أعرف من نفسي قيمة الحرية ومحاسن الانفراد ولذلك لا يسوءني ألبتة رفضك مقابلي، بل أتلقى ذلك بالتوقير والاحترام إلى آخره.

وفي ٣٠ أيلول (سبتمبر) من السنة نفسها سار إليه طبيبها ودعاه إلى جون فذهب مع

(١) هو الفونس دو لا مارتين (Lamartine): من مشاهير الشعراء الفرنسيين ١٧٩٠ م - ١٨٦٩ م. زعيم الحركة الرومنطيقية. زار الشرق وشغف به. من مؤلفاته الشعرية: «التأملات»، و«جوسلين». ومؤلفاته النثرية: «رحلة إلى الشرق».

الدكتور «ليوزدي» والموسيو «يرسيقال»<sup>(١)</sup> ولما وصلوا نزل كل منهم في غرفة ضيقة لا نوافذ لها ولا أثاث فيها ولم يتمكنوا من مقابلتها حال وصولهم لأنها لم تكن تقابل الناس قبل الساعة الثالثة بعد الظهر، فلما حان الوقت أتاه غلام أسود وأدخله غرفتها قال: وكان الظلام قد أسبل عليها ذيله فلم أتمكن بسهولة من أن أتبين هيئتها اللطيفة المؤذنة بالهيبة والجلال وذلك الوجه الأبيض الصبيح، فنهضت وهي في زي الشرقيين، ودنت مني، ومدت إلى يدها مسلمة عليّ فأمعنت بها النظر، وإذا فيها من لطف المعاني ما لا تستطيع السنون محوه.

نعم، إن نضارة الوجه واللون والرونق تمضي مع الفتوة إلا أنه متى كان الجمال في القَدَّ وهيئة الوجه مع العظمة والجلال، وطراً عليه تقلبات باختلاف أزمان الحياة لا يزول تماماً، وهذا كله على «لاري ستنهوب» وكان على رأسها عمامة بيضاء وعلى جبهتها عصابة من الكتان أرجوانية اللون طرفاها مرسلان على كتفيها وعلى بدنها شال من الكشمير الأصفر وستانان تركي كبير من الحرير الأبيض، كماه متدليان وهو مشقوق عند الصدر يظهر من تحته فستان آخر من نسج الفرس تتصاعد منه أزهار تكاد أن تصل إلى عنقها وهي مرتبطة بعضها ببعض بخرز من اللؤلؤ، وكان في رجليها خفان تركيان أصفران وهي تحسن لبس ذلك جميعه كأنها تعودته من صغرها.

وبعد السلام قالت لي: قد أتيت من مكان بعيد وكلفت مشاق السفر لترى ناسكة فأهلاً بك وإني قلما يزورني الأجانب فيراني منهم في السنة واحد أو اثنان في الأكثر غير أن مكتوبك أعجبني وودت أن أعرف إنساناً يحب الله والطبيعة والانفراد، وذلك نفس ما أحبه ولاح أيضاً أن يجمعنا متحابين وإننا نتوافق في المشرب ويسرني الآن أني لم أخطئ في ظني وقد توسست فيك عندما رأيتك أموراً تجعلني أن لا أندم على رغبتني في مشاهدتك، وناهيك أنني لما سمعت وقع قدميك وأنت داخل خالجنني نفس تلك الخواطر فاجلس ودعنا نتحدث لأنك قد صيرت لي صديقاً فقلت لها: يا سيدتي، وكيف تشرفين بهذا اللقب رجلاً لا تعرفين اسمه ولا سيرته قالت: نعم، إنني لا أعرف حالك قدام الله ولا تحسبني مجنونة كما يسميني العالم في الغالب لأن من يسميهم انشرح لك فلا أستطيع أن أخفي عليك شيئاً وقد نشأ في الشرق علم ضاع الآن في بلادهم غير أنه لم يزل باقياً إلى الآن في البلاد الشرقية، وقد تعلمته وأتقنته فإني أجد الخواطر في ذلك أسيرها فكل منا ولد لنار من تلك النيران السماوية التي تولت أمه، ولدتنا، تأثرتنا، إمام حسن، وما دني، وهو يظهر في عيوننا وجباهنا وهيئتنا وأساري أيدينا وشكل أجسامنا، حركاتنا، مشيتنا، وبيدات عرفتك حق المعرفة كأننا معاً منذ قرن كامل مع أنني لم أرك إلا منذ بضع دقائق.

(١) سيرد اسمه بعد صفحات عدة: «يرسيقال»، «لعله»، الاسم الصحيح

فقلت باسماء: مهلاً يا سيدتي إنني لا أنكر ما أجهل ولا أثبت ما لا يوجد في الطبيعة المنظورة و[غير]<sup>(١)</sup> المنظورة التي تتجاذب فيها الأشياء أو يرتبط بعضها ببعض كائنات كالإنسان دونه الكائنات الكبرى تحت سلطة كائنات أعظم منها كالكوكب والملائكة إلا أنني أحتاج إلى وحيهم لأعرف نفسي التي هي عبارة عن فساد وسقم وشقاوة.

وأما أسرار مستقبلي فأحب أن لا أعرفها وعندي أنني أجازف على الله الذي أخفاها عني إذا طلبت إلى مخلوق أن يوضحها لي، فأمر المستقبل بيد الله وإني لا أعتقد إلا فيه، وفي الحرية والفضيلة. قالت: ما لي ولهذا فاعتقد فيما يحلو لك، أما أنا فأرى أنك خلقت تحت سلطة ثلاثة أنجم سعيدة، قادرة، صالحة فاعتقد مثل تلك الصفات وهي تشوّكك إلى غاية يمكنني أن أكشفك بها الآن إذا شئت ذلك وقد أرسلك الله إليّ لأنير عقلك وأنت من الرجال الذين حسنت نواياهم وطابت سريرتهم ويستنفذ منك الله بإنفاذ الأعمال العجيبة التي يريد أن يجريها بين الناس وهذا جواب كافٍ وبعد أن أطلا الجدل في هذا الباب.

قالت له: وهل ترى في سياسته ودينه ومعشره كامل الانتظام ولا تشعر بما يشعر به العالم أجمع من أنه لا بد من موج وفاة وهو المسيح الذي تنتظره وتطير شوقاً إليه فلا ترى أحداً موافقاً لك في ذلك، وأن العالم أجمع محتاج إلى الإصلاح، وأني أتوقع أكثر من الناس كلهم قدوم مصلح يقوم المسالك ويرشد الناس إلى سواء السبيل فإن كان ذلك المصلح هو ما تسميه مسيحاً فهذا أنتظره مثلك، وأرجو أن يظهر بعد أمد وجيز وأطالت الكلام في هذا الباب وقالت لي: أعتقد كما تشاء، أما أنا فعندي أنك رجل من الذين كنت أنتظرهم وقد أرسلتك العناية إليّ وسيكون لك دخل كبير في العمل المزمع حدوثه، وسترجع أوروبا إلا أن أوروبا قد مضى زمانها وبقي لفرنسا وحدها أن تقوم بعمل عظيم، وستشترك فيه، ولم أعلم بعد كيف يكون ذلك، ولكنني إن شئت أذكر لك في هذا المساء عندما أستشير أنجمك ولم أعرف إلى الآن أسماءها كلها فقد رأيت منها أكثر من ثلاثة فهي أربعة أو خمسة وربما كانت أكثر ولا شك أن [عطارد]<sup>(٢)</sup> من جملتها فهو يهب العقل نوراً، واللسان طلاقة وطلاوة، وأنت شاعر لا محالة لأن في عينيك، والقسم الأعلى من وجهك ما يدل على ذلك إلى أن قالت: فاشكر الله على

(١) وردت في الأصل: «الغير»، ولعل الصحيح ما أثبتناه وذلك لأن «غير» عندما تضاف لا يجب أن ترتبط بـ «أل» التعريف. المعجم الميسر في القواعد والبلاغة والإنشاء والعروض، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

(٢) وردت في الأصل: «عطارداً»، ولعل الصحيح ما أثبتناه وذلك لأنه اسم ممنوع من الصرف على وزن مفاعل.

هذه النعمة لأنه قلما ولد تحت سلطة أكثر من نجم وندر من كان نجمه سعيداً وإذا كان سعيداً فقلما يخلو من مفاعيل نجم آخر خبيث يقارنه أما أنت فقد كثرت نجومك وأجمعت كلها على أن تخدمك وهي تتعاون على ذلك فما اسمك؟ فذكرت لها اسمي قالت: هذه أول مرة سمعت<sup>(١)</sup> به، ثم ذكرت لها ما نظمته من الشعر وأن اسمي مشهور عند أهل العلم في أوروبا إلا أنه لم يتمكن من اجتياز البحور والجبال حتى يصل إلى الشرق قالت: سيان عندي كونك شاعراً أو غير شاعر فإنني أحبك ولي فيك أمل أتتحقق أننا سوف نلتقي ثانية فإنك سترجع إلى الغرب، ولكن لا تلبث حتى تعود إلى الشرق فإنه وطنك، قلت: إن لم يكن وطني فهو ميدان أفكارني. قالت: دع عنك المرح فإنه وطنك الحقيقي ووطن آبائك وقد تحققت ذلك الآن فانظر إلى رجلك فإنها أشبه برجل رجل عربي، وما زلنا نتحدث حتى دخل عبد أسود فخر على وجهه ساجداً أمامها ويداه على رأسه، وخاطبها بكلمات عربية لم أفهمها، فالتفتت إلي وقالت: قد هُيئت لك الطعام فاذهب فكل، أما أنا فلا أواكل أحداً لأن عيشتي عيشة نسكية فاغتذي بالخبز والثمار عندما أحس بالجوع ولذلك لا ينبغي لي أن أكره ضيفي على مجاراتي.

وبعد أن فرغت من مناولة الطعام استدعتني إليها، فلما حضرت وجدتها تدخن بتخصيب طويل، واستحضرت لي قضيباً لأدخن أيضاً قال: وكنت قد رأيت أجمل نساء الشرق وأظرفهن يدخن مثلها فلم أستغرب ذلك، وكان الدخان ينبعث من شفثيها اللطيفتين على شكل عمدة فتعطرت به الغرفة، وأقمنا نتحدث في أمورنا وأطلت فيها التفكير فتبين لي أنها أشبه بالساحرات القديمات المشهورات وهي أشبه بـ «سيرسه»<sup>(٢)</sup> معبودة الأقدمين، وأن عقائدهم الدينية وإن كانت غامضة فهي مقتطفة بحذق من أديان مختلفة فقد جمعت بين أسرار الديانات وتسلیم المسلمين واعتقادهم القدر، وانتظار اليهود مجيء المسيح، وعبادة المصريين للمسيح، وممارسة تعاليمه وآدابه، وزد على ذلك التصورات البعيدة الغريبة الدشة عن ديد مشغوف بالشرق، ومتوقد بطول العزلة والانفراد وبعض إيضاحات أو مسحة لها من مسحة العربيون فإذا تصورت ذلك كله انجلي لك شيء من هذا السر العظيم المسعور الذي يربط بين الإنسان ما يسميه جنوناً ليتخلص من مشقة البحث وإمعان النظر فيه.

والحق أولى أن يقال: إن هذه المرأة غير مجنونة فإن أسرارها كانت مسحة عظيمة في

(١) هكذا في الأصل، ولعل هذا الأمر يعود إلى أن المسحبة من اسم «سيرسه» ومعناها «التي تدخن» أو «التي تدخن» في اللغة، وإلا فالاستعمال الصحيح للمعنى كان يجب أن يكون «التي تدخن» أو «التي تدخن» في السياق يقتضي ذلك، وعلى الأرجح فهم فعل جرمي كالمعنى «التي تدخن» أو «التي تدخن».

(٢) سيرسه: لعلها إلهة الحصاد عند الرومان، وهي ديمية الإيمانيات.

العينين وليس له أثر ألبتة في تلك الألفاظ اللطيفة ويظهر الجنون أيضاً في الكلام فإن صاحبه كثيراً ما ينقطع عن الحديث فترى فيه اختلالاً وشططاً أما حديثها فسامي المعاني رمزي متسلسل مرتبط منتسق قوي وفي مذهبي أن جنونها اختياري وأنها تعرف نفسها حق المعرفة ولها أسباب تحملها على التظاهر بما قد تظاهرت به وما أخذ القبائل العربية المجاورة للجبال من العجب من حذقها وبراعتها يدل دلالة واضحة على أن ما ترجم به من الجنون إنما هو وسيلة لبلوغ بعض مآرب ولا يخفى أن سكان أرض أجريت فيها العجائب وكثرت فيها الصخور والبراري وتلونت تصوراتهم بألوان جوهم لا يصيخون سمعاً إلا إلى كلام نبي أو إلى كلام من كان كـ «لاري ستنهوب» فإنهم يميلون إلى فن التنجيم والنبوتات [و] (١) الوحي وما أشبه وقد عرفت الـ «لاري» المذكورة ذلك واتضح لها الحقيقة لما هي عليه من قوة الحذق، ولكن ربما ساقته القوة المذكورة كما هو الغالب في أمثالها إلى الاهتداء إلى مذهب وضعته لغيرها.

وبعد أن جالت هذه التصورات في فكري قلت لها: لا ألومك إلا على أمر واحد، وهو أنك حسبت للحوادث حساباً فعاقك ذلك عن الوصول إلى مركز كان في طاقتك أن تصلي إليه. فأجابته: إنك تتكلم كمن يعتقد اعتقاداً صحيحاً في الإرادة البشرية، ويشك في فعل القدر، فقوتني على حالها لم تتغير غير أنني انتظر سنوح الفرصة ولا أجد في طلبها وقد أمسيت وحدي مهجورة بين هذه الصخور القفرة عرضة لمفاجئ جسور يطرق منزلي فينهب أمتعتي وحولي جماعة من الخدم الخائنين والعبيد الكنودين وهم ينهبونها في كل يوم ويتهددون حياتي أحياناً وفي المدة الأخيرة لم ينجني من الموت الأحمر إلا هذا الخنجر (وأرته إياه) الذي اضطرني الأمر إلى استخدامه لأدفع عني عبداً أسود لئيماً ربي في بيتي، ومع ذلك تراني سعيدة بقولي: الله كريم وأتوقع المستقبل الذي أخبرك به ويا حبذا لو كنت تحققه مثلي.

وبعد أن تباحثنا كثيراً وشربنا القهوة التي كان يأتي بها العبيد كل ربع ساعة مرة قالت لي: هلم، فإني سأسير بك إلى مكان مقدس لا يدخله أحد من البشر وهو بستاني فدخلناه وجلسنا فيه مسروري الفؤاد لأنه من أجمل البساتين الشرقية التي رأيتها وكنا من وقت إلى آخر نجلس في الكشوك براحة ونتحدث على النسق الأول فلبثنا مدة على هذه الحالة ثم التفت إلي وقالت: إذا كان القدر قد ساقك إلى هذا المكان وما بين نجمينا من الاتفاق يمكنني من مكاشفتك بأمور أخفيها عن كثيرين من بني البشر سأريك بعينك عجيبة من عجائب الطبيعة لا يعرف مستقبلها إلا أنا وأتباعي وهي التي ذكرها الأنبياء الشرقيون منذ قرون عديدة في نبواتهم، ثم فتحت باباً من أبواب البستان يشرف على حوش صغير فوق نظري على حجرتين عربيتين

(١) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

جميلتين من أطيب أصل وأكمل شكل فقالت لي: هيا بنا فأريك هذه المهرة الكميت، ألم تتحفها الطبيعة بكل ما هو مكتوب عن المهرة التي ينبغي أن يركبها المسيح (وستوله مسرجة) فأمعنت بها النظر فرأيت فيها من غرائب الطبيعة ما يقوي ذلك الاعتقاد عند قوم لم يزح عنهم الجهل ستارته، لأن لها في مكان المنكبين تجويفاً عميقاً واسعاً يشبه السرج وشيئاً أشبه بركابيين في مكان ركوبها من دون سرج صناعي ولاح لي أن تلك المهرة أحست بما لها من المنزلة والاعتبار عند «لاري ستهوب» وعبيدها بما سيكون من أمرها في المستقبل، لأنها لم تتركب ألبته، وقد عهدت سياستها إلى سائسين عربيين يسهران عليها ليلاً ونهاراً ولا يفارقانها لحظة، وبالقرب منها مهرة أخرى بيضاء أجمل منها تشاركها فيما لها من المنزلة عند الـ «لاري» المذكورة وهي كأختها لم يركبها أحد، وفهمت من كلام مضيفتي أنه وإن كان مستقبل المهرة البيضاء دون مستقبل المهرة الكميت قداسة فهو سري، وهي وإن كانت لم تقل لي ذلك قولاً صريحاً استنتجت منه أنها تركبها هي حين تسير بجانب المسيح إلى أورشليم ثم أمرت السائسين أن يخرجوا الحجرتين إلى مرج خارج السور ففعلاً وبعد أن أطلت النظر فيهما وتأملت في محاسنهما رجعت إلى الدار وطلبت منها بإلحاح أن تأذن لموسيو «برسيقال» بمقابلتها فإنه كان صديقي وتبعني رغماً عني وأقام منذ الصباح ينتظر صدور الإذن بمقابلتها وهي تبخل سنيه بذلك فأجابني إلى طلبي بعد التردد مدة ودخلنا جميعاً إلى غرفتها لنصرف فيها ليلتنا فأقمنا ندخن ونشرب القهوة وبعد مباحثة طويلة دارت بيننا في أمور السياسة ونظام الحكومات فانتقلت أنا منها إلى أمور مزحجة عن طريقة تنبئها.

قال: وأردت أن أختبرها فسألتها عن سائحين أو ثلاثة من أصحابي مروا بها منذ ١٥ سنة فأدهشني كلامها عن اثنين منهم لأنني رأيتها مصيبة في حكمها كل الإصابة ومن العجب العجاب أنها وصفت بحذق وبلاغة لا مزيد عليهما واحداً من ذينك الاثنين كنت أعرفه حق المعرفة مع أن من أصعب الأمور أن يعرف إنسان طباعه من أول وهلة لأن ظواهره تبادت ببساطة تامة ويخدع أبعاد الناس عن الانخداع، ومما أذهلني أيضاً قوة ذاكرتها لأن المذکور لم يصرف عندها إلا ساعتين ومضى بين زيارتي لها وزيارته ١٦ سنة كاملة فلا جرم أن العزلة تجمع قوى النفس وتقويها وقد تحقق ذلك الأنبياء والقديسون وأدبر رجال الدنيا والشعراء فكانوا يطلبون البراري والقفار ويعتزلون الناس وهم بينهم.

ثم تكلمنا عن بونابرت وعن مواضع أخرى بحرية تامة وما زلنا على تلك الحالة إلى أن مضى أكثر الليل. قال: ولما حان الافتراق ظهر الحزن والكدر على وجهينا فقالت لي: لا

(١) لا جرم ولا تجزم أي لا بد أو لا محالة أو حقا. القاموس المحيط، مادة جزم.

تودعني لأننا سنلتقي مراراً في هذه السياحة وملتقي كثيراً في سياحات أخر لم تخطر لك ببال بعد فإذهب واسترح واذكر أنك قد تركتني في قفار لبنان، ثم مدت إلي يدها فوضعت يدي على قلبي على عادة العرب مودعاً وكان ذلك خاتمة اجتماعنا.

هذا ملخص ما دار بينها وبين «لامرتين» من الكلام والمقام يضيق دون ما ذكره بالتفصيل أما بيتها في «جون» فقد استولى عليه صاحبه الدمشقي الذي مات بعدها بقليل فانتقل إلى ابن له وحيد مسلم، ثم أفضى به الأمر إلى أن شق نفسه فأخذت امرأته تبيع كل ما يمكن بيعه من أدوات البناء خوفاً من أن يؤخذ البيت منها. وهكذا عجلت خراب تلك الدار الجميلة حتى أمست الآن خاوية على عروشها يأوي إليها البوم وينعق فيها الغراب وكذلك تكاد آثار الضريح الذي أقيم لها تمحي.

وهكذا لم يبق لتلك المرأة التي حاولت أن تضاهي ملكة الشرق ولا لأعمالها أثر في بطون التواريخ التي حفظت ذكرها ليكون عبرة لمن يعتبر وتذكرة لأولي الألباب.

### أسماء ابنة أبي بكر الصديق<sup>(١)</sup>

هي أسماء ابنة أبي بكر الصديق، وأمها قتيلة بنت عبد العزى وهي أخت عائشة لأبيها تسمى ذات النطاقين لأنها صنعت للنبي ﷺ طعاماً لما هاجر فلم تجد ما تشده به فشقت نطاقها<sup>(٢)</sup>، وشدت به الطعام فدعيت ذات النطاقين. تزوجها الزبير بن العوام<sup>(٣)</sup> فولدت له عبد الله<sup>(٤)</sup> وعدة أبناء، وكان عبد الله أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة، ثم طلقها الزبير

(١) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبو بكر، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ، من الرجال، وأحد عظماء العرب. ولد بمكة سنة ٥١ ق.هـ/ ٥٧٣ م. نشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم وعالماً بأنساب العرب وقبائلهم وأخبارهم وسياستهم. كانت العرب تلقبه بعالم قريش. حرم على نفسه الخمر في الجاهلية. كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، شهد الحروب، احتمل الشدائد، بذل الأموال. بويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ سنة ١١ هـ. حارب المرتدين والممتنعين عن دفع الزكاة، افتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق. كان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامّة، خطيباً لساناً، وشجاعاً بطلاً. مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف الشهر. توفي في المدينة سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤ م. كان لقبه الصديق في الجاهلية، وقيل: في الإسلام لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء.

(٢) النطاق: شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها وترسل الأعلى على الأسفل، والأسفل بنجر على الأرض. وهي أيضاً ما يشد به الوسط. [القاموس المحيط، مادة: نطق].

(٣) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، كنيته أبو عبد الله، أبو الطاهر، وهو ابن عمه رسول الله ﷺ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، المتوفي سنة ٣٦ هـ.

(٤) هو عبد الله بن الزبير بن العوام، القرشي، الأسدي، أبو بكر، فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة سنة ١ هـ/ ٦٢٢ م. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، بويع بالخلافة سنة ٦٤ هـ. =

فكانت مع عبد الله ابنها بمكة المشرفة حتى قتل ابنها فبلغت من العمر مائة سنة حتى عميت، وماتت بمكة سنة ٧٣ هجرية و ٦٩٢ ميلادية.

ولها شعر قليل في رثاء زوجها وابنها ومن كلامها لابنها عبد الله حين قاتل الحجاج<sup>(١)</sup> إذ دخل عليها وقال لها: يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، ولم يبق معي إلا اليسير، ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق، وإليه تعود فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن معك، وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي، ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، لم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن.

فقال: يا أماه، أخاف إن قتلتني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني قالت: يا بني إن الشاة لا تتألم بالسليخ فامض على بصيرتك، وأستعن بالله.

فقبل رأسها وقال: هذا رأيي والذي خرجت به رائياً إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله وأن تستحل حرماته ولئدني أحببت أن أعلم رأيك، فقد زدني بصيرة فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الأمر إلى الله فإن ابنك لم يعهد بإيثار منكر ولا عمد بفاحشة، ولم يجر في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عدائي فرميت به، بل أنكرته، ولم يكن شيء أثر عندي من رضا ربي اللهم لا أقول هذا تركية لنفسي، ولكني أقوله تعزية لأمي حتى تسلو عني.

فقالت أمه: لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً إن تقدمتني احتسبتك وإن ظفرت سادات

عقيب موت يزيد بن معاوية فحكم مصر، الحجاز، اليمن، خراسان، العراق، وأخذ الشام، فملكها المدينة. كانت له مع الأمويين، قانع هائلة حتى سنة ١٣٠ هـ التي انحصر فيها، فمات في حروب انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة سنة ١٣ هـ ٦٩٢ م. بعد أن كان من أبطال الأبطال. وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة.

(١) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أم محمد بن عبد الله بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولد له في ٤٠ هـ/ ٦٦٠ م، في الطائف بالحجاز، وانتقل إلى مكة فدخلها في ١٠٠ هـ/ ٦٢٠ م، فمات في مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يفتها حتى فاته عند أخيه في مكة سنة ١٠٠ هـ/ ٦٢٠ م. عبد الله بن الزبير، فاحف إليه بجيش كبير فقتل عبد الله، وهو جده، في مكة سنة ١٠٠ هـ/ ٦٢٠ م. والمدينة، والطائف، ثم أضاف إليها العراق والشام فاشتمت جميع الكوفة والشام، وكان سقافاً سقافاً باتفاق جميع الأمراء، حين مات واستطاع سنة ٩٢ هـ/ ٧١٤ م.



بظفرك أخرج حتى أنظر إلام يصير أمرك فقال: جزاك الله خيراً فلا تدعي الدعاء. قالت: لا أدعه لك أبداً فمن قتل على باطل فقد قتل على حق ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل وذلك النحيب والظماً في هواجر مكة والمدينة، وبرّه بأبيه وببي اللهم قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين، فتناول يدها ليقبلها فقالت: هذا وداع فلا تبعد فقال لها: جئت مودعاً لأنني أرى هذا آخر أيامي من الدنيا.

قالت: امض على بصيرتك وأدن مني حتى أودعك، فدنا منها فعانقته وقبلته فوقعت يدها على الدرع فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريد؟ فقال: ما لبسته إلا لأشدّ متنك. قالت: إنه لا يشدّ متني، فنزعها ثم درج لمته وشدّ أسفل قميصه وجبته تحت أثناء السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمه تقول له: البس ثيابك مشمرة، فخرج وهو يقول مرتجزاً:  
إني إذا أعرف يومي أصبر وإنما يعرف يومه الحر  
إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعتة فقالت: تصبر إن شاء الله أبوك أبو بكر والزبير وأمك صفية ابنة عبد المطلب، ثم حمل على القوم وقاتل حتى قتل وصلب وطلبته أمه من الحجاج فأبى عليها إعطاءه، فكتبت لعبد الملك، فسمح لها بذلك فغسلته ودفنته، وبقيت بعده قليلاً وماتت بعدما أضرت وذلك في سنة ٧٣ هجرية.

ومن قولها في زوجها الزبير بن العوام حين قتله عمرو بن جرموز المجاشعي وهو منصرف من وقعة الجمل بوادي السباع.

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير معرّد  
يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشاً رعرش الجنان ولا اليد  
ثكلتك أمك إن قتلت المسلما حلت عليك عقوبة المتعمد

### [ أسماء ابنة سلمة ]

أسماء ابنة سلمة وقيل: سلام بن مخزومة بن جندل بن أبيير بن نهشل بن دارم التميمية الدارمية وهي أم الجلاس، قاله أبو عمر. وقال ابن منده وأبو نعيم: أسماء ابنة محزبة التميمية، وهي أم الجلاس، وأم عياش وعبد الله بن ربيعة<sup>(١)</sup>. روى عنها عبد الله بن عياش<sup>(٢)</sup>

(١) هو عبد الله بن ربيعة بن الحارث، روى عن الفضل بن العباس وروى عنه عمران. موسوعة رجال الكتب التسعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

(٢) هو عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة - رضي الله عنه - أبو الحارث، المخزومي، صحابي، أخرج له الشافعي في المسند، صحابي شهير ولد بأرض الحبشة إذ هاجر أبوه إليها وأمه أم سلمة بنت مخزومة بن =

والربيع بن معوز وذكر ابن منده وأبو نعيم حديث عبد الله بن الحارث<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال: دخل النبي ﷺ بعض بيوت أبي ربيعة إما لعيادة مريض أو لغير ذلك فقالت له أسماء التميمية - وكانت تكنى أم الجلاس وهي أم عياش بن أبي ربيعة -: يا رسول الله ألا توصني؟ قال: «أنتي إلى أختك بما تحبين أن تأتي إليك»<sup>(٢)</sup> ثم أتى بصبي من ولد عياش به مرض فجعل يرقى الصبي ويتفل عليه، وجعل الصبي يتفل على النبي ﷺ، وجعل بعض أهل البيت ينهى الصبي وقال أبو عمر - ذكر نسبها كما تقدم - وقال: «كانت من المهاجرات هاجرت مع زوجها عياش بن أبي ربيعة إلى أرض الحبشة وولدت له بها عبد الله بن عياش ثم هاجرت إلى المدينة وتكنى أم الجلاس روت عن النبي ﷺ. وروى عنها عبد الله بن عياش وجملة من التابعين وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب».

### [أسماء ابنة عميس]

أسماء ابنة عميس بن معبد بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أقبل وهو خثعم، وأمها هند ابنة عوف بن زهير بن الحارث الكنانية أسلمت أسماء قديماً وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب<sup>(٣)</sup> فولدت له بالحبشة عبد الله وعوناً ومحمداً، ثم هاجرت إلى المدينة، فلما قتل عنها جعفر بن أبي طالب تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمداً بن أبي بكر<sup>(٤)</sup> ثم مات عنها، فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى لا خلاف في ذلك.

- = جندل الدارمية. موسوعة رجال الكتب التسعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
- (١) هو عبد الله بن الحارث، صحابي من التابعين له رؤية للصحابة. موسوعة رجال الكتب التسعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
- (٢) أخرجه في المسانيد (٢: ٥٣١).
- (٣) هو جعفر بن أبي طالب المتوفى سنة ٨ هـ/٦٢٩ م، صحابي، ابن عم النبي ﷺ، مشهور في الحديث وهو حامل اللواء فلم يتركه حتى بترت يده. كناه النبي ﷺ بذي الجناحين.
- (٤) هو محمد بن عبد الله (أبو بكر الصديق) بن عثمان بن عامر التميمي القرشي، أمير مصر، وهو من الطبقة الأولى أبو بكر الصديق كان يدعى «عابد قريش» ولد بين المدينة ومكة في حجة الوداع، نشأ في المدينة في حجر علي بن أبي طالب - وكان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبيه - وشهد مع علي وقعة الجمل وصفين، وولاه علي إمارة مصر، بعد موت الأشتر، فدخلها سنة ٣٧ هـ. ولما اتفق علي ومعاوية على التحكيم فات علياً أن يشترط على معاوية ألا يقاتل أهل مصر، انصرف علي يريد العراق، وبعث معاوية عمرو بن العاص بجيش من أهل الشام إلى مصر فدخلها حرباً، بعد معارك شديدة، واختفى أبو بكر، فعرف معاوية بن خديج مكانه، فقبض عليه وقتله وأحرقه لمشاركته في مقتل عثمان بن عفان، وقيل: لم يحرق. دفنت جثته مع رأسه في مسجد يعرف بمسجد زمام خارج مدينة القسطنطينية.

وزعم ابن الكلبي<sup>(١)</sup> أن عون بن علي أمه أسماء بنت عميس ولم يقل ذلك غيره وأسماء أخت ميمونة ابنة الحارث<sup>(٢)</sup> زوجة النبي ﷺ وأخت أم الفضل امرأة العباس<sup>(٣)</sup> وأخت أخواتها لأهمهم وكنّ عشر أخوات لأم. وقيل: تسع أخوات. وقيل: إن أسماء تزوجها حمزة بن عبد المطلب فولدت له بنتاً، ثم تزوجها بعده شداد بن الهاد ثم جعفر وهذا ليس بشيء وإنما التي تزوجها حمزة سلمة ابنة عميس أخت أسماء وكانت أسماء ابنة عميس أكرم الناس أصهاراً فمن أصهارها النبي ﷺ وحمزة والعباس - رضي الله عنهما - وغيرهم.

روى عن أسماء عمر بن الخطاب وابن عباس، وابنها عبد الله بن جعفر، والقاسم بن محمد وعبد الله بن شداد بن الهاد وهو ابن أختها وعروة بن الزبير وابن المسيب وغيرهم. وقال لها عمر بن الخطاب: نعم القوم أنتم، لولا أنا سبقناكم إلى الهجرة. فذكر ذلك للنبي ﷺ قال: «لكم هجرتان إلى أرض الحبشة وإلى المدينة»<sup>(٤)</sup>. قال عبيد الله بن رفاعة الزرقني: إن أسماء ابنة عميس قالت لرسول الله ﷺ: إن ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقني لهم؟ قال: «نعم»<sup>(٥)</sup> وقد توفيت<sup>(٦)</sup> في خلافة علي رضي الله عنه.

### أسماء ابنة النعمان بن شراحيل<sup>(٧)</sup>

وقيل: أسماء ابنة النعمان بن الأسود بن الحارث بن شواحيل بن النعمان قاله أبو عمر. وقال ابن الكلبي: أسماء بنت النعمان بن الحارث بن شواحيل بن كندي بن الجون بن حجر

- (١) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، أبو النضر، نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، من أهل الكوفة مولده فيها ووفاته فيها سنة ١٤٦ هـ/٧٦٣ م.
- (٢) هي ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية، آخر امرأة تزوجها النبي ﷺ، وآخر من مات من زوجاته سنة ٥١ هـ/٦٧١ م. كان اسمها برة فسماها النبي ﷺ، ميمونة بايعت بمكة قبل الهجرة. عاشت ٨٠ سنة، وتوفيت في سرف وهو الموضع الذي تزوجها فيه النبي ﷺ قرب مكة، ودفنت به.
- (٣) هو العباس بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف، أبو الفضل، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجد الخلفاء العباسيين. قال رسول الله ﷺ في وصفه: أجود قريش كفاً وأوصلها، هذا بقية آبائي، وهو عمه. كان محسناً لقومه، شديد الرأي، واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد، كارهاً للرق، أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه، أقام في مكة يكتب لرسول الله ﷺ أخبار المشركين، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد وقعة حنين فكان ممن ثبت حين انهزم الناس. شهد فتح مكة. كان مولد سنة ٥١ ق. هـ/٥٧٣ م ووفاته في المدينة سنة ٣٢ هـ/٦٥٣ م.
- (٤) أخرجه في المسانيد (٢: ٦٧٣).
- (٥) أخرجه في المسانيد (٢: ٦٧٣).
- (٦) كانت وفاتها سنة ٤٠ هـ/٦٦١ م.
- (٧) توفيت في خلافة عثمان سنة ٣٠ هـ/٦٥٠ م.

أكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر الكندية، تزوجها رسول الله ﷺ فاستعادت منه ففارقها. وقال يونس عن أبي إسحاق: كان رسول الله ﷺ تزوج أسماء ابنة كعب الجونية فلم يدخل بها حتى طلقها. قال أبو عمر: أجمعوا على أن رسول الله ﷺ تزوجها، واختلفوا في سبب فراقه لها، فقال قتادة: تزوج رسول الله ﷺ من أهل اليمن أسماء بنت النعمان بن الجون فلما دخل عليها دعاها فقالت له: تعال أنت فطلقها، قال: وزعم بعضهم أنها قالت: أعوذ بالله منك، قال: قد عدت بمعاذ وقد أعاذك الله مني فطلقها.

وقيل: إنما التي قالت له كانت امرأة من بلعبر من سبي ذات الشقوق، كانت جميلة فخاف نساؤه أن تغلبهن على النبي ﷺ فقلن لها إنه يعجبه أن يقال: نعوذ بالله منك وذكر نحو ما تقدم في فراقها قال: وقال أبو عبيدة: كلتاها عاذتا بالله منه.

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: ونكح رسول الله ﷺ امرأة من كندة وهي الشقية، فسألت رسول الله ﷺ أن يردها إلى أهلها ففعل وردها مع أبي أسيد الساعدي وكانت تقول عن نفسها الشقية. وقيل: إن التي قال لها نساء النبي ﷺ: لتعوذ بالله منه هي الكندية ففارقها فتزوجها المهاجر بن أبي أمية المخزومي، ثم خلف عليها قيس بن مكشوح المرادي قار: وقال آخرون: إن التي تعوذت بالله منه امرأة من سبي بلعبر وذكر في قول أزواج النبي ﷺ نحو ما تقدم قال: وقال آخرون: وكان بها وضح<sup>(١)</sup> كالعامة ففارقها. وقيل: إنه قال لها: «هي لي نفسك»<sup>(٢)</sup>، قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة، فأهوى بيده إليها فاستعادت منه ففارقها.

قال أبو عمر: الاختلاف في الكندية كثير جداً منهم من يسميها: أسماء، ومنهم من يسميها: أميمة. واختلفوا في سبب فراقها على ما ذكرناه. والاختلاف فيها وفي صم حبات اللواتي لم يجتمع بهن عظيم.

### أسماء ابنة يزيد الأنصارية<sup>(٣)</sup>

من بني عبد الأشهل هي رسول النساء إلى النبي ﷺ روى عنها مسلم بن حبيد أنها أتت

- (١) وضح: بياض في الجلد لا من البرص. القاموس المحيط، مادة: وضح.
- (٢) أخرجه أحمد في المسند (٣: ٤٩٨) ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ٢٩٦).
- (٣) هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ثم الأشهبية، من أحطب نساء العرب، ومن أشجع الشجاعة والإقدام. كان يقال لها: خطيبة النساء، حضرت وقعة الجرموك سنة ١٣ هـ، وحرب بدر من الظماء وتضمّد جراح الجرحى، واشتدت المعرفة فأخذت عمود حيمتها وانعمت في الصدق، فصرعت به تسعة من الروم. وتوفيت بعد ذلك بثمان طویل، وذلك سنة ٣٠ هـ، ٦٥٠ م.

النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فأمننا بك وبإهلك وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقتضى شهواتكم، وحاملات أولادكم وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: «هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟» فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي ﷺ إليها فقال: «أفهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله»<sup>(١)</sup> فانصرفت وهي تهلل حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله ﷺ ففرحن وآمن جميعهن. وسميت المترجمة: «رسول نساء العرب إلى النبي ﷺ».

### إستير<sup>(٢)</sup> ابنة أبي حائل بن شمعي بن قيس ملكة الفرس

كانت أحسن نساء زمانها جمالاً وأبهاهن منظرًا وكمالاً، وأعذبهن منطقاً ومقالاً، تزوجت بالملك «أحشويروش»<sup>(٣)</sup> ملك الفرس الذي ملك من الهند إلى «كوش» على مائة وسبع وعشرين كورة، وكانت في ابتداء أمرها رباها رجل إسرائيلي يدعى «مردخاي»، وهو ابن عمها لأن أباه وأمهات توفيا فأخذها هو وجعلها ابنة لنفسه وكان في شوشن القصر الذي هو كرسي ملك «أحشويروش» لأنه سبي من أورشليم<sup>(٤)</sup> مع السبي الذي سبي مع «بكتيا» ملك بهوذا الذي سباه «نبوخذنصر»<sup>(٥)</sup> ملك بابل.

وسبب زواجها بالملك «أحشويروش» المذكور أنه جلس ذات يوم على كرسي ملكه الذي في شوشن القصر وعمل وليمة لجميع رؤسائه وعبيده وجيش فارس وأخذت هذه الوليمة مائة وثمانين يوماً وعند قضاء هذه الوليمة عمل لجميع الشعب الموجودين في شوشن القصر

- (١) أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٧: ٤٤). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ١٥٣).
- (٢) هي امرأة يهودية تزوجها أحشويرش فنالت منه العفو لابناء شعبها. وسفر إستير من كتب العهد القديم.
- (٣) هو أحشويرش الأول ملك فارسي أخميني ٤٨٦ - ٤٦٥ ق.م.
- (٤) أورشليم: وهي التسمية القديمة للقدس أو بيت المقدس.
- (٥) هو نبوخذ نصر أو نبوخذ نصر الثاني ملك بابل ٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م. خرب أورشليم وسبي اليهود سنة ٥٨٦ ق.م.

من الكبير إلى الصغير وليمة سبعة أيام، وفي اليوم السابع لما طاب قلبه أرسل إلى «وشتى» الملكة زوجته أن تأتي أمامه بتاج الملك ليرى الشعوب والرؤساء جمالها لأنها كانت حسنة المنظر فأبت أن تأتي حسب أمر الملك فاغتاظ جداً واشتعل غضبه، وقال لمن حوله من العارفين بالأزمة: ماذا يعمل بالملكة «وشتى» لأنها خالفت أوامري؟ فقال أحدهم: ليس إلى الملك وحده أساءت بل إساءتها عمّت جميع الرؤساء وجميع الشعوب الذين في كل بلدان الملك، وسوف يبلغ خبرها إلى جميع النساء حتى يحتقرن أزواجهن في أعينهن عندما يقال: إن الملك «أحشويروش» أمر أن يؤتى بالملكة «وشتى» إلى أمامه فلم تأت، فإن رأى الملك فليكتب أمراً من عنده أن لا تأتي «وشتى» أمامه مطلقاً، وليعط ملكها لمن هي أحسن منها فرأى الملك والرؤساء ذلك صواباً فأرسل كتباً إلى كل بلدانه يخبرهم بذلك.

وبعدما خمد غضب الملك «أحشويروش» قيل له: فليطلب الملك فتيات عذارى حسنات المنظر ويوكل وكلاء في كل بلاده ليجمعوهن بشوشن القصر ويعين عليهن خصياً، ويرتب لهن لوازمهن مما يحتجن إليه وبعد ذلك يختار منهن التي توافقه ويملكها مكان «وشتى» فرأى ذلك حسناً فأمر بجمع البنات حتى اجتمع عنده منهن شيء كثير فلما سمع «مردخاي» مربي «إستير» أمر الملك وقد اجتمعت فتيات كثيرات إلى شوشن القصر أخذ «إستير» إلى بيت الملك وسلمها إلى حارس النساء فلما نظرها الحارس استحسناها ونالت نعمة بين يديه فبادرها بأدهان عطره بها ونقلها إلى أحسن مكان في بيت النساء ولم تخبر «إستير» عن شعبها وجنسها لأن «مردخاي» أوصاها بذلك واستمرت «إستير» مقيمة إلى أن بلغت نوبتها للدخول إلى الملك بعد أن قامت اثني عشر شهراً لأنه هكذا كانت تكمل أيام تعطرهن ستة أشهر بزيت المر وستة أشهر بالطيب، فلما دخلت عليه ونظرها أحبها أكثر من جميع النساء ووجدت نعمة وإحساناً أمامه أحسن من جميع العذارى فوضع التاج على رأسها وملكها مكان «وشتى» وعمل وليمة عظيمة لجميع رؤسائه وعباده ودعاها وليمة «إستير» وأعطى عطايا حسب كرم الملوك.

وفي تلك الأيام بينما «مردخاي» جالساً في باب الملك إذ علم بفتيين من بين التحصيان في دار الملك أراد أن يغتالاه فعلم الأمر عند «مردخاي» فأخبر «إستير» وهي أخبرت الملك باسم «مردخاي» ففحص عن الأمر فوجده حقيقياً، فأمر بصلبهما فصلب كل منهما على خشبة وازداد اعتبار «مردخاي» في عيني الملك وقربه منه قريباً عظيماً، وبعد هذه الأمور قدم الملك «أحشويروش» وزيره «هامان»<sup>(١)</sup> وجعل كرسيه فوق جميع الرؤساء الذين معه فكان كل من يباب الملك يسجد لـ «هامان»، كما أوصى به الملك.

(١) هو هامان وزير أحشويروش الفارسي وعدو اليهود، كما ورد في سفر إستير

وأما «مردخاي» فلم يسجد له فقال عبيد الملك الذين ببابه لـ «مردخاي»: لماذا تتعدى أمر الملك ولم تسجد لـ «هامان» فقال: لا أسجد لغير الملك وإني أعلم ما لا تعلمون فأخبروا «هامان» بذلك وأعلموه بأنه يهودي، ولما رأى «هامان» ذلك امتلاً غضباً وأسرَّ في نفسه على إهلاك «مردخاي» وشعبه ولما أمكنته الفرصة قال للملك: إنه موجود شعب متشتت ومتفرق بين الشعوب في كل بلاد مملكتك وسنتهم مغايرة لجميع الشعوب وهم لا يعملون بسنن الملك فلا يليق بالملك تركهم فإذا رأى الملك فليكتب بأن يبادروا وأنا أزن عشرة آلاف وزن من الفضة تعطى للذين يعملون العمل من مالي الخاص، فلما سمع الملك كلامه نزع الخاتم من يده وأعطاه لـ «هامان» وقال له: الفضة قد أعطيت لك من الخزينة الملكية والشعب أيضاً تفعل به ما تريد، فاستدعى بالكتاب وكتب إلى جميع عمال البلاد يأمرهم بإبادة جميع اليهود من الطفل إلى الشيخ وأن يسلبوا أموالهم غنيمة وختم الكتب بختم الملك وسلمها إلى السعاة وخرجت بها ولما علم «مردخاي» كل ما عمل شق ثيابه ولبس مسحاً برماد<sup>(١)</sup> وخرج إلى وسط المدينة وصرخ صرخة عظيمة وجاء إلى باب الملك وكانت مناحة عظيمة عند اليهود وصياح وبكاء ونحيب.

فلما رأى جوارى «إستير» ذلك دخلن عليها وأخبرنها فاغتمت غماً شديداً وأرسلت ثياباً لـ «مردخاي» لأجل نزع مسحه عنه فلم يقبل فدعت «إستير» واحداً من خدامها وأمرته أن يذهب إلى «مردخاي» ويأتيها بالسبب فذهب الخادم إليه وأخبره «مردخاي» بكل ما أصابه وأعطاه صورة الكتب التي صدرت من الملك لجميع الجهات لكي يريها لـ «إستير» ويخبرها ويوصيها أن تدخل إلى الملك وتتضرع إليه وتطلب منه العفو عن شعبها فرجع الخادم إلى «إستير» وأخبرها بكلام «مردخاي» فأمرت الخادم بأن يرجع إليه ويعلمه بأن كل عبيد الملك وشعوب بلاده يعلمون أن كل شخص دخل إلى الملك بالدار الداخلية بدون إذن لم ينج من القتل إلا الذي يمد إليه الملك قضيب الذهب فيحيا فأخبره الخادم بذلك فقال له: أخبر «إستير» بأنك لا تفتكري في نفسك إنك تنجين في بيت الملك من دون اليهود، إنك إن سكت في هذا الوقت يكون الفرغ والنجاة لليهود من مكان آخر، وأما أنت وبيت أبيك فتبادون فقالت «إستير» للخادم: أخبر «مردخاي» بأن يجمع اليهود الموجودين في شوشن القصر ويصوموا من جهتي ولا يأكلوا ولا يشربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً، وأنا أيضاً أصوم كذلك وهكذا أدخل على الملك ولعل الله أن يمد إلي يد المساعدة.

(١) هو الكساء من شعر، أو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد، ويبدو أن من عادات اليهود نثر الرماد على ثيابهم عندما يصابون بكارثة.

فانصرف «مردخاي» وعمل على حسب ما أوصته به «إستير» وفي اليوم الثالث لبست «إستير» ثياباً ملكية ووقفت في دار بيت الملك الداخلية مقابل الملك وهو جالس على كرسي ملكه، فلما رأى «إستير» واقفة مدّ لها قضيب الذهب الذي بيده، فدنت ولمست رأس القضيب فقال لها الملك: ما لك «إستير» وما هي طلبتُك؟ إذا كانت نصف مملكتي تعطى لك؟ فقالت له: إذا رأى الملك فليأت ومعه «هامان» اليوم إلى الوليمة التي عملتها. فقال الملك: أسرعوا بـ «هامان» تنفيذاً لكلام «إستير»، فحضروا به وأتى الملك و«هامان» إلى الوليمة التي عملتها «إستير» فقال لها الملك عند شرب الخمر: ما هو سؤالك وما هي طلبتك فيعطى لك؟ فقالت: إن سؤالي أن يأتي الملك و«هامان» إلى الوليمة التي أعملها لهما غداً وهناك أطلب طلبتي، فخرج «هامان» في ذلك اليوم فرحاً.

وفي اليوم الثاني جاء الملك و«هامان» عند «إستير» فقال الملك لـ «إستير» ما هو سؤالك يا «إستير» وما هي طلبتك فأجابته: إن كنت قد وجدت نعمة في عين الملك فيعطي لي الملك طلبتي بالعفو عن شعبي لأنه قد صار يبعنا أنا وشعبي للهلاك والقتل، ولو كنت بعنا عبداً وإماء لكنت سكت مع أن العدو لا يعرض عن خسارة الملك.

فقال لـ «إستير»: من هو وأين هو الذي يتجاسر بقلبه على أن يعمل هكذا؟ قالت: هو رجل خصم وعدو هذا «هامان» الرديء الخبيث، فارتاع «هامان» أمام الملك والملكة فقام الملك بغیظه عن شرب الخمر إلى جنة القصر ووقف «هامان» لنفسه أمام «إستير» الملكة لأنه رأى أن الشر قد أعيد عليه من قبل الملك، ولما رجع الملك من جنة القصر إلى بيت شرب الخمر و«هامان» متواقع على السرير الذي كانت «إستير» عليه قال: وهل أيضاً يدخل عني الملكة معي في البيت وأمر بصلبه فصلبوه على خشبة ارتفاعها خمسون ذراعاً ثم سكن غضب الملك.

وفي ذلك اليوم أعطى الملك لـ «إستير» بيت «هامان» وأتى «مردخاي» أمام الملك لـ «إستير» أخبرته فنزع الملك خاتمه الذي أخذه من «هامان» وأعطاه لـ «مردخاي» وقامت «إستير» و«مردخاي» في بيت «هامان» ثم عادت «إستير» وسقطت عند جاني الملك ونصرت إليه أن يزيل شر «هامان» الذي دبره على اليهود، فأجاب طلبها، وقال لها: «مردخاي» أنتما ما يحسن في أعينكما باسم الملك واختماه بختمي لأن الكتابة التي كتبت أولاً لا بد فدعا كتاب الملك في ذلك الوقت وكتب حسبما أمر به «مردخاي» وختم عليه الملك وأرسل إلى كل الجهات وخرج «مردخاي» من أمام الملك بلباس ملكي وتاج من ذهب، كان اليهود يسمون اليهود يوم بهجة وفرح وصار عيداً يعيدون فيه وهو الثالث عشر من شهر آذار في كل سنة.



## إسكندره ملكة اليهود

وهي زوجة إسكندر ملك بهوذا، ملكت وحدها بعد وفاة زوجها وذلك في مدة قصر ابنها «هرقائوس الثاني» وقد ارتكب الفريسيون<sup>(١)</sup> في عهدنا مظالم كثيرة. وقد ذكرها ابن خلدون<sup>(٢)</sup> فقال: «وأوصى إسكندر امرأته الإسكندره قبل وفاته بكتمان موته حتى يفتح الحصن (وهو حصن كان خرج لحصاره ولم يذكر ابن خلدون اسمه) ويسير بشلوه إلى القدس فتدفنه فيه وتصانع الربانيين على ولدها (هو قانوس الثاني) فتملكه لأن العامة أميل إليه ففعلت ذلك واستدعت من كان نافرأ من الربانيين وجمعتهم وقدمتهم للمشورة، واستبدت بالملك وكان لها ابنان من الإسكندر اسم الأكبر منهما «هرقائوس» والآخر «أرستيلوس» وكانا صغيرين عند موت أبيهما فلما كبرا عينت «هرقائوس» للكهنوتية، وقدمت «أرستيلوس» على العساكر والحروب وضمت إليه الربانيين وأخذت الرهن من جميع الأمم وسألها الربانيون في الأخذ بثأرهم من القرابين وكانوا خلقاً كثيراً وجاء القرابيون إلى ابنها الكهنوت ينكرونه ذلك وإنه إذا فعل بهم ذلك وقد كانوا سيفاً لأبيه الإسكندر فقد تحدث النفرة من سائر الناس وسألوه أن يلتمس إذنها في الخروج عن القدس والبعد عن الربانيين فأذنت له رغبة في انقطاع الفتنة، وخرج معه وجوه العسكر ثم ماتت خلال ذلك لتسع سنين من دولتها ويقال: إن ظهور عيسى - صلوات الله عليه - كان في أيامها.

وفيما ذكره ابن خلدون في آخر هذه القصة: إن ظهور السيد المسيح كان في أيام الإسكندره مخالفة لم تتفق عليه المؤرخون المحققون. والصحيح أنها توفيت سنة ٧١ أو سنة ٧٠ قبل الميلاد.

## أسماء معشوقة جعد بن مهجع العذري

هي من بني كلب ولم أعثر لها على اسم إلا من قوله:  
لعمرك ما حبي لأسماء تاركي صحيحاً ولا أقضي به فأموت

- (١) الفريسيون: طائفة من اليهود قامت في عهد المكابيين للدفاع عن الشريعة وشفاء الإيمان، لكنهم تعلقوا بالحرف دون الروح، لا مهم المسيح بشدة على تزمهم فكانوا في طليعة مقاوميه.
- (٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية، مولده بتونس سنة ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٢ م ومنشأه بها، رحل إلى فاس، وغرناطة، وتلمسان، والأندلس وتولى أعمالاً كثيرة واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. توفي فجأة في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م. كان فصيحاً، جميل الصورة، عاقلاً، صادق اللهجة، طامحاً للمراتب العليا.

وكان سبب عشقه لها أن له أخوالاً من كلب حوّل ماله إليهم خشية التلف فأقام عندهم ثم خرج يوماً على فرس وقد صحب شراباً فاشتد الحر وظهرت له دوحه، فقصدتها ونزل تحتها، فما استقر حتى بان له شخص عليه درع أصفر وعمامة سوداء يطرد سخلة وأتاناً فقتلها وقصد الدوحه ونزل بها فحادثه فوجد في ألفاظه عذوبة لا تقدر وخلق عقله فدعاه إلى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه فتزحزح الدرع عن ثدي كحق العاج فقال: امرأة أنت؟ قالت: نعم، ولكن شديدة العفاف حسنة الأخلاق والمفاكهة. فعلقها من تلك الساعة وسألها الزيارة فذكرت أن لها إخوة شرسة وأباً كذلك ثم مضت ولازم الوساد سنة كاملة ثم شكى إلى أحد أصحابه، فأشار عليه أن يخطبها من أبيها ومضى معه حتى نزلا بالشيخ، فأحسن لهما فقال له: قد أتيتك خاطباً. قال: فوق الكفاءة. وزوجه بها، فبنى بها من ليلته، فلما كان الغد جاء صاحبه فقال: كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبك؟ قال: أبدت لي كثيراً مما أخفته عني قديماً وسألتها فأنشدت:

كتمت الهوى إني رأيتك جازعاً      فقلت فتى بعد الصديق يريد  
فإن تطرحني أو تقول فتية      يضير بها برح الهوى فتعود  
فوريت عمّا بي وفي الكبد والحشا      من الوجد برح فاعلمنّ شديد  
فبارك لهما وانصرف فكان ينشد:

يا رب كل غدوة وروحه      من محرم يشكو الضحى والرحه  
أنت حبيب الخصم يوم الروحه

### أسماء ابنة حصن

هي ابنة حصن بن حذيفة الفزارية قد استودعها عامر بن الطفيل<sup>(١)</sup> درعه في يوم الرقم<sup>(٢)</sup>

(١) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة، فارس قومه، وأحد أمّات العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كنيته أبو علي، ولد ونشأ بتجدد وولد أيام صدر الإسلام. ينادي: هل من راجل فنحمله؟ أو جانع فنطعمه؟ أو خائف فنؤممه؟ حينئذ يمد يده إلى الخشبة أدرك الإسلام شيخاً، فوفد على النبي ﷺ، وهو في المدينة بعد فتح مكة، يريد أن يبعده، فلم يحرف عليه، فدعاه إلى الإسلام، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله في أي الأمر من بعده، وذه، فعاد حنقاً، وسمعه أحدهم يقول:

لأملائها خيلاً جرداً ورجالاً      ولأربطن بكل نخلة فرساً

فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه. وكان أعور أصيبت عينه في إحدى وقائعه. ولد سنة ٧٠ ق. هـ/ ٥٥٤ م، وتوفي سنة ١١ هـ/ ٦٣٢ م.

(٢) يوم الرقم كان بين بني فزارة وبني عامر، وكانت المعركة لبني غطفان على بني عامر. الرقم: جبل دونه، مكة لديار غطفان.

فأدتها إليه بعد ذلك وذكرها في شعره الذي هجا فيه بني غطفان<sup>(١)</sup> إذ قال:

قد سألت أسماء وهي خفية بصحائها أطردت أم لم أطرد  
فلأبغينكم اتصاد عوارضا ولأقبلن الخيل لابة خرغد  
ولأبرزن بمالك وبمالك وأخي المروءات الذي لم يسند

وهي طويلة اقتصرنا على هذا المقدار. فأجابه نابغة بني ذبيان<sup>(٢)</sup> يلومه على تعريض عقائلهم في شعره فقال:

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطية الجهل الشباب  
فإنك سوف تحلم أو تباهي إذا ما شبت أو شاب الغراب  
فكن كأبيك أو كأبي براء توافقك الحكومة والصواب  
فلا تذهب بحلمك طامثات من الخيلاء ليس لهن باب

### أسماء ابنة رويم

كانت من النساء العاقلات الحكيمات الأدبيات الولودات وكانت تسمي أولادها بأسماء الوحوش الضارية. قيل: إنه مرَّ بها وائل بن ساقط فرآها منفردة في خباتها فهمَّ بها فقالت: والله لئن هممت بي لأدعون أسبعي. فقال: ما أرى سواك في الوادي فصاحت ببنيها: يا كلب، يا ذئب، يا فهد، يا دب، يا سرحان، يا سبع، يا ضبع، يا نمر. فجاءوا يتعادون بالسيوف فقال وائل: ما هذا إلا وادي السباع فلزم هذا الاسم ذلك الوادي وقالوا لها: ما شأنك؟ قالت: إنه نزل بنا [ضيفاً]<sup>(٣)</sup> فأحببت أن تكرموه فأكرموه إكراماً زائداً وانصرف وهو يتعجب من ذريتها ومن حضور بديتها لتحمل العذر الذي أبدته لأولادها.

(١) بنو غطفان: بطن من قيس غيلان من العدنانية، وهم بنو غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان. قال في العبر: هو بطن متسع كثير الشعوب والبطون. ومنازلهم مما يلي وادي القرى، وجبلي طي أجأ وسلمى، ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية واستولى على مواطنهم هناك قبائل طيء.

(٢) هو النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي، من الطبعة الأولى. من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء وتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى، وحسان، والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو بن العلاء يفضل على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. هو حظي عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجرّدة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام. وغاب زمناً، ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه، شعره كثير، وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمراً طويلاً توفي سنة ١٨ ق. هـ/ ٦٠٤ م.

(٣) وردت في الأصل: «ضيف»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

## أسماء ابنة محمد بن صصري

هي أخت قاضي القضاة نجم الدين بن صصري، كانت شيخة مسندة جليلة مباركة كثيرة البر سمعت العلماء وحدثت وحجت مراراً وكانت تتلو في المصحف وتفيد الفائدة التامة لمن يسمع منها ومما قيل فيها:

كذلك فلتكن أخت ابن صصري      تفوق على النساء صبيها وشيها  
طراز القوم أنشى مثل هذي      فلا التأنيث لاسم الشمس عيبا

## أسماء العامرية

كانت فصيحة ظريفة أديبة لطيفة عذبة المنطق سلسلة الألفاظ، لها أشعار رائقة ومعانيها شائقة وقصائد مطوّلة تمدح فيها خلفاء زمانها ونثر منسجم لطيف العبارة، فمن ذلك الرسالة التي أرسلتها إلى عبد المؤمن بن علي<sup>(١)</sup> التي نمت إليه بنسبها العامري وتساله رفع الضريبة عن دارها والاعتقال عن مالها وفي آخرها قصيدة أولها:

عرفنا النصر والفتح المبينا      لسيدنا أمير المؤمنيننا  
إذا كان الحديث عن المعالي      رأيت حديثكم فينا شجوننا  
ومنها:

رويتم علمه فعلمتموه      وصنتم عهده فغدا مصوننا

فلما اطلع على قصيدتها ومقالها أجاب طلبها في جميع ما سألته عنه.

(١) هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد الكومي، المعروف بعبد المؤمن الكومي، أمير المؤمنين، مؤسس دولة الموحدين المؤمنية في المغرب، وإفريقيا، وتونس سنة ١٠٩٤ م. وهي قبيلة من قبائل البربر ولد في تاجرت بالمغرب قرب تلمسان سنة ٤١٧ هـ - ١٠٩٤ م. يقول المستشرق الألماني «كونكو»: «تاجرت اسم بربري، والتاء باللغة البربرية علامة التاجرت العربية إلا أنهم يزيدون التاء في أول الكلمة وآخرها، ولذلك تكون تاجرت تأنيثاً غير صحيحاً نشأ فيها وطلب العلم، وأبوه صانع فخار حجج والتقى بابن تومرت فتصادقا، وبهم الأمل أن يولي تومرت ملك المغرب الأقصى، ولقب بالمهدي. فجعل لعبد المؤمن قيادة جيشه واحتضنه بشفقة، وتوفي المهدي اتفق أصحابه على خلافة عبد المؤمن، فتم له الأمر سنة ٥٢٤ هـ ثم بويع البيعة العامة بجامع تينملل ودعي أمير المؤمنين سنة ٥٢٦ هـ. وهبض للغزو والفتوح، وقاتل المشركين بني تاشفين فاستأصلهم، وقتل آخرهم إبراهيم بن تاشفين، ودخل مراكش سنة ٥٤١ هـ. كان عاقلاً حازماً شجاعاً موفقاً كثير البذل للأموال، شديد العقاب على الجرم الصغير، عظيم الأهمية لشؤون الدين، محباً للعلم والفتوح، ضرب الخراج على قبائل المغرب، وهو أول من فعل ذلك هناك له أسبغ، وأجرت عليه توفى في رباط سلا سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م. ونقل إلى تينملل فدفن فيها إلى جانب أبيه.

## آسية ابنة مزاحم امرأة فرعون

كانت من خيار النساء المعدودات، تزوجت بفرعون موسى ملك مصر ولم تلد منه مدة حياتها معه وكان بحبها مستهاماً ولكلامها مطيعاً.

وكان فرعون رأى مناماً قد هاله، فأحضر الكهنة والمفسرين من أرباب دولته، وقصَّ عليهم رؤياه فحذروه من مولود يولد في ذاك العام ويكون هو سبباً لخراب ملكه، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في ذاك العام من بني إسرائيل، وكان في دار فرعون بستان فيه نهر كبير فخرجت الجوارى إليه ذات يوم ليغتسلن فيه فوجدن تابوتاً فأخذنه وظنن أن فيه مالاً، فحملنه على حالته حتى أدخلنه إلى آسية، فلما فتحته رأت فيه غلاماً فألقى الله عليها محبة منه، فرحمته آسية وأحبته حباً شديداً، فلما بلغ الذباحين أن في دار الملك غلاماً استأذنه بأن يدخلوا داره ويذبحوا الغلام تنفيذاً لأمره، فأذن لهم بذلك، فأقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الغلام، فقالت آسية للذباحين: انصرفوا فإن هذا ليس من بني إسرائيل فإن أتى فرعون استوهبته منه، فإن وهبه لي كنتم أحسنتم وإن أمركم بذبحه فلا مانع من ذلك، ثم إنها أتت به إلى فرعون وقالت له: ليس لي ولا لك ولد فلا تقتلوا هذا عسى أن ينفعنا، فسمح به إليها أن تربيته، فلما آمنت آسية عليه سمته موسى وأحضرت المراضع فجعلت كلماً أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية عليه أن يمنع من اللبن فيموت فأمرت بإخراجه إلى السوق ترجو أن يصيب امرأة يرضعوه من ثديها إلى أن أتت أمه وأعطته ثديها فوضع منها، فانطلق البشير إلى آسية يبشرها بأنه وجد لابنها امرأة مرضعة فأمرت بإحضارها وقالت لها: امكثي عندي لترضعي ابني هذا فإنني لم أحب شيئاً مثل حبه قط، فقالت لها: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي ولا أولي له إلا خيراً فعلت وإلا فإنني غير تاركة بيتي، فأعطتها إياه فأخذته ورجعت إلى بيتها، فلما ترعرع قالت آسية لأم موسى: أحب أن تربي ابني، فوعدتها يوماً تربيها إياه فيه فقالت لخواصها وجواريتها: لا يبقى منكن أحد إلا استقبل ابني بهدية ومكرمة فإنني باعثة بأمانة تحصي ما تصنع كل قهرمانه منكن.

فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن خرج من بيت أمه إلى أن دخل على آسية، فلما دخل عليها أكرمه وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها: انطلقني به إلى فرعون ليكرمه، فلما دخل عليه أكرمه ووضع في حجره فتناول الغلام لحية فرعون حتى جذبها وبتف منها بعض شعيرات، فغضب غضباً شديداً وخاف منه وقال: هذا عدوي المطلوب، فأرسل الذباحين ليذبحوه، فبلغ ذلك آسية، فجاءت تسعى إلى فرعون وقالت له:

ما بدا لك في هذا الصبي الذي وهبته لي؟ فأخبرها بما فعل، فقالت له: إنما هو صبي لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وأنا أجعل فيه بيني وبينك أمراً نعرف به الحق وأضع له حلياً من الذهب والياقوت، وأضع له جمرأً فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وإن أخذ الجمر علمت أنه صبي، ثم وضعت له طشتاً فيه الياقوت وطشتاً آخر فيه الجمر فمد الغلام يده إلى الجواهر ليقبض عليه فزاغت عينه إلى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في فمه فجاءت على لسانه فأحرقته فقالت له آسية: ألا ترى إلى فعله وأنه صبي لا يعقل فكف عن قتله.

وكانت يوماً متطلعة من كوة في قصر فرعون إذ نظرت إلى الماشطة امرأة «حزقيل» تُعذب وتُقتل فيبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة «حزقيل» وما صنع بها فقالت آسية: الويل لك يا فرعون. فقال لها: لعلك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبك. فقالت: ما اعتراني جنون ولكني آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين، فدعا فرعون أمها وقال لها: إن ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة ثم إنه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله فخلت بها أمها وسألته موافقة فرعون فيما أراد فأبت وقالت: تريدن أن أكفر بالله؟ فلا والله ما أفعل ذلك أبداً، فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم ما زالت تُعذب حتى ماتت ولسانها لا يفتر عن ذكر الله وهي تقول: ﴿رَبِّ أَبْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ [التحریم: ١١]. رحمها الله رحمة واسعة.

## اعتماد<sup>(١)</sup> زوجة المعتمد بن عباد

هي أم أولاده وتشتهر بالرميكية، وسبب اتصالها بالمعتمد هو كما قيل: إن المعتمد

(١) هي اعتماد الرميكية، شاعرة أندلسية، كانت جارية لرميك بن حجاج فنسبت إليه. وُلدت إلى المعتمد بن عباد، فتزوجها وولد منها: عباد الملقب بالمأمون، وعبيد الله الملقب بالشيخ، وبريد الملقب بالراضي، والمؤتمن، وبثينة الشاعرة. وهي صاحبة «يوم الطين»، وقد رأت بعض نساء الأندلس بإشبيلية يبعن اللبن في القرب وهن ماشيات في الطين، فاشتبهت أن تفعل فعلهن، فأمر المعتمد بن عباد بالمسك والكافور وماء الورد، وصيرها جميعاً طيناً في قصره وجعل لها قبة، وحملها من يريسم. فخاضت هي وبناتها وجواربها في ذلك الطين. أغار يوسف بن تاشفين على إشبيلية فأمر المعتمد بالرميكية وأرسلها إلى أغمات من مراکش، معتقلاً بعد أن قتل ولديها المأمون والراضي، وماتت الرميكية في أغمات سنة ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م. قبل المعتمد بأيام.

(٢) هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، أبو القاسم، المعتمد على الله، صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما، وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمور. ولد في باجة بالأندلس سنة ٤٣١ هـ/١٠٤٠ م. ولي بعد وفاة أبيه سنة ٤٦١ هـ، وامتلك قرطبة وكثيراً من المملكة الأندلسية واتسع سلطانه إلى أن وصل مدينة مرسية، وأصبح محط الرحال يقصده الشعراء والعلماء والأمراء وما اجتمع في باب أحد من ملوك عصره ما اجتمع في باب من أعيان الأدب. وكان فصيحاً شاعراً.

ركب في النهر ومعه ابن عمار<sup>(١)</sup> وزيه وقد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لوزيره: أجز (صنع الريح من الماء زرد). فأطال الوزير الفكرة فقالت امرأة من الموجودات على ضفة النهر: أي درع لقتال لو جمد. فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ونظر إليها فإذا هي غاية في الحسن والجمال فأعجبته فسألها: أذات بعل أنت؟ قالت: لا، فتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء.

ولما قال الوزير ابن عمار قصيدته اللامية الشهيرة في المعتمد والرميكية أغرت المعتمد به حتى قتله والقصيدة أولها:

ألا حيّ بالغرب حياً حلالاً      أناخوا جمالاً وحازوا جمالا  
وعرس بيومين أم القرى      ونم فعسى أن تراها خيالا  
ويومين في قرية بإشبيلة<sup>(٢)</sup> كانت منها أولية بني عباد ومنها:  
تخيرتها من بنات الهجان      رميكية ما تسوى عقالا  
فجاءت بكل قصير العذار      لثيماً يجارين عمأ وخالا  
قصار القدود ولكنهم      أقاموا عليها قروناً طوالا  
أتذكر أيامنا بالصبا      وأنت إذا لحت كنت الهلالا  
أعانق منك القضيبي الرطيب      وأرشف من فيك ماء زلالا  
وأقنع منك بدون الحرام      فتقسم جهداً أن لا حاللا  
سأهتك عرضك شيئاً فشيئاً      وأكشف سترك حالاً فحاللا  
فيا عامر الخيل يا زيدها      منعت القرى وأبحت العياللا  
ومنها: ولما خلع المعتمد وسجن بأغمات<sup>(٣)</sup> قالت له:

وكاتباً مترسلاً، بديع التوقيع. ولم يزل في صفاء ودعة إلى سنة ٤٧٨ هـ وفيها استولى الروم بقيادة ملكهم الأذفونش (ألفونس السادس) على طليطلة. هاجم يوسف بن تاشفين المعتمد وأسر زوجته وأرسلهما معتقلين إلى أغمات فمات في السجن سنة ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م.

(١) هو ابن عمار، أبو بكر، ١٠٣١ م - ١٠٨٤ م، شاعر أندلسي معاصر لابن زيدون. استوزره المعتمد بن عباد، ثم قتله.

(٢) إشبيلية: مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم مدينة أعظم منها. وبها قاعدة ملك الأندلس وسريه، وبها كان بنو عباد. وهي قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف. معجم البلدان، ج ١/ص ٢٣٢.

(٣) أغمات: ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير، ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط. أهلها فرقتان يقال لإحداهما الموسوية من أصحاب ابن ورضند، والغالب عليهم جفاء الطبع وعدم الرقة، والفرقة الأخرى مالكية حشوية، وبينهما القتال دائم، وكل فرقة تصلي في الجامع منفردة بعد صلاة الأخرى. معجم البلدان، ج ١/ص ٢٦٦.

فقال:

يـا سـيـدي      لـقـد هـنـا هـنـا  
قـالـت لـقـد هـنـا هـنـا      مـولـاي أـيـن جـا هـنـا  
قـلـت لـهـا إـلـا هـنـا      صـيـرـنـا إـلـى هـنـا

### أغسطينا عذراء سرقسطه

عذراء توفيت في «كوتا» من إسبانيا في شهر حزيران سنة ١٨٥٧ [م] بعد أن طعنت في السن كانت في صباحها تبيع مشروبات في «سرقسطه»<sup>(١)</sup>، فلما حاصر الفرنسيون المدينة المذكورة سنة ١٨٠٨ [م] وسنة ١٨٠٩ [م] اشتركت في المدافعة واشتهرت بما بدا منها من الشجاعة ولقبت بـ «لرتيلبارا» ومعناه طوبجيه لأنها نزعفت فتيلة من لبرطوبجي كان في حالة النزاع وأطلقت المدفع على المحاصرين، ومكافأة لها على خدمتها في وقت الحصار وجهت إليها قيادة فرقة من العساكر الإسبانية مع عدة نياشين، واستمرت في القتال حتى حازت النصر مراراً بفرقتها على الفرنسيين.

### أفروسييني القديسة

ولدت بالإسكندرية<sup>(٢)</sup> لنحو سنة ٤١٣ للميلاد وكان أبوها من الأغنياء وتربت هي على العبادة والتقوى ونذرت نفسها للبتولية وأنها لا تقبل زواجا لها أياً كان، فلما بلغت مبلغ السبعين أراد أبوها أن يزوجهما بأحد أقربائها، فلما أيقنت ذلك لبست ثوب رجل وفرت من بيت أبيها ولجأت إلى أحد النسك، ثم مضت إلى أحد الأديرة وسمت نفسها «زمرد» فقبلها الراهبان ولم يعرفوا أمرها، فأخذ أبوها يبحث عنها حتى جاء الدير وأخبر الرئيس بالخبر وهي حاضرة تسمع بدون أن يعرفها أبوها ولا الرئيس، فكانت تخاف أن تعرف، وعلى الخصوص أن أباه تزداد كثيراً إلى ذلك الدير وكان يشكو للرئيس أمره، واستمرت على هذه الحالة ١٨ سنة، وقيل ٣٠ سنة وهي ملازمة للصلاة والصوم والتقشفات والعبادة الحرة حتى ماتت بعد ذلك

(١) سرقسطة (Zaragoza): مدينة إسبانية على نهر غربي إسبانيا، كانت عاصمة مملكة أراغون من سنة ١١٢٠ م.

عواصم الأندلس عاصمة بني نجيب وبني هود من ملوك الطوائف عاصمة مملكة أراغون من سنة ١١٢٠ م.

(٢) الإسكندرية: مدينة مصرية على المتوسط غربي فرع رشيد فوق شريط ضيق يفصل بحيرة ماريوط عن

المتوسط، أهم مرفأ في مصر تربطها بالقاهرة مواصلات حديثة وبنية تحتية متطورة.

٣٣٢ ق. م، فقدت عاصمة البطالسة ومراداً للثقافة العالمية. اشتهرت بمدارسها اللاهوتية والفلسفية

ومكتبتها الغنية في القرنين الثاني والثالث من أواخر عهدها أواخر القرنين الثاني والثالث من أواخر عهدها



أجلها قد اقترب فدعت والدها وكشفت له أمرها وتوسلت إليه أن يفرح بذلك، ثم توفيت.

### أفروسيني إمبراطورة الشرق

هي امرأة «ألكسيس الثالث»<sup>(١)</sup> الملقب «أنجلوس» (أي الملاك) ودبرت على وضعه على تخت الملك عوضاً عن أخيه إسحاق «أنجلوس» سنة ١١٩٥ م، غير أنها هي التي ملكت بالحقيقة وكانت موصوفة بجودة العقل والشجاعة والفصاحة غير أنها كانت متكبرة وسيرتها غير مرضية فعلم بذلك «ألكسيس» سنة ١١٧٨ م وخشي حدوث فتنة شديدة فطردت «أفروسيني» من البلاط وحبست في دير. سنة ١١٨٤ م استدعاها الإمبراطور إلى البلاط غير أنها لم تهناً بالملك ثانية من جراء ثورة «ألكسيس» الملقب بالشباب وهو ابن أخي «ألكسيس» الإمبراطور فإنه ثار على الإمبراطور بعد خذلانه في حرب البلغاريين واستنجد الجيوش الصليبية فأتت لمساعدته، ولما استولى الفرنسيون في الحرب الصليبية الخامسة على القسطنطينية هربت «أفروسيني» وطافت مدة مع زوجها في آسيا ثم قبض على زوجها وحبس فبقيت منفردة من سنة ١٢١٠ م إلى أن توفيت سنة ١٢١٥ م.

### أفدوكسيا<sup>(٢)</sup> زوجة الإمبراطور أركاريوس

«أثليا» ابنة الكونت «بوثون» الفرنجي، قائد «بتودسيوس الكبير»<sup>(٣)</sup> زوجها «أطروبيوس» الخرجي بالإمبراطور «أركاديوس»<sup>(٤)</sup> وباسم «أركاديوس» ملك كلاهما، ولما سقط «أطروبيوس» من الملك حكمت «أفدوكسيا» بالقسط بين الناس ولم تقبل رشوة ألبتة كعادة ملوك ذلك الزمان، ولما نفت القديس «يوحنا فم الذهب» سنة ٤٠٣ م لأنه وعظ عن زينة النساء وأبطل زهوهن وشعب عليها الشعب فاستدعته بعد أشهر ثم نفته سنة ٤٠٤ م لأنه وبخ الشعب بقوة على ما حدث من الأمور [غير]<sup>(٥)</sup> اللائقة عند نصب تمثال «أفدوكسيا» ثم توفيت «أفدوكسيا» وكانت قد ولدت لـ «أركاديوس» «تيورسيوس الثاني».

(١) ألكسيس الثالث: إمبراطور (١٢٠٤ م) قتله الصليبيون واحتلوا بيزنطة.

(٢) أفدوكسيا: أو أفدوكية (Eudoxia): توفيت ٤٠٤ م وهي إمبراطورة بيزنطية زوجة أركاريوس أو أركاديوس اشتهرت بتسلطها. قاومها القديس يوحنا فم الذهب فنفته.

(٣) بتودسيوس: أو ثيودوسيوس هو أول إمبراطور بيزنطي.

(٤) أركاريوس: أو أركاديوس (Arcadius) ابن ثيودوسيوس أول إمبراطور بيزنطي ٣٩٥ - ٤٠٨ م.

(٥) وردت في الأصل: «الغير»، ولعل الصحيح ما أثبتناه وذلك لأن «غير» عندما تضاف لا يجب أن ترتبط بال التعريف. المعجم الميسر في القواعد والبلاغة والإنشاء والعروض، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

## أفدوكسيا<sup>(١)</sup> ابنة الفيلسوف ليونكيوس اليوناني

امرأة «تيودوسيوس الثاني»<sup>(٢)</sup> كان اسمها قبل أن تعمدت وتزوجت «أثيناس» وكان أبوها قد علمها العلوم الفلسفية والمعارف والآداب وكانت فوق ذلك بديعة الجمال ولما رآها أبوها في درجة عالية من حسن العقل والجد حرمها من ميراثه لعلمها بكفائتها في تحصيل أكثر مما يلزمها فتوجهت إلى القسطنطينية تطلب حقها من الإمبراطور «بلكيريوس» فعجب من علمها وحسن تصرفها وزوجها بأخيه «تيودوسيوس» سنة ٤٢١ م فلم تهمل العلوم واشتهرت بها ونشطتها فازدحمت على بابها أقدام العلماء وأحبها واحد منهم يقال له: «يولنبوس» فقتله «تيودوسيوس» غيرة إذ رأى كثرة اتصاله بها وأسقط منزلة «أفدوكسيا» فطلبت الرحيل إلى بيت المقدس، فأذن لها وأتبعها الملك بالرقباء، وأمر والي أورشليم بقتل «خوري» و«شماس» كانا يترددان إليها فغضبت «أفدوكسيا» وقتلت الوالي فنزع عنها الملك كل شرف واستحقاق ملكي. وكانت «أفدوكسيا» قد تبعت رأي «أوطنجا»<sup>(٣)</sup> غير أنها ارتدت بإرشادات القديس «أفتموس»<sup>(٤)</sup>.

وتوفيت بأورشليم سنة ٤٦٠ م] بعد أن برأت نفسها بالإقسام من التهم التي اتهمها بها الإمبراطور، وكانت قد أسست أديرة وكنائس وألفت عدة تأليف وكتب سيرة حياتها «فليفور» المؤرخ الشهير.

## أفدوكسيا أنفثا زوجة فالنتيانوس

كانت «أفدوكسيا» امرأة «تيودوسيوس» وتلقب بالفتاة، ولدت في القسطنطينية [سنة] ٤٢٢ م]، ولما قتل زوجها كان شخص يدعى «مكسيموس» شريكاً في قتله وهي لم تعلم ذلك فتزوجته وزوجت ابنتها بابنه لكنها لما علمت الأمر من نفس «مكسيموس» استدعت

- (١) أفدوكسيا: أو أفدوكية (Eudoxia) توفيت ٤٦٠ م هي إمبراطورة بيزنطية زوجة تيودوسيوس الثاني أسهمت في انتشار الهلنستية في إمبراطورية الشرق.
- (٢) تيودوسيوس: أو تيودوسيوس الثاني إمبراطور بيزنطي ٤٠٨ م - ٤٥٠ م ابن أندريوس، خلفه، تزوجته أفدوكية وبأخته، فمال إلى رأي نسطور ودعا إلى عقد مؤتمر أفسس، حيث خذل أسس جامعة القسطنطينية ٤٢٥ م وأمر بجمع القانون الشهودسي.
- (٣) أوطنجا: أو أوطيخا الذي توفي حوالي سنة ٤٥٤ م، هو راهب بيزنطي قال بوحدة الطبيعة أي المونوفيزية فحرمه المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ م.
- (٤) أفتموس: أو أفتمس الكبير ٣٧٧ م - ٤٧٣ م. هو قديس ولد في ملطية، ينسك في فلسطين، أسس عدة أديرة قاوم المونوفيزية.

إلى إيطاليا «جنسريك» ملك القندالة فاكتمسح رومية وأبقى «أفدوكسيا» عنده سبع سنين ثم رجعت إلى القسطنطينية سنة ٤٦٢ [م]، وأكملت حياتها بالرياضات والعبادة.

### أفدوكسيا زوجة الإمبراطور قسطنطين دوкас<sup>(١)</sup>

دعت لنفسها بالملك بعد وفاة زوجها سنة ١٠٦٧ [م] لتثبت لأولادها حق الملك وأراد بعض كبراء الدولة أن يخلعها من السلطنة فحكمت بقتله غير أنها لما رآته خلب لبها بجماله غضت عنه وجعلته قائد جيوش المشرق، ثم تزوجته سنة ١٠٦٨ [م] بعد أن احتالت على البطريك «كسيفينوس»<sup>(٢)</sup> وأخذت منه صكاً كانت قد تعهدت فيه لزوجها الأول إنها لا تتزوج بعد موته طول حياتها ولما تولى الإمبراطورية ابنها «ميخائيل»<sup>(٣)</sup> بعد ثلاث سنين من زواجها حبسها في دير، وكانت «أفدوكسيا» قد تزلعت من العلوم وألفت تأليف معتبرة منها تأليف في نسب المعبودات والأبطال من رجال ونساء وهو كتاب لطيف جداً وكتاب في تعليم النساء، وكتاب في شغل الأميرات، وكتاب في عيشة الرهبانية إلى غير ذلك من الكتب العلمية والتاريخية التي خلدت لها ذكراً في بطون الأوراق.

### أفدوكسيا لابوشين إمبراطورة روسيا

هي أول امرأة لبطرس الأكبر<sup>(٤)</sup> وأم «ألكسيس»<sup>(٥)</sup> - المنكود الحظ - اتهمها زوجها بمواصلة رجل من الأشراف اسمه «كلبو» وهجرها ثم نفاها إلى دير بالقرب من بحيرة «لادوغا»<sup>(٦)</sup>، وأما «كلبو» فحكّم عليه بالموت تحت العذاب الشديد ومع ذلك لم ينطق إلا

- (١) دوкас: أسرة بيزنطية من الأباطرة منها: قسطنطين العاشر - وهو المقصود هنا - وميخائيل السابع، وألكسيس الخامس.
- (٢) كسيفينوس: أو يوحنا كسيفيلين (Xiphilin)، هو بطريك القسطنطينية ١٠٦٤ م - ١٠٧٥ م، من فقهاء زمانه.
- (٣) ميخائيل: ينحدر من أسرة دوкас البيزنطية وهي من أسر الأباطرة منها: قسطنطين العاشر، وميخائيل السابع - وهو المقصود هنا - وألكسيس الخامس.
- (٤) بطرس الأكبر: أو بطرس الأول الأكبر ١٦٧٢ - ١٧٢٥ م، هو قيصر روسيا ١٦٨٢ م، وخذ السلطة ونظم الإدارة والجيش، وسع حدود بلاده، وفرض سيادة الدولة. زار بلاد أوروبا. أسس بطرسبرج سنة ١٧٠٣ م، وجعلها عاصمة، شجع العلوم، فرض نظام السيندوس. من أكبر قياصرة روسيا وأعظمهم خلفته زوجته كاترين الأولى.
- (٥) ألكسيس: هو ألكسيس ميخائيلوفيتش (Alxis Mikhailovitch)، ابن بطرس الأكبر من أفدوكسيا لابوشين.
- (٦) لادوغا (Ladoga): بحيرة روسية شرقي بطرسبرج تشكل امتداداً لخليج فنلندا، فيها جزر عديدة، =

ببراءة «أفدوكسيا» ثم استرجع الإمبراطور امرأته وماتت بعد ذلك بقليل.

### أكتافيا شقيقة الإمبراطور أوغسطس<sup>(١)</sup>

زوجة «مرقس أنطونيوس» توفيت سنة ١١ قبل الميلاد، تزوجت أولاً بـ «كلورايوس مرشلوس» وكان «يوليوس قيصر»<sup>(٢)</sup> يرغب في فصلها عنه ليزوجها بـ «بمباي»<sup>(٣)</sup> إلا أن «بمباي» أبى ذلك فبقيت مع زوجها، ولما توفي سنة ٤١ قبل الميلاد تزوجها «مرقس أنطونيوس» فتمكّن بذلك الاتحاد بينه وبين «أكتافوس» وصحبت زوجها الجديد في حروبه بالشرق وبواسطتها زال ما كان بينه وبين أخيها من الخلاف سنة ٣٧ قبل الميلاد.

ثم سار «مرقس أنطونيوس» لمحاربة البرثيين فشغف بحب «كليوباتره» ولما أتت «أكتافيا» إلى بلاد الشرق سنة ٣٥ قبل الميلاد بنجدات ومهمات ونقود لزوجها قبل ما أتته به ولكنه أبى مقابلتها، فرجعت إلى إيطاليا ولم ترغب قط في مقابلة زوجها، بل أقامت في بيته وكانت تربي أولاده إلا أن أخاها «أوغسطس» ساءه ذلك وعزم على الأخذ بالشار، فشهّر الحرب على «أنطونيوس» وكسره في موقعة «أكتيوم»<sup>(٤)</sup> المشهورة غير أن «مرقس» بعث إلى «أكتافيا» بكتاب الطلاق سنة ٣٢ قبل الميلاد فانتقلت إلى بيت أخيها «أوغسطس» وبعد وفاة زوجها المذكور جعلت أولاده من «فولقيا» و«كليوباتره» مع أولادها فكانت تربيهم تربية واحدة من دون فرق بينهم وكان لها خمسة أولاد ثلاثة من «مرشلوس»، وابتنان من «مرقس أنطونيوس» اسم كل منهما «أنطونيا»، إحداهما تزوجت بـ «دوميتيوس أنهينو بريوس»

- = تصب فيها بحيرات: أونيفيا، وإيلمن، وسايما، فيها ملاحا ناشطة تطف الحطب والسكر والحب والفولغا.
- (١) أوغسطس: (٦٣ ق.م - ٤١ م) ابن قيصر بالتيبي اشترك في حكم المثلث الذي ضم مصر وليبيدس انفراد بالحكم وأسس النظام الإمبراطوري بعد القضاء في أسبوس سنة ٣١ ق.م وشجع الأدباء. في أيامه ولد المسيح.
- (٢) يوليوس قيصر (Caesar): من كبار رجال الدولة والقواد في روما، بعد أن قاد المثلث الأول بومبيوس وكريستوس ٦٠ ق.م. انتخب مقصلاً سنة ٥٩ ق.م. وبعث إلى مصر سنة ٥٨ ق.م. وعاد إلى روما ففرض حكمه القاد عليها مما جعله يأنف من الحكم في روما، وبعد معركة فارسال سنة ٤٨ ق.م. عشق كلوماكلا ملكة مصر، وبعث إلى مصر ففرض حكمه الرومانية. تأمرت عليه الطبقة الأرستقراطية في مجلس شيوخ ومجلس الشعب في روما.
- (٣) بمباي: أو بومبيوس (Pompeus) سنة ١٠٦ ق.م - ٤٨ ق.م. قائد جيوش روما، وقاتل مع قيصر وكراسيس. فتح سوريا وجعلها إقليداً، ومباي سنة ٦٤ ق.م.
- (٤) أكتيوم (Actium): مدينة قديمة في اليونان اشتهرت بمعركة بحرية انتصر فيها أوغسطس على أنطونيوس سنة ١٣ ق.م.

الذين جلسوا على تخت الإمبراطورية الرومانية وماتت «أكتافيا» حزناً على ابنها «مرشلوس» الذي ولد لها من زوجها الأول فإنه توفي في عنفوان شبابه بعد أن كان «أوغسطوس» قد زوجه ابنته «جوليا» وعيَّنه وارثاً له في الإمبراطورية.

وكانت «أكتافيا» على جانب عظيم من التهذيب وحسن الأخلاق، وجودة العقل، وسعة المعارف. وقد أجمع أهل زمانها على أنها كانت أجمل من «كليوباتره».

### أكتافيا ابنة الإمبراطور كلوريوس

من زوجته «مسالينا» خطبها «لوسيوس سيلاتوس» حفيد «أوغسطوس» إلا أن أمها أبطلت تلك الخطبة وزوجتها بابنها «نيرون»<sup>(١)</sup> من زوجها «دوميتيوس أهينو بريوس» فطلقها لما جلس على تخت الملك مدعياً أنها عاقر، وتزوج بـ «بوبيا» وبعد ذلك نفاها إلى «أكميانيا» لأن «بوبيا» اتهمتها بعشق عبد مصري شاب اسمه «أوساروس» كان يحسن الغناء بالمزمار فاضطرب لذلك، وساء لهم هذا الظلم جداً، فاضطر إلى أن يطفى غيظهم «نيرون» فاستدعى «أكتافيا» إلى رومية فقابلها الشعب بإكرام وسرور لا مزيد عليهما، وكسروا تمثال «بوبيا» فعزمت هذه على الانتقام وحرمت «نيرون» بتدميرها لذيد المنام فأمر «أنبسيث» قاتل أمه أن يصرِّح أنه ضاجع «أكتافيا» فنفاها إلى جزيرة «بنداثاريا»، وهناك قُطعت عروقها لقتلها بنزف دمها فمنعت الرعية جريان الدم فخنقت ببخار حمام حار، وأرسل رأسها إلى «بوبيا» سنة ٦٢ للميلاد وكان لها من العمر حينئذٍ ٢٠ سنة فقط.

### أليصابات زوجة زكريا<sup>(٢)</sup>

هي أم القديس «يوحنا المعمدان»<sup>(٣)</sup> وقد ولدته في شيخوختها بعد أن كانت عاقراً وكان أبوها من نسل «هارون»<sup>(٤)</sup> وأمها من سبط «يهودا»<sup>(٥)</sup>، ولذلك كانت من ذوات قرابة السيدة

(١) نيرون (Nero): إمبراطور روماني ولد ٣٧ م حكم من سنة ٥٤ م - ٦٨ م. هو ابن كلوديوس بالتبني. اتبع في البدء نصائح معلمه الفيلسوف سينيكا، ثم طغا. قتل أغريبينا أمه، وأوكتافيا امرأته. اضطهد المسيحيين واتهمهم بإحراق روما. اشتهر بفظائعه. انتحر سنة ٦٨ م.

(٢) زكريا: كاهن هيكل أورشليم.

(٣) يوحنا المعمدان: من أنساب يسوع المسيح، عاش في برية اليهودية، ثم ظهر على شاطئ الأردن يعمد بالماء ويبشر بمجيء المسيح. قطع هيردوس رأسه بتحريض هيرودية زوجته نحو سنة ٣١ م.

(٤) هارون: أخو موسى وأول أحبار بني إسرائيل.

(٥) يهودا: أو تداوس الرسول أحد أنساب يسوع المسيح، ومن تلاميذه الاثني عشر.

مريم العذراء<sup>(١)</sup>، وقد زارتها السيدة المذكورة في حبرون (الخليل)<sup>(٢)</sup> في أيام حملها، وذهب القديس «بطرس الإسكندري» إلى أنها تركت تلك المدينة عندما قتل «هيرودس»<sup>(٣)</sup> الأطفال والتجأت مع ولدها إلى كهف في جبال «بهوذا» فماتت هناك بعد أربعين يوماً من دخولها الكهف المذكور، وتركت القديس «يوحنا» وحده من دون معين فأقام على هذا الحال مدة طويلة. وقد أظن المؤرخون في تعداد فضائلها ووصف تقواها.

### أليصابات ابنة هنري الثامن، ملكة إنكلترا

ولدت لـ «هنري»<sup>(٤)</sup> من زوجته «حنة بولين» وآخر من ملك من بيت «تودور» ولدت سنة ١٥٣٣ [م]، وتوفيت سنة ١٦٠٣ [م]. جعلت ودية للعهد حال ولادتها وذلك بموجب قرار صدر من المجلس العالي، وبه حرمت أختها «ماري» ابنة «كاترينا» الأراغونية من الملك مع أنها كانت أكبر منها بسبع عشرة سنة.

وفي السنة الثالثة من عمرها حدث ما أفضى إلى قتل أمها فصرح بأنها ابنة غير شعية وتبدل ما كان لها من الاعتبار بالاحتقار، وتعلمت «أليصابات» اللغات اللاتينية والفرنساوية والإيطالية، والإسبانية، والفلمنكية وترجمت مؤلفاً من اللغة الإيطالية إلى الإنكليزية وجعلته مقدمة لرايتها غير أنها كانت تفضل التاريخ على ما سواه من العلوم، وشاركت أخيها في الدروس التي ألقاها عليه رجل من أوفر أهل إنكلترا علماً وأوسعهم معرفة.

ولما توفي «هنري الثامن» في سنة ١٥٤٧ [م] أوصى بالملك من بعده لابنته «ماري» ولـ «أليصابات» من بعدها، وعيّن لـ «أليصابات» مرتباً وافراً، وكان الناس حينئذ يحسبون أنها مناظرة لأختها «ماري» ورئيسة للحزب البروتستانتي، كما كانت «ماري» رئيسة للحزب الكاثوليكي.

- (١) مريم العذراء: القديسة العذراء، أم يسوع، ابنة يواكيم وحنة من سبط يهوذا من آل داود. ولدت في الناصرة حيث ظهر لها الملاك جبرائيل وبشّرها بالحبل.
- (١) حبرون: أو الخليل وهي مدينة في فلسطين بالضفة الغربية. فيها قبر النبي إبراهيم وحبرون هي تسميتها القديمة.
- (٣) هيرودس: اسم أربعة من ملوك اليهود، والمقصود هنا هو هيرودس الأول الحبيب ٧٢ - ٤ ق. م. ولد في عسقلان. ملك اليهودية من ٤٠ - ٤ ق. م. جعل هيرودس أو «هيرودس» هيرودس السامرة. اشتهر بجمعه للعمرة. أمر بذبح أطفال بيت لحم.
- (٤) هنري الثامن: ملك من ملوك بريطانيا ملك عام ١٥٠٩ م. ولد سنة ١٤٩١ م. وتوفي سنة ١٥٤٦ م. انتصر على الفرنسيين سنة ١٥١٣ م. انفصل عن الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٥٣٥ م. تزوج من «كاترينا» من بينهن كاترينا الأراغونية، وأن بولين.

وسنة ١٥٥٤ [م] تزوجت «ماري» بـ «فيليب الثاني»<sup>(١)</sup>، ملك إسبانيا، وأمست تؤمل أن ترزق منه ولداً يرث الملك من بعدها وكان «فيليب» يعامل «أليصابات» باللطف، ويظهر لها الوداد، وتمكنت الصداقة والمحبة بين الأختين في الأشهر الأخيرة من حياة «ماري»، ولما توفيت ماري سنة ١٥٥٨ [م] خلفتها «أليصابات» على تخت الملك من دون ممانع وبعد ستة أشهر من جلوسها على التخت أبطلت الصلوات الكاثوليكية من كنيسة الخصوصية وأبت في أول الأمر أن تلقب برئيسة الكنيسة البروتستانتية وسمت نفسها والية لها إلا أنها أنفذت فيها سلطتها أخيراً ولم يكن لها معارض فيما تفعله وكان القوم في فرنسا يدعون لـ «ماري ستوارت»<sup>(٢)</sup> ملكة سكوتلندا بحق التملك على إنكلترا، وكانت هذه الدعوى من شأنها أن تأتي بنتائج رديئة وتسوق إلى الحرب، وأخذت «أليصابات» تتداخل في أمور سكوتلندا ونجح الحزب البروتستانتى فيها بمساعدتها وحاول البابا «بيوس الرابع»<sup>(٣)</sup> أن يرد الملكة إلى الدين الكاثوليكي فحبط سعيه، وأرجعت قيمة المسكوكات الإنكليزية إلى ما كانت عليه سنة ١٥٦٠ [م] فنشأ عن ذلك الإصلاح خير عظيم ونجاح للبلاد وأرسلت إلى الهوغنو الفرنسيين إمداداً من المال والسلاح والرجال وأمدت أيضاً بروتستانت الفلمنك سرّاً، ولما طلبت «ماري» ملكة سكوتلندا أن يسمح لها أن تنطلق بأمان من فرنسا إلى سكوتلندا لم تجبها «أليصابات» إلى طلبها ويقال: إنها حاولت إلقاء القبض عليها.

وسنة ١٥٦٣ [م] طلب إليها المجلس العالى أن تتزوج لأن مسألة إرث الملك مما يهم رعاياها وخطبها كثيرون من إنكلترا والبلدان الأجنبية وكان من أعظم الإنكليز الذين رغبوا في الاقتران بها «هنري فتزالان»، ثامن عشر أرلات أرندل وآخرهم، وطلب إليها أيضاً أن تعترف بـ «ماري ستوارت» ولىة للعهد فأبت، ولم تبرم المسألة وخطبها «شارل التاسع» ملك فرنسا فلم تجبه إلى سؤاله ومن جملة الذين رغبوا في الاقتران الأرشيدوق «كارلوس» ابن إمبراطور ألمانيا وكانت محبة الأرشيدوق تنمو يوماً فيوماً في قلبها، وكان الناس ينتظرون يوماً فيوماً اقتران الملكة بحبيبها وساء «أليصابات» تزوج «دارنلي» بـ «ماري ستوارت» وتكدر الإنكليز عموماً من ولادة ولد لهما لأن ذلك دل على أن الملك سينتقل فيما بعد إلى كاثوليكي، وفي تلك الأثناء حدثت قلاقل داخلية جديدة، واشتدت المصاعب الخارجية على الدولة لأن قبول

(١) فيليب: اسم حمله خمسة من ملوك إسبانيا أشهرهم فيليب الثاني ابن كارل ١٥٢٧ م - ١٥٩٨ م.

(٢) ماري ستوارت: ملكة اسكتلندا، ثم ملكة فرنسا بعد زوجها بفرنسوا الثاني. ترمّلت بعد سنة وعادت إلى بلادها. ثار عليها شعبها فعادت إلى إنكلترا، فأسرتها إليزابيت الأولى وأعدمتها.  
١٥٤٢ - ١٥٨٧ م.

(٣) بيوس: اسم حمله بابوات عدّة والرابع واحد ممق عاصر إليصابات.

المضطهدين الفارّين من الفلمنك في إنكلترا وتأمينهم على أرواحهم ساء إسبانيا فأهينت الراية الإنكليزية في خليج مكسيكو وكذلك سفيرها في مدريد، فاستولت الملكة على مال لإسبانيا وجدته في سفن إسبانيولية التجأت إلى مرافئ إنكلترا ولما حجز الفلمنكيون أملاك الإنكليز في الفلمنك وسجن أصحابها، ألفت القبض على كل الإسبانول المقيمين في إنكلترا وعلى سفير دولتهم أيضاً وخاطبت فيليب الثاني في ذلك رأساً فأجابها بكبرياء وتهدها بالحرب، وكان دوق «نرفلك» قد انحاز إلى «ماري ستوارت»، وتعلق بها فحذرت «أليصابات» من ذلك، ثم ألفت عليه القبض وسجنته.

وسنة ١٥٦٩ [م] حدثت الثورة الشمالية العظيمة تحت رياسة «أرلي» و«ستمورلاندا» و«نورثمبرلاندا» الكاثوليكين فأخمدتها «أرل سكس» في الحال، وقتل ٨٠٠ من العصاة.

وسنة ١٥٧٠ [م] حرم البابا «بيوس الخامس»<sup>(١)</sup> الملكة «أليصابات» وعلّق رجل من الكاثوليك اسمه «فلتون» نسخة من الحرم على باب قصر الأسقفية في لندن فقبض عليه وقتل صبراً<sup>(٢)</sup> وبعد أن حبط مسعى القوم في عقد الزواج بينها وبين الأرشيدوق «كارلوس» عرض عليها أن تتزوج بدوق «أنجو» الذي صار فيما بعد ملكاً لفرنسا وسمي «هنري الثالث»<sup>(٣)</sup> وكان آخر رجل من بيت. قالوا: فلما أقيت المسألة على ديوان المشورة قال بعض الأعضاء: إن الدوق لا يلائم الملكة لأنه أصغر منها سناً (وكان عمره ٢٠ سنة وعمرها ٣٧ سنة) فأغضبها ذلك جداً.

ويستدل من هذه الحادثة وما أشبهها أنها لم تكن تراعي جانب الخلوص في مثل هذه الأمور، وأنها كانت تغتاض غيظاً شديداً عندما ترى أحداً من مخاطبيها يتزوج بغيرها بعد أن يئاس منها وجعلت «سسيل» لورد «بورليغ» وزيراً لها ووجهت إليه نظارة الخزينة وإلى السير «توماس» سميت مستشارية الدولة، وحصل لـ «هاتون» أهمية كبرى لأن الملكة أحبته كثيراً لكمال صفاته وجماله، واتهمها الناس أنها تعشقه وحباً بنفعه نزعته من استفتائها كمشورة الأوقاف وبعثت إليه برسالة في ثلاثة أسطر غاية في الخشونة.

وفي أثناء الكلام عن اقترانها بدوق «أنجو» عرضت عليها أن تتزوج بغيره فرفضت.

(١) بيوس الخامس: القديس ١٥٦٦ - ١٥٧٢ م. حرم إسبانيا لأول مرة (١٥٦٦) وحلقت مع إسبانيا وإسبانيا فكسروا الأتراك بحراً في ليبانت ١٥٧١ م.

(٢) صبياً، ومصبوراً، هم من سجن حتى الموت. القوم من المحبطين، مادة صبر.

(٣) هنري الثالث: أحد ملوك فرنسا ١٥٥١ - ١٥٨٩ م. ملك سنة ١٥٦٤ م. عقد زواجاً مع إسبانيا سنة ١٥٧٦ م. قاومه الكاثوليك فانتهزم إلى شاتو، وأمر باعتقال الكاثوليك في فرنسا سنة ١٥٧٦ م.



وكان أصغر منها باثنتين وعشرين سنة قبيح الخلق والخلق، ثم انقطعت المراسلات بين «أليصابات» و«أنجو» فطلب إليها الإمبراطور «مكسيميليان الثاني»<sup>(١)</sup> أن تتخذ ابنه «رودلف» بعلاً لها مع أنها كانت في العمر أكبر من أمه وعرض عليها أيضاً «هنري دو نوار» إلا أن قلبها كان لم يزل متعلقاً بدوق «أنجو» وأظهرت أنها عدلت عنه لأسباب دينية، وحاول «فيليب الثاني» أن يقتلها فواطأ على ذلك كلاً من «نرفلك» و«ماري ستوارت» فكشفت المؤامرة وقتل «نرفلك» و«ماري ستوارت» ثم استؤنف الكلام عن اقترانها بـ «ألنسون» أخي دوق «أنجو»، وأصدر المجلس العالي قراراً بقتل «ماري ستوارت» فلم تسلم «أليصابات» بذلك، وفي تلك الأثناء حدثت ملحمة «سنت برثلماوس» سنة ١٥٧٢ [م]، فاشتد غيظ الإنكليز وهاجوا على «ماري» وطلبوا قتلها فلم تجبهم «أليصابات» إلى ذلك رأساً، بل قبلت بتسليمها إلى السكوتلانديين الذين كان الإنكليز يعتقدون أنهم يقتلونهم حالما يقبضون عليها.

وسنة ١٥٧٥ [م] طلب الهولنديون إلى «أليصابات» أن تملك عليهم لأنهم كانوا يعتبرونها من نسل «فيليبادوهينو» فلم تجبهم إلى ذلك، ولا ساعدتهم، ولكنها قبلت سنة ١٥٧٨ [م] أن تمدهم بالمال والرجال، واشترطت عليهم شروطاً يمكنها بها أن تسترجع ما تنفقه عليهم وحدث في إيرلاندا ما أتبعها وأقلقها، وكان الإيرلانديون يسمون الحرب التي أقامها اللورد «منتجوى» هناك حرب الساحرة استهزاء بالملكة وتكاثرت المؤامرات حولها وكان محورها «ماري ستوارت» وكان لليسوعيين يد قوية فيها وثبتت مداخلة «مندوزا» سفير إسبانيا في إحداها فأكره على الخروج من إنكلترا وقتل وسجن كثيرون من المتآمرين.

أما «فيليب هورد أرل أرندل» وابن دوق «نرفلك» فحكم عليه بالقتل وبعد أن حبس مدة طويلة مات في السجن وألف «ليستر» جمعية لوقاية الملكة ممن سماهم بالمتآمرين الثانويين، وأثبت المجلس العالي ذلك بقرار أصدره وعزم على قتل «ماري ستوارت» إذ سعت في قتل «أليصابات» ثم كشفت مؤامرة تحت رياسة «أنثوني بابنفتون» كان في نيتها قتل الملكة وإخلاء سبيل «ماري» فعاد ذلك بالويل على «ماري» بدلاً من أن تجرّ منه نفعاً فجرت محاكمتها واختلفت القضية في ذلك اختلافاً عظيماً غير أنه حكم عليها بالاشتراك في المؤامرة وقتلت في «فوثرنفاي» في ٨ شباط (فبراير) سنة ١٥٨٧ [م] فحزنت عليها «أليصابات» ظاهراً حزناً شديداً، وقد تقرر فيما بعد واتضح جلياً أن توقيعها على الحكم الصادر بقتل «ماري» كان محض تزوير.

(١) مكسيميليان: اسم اثنين من الأباطرة الجرمانيين واثنين من ملوك بافاريا. أشهرهم مكسيميليان الثاني أحد ملوك بافاريا.

ومما لا ريب فيه أنها أرسلت إلى قلعة «فوثرنفاي» من دون علمها ولا أمرها، وكانت أحوال فرنسا مما لا يوجب الخوف من هذا القبيل إلا أن البابا وملك إسبانيا كانا من أعداء «أليصابات» الألداء يرغبان في تنكيلها وقهرها فحرمها البابا «سكستوس الخامس»<sup>(١)</sup> وشهر عليها حرباً صليبية وادّعى «فيليب الثاني» بتاج الملك وبنى دعواه على أنه وارث شرعي لبيت «لانكستر» لكونه من سلالة ابنتي «جون أف غونت» اللتين ملكتا «برتوغال»<sup>(٢)</sup> و«قسطيلة»<sup>(٣)</sup> وتجهز جهازاً للحصول على مطالبه ووعد البابا بمساعدات كثيرة شرطية، وفي تلك الأثناء أغار «دراك» على سواحل إسبانيا فعاث فيها ونهب سفنها وهجم على ميناء «قادس»<sup>(٤)</sup> فألحق بسفنها ضرراً كبيراً وتهيأ الإنكليز بسرعة لملاقاة عسكر «فيليب» فنزعوا الشقاق من بينهم واتحد الكاثوليك والبيورتيانة وباقي الشعب فكانوا يداً واحدة وجهازاً أسطولاً مؤلفاً من ١٨٠ سفينة تحت قيادة اللورد «هورد أف أفنغام» وقيادة «دراك» و«فروبشر» و«هوكنس» وجمعوا جيشين مؤلفين من ٦٠ ألف مقاتل.

أما الأسطول الإسباني فصار من إسبانيا في ٢٩ أيار (مايس) سنة ١٥٨٨ [م] لغزو إنكلترا ولكن هبت زوبعة شديدة أكرهته على الرجوع ولم يلتق الأسطولان إلا في شهر تموز (جولية) فتقاتلا قرب ساحل إنكلترا وبعد أن استمرت الحرب بينهما سجالاتاً مدة سبعة أيام انكسر الإسبانيون وتبدد شملهم.

وسنة ١٥٨٩ [م] أرسلت «أليصابات» جيشاً لتخليص البرتوغال من أيدي الإسبانيون فصادف فشلاً مع أنه خرج من البحر، ووصل إلى ضواحي «لبسون» وأمدت «هنري الرابع» ملك فرنسا بالمال والرجال لأنه كان يحارب إسبانيا والاتحاد المشهور بين سنة ١٥٩٠ [م]، وسنة ١٥٩١ [م]، وسنة ١٥٩٣ [م] التأم المجلس العالي وبعد مشاحة<sup>(٥)</sup> جرت له مع الملكة خضع لها وساء «أليصابات» عزم «هنري الرابع»<sup>(٦)</sup> على ترك المذهب البروتستانتي، كشفت

- (١) سكستوس الخامس: أو سيكستس (Sixte) اسمه حمله خمسة نساء أشهرهم سكستوس الخامس (١٥٨٥ - ١٥٩٠ م) مُصلح الرهبانيات، وباني قبة كنيسة القديس بطرس الحادي عشر في روما.
- (٢) برتوغال: أو البرتغال (Portugal) جمهورية في جنوب أوروبا على الأطلنطية شمالاً، إسبانياً جنوباً، عاصمتها لشبونة وأهم مدنها بورتو.
- (٣) قسطيلة: منطقة وسط إسبانيا تقسمها الجبال إلى قسم شمالي وقسم جنوبي.
- (٤) قادس: أو قادش (Cadiz)، مدينة إسبانية في الأندلس على خليج قادس بالأطلنطية أسسها الفينيقيون نحو سنة ١١٠٠ ق.م، حصنها العرب.
- (٥) مشاحة: صعوبة وشدة.
- (٦) هنري الرابع: كان بروتستانياً حكم فقامت بوجهه معارضة قوية، ثم ارتد إلى الكاثولة ١٥٩٣ م. انتصر على الإسبان. أذاع قرار نانت الذي وضع حداً للحروب الدينية في بلاده، اعتلى سنة ١٦١٠ م، وكان

مؤامرة عقدها جماعة أرادوا أن يدسوا إليها السم في شراب أو غيره وقتلت «رودريا» «غولوبس» وهو بهوري إسبانيولي الأصل كان في خدمتها عدة سنين، وذلك لاشترائه في تلك المؤامرة وفي ذلك الوقت عمت الاضطهادات الدينية إنكلترا كلها وقتل كثيرون من وجوه البيورتية، وكانت الحرب مع إسبانيا جارية على قدم وساق.

وسنة ١٥٩٦ [م] فتح «قادس» أسطول وجيش إنكليزيان تحت قيادة «هورد أف أفنغام» و«أسكس». وكان «أسكس» حينئذ أكثر أهل إنكلترا نفوذاً وسطوة، إلا أنه لقصر عقله وسوء تدبيره لم يعد عليه مركزه ولا اعتبار الملكة له بأقل نفع، وكثرت الدسائس في البلاط الملكي فأسمى «أسكس» وهو أكرم رجال الدولة وأقلهم دراية آلة في أيدي أهل الغايات والمطامع وأرسل «أسكس» لمحاصرة الإسبانيين في بلادهم وفي الأقيانوس الأتلنتيكي: أن «فيليب الثاني» حاول أن يجعل ابنته ملكة لإنكلترا فلم يفعل شيئاً فأغضب ذلك الملكة، ولكن لم تلبث أن رضيت عنه وتمكن من مقاومة «بورليغ» ومضادته إلى أن عرف «بورليغ» المذكور أن بينه وبين ملك سكوتلاندا مراسلة، ولما عزم «هنري الرابع» على عقد الصلح مع إسبانيا ورأى أن ذلك مما يغيظ «أليصابات» عرض على إنكلترا وإسبانيا عقد الصلح وتوسط الخلاف بينهم، فصادق «بورليغ» على ذلك وخالفه «أسكس»، وفي مجلس من الوزراء عقدته الملكة للنظر في مصالح «إيرلندا» حوّل «أسكس» قفاه للملكة باستخفاف فصفعته وقالت له: اذهب، لا سلمك الله فأغلظ لها «إرل أسكس» الكلام وهاج وماج وخرج من المجلس وبينما كان قوم يحاولون مصالحتهما توفي «بورليغ» في ٤ آب (أغسطس) سنة ١٥٩٨ [م].

وبعد ذلك بستة أسابيع توفي «فيليب الثاني» فرجع «أسكس» إلى البلاط الملكي وبعد مدة وجيزة انتخب لوردا والياً لـ «إيرلندا» وكانت تلك البلاد حينئذ في حال تعيسة ولم يوجه إليه ذلك المنصب عن حب بل عن غيظ وسعى له فيه أعداؤه المدبرون على هلاكه وكان هو من أهل السياسة الدولية لا من المضطلعين بسياسة الأهالي ومن أهل الشرف لا من رجال الحرب فحبطت مساعيه في «إيرلندا» فرجع منها من دون إذن، وسلك طريق التهور والشطط فكان كالباحث على حتفه بظلفه فسيق إلى دكة المجرمين فقتل عليها سنة ١٦٠١ [م]، وأسمى السير «روبرت سسيل بن بورليغ» أكثر وزراء «أليصابات» نفوذاً وكان بينه وبين ملك سكوتلاندا مراسلة وطلبت الملكة أن «هنري الرابع» ملك فرنسا يزورها في «دوفر» لأنه كان في «كالي» إلا أنه أرسل إليها سفيره «موسيو دي روسني» فقابلته ودار بينهما حديث مهم فإنها تكلمت في أول

= ولادته سنة ١٥٥٣ م. به يبدأ الفرع البوربوني في السلالة الفرنسية. اشتهر بإصلاحاته الإدارية، ونال تأييداً شعبياً واسعاً.

الأمر عن ملك سكوتلاندا، وقالت له: إنه سيخلفها في الملك ويصير ملكاً لبريطانيا العظمى كلها، وهي أول من لقب بهذا اللقب، ثم أرسل إليها «هنري الرابع» سفارة أخرى فأحسنّت ملتها وكان آخر اجتماعات المجلس العالي في أيامها في شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٦٠١ [م] فقاومت الامتيازات الجائزة التي كانت قد منحها قبلاً مقاومة شديدة، ولكن إذ رأت أن مقاومتها له لا تجدي نفعاً عدلت عنها بوجه لا يمس فيه شرفها.

وفي أوائل سنة ١٦٠٣ [م] ورد عليها تشكيات شتى فاعتلت لذلك صحتها إلا أن سبب موتها هو أنه أصابها نزل في «رشمند» فتوفيت فيها ودفنت في ٢٨ نيسان هذا، وإن الحوادث التي جرت في عهدها هي من أهم الحوادث التي جرت في إنكلترا والعصر الـ«أليصاباتي» في التاريخ الإنكليزي هو من أزهى الأعصر وأزهرها وقد جعل له رجال السياسة والحرب والفلاسفة الكثيرون الذين نبغوا فيه من غيرهم من أهل الحدق والدراية مقاماً في تاريخ العالم لم يتجاوزه عصر ألبته، والحوادث المهمة التي جرت في حياة «أليصابات» مقررّة ثابتة لا يتدافع فيها اثنان أما أوصافها فقد اختلف فيها المؤرخون.

وهذه ترجمة ما ذكره عنها «فرويد»<sup>(١)</sup> في آخر تاريخه قال: «إن مركزها من أول الأمر كان متعباً جداً، وتعلقها بـ«البيستر» تعلقاً مشؤوماً أو غير مرتب جعلها تكره الزواج وما حل بها من اليأس زاد أطوارها غرابة، ولم تتحزب للإصلاح عن طيب خاطر بل ظروف زمانها حكمت عليها بذلك فاضطرتها إلى وقاية الأرائقة»<sup>(٢)</sup> والعصاة مع أنه لم يكن لها صالح في مقاصدهم ولا كانت تؤمن بتعاليمهم وكانت تشعر بالضرورة حال خضوعها لها وما بدا منها من التردد نشأ عن حملها رغماً عنها على سلوك طريق تكره المسير فيه وكانت حاذقة جداً تدرك دقائق الأمور إلا أنها لم تكن تهتم كثيراً بالأمور الخطيرة وكانت خالية عن الانفعالات النفسية التي تجعل للطبع البشري قوة وثباتاً غير أنه كان لها صفة أدبية سامية جداً وهي الشجاعة فاستمرت ثلاثين سنة عاكفة على قتل الناس ولم يلحق بعقلها من جراء ذلك خلل، لا هائلاً أم الفساده، وتحتقر التنعم والحلم في غير موضعينما وتحب البساطة في العيشة، وقد كانت تتردد في وتسلق مسلك الاقتصاد في بيتها ومع أن غرورها لم يقف عند حدٍّ لم يحسن لها من ذلك، وكانت إذا سمعت غيرها يتكلم بالكذب لا تنفر منه، ولذلك كان عليها أن تحت الحذر،

(١) فرويد: سيغموند فرويد (died) ١٨٥٦ - ١٩٣٩، مؤلف كتاب «النفسية» وهو الكتاب الذي درس أهمية الدوافع والعطف اللاشعور، وألقى على النفسانية ولا سيما في تفسير الأحلام، قلق في الحضارة، ثلاثة أبحاث في النفس.

(٢) الأرائقة: الإصلاحيين.

وكانت كثيرة الدهاء والحيل لا تلوح عليها البساطة إلا عندما تخاتل وتخادع وكانت إذا وعدت بشرفها تنسى ما وعدت به فضلاً عن أنه لم يظهر منها ألبتة ما يدل على أنها تفهم معنى الشرف، ولا غترارها بدرائتها وفهمها كانت لا تقوم بتغيرات يسددها إليها «بورليغ» من دون أن تلحق ضرراً بالمملكة وبنفسها معاً ولم تعدل عن مقاومة أو مضادة إلا بعد وقوعها في المشاكل وكانت حذاقة «بورليغ» المذكور وحذاقة «ولسنفهام» مما لا تكاد تكفي لتخليصهما منها، والنتائج العظيمة التي حصلت عليها إنكلترا في أيامها لم تنشأ عن سياستها بل عن سياسة رجالها التي كان من رأيها أن تضعفها وتوهنها مع أن الأمور كانت تقتضي عزمًا وحزمًا وإجماعاً ولم تتركب في إبرام الأمور متن الشنت والعجلة ونسبوا ذلك إلى حكمتها لأنه طالما كانت له نتائج حميدة فربحت بذلك وقتاً وأعدت مشاكلها ما كان حله حلاً مرضياً مما يقدر عليه الوقت فقط، وكانت تحب أن تملك بالراحة إلى حين وفاتها تاركة للأجيال التابعة حل ما يعرض فيها من المشاكل، وكانت ترغب كل الرغبة في أن تشتهر بالحلم والرفقة التي عاملت بها المتآمرين هي من الأمور الغريبة التي لم يبارها فيها أحد إلى الآن، وكان بينها وبين أبيها في هذا الباب بون عظيم فإنه كان يعاقب رؤساء المتآمرين ويعفو عن أتباعهم.

أما «أليصابات» فقلما تمكنت من حمل نفسها على إمضاء أمر بقتل بعض الأشراف على أنها كانت تستطيع أن تأمر بخلق فلاح «يوركشير»<sup>(١)</sup> عشرات بموجب النظام الحربي من دون أن يؤاخذها ضميرها في ذلك. والحاصل أنها طالما كانت صارمة عند وجود الحلم وحليمة عند وجود الصرامة وسبب نجاحها وسلامتها إنما هو انقسام أعدائها وضعفهم لا حكمتها وثبات عزمها.

### أليصابات ملكة إسبانيا

ولدت سنة ١٦٠٢ [م]، وتوفيت سنة ١٦٤٤ [م]، وهي ابنة «هنري الرابع» ملك فرنسا من زوجته «ماريا رومديشي» زفت إلى «فيليب» ابن ملك إسبانيا سنة ١٦١٥ [م].

وسنة ١٦٢١ [م] جلس زوجها على تخت الملك وسمي «فيليب الرابع»<sup>(٢)</sup> فعهد زمام المملكة إلى كونت «أوليفارز»، وانهمك في اللذات والملاهي فحاولت «أليصابات» أن تنبئه من غفلته وتحمله على مقاومة سياسة وزيره التي كان من شأنها أن تفضي بالبلاد إلى الخراب، فحبط مسعاها.

(١) يوركشير (Yorkshire): مقاطعة بريطانية على بحر الشمال. تقسم إلى ثلاث مقاطعات: شمالية، وجنوبية، وغربية. فيها سهل كبير خصب.

(٢) فيليب: اسمه حمله خمسة من ملوك إسبانيا.

وسنة ١٦٤٠ [م] حدثت ثورة في «قطلونية»، وانفصلت البرتوغال عن إسبانيا وساعدت  
عسكر فرنسا العصاة فاستفزت الملكة أهالي «قسطيلة» للقتال، وفي مدة بضعة أسابيع جمعت  
جيشاً مؤلفاً من خمسين ألف مقاتل ثم سارت إلى القصر الذي كان ينعم فيه الملك في «بون  
رتيرو» فأخذت ولدها من يده وقالت للملك: سيدي، إن هذا الغلام ولدنا الوحيد سيكون أفقر  
إنسان في أوروبا إن لم تعزل جلالتك في الحال وزيراً ساق إسبانيا إلى الخراب فنفي  
«أوليفارز» ودبت الحماسة مؤقتاً في عروق «فيليب» أما «أليصابات» فقطعت كل علائقها مع  
بيت أبيها لأنهم أمسوا ألداء أعداء إسبانيا وقبضت على زمام المملكة بيدها وأخذ «فيليب»  
يحاول في مقدمة عساكره استرجاع ما خسره من بلاده فلم يصادف نجاحاً، وأبدت  
«أليصابات» في إدارة مصالح البلاد حكمة ومحبة لوطنها ووفقت بين الأحزاب بإنذاراتها  
وفصاحتها، وباعت حليها وقللت مصاريف بيتها كثيراً مساعدة للخزينة حتى حسب الإسبانيول  
وفاتها مصيبة وطنية وحزنوا عليها حزناً شديداً.

### أليصابات بتروفنا إمبراطورة روسيا

هي ابنة «بطرس الكبير» من زوجته «كاترينا الأولى»، ولدت سنة ١٧٠٩ [م]، وتوحدت  
سنة ١٧٦٢ [م]. تولت الملك بعد وفاة أبيها «بطرس الثاني» ابن «ألكسيس» (سنة ١٧٢٧ [م]  
أو ١٧٣٠ [م]) وابنة عمها «حنة أفانقنا» بنت أكبر أولاد «بطرس الكبير» (سنة ١٧٣٠ [م] أو  
١٧٤٠ [م]).

ولم تكن «أليصابات» تميل إلى التملك بل كانت تقول: إن لذة الحب أشهى شيء - إليها  
إلا أن «حنة» جعلت «إيثان» ابن «أنطوني أولزيك» دوق «برنسوبك» ولي عهد تحت وصاية  
أمه «حنة» لأنه كان ولداً لم يبلغ من العمر إلا بضعة أشهر، وأوصت أن تكون وكالة الملك مدة  
قصره في يد محبوبها «بيرون» فحرمت «أليصابات» الملك بذلك ثلاثة، ولم تقف الأمور عند  
هذا الحد بل أمست حرية «أليصابات» في خطر، لأن الحسد الذي ربي في عروق أم الملك  
الذي جعل ولياً للعهد حملها على أن تبصر في التخلص من وكيل الملك، وفي «أليصابات»  
نفسها، فأشارت عليها أن تهرب إلا أن «الستوق» جراحها ومحبتها لها حياء على رد حبه  
أعدائها في نحورهم وساعده على ذلك الحزب الروسي الوطني، ديمتري ستيفير «لويس  
الخامس عشر»<sup>(١)</sup> ملك فرنسا فأفضى الأمر بالمستعربين إلى حمل السلاح والخروج على

(١) لويس الخامس عشر: أحد ملوك فرنسا ملك سنة ١٧١٥ م، بعد وفاة حده لويس الرابع عشر، وهو  
فيليب دورليان لأنه كان صغيراً فقد ولد سنة ١٧١٠ م وتوفي سنة ١٧٧٤ م تغرب من النمسا ليهرب

الحكومة، فغلبوا «حنة» «إيقان» ونصبوا «أليصابات» إمبراطورة في شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٧٤١ [م].

وجعلت «حنة» مع زوجها وكثيرين من حزبه في السجن وحبس «إيقان» في قلعة «شلسلبرغ» فلم يخرج منها فيما بعد وعهدت مصالح الدولة والبلاد إلى جماعة من رجال «أليصابات» كانوا مثلها خالين عن الشهامة والدراية واستوت فيها محبة البطل والشهوات وبدا منها أحياناً ما دل على شدة قساوة، وتوحش إلا أنها كانت مراراً حليلة وكانت كريمة الأخلاق وقد رقت إلى المناصب العالية رجالاً روسيين من الأفاضل وأهل السياسة وعينت «بطرس» ابن أختها «حنة» رويس هيلستين غترب» المتوفاة ولياً للعهد.

وانتصرت في حرب جرت لها مع أسوج وانتهت بمعاهدة صلح انعقدت في «آبو» سنة ١٧٤٣ [م]، ثم كشفت مؤامرة أقيمت عليها فألقت القبض على المتآمرين وقاصصتهم قصاصاً شديداً وأمدت «مريا تيريزا»<sup>(١)</sup> بجيش لمحاربة «فردريك الكبير»<sup>(٢)</sup> فساعدت بذلك على عقد معاهدة صلح في «أكس لاشابيل»<sup>(٣)</sup> سنة ١٧٤٨ [م]، ثم حركها كل من «شوفالوف» و«بستوزف» ضد بروسيا وكان قد ساءها استهزاء وقع عليها من ملكها فحالفت النمسا وفرنسا عليه في الحرب المعروفة بحرب السنين السبعة وقامت عساكرها تحت إمرة «سوتيكوف» و«بوتورلين» و«أبراكسين» وفر «مور» بأعمال جرت ويلات كثيرة على بروسيا فانتصروا في موقعتي «غروس ياغرندرف» و«كورنسدرف» كليهما واستولوا على «كلبرغ» وحلوا في نفس برلين، ولما توفيت الإمبراطورة تخلص فردريك من عدوة قوية وترجى أن يلقي مساعدة من خلفها «بطرس الثالث»، أما الفساد الذي وقع في بلاطها فاستمر فيه إلى وفاتها وكان «راز» و«موفسكي» في الأصل من القزق المجهولي الحسب والنسب فجعلته من بعض حشمها ثم جعلته نديمها ووجهت إليه رتبة فلد مارشال واتخذته لها بعلاً في السر ويقال: إنه أب لثلاثة من أولادها ومن الأعمال الخطيرة التي تذكر بها «أليصابات» تأسيسها المدرسة الكائنة في موسكو

= مطامع بروسيا وإنكلترا، لكن حرب السبع سنوات مع إنكلترا أفقدت فرنسا كندا والهند. مات مُبغضاً من شعبه.

(١) ماري تيريزا: من أشهر إمبراطورات النمسا. خلفت ولدها كارل السادس ١٧١٧ - ١٧٨٠ م. تحالفت مع فرنسا ضد بروسيا. والدة جوزيف الثاني، وماري أنطوانيت.

(٢) فردريك الكبير: وهو فريدريك الثاني ١٧١٢ - ١٧٨٦ م. ملك بروسيا سنة ١٧٤٠ م. رجل حرب وإدارة، قاوم التحالف الفرنسي الروسي النمساوي في حرب السنوات السبع. كان بثقافته الواسعة وانفتاحه على الآداب والفلسفة مثال المستبد المستنير في القرن الثامن عشر.

(٣) أكس لاشابيل (Aix la-chpelle): وهو الاسم الفرنسي لمدينة «آخن» الألمانية.

وأكاديمية الفنون المستطرفة في «بطرس برج»<sup>(١)</sup> وكانت تحب نشر الفنون المذكورة وجرى لها مع «فولتير»<sup>(٢)</sup> المشهور مراسلة مكنته بها من الحصول على المواد اللازمة لتاريخ أبيها.

### أليصابات ملكة بوهيميا<sup>(٣)</sup>

ولدت سنة ١٥٩٦ [م]، وتوفيت سنة ١٦٦٢ [م]، وهي ابنة «جيمس الأول» ملك إنكلترا. كانت حسنة الصفات أديبة، خطبها كثيرون فأثرت هي وأبوها «فردريك الخامس»<sup>(٤)</sup> المنتخب البلاتيني لأنه كان على مذهب البروتستانت فعقد الزواج باحتفال عظيم سنة ١٦١٣ [م] بلغت مصاريفه ٥٣ ألف ليرة، وكان المهر ألف ليرة إنكليزية، وكان زوجها رأس الحزب البروتستانت في ألمانيا، ولما عرض عليه عصاة بوهيميا سنة ١٦١٩ [م] أن يتملك عليهم ألحت عليه بإجابتهم إلى ذلك، وقالت له: إن كنت تخشى أن تصير ملكاً فلماذا تزوجت ابنة ملك؟ ثم دخلت «براغ»<sup>(٥)</sup> وجلست على تخت الملك بأبهة، غير أن مدة ملكها لم تطل لأن جنود الإمبراطورية تقدمت إلى أملاك «فردريك» الأصبية وأغارت على بوهيميا أيضاً.

وبعد موقعة «براغ» سنة ١٦٢٠ [م] اضطر الأمر كلاً من «فردريك» وزوجته المنكحة إلى الفرار فأمنهما عمه «موريس دوناسوفي هاغ» وولدت هناك أكثر أولادها، ومن جملتهم «بيرت» «روبرت» المشهور في تاريخ الحروب الأهلية الإنكليزية أما صغرى أولادها فصارت أميرة منتخبة لـ «هانوفر»<sup>(٦)</sup> وهي جدّة البيت الملكي الإنكليزي الحالي، ولدت سنة ١٦٣٠ [م] بعد

(١) بطرس برج: سميت بتروغراد ١٩١٤ - ١٩٢٤ م، وليننغراد ١٩٢٤ - ١٩٩١ م، ثم سانت بطرسبرغ قديماً على مصب نيفا في خليج فنلندا. أسسها بطرس الأكبر ١٦٠٣ م باسم سانت بطرسبرغ، وأصبحت العاصمة بدل موسكو حتى ١٩١٧ م. وهي مركز ثوري ١٩٠٥ م، ١٩١١ م، ١٩١٧ م. بهندستها وعمارتها الرائعة.

(٢) فولتير (Voltaire): هو فرنسوا ماري أوراي ١٦٩٤ - ١٧٧٨ م ولد في باريس، مؤلف كتاب «تاريخ» في زمانه. أقام في بروسيا وسويسرا. تزعم حركة الفلسفة المادية، وقدم كتاب «الروحانية» ونقدهم بقلمه الرشيق اللاذع. كتب في الشعر، والتاريخ، والمسرح، والفلسفة، وأجاد في أكثرها من مؤلفاته المحاورات الفلسفية.

(٣) بوهيميا: جمهورية في أوروبا الوسطى بين مورافيا، بولانيا، وألمانيا، عاصمتها براغ.

(٤) فردريك: اسم أربعة ملوك في بروسيا.

(٥) براغ: عاصمة بوهيميا على فلنطا، كانت عاصمة تشيخه سلاه قديماً.

(٦) هانوفر (Hanover): مدينة في شمال ألمانيا على نهر، عاصمتها مدينة لانغزوني، وهي عاصمة بروسيا. هانوفر ثم ملكها ١٦٣٦ - ١٧١٤ م، ١٨٣٧ - ١٨٦٦ م.



ولادة «شارل الثاني»<sup>(١)</sup> ابن أخيها ورجعت «أليصابات» إلى إنكلترا سنة ١٦٦٠ [م]، فأقامت نحو ستة أشهر في بيت اللورد «كراهن»، وتوفيت به بعد وفاة زوجها سنة ١٦٣٨ [م]، وكان بينهما مودة عظيمة وقد تغزل السير «هنري وتون» بمحاسنها في بعض أشعاره.

### أليصابات دو فالوا أو إيزابلا دو فالوا ملكة إسبانيا

ولدت في «فونتينيلا»<sup>(٢)</sup> في ١٣ نيسان (أفريل) سنة ١٥٤٥ [م]، وتوفيت في مدريد في ٣ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٥٦٨ [م]، وهي ابنة «هنري الثاني» ملك فرنسا من زوجته «كاترينا دو مديشي»<sup>(٣)</sup>، خطبت بموجب معاهدة عقدت في «أنجلس» سنة ١٥٥١ [م] لـ «إدورد السادس»<sup>(٤)</sup> ملك إنكلترا إلا أن «إدورد» المذكور توفي قبل قيام عقد الزواج ثم خطبت بموجب مقدمات معاهدة الصلح التي أبرمت في «كاتو كمبريسيس» للدون «كارلوس» ابن ملك إسبانيا وفي ٣ نيسان (أبريل) سنة ١٥٥٩ [م] قررت المعاهدة ولكن إذ كانت زوجة «فيليب الثاني» والد الدون «كارلوس» قد توفيت اتخذها زوجة له عوض ابنه. وسنة ١٥٦٠ [م] أقيم في «توليدو»<sup>(٥)</sup> احتفال عظيم للعرس.

### أينورا رغوئانه

هي ابنة «وليم العاشر»<sup>(٦)</sup> آخر دوقات «أكونيانيا»<sup>(٧)</sup> ووارثته، ولدت سنة ١١٢٢ [م]، وفي سنة ١٥ من عمرها تزوجت «لويس الثامن»<sup>(٨)</sup> ملك فرنسا فجعلت دوقية «غوئانه» و«غسكونيا» و«ستونج» و«بوانو» و«بيارن» مهراً لها إلا أن طيشها وميلها إلى الخلاعة

- (١) شارل الثاني: ابن شارل الأول ١٦٣٠ - ١٦٨٥ م، حكم بعد نهاية الثورة سنة ١٦٦٠ م، أثار الاستياء بتقربه من فرنسا ودفاعه عن الكاثوليك.
- (٢) فونتينيلا: ولعلها فونتينيلا (Fontainebleau) مدينة فرنسية جنوبي باريس. فيها قصر فرنسوا الأول، جدده هنري الثاني، ونابليون الثالث، فيه تنازل نابليون الأول عن العرش سنة ١٨١٤ م.
- (٣) كاترينا دو مديشي: ١٥١٩ - ١٥٠٩ م، أو كاترين دي مديشي، زوجة هنري الثاني ملك فرنسا، وشارل التاسع، وهنري الثالث. مارست السياسة دون رادع أخلاقي، فكانت سبباً في اضطراب الحروب الدينية وفي المذابح التي رافقتها.
- (٤) إدوارد (Eduard): اسم ثمانية من ملوك إنكلترا.
- (٥) توليدو (Toledo): أو طليطلة هي مدينة إسبانية على تاخو جنوبي مدريد. اشتهرت في الأندلس، وكانت عاصمة بني «ذو النون» وهم من ملوك الطوائف.
- (٦) وليم (William): اسم حملة أربعة من ملوك إنكلترا.
- (٧) وردت في الأصل: «أكونيانيا» ولعل الصحيح ما أثبتناه.
- (٨) لويس (Louis): اسم حملة ثمانية عشر ملكاً من ملوك فرنسا.

والملاهي ساء «لويس» زوجها واشتد الاختلاف بينهما في أثناء الحرب الثانية الصليبية<sup>(١)</sup> وكانت قد صحبتته فيها سنة ١١٤٧ [م] فاستأذن مجمع «بوجنسي» في طلاقها فسمح له بذلك فطلقها سنة ١١٥٢ [م] وبعد ذلك بستة أسابيع تزوجت «هنري نلانتاجنت» كونت «آنجو» و«روث بورمنديا» الذي صار بعد ذلك ملكاً لإنكلترا وسمي «هنري الثاني» سنة ١١٥٤ [م]، فانتقلت بذلك ولايات «أكوتيانيا» إلى إنكلترا إلا أن زواجها هذا لم يكن خيراً من الأول لأن نساء البلاط الملكي حسدنها كثيراً وقتلت «روزمندا» إحداهن وألقت الرعب في قلوب أهل البيت الملكي وحركت البنين على آبائهم فمَلَ «هنري» بأعمالها فسجنها في دير سنة ١١٧٣ [م]، فلم تخرج من سجنها إلا عندما جلس ابنها «رتشرد» الملقب بقلب الأسد على تخت الملك وذلك سنة ١١٨٩ [م]، وعهدت إليها إدارة المملكة مدة غياب «رتشرد»<sup>(٢)</sup> المذكور في الحرب الثالثة الصليبية وبعد رجوعه إلى إنكلترا بمدة وجيزة دخلت دير «فونتفرو» وبقيت فيه إلى أن ماتت سنة ١٢٠٣ [م].

### الينورا روغوزمان

امرأة إسبانية كانت تعتبر في زمانها أجمل نساء إسبانيا، عشقها «ألفونس الحادي عشر»<sup>(٣)</sup> ملك «قسطيلة» الملقب بالمنتقم، واستعرت في قلبه نيران الغرام، فغاب عن الهندي وافتضح فيها افتضح العاشقين، وخلع العذار، وتصامم عن كلام العاذلين، وكان يعاملها معاملة زوجة فلا يستحي في هواها ولا يخشى لوم لائم ولولا أسباب سياسية مهمة جدا لظفر زوجته البرتوغالية، واتخذها له زوجة بدلاً منها، غير أن «الينورا» لم تكن دون الملكة إلا في اللقب فقط واستمرت ٢٠ سنة مالكة قلب «ألفونس» وولد لها منه توأمان أحدهما «هنري روترستامار» الذي جلس على تخت الملك والآخر «فردريك» رئيس «كافيرييه» من مملكة «كاستيل» ولما توفي الملك سنة ١٣٥٠ [م] أرادت الملكة أن تنتقم من عشيقته فألقت عندها قتيلاً من «إشبيلية» سنة ١٣٥١ [م]، ولم يتمكن ولداها من إنقاذها مع أنها بذلت في ذلك السبب ما لم يسعهما فقتلت خنقاً في قصر الملكة على مرأى منها ومن ولدها «بطرس» الملقب بـ «الملك الصغير» سنة ١٣٥١ [م].

- (١) يراجع مجلة الحداثة، الصادرة عن دار الحداثة، بيروت، ١٩٩٩، الجزء ١١، ص ١٠٠-١٠١.
- (٢) رتشرد: أو ريكاردوس قلب الأسد ١١٥١-١١٩٩ م، ولد في ١١٥١، وتوفي في ١١٩٩، وهو من أسرة آل كابوتج، وهو شارك في الحملة الصليبية الثالثة الشهيرة بقيادة هنري الثاني ملك إنجلترا في ١١٨٩-١١٩٩ م، وقصتهما مشهورة في التاريخ الأيوبي.
- (٣) ألفونس (Alphones): اسم حمله عدد من ملوك إسبانيا والبرتغال، وألفونس الحادي عشر هو أحدهم، ملك قشتالة ١٣١٢-١٣٥٠ م، انتصر على أبي الحسن المغربي في معركة سلبوا سنة ١٣٤٠ م.

## أليورا زوجة دون جوان دواكنبها

كانت بديعة الجمال وكان زوجها غنياً إلا أنه كان دونها في الشرف وأكبر منها سناً، سار بها إلى بلاط «ليسبون»، ولما رآها «فرديندو الأول»<sup>(١)</sup> أسره حسنهما ودلالها وحرمة حبها للذيد المنام، فأخذ يلاطفها ويغازلها ويؤانسها، وطلب إليها أن تكون له عشيقة فأبت، فحمل زوجها على أن يطلقها واتخذها له زوجة بعد أن قطع ما كان بينه وبين بنت ملك «قسطيلة» من العلائق، فنشأ عن ذلك ثورة في «ليسبون»، ولكنها أخمدت في الحال، وجعلت «أليورا» ملكة سنة ١٣٧١ [م].

وكانت على جانب عظيم من الكبرياء والطمع فوجهت إلى ذوي قرابتها أسمى المناصب وخشيت أن يقع بينها وبين أختها زوجة «ألانفك دون جوان» منازعة على تخت الملك فحملت «دون جوان» المذكور على قتلها وقتلت أيضاً باقي أعدائها وغمرت المتحزبين لها بالعطايا والأموال، ثم جعلت «الدون جوان أنديرو» من أعيان «قسطيلة» رئيساً للوزارة ووجهت إليه لقب كونت «أورين» وذلك لأنها كانت تحبه أكثر من زوجها وجعلها «فيردند» قبل وفاته وكيله للملك فأشركت حبيبها المذكور في إدارة المملكة إلا أن الوقت لم يصف لهما لأن الـ«دون جوان» أراد أن ينزع الوكالة من يدها فدخل قصرها وقتل «أنديرو» في حضنها سنة ١٣٨٣ [م]، وتفاقم غيظ الشعب من سلوكها فخافت على نفسها وخرجت من «ليسبون» ولم تزل سائرة إلى أن وصلت إلى «شنترين»<sup>(٢)</sup> فاستدعت صهرها «فرديندو» ملك «قسطيله» وتخلت له عن الملك وكانت تؤمل أن يأخذ بثأرها من سكان «لبستون» فإنها كانت تبغضهم جداً إلا أنه هو أيضاً خشي عواقب خبثها وطمعها فحبسها في دير «تورديز بلاس» قرب بلاد الوليد فتوفيت فيه سنة ١٤٠٥ [م] بعد أن مزق الحزن فؤادها.

## أمستريس زوجة دارا ملك فارس<sup>(٣)</sup>

اشتهرت بشدة انتقامها من امرأة شقيق زوجها «أردانيت» وكان زوجها قد عشقها وكان من عادة ملوك فارس أن يمنحوا زوجاتهم في بعض الاحتفالات أي شيء طلبنه فانتهزت

- (١) فرديند (Ferdinand): اسم حمله عدد من الملوك والأباطرة والملوك في أوروبا، وفرديند الأول أو فرديند الكبير ١٠١٧ - ١٠٦٥ م. ملك سنة ١٠٣٥ م على قشتالة ثم ليون وناقارا.
- (٢) شنترين: أو سانتاريم (Santarem) هي مدينة في البرتغال على تيجو، هي شنترين في الأندلس قتل في حصارها أبو يعقوب يوسف سلطان الموحدين سنة ١١٨٤ م. وإليها ينتسب عدد من المفكرين والكتّاب والأدباء ومنهم ابن بسام الشنتريني صاحب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة».
- (٣) دارا: لعله دارا شكوه ولي عند الإمبراطور شاهجان.

«أمستريس» تلك الفرصة وطلبت أن تدفع إليها «أردانيت» فأجابها إلى ذلك فقطعت أنفها وأذنيها وحاجبيها ولسانها، وثدييها وطرحت شلوها للكلاب فتحرك الغيظ في قلب زوجها «ماسستس» وعزم على أن يأخذ بثأرها فلم تمهله «أمستريس» بل أنفذت إليه من قتله ولكي تؤدي للآلهة شكرها على ما أولتها من نجاح مقاصدها الفظيعة قربت لها ١٤ شاباً من أشرف فارس أمرت بإحراقهم أحياء. انظر إلى هذه العظمة والكبرياء التي كانت أول خراب ملك «دارا» حتى صار كما أرانا التاريخ.

### أمستريس ابنة أخي داريوس<sup>(١)</sup>

وامرأة «ديونيسيوس»<sup>(٢)</sup> طاغية هرقلية النبش يظن أنها أسست مدينة «أمستريس» المسماة الآن أمسترا أو حستها. ويقال: إنها ابنة الملك «داريوس» لا ابنة أخيه كانت ذات جمال فائق وعقل رائق حتى سلبت عقول اليونان بحسن سياستها وتدير أعمالها حالة كونها ابنة ألد أعدائهم، وتوفيت وهم راضون عنها حتى إن بعضهم كان يعظمها مثل المعبودات.

### أليصابات كارمن سيلفا ملكة رومانيا

هو الاسم الذي انتخبته لنفسها وأصل اسمها «أليصابات أوتيلي لويز رونويد» وُلدت هذه الملكة في ٢٩ خلت من ديسمبر سنة ١٨٤٣ [م] ببلدة «موتربو» بقرب «تويد» اقترن بها في الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٩ [م] البرنس «شارل دي هوهرتلون» الذي ألقبت إليه فيما بعد مقاليد الحكم برومانيا فقبل، وجعل هذه الإمارة من عداد الممالك المشهورة وذلك بعد حرب الترك والروس سنة ١٨٧٧ [م]، وقد رزقه الله في بادئ الأمر بنت يسحر جمالها الألباب وتأخذ نباهتها وذكاؤها بالقلوب، ولكن لم يكن لها من طول الحياة حسب ما قصمت المنية عود شبابها، وقد سبب موتها لوألتها من الألام السرة ما لا يسكن الفم والرحمة ومحا من مخيلتها ما هي فيه من العز والجاه والفخار، ولها الحق في أن تقدم نفسها مسخرة على مذبح الهموم والأكدار لأن ابنتها وقطعة كبدها حلت من الأدب والعلوم إلى درجة قل أن يدرك شأوها<sup>(٣)</sup> من كان أكبر منها سناً من الذكور والإناث.

(١) داريوس: ملك فارس ٤٢٤ - ٤٠٤ ق.م ابن انحششتا اشتهر عهده بالاعتقالات القتل في سنة ٤٠٤ ق.م.

(٢) ديونيسيوس (Dionusios): أو ديونيسيوس الأكبر طاغية سيلا ٤٠٥ - ٣٦٧ ق.م من القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد. خلفه ابنه ديونيسيوس الأصغر. توفي سنة ٣٥٦ ق.م. من عهده انقضى حكم البطالمة في مصر.

(٣) شأوها: هممتها العالية. [القاموس المحيط، مادة: شأ، ١]

وكان للملكة ميل غريزي للسفر كامن فيها، فلما توفيت ابنتها برز هذا الميل وقالت من الشعر الرقيق، واللفظ الرشيق حتى إنها حازت بين قومها شهرة لم يسبقها إليها من انتهى إليه علم الشعر وكانت لها المشاركة الكلية في علم الأدب والوقوف التام على كلام الفصحاء.

وأما خصالها الحميدة وأفعالها المحمودة فحدّث ولا حرج فإنها هي التي استحوذت على قلوب قومها، واستولت على عقول عشيرتها بما لها من لهجة الجانب ووداعة الأخلاق، والشفقة على المساكين من الرعايا واللطف بهم. وشاهدنا على ذلك لما كان زوجها يحارب تحت أسوار مدينة بلغتا بشجاعته المشهورة وشهامته التي لا تنكر كانت هي من جهة أخرى تواسي من أصيب بالجروح من العساكر وتسليه بالألفاظ التي لو كان به مهما كان لقام على قدم الصحة وشاركها في طريق العافية والشفاء.

ولما عمل عقد السلم وانقضت سحب الحرب عادت إلى مقرّ وحدتها ومركز عزلتها وهو قصر السمائية لتسلم نفسها في مخالاب الحزن والهم على بنتها وتقطع حبل الوقت بمواصلة الليل بالنهار في المطالعة.

وإليها تنسب الآن نهضة أهل رومانيا في العلوم الأدبية لا سيما في الشعر منها وطالما شدت أذن الشاعر المشهور «إسكندر باشيلي» الذي هو الآن معتمد رومانيا في باريس ومدت إليه يد المساعدة في الأعمال الفكرية والمؤثرة الشعرية، والمؤلفات المترجمة عديدة كثيرة التباين والاختلاف، فمنها ما هو نثر ومنها ما هو شعر وقد اشتهر فضلها في البلاد الفرنسية فأخذ علماء هذه الديار في ترجمة مؤلفاتها النفيسة فقد ترجم الكاتب الشهير «لويز أولياك» كتاباً لها عنوانه: «خطرات أفكار ملكة» وترجم الكاتب «سال» مؤلفاتها الشعرية والحوادثية.

وممن تصدى إلى كتابة تاريخ حياة هذه الملكة باللغة النمساوية جناب البارون «هكلرج» وقد طبع تاريخ حياتها جملة مرات، وكانت الطبعة الخامسة بمدينة «هردلبرق» سنة ١٨٨٩ [م] وجناب الموسيو «ميت كرمتر» طبعه بمدينة «يرسلو» سنة ١٨٨٢ [م]، ومفصل ترجمة حياتها أيضاً بقلم الموسيو «سرجي» طبع في باريس سنة ١٨٩٠ [م]، ولم تشتهر ترجمة ملكة مثل ترجمة هذه الملكة.

### أم السعد ابنة عصام الحميري

وتعرف بسعدونة من أهل قرطبة روت عن أبيها وجدها وغيرهما، وأنشدت لنفسها في تمثال نعل النبي ﷺ تكملة لقول غيرها هذا البيت:

سألتم التمثال إن لم أجد  
وهي قولها:

لعلي أن [أحظى] <sup>(١)</sup> بتقبيله  
في ظل طوبى ساكناً آمناً  
وأمسح القلب به عنه  
فطالما استشفى بأطلال من

لِلثَمِ نعل المصطفى من سبيل  
في جنة الفردوسِ أسنى مقيلاً  
أسقى بأكواب من السلسيل  
يسكن ما جاش به من غليل  
يهواه أهل الحب في كل جيل

### أم العلاء بنت يوسف الحجاريه

كانت شاعرة، لبيبة، فصيحة، أديبة، ذات حسن، وجمال، وأدب وكمال، لها قصائد طنانة وموشحات رنانة ذكرها صاحب المغرب وقال: إنها من أهل المائة الخامسة. فمن شعرها قولها:

كل ما يصدر منكم حسن  
تعطف العين على منظركم  
من يعيش دونكم في عمره  
وعشقها رجل أشيب فكتبت إليه:

وبعلياكم يحلى الزمن  
وبذكراكم تلذ الأذن  
فهو في نيل الأمانى يغبن

الشيب لا ينجع فيه الصبا  
فلا تكن أجهل من في الورى  
ولها أيضاً:

بحيلة فاسمع إلى نصحي  
بيت في الحب كما يضحى

افهم مطارح أحوالي وما حكمت  
ولا تكلني إلى عذر أئينه  
وكل ما جتته من زلة فيما  
وتوفيت في بلدها وادي الحجارة <sup>(٢)</sup> بالأندلس.

به الشواهد واعذرني ولا تلم  
شر المعاذير ما يحتاج لثكم  
أصبحت في متن من ذلك الكرم

(١) وردت في الأصل: «أحظى»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.  
(٢) وادي الحجارة: بلد بالأندلس وهو بلد يعرف بمدينة الفرج في الأندلس وهي بين الحرف والشوق من قرطبة، بينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً. وهي مدينة حسنة كثيرة الأشجار جامعة لأشجار المذيق والغلات ولها أسوار حصينة ومياه معينة، وبغريها نهر صغير لها عليه سنان وحبات وشوم وزراعات، وبها من غلات الزعفران الشيء الكثير، يتجهز به منها إلى بلاد الملاد وبها من مدينة سالم خمسون ميلاً. الروض المعطار (٦٠٦).

## أم الكرام

هي ابنة المعتصم بن حماد ملك المرية<sup>(١)</sup> كانت تنظم الشعر وتقول العروض، ولها الباع الطويل بالموشحات الأندلسية وقد افتخرت بها نساء العرب.

وكانت عشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية<sup>(٢)</sup> المعروف بالسماز وعملت فيه الموشحات ومن شعرها فيه:

يا معشر الناس ألا تعجبوا      مما جتته لوعة الحبِّ  
لولاه لم ينزل بدر الدجى      من أفقه العلويِّ للترب  
حسبي بمن أهواه لو أنه      فارقني تابعه قلبي

## أم الهناء ابنة القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية<sup>(٣)</sup>

سمعت عن أبيها وكانت حاضرة النادرة، سريعة التمثل من أهل العلم والفهم والعقل، ولها تأليف في القبور ولي أبوها القضاء في المرية، دخل داره مرة وعيناه تذر فان وجداً لمفارقة وطنه فأنشدته تمثله:

يا عين صار الدمع عندك عادة      تبكين في فرح وفي أحزان  
وهذا البيت من جملة أبيات وهي:  
جاء الكتاب من الحبيب بأنه      سيزورني فاستعبرت أجفاني  
غلب السرور عليّ حتى إنه      من عظم ما قد سرنني أبكاني  
وبعد البيت السابق وبعد هذا البيت الآتي:  
فاستقبلي بالبشر يوم لقائه      ودعي الدموع ليلية الهجران

(١) المرية: هي مدينة كبيرة من كروة البيرة من أعمال الأندلس، وكانت هي وبجانة بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحلّ مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، يضرب ماء البحر سورها، دخلها الإفرنج سنة ٥٤٢ هـ، ثم استرجعها المسلمون سنة ٥٥٢ هـ. معجم البلدان، ج ٥/ص ١٤٠.

(٢) دانية: مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً مرساها عجيب يسمى السُّمان. لها رساتيق واسعة كثيرة التين والعنب واللوز، وكانت قاعدة ملك أبي الجيش مجاهد العامري. معجم البلدان، ج ٢/ص ٤٩٤.

(٣) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد، مفسر، فقيه أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، كان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. توفي في لورقة سنة ٥٤٢ هـ/١١٤٨ م.

## أم بسطام بن قيس النصراني سيد بني شيبان<sup>(١)</sup>

كانت من نساء العرب المتقدمات في الأدب ذات شعر رائق، ومعنى فائق، فمن قولها ترثي ولدها بسطام<sup>(٢)</sup> حين قتل يوم الشقيقة<sup>(٣)</sup> قتله بنو ضبة<sup>(٤)</sup>:

ليك ابن ذي الجدّين بكر بن وائل<sup>(٥)</sup> فقد بان فيها زينها وجمالها  
إذا ما غدا فيها غدون كأنهم نجوم سماء بينهن هلالها  
فيا لله عينا من رأى مثله فتى إذا الخيل يوم الروع هب نزالها  
عزيز مكرّ لا يهدّ جناحه وليث إذا الفتيان زلت نعالها  
وحمال أثقال وعائد محجر تحل لديه كل ذاك رحالها  
سيبك عان لم يجد من يفكه وتبكك فرسان الوغى ورجالها  
وتبكك أسرى طالما قد فككتهم وأرملة ضاعت وضاع عيالها  
مفرّج حومات الخطوب ومدرك الـ حروب إذا صالت وعز صيولها  
فغشى بها حياً كذاك ففجعت تميم بها أرماحها ونبالها  
فقد ظفرت منا تميم<sup>(٦)</sup> بعثرة وتلك لعمرى عشرة لا تقالها

(١) بنو شيبان: بطن من بكر بن وائل وهم من ذهل بن ثعبان بن عكرمة وكان شيبان هدم من بني سدوس، ومازن، وعلي، وعمرو، وعمرو، وأمه أرنب بنت لوقيد من بني ثعبان فولد في عهد بنو شيبان هؤلاء بطن متسع كثير الشعوب. وكانت لهم كثرة في صدر الإسلام شرقي دجلة من جهات الموصل. وكان سيدهم في الجاهلية مرة بن ذهل بن شيبان، كان له من تولد عشرة، منهم عشر قبائل. أشهرهم همام وجساس. قال ابن حزم: تفرّع من همام ثمانية وعشرون بطناً، ومنهم من من حمير من القحطانية.

(٢) هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، أبو الصهباء، سيد شيبان، ومن أشهر قبائل بني الجاهلية. يضرب المثل بفروسيته. وكان يقال: أكثر فداءً من بسطام بن قيس، نسبة بسطام الحارث فافتدي بأربعمئة ناقة وثلاثين فرساً. أدرك الإسلام ولم يُسم. قتله بنو ضبة يوم الشقيقة.

(٣) يوم الشقيقة: أو الشقيق وهو يوم من أيام العرب كان نصيبه على بني شيبان، وشبهه يوم الشقيقة تبت العشب، وهو يسمّى أيضاً نفا الحسن، والحسن اسم من عبده.

(٤) بنو ضبة: بطن من طابخة من العدنانية، وهم بنو ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مسعود وسعيد، وهما اللذان يضرب بهما المثل فيقال: أسعد أم سعيد، وكان ديهاهم حمار بني عامر بن صعصعة الشمالية التهامية من نجد، ثم انتقلوا إلى العراق وبها قتله. لشمس الشاعر.

(٥) هو بكر بن وائل بن قاسط، من بني ربيعة، من عدنان، هو جد جاهلي من سببه بنو شيبان، وحمير وغيرهم. كان سدنّه آل الأسود.

(٦) بنو تميم: بطن من طابخة، وطابخة من العدنانية، وهم بنو تميم بن مازن بن أد بن طابخة بن إلياس بن مسعود واللغة هو الشديد. قال الحميري عن ابن عدي: وكان تميم من بني عدنان، وهم بنو شيبان، وحمير بن عامر بن صعصعة.



أصابت به شيبان والحي يشكر<sup>(١)</sup> وطيير يرى أرسالها وحبالها

### أم حكيم ابنة عبد المطلب الهاشمية الملقبة بالبيضاء

كانت من النساء الحكيمات العاقلات في بني هاشم جمعت مع الحكمة وفرة الأدب، ومع البلاغة فصاحة العرب كانت مع أخواتها رثت أباهما في حياته كطلبه بهذه الأبيات:

ألا يا عين جودي واستهلي	وبكى ذا الندى والمكرمات
ألا يا عين ويحك أسعديني	بدمعك من دموع هاطلات
وبكى خير من ركب المطايا	أبناك الخير تيار الفرات
طويل الباع شيبة ذا المعالي	كريم الخيم محمود الهبات
وصولاً للقراية هبرزيا	وغيثاً في السنين الممحلات
وليثاً حين تشتجر <sup>(٢)</sup> العوالي	تروق له عيون الناظرات
عقيل بني كنانة <sup>(٣)</sup> والمرجي	إذا ما الدهر أقبل بالهنات
ومفزعها إذا ما هاج هيج	بداهية خصيم المعضلات
فبكيه ولا تسمي بحزن	وبكى ما بقيت الباقيات

### أم حكيم ابنة قارظ

هي حليلة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب<sup>(٤)</sup> كانت من فصحاء نساء العرب وأحسنهن أدباً وجمالاً، وأثبتهن جناناً، وكانت تقول الشعر وأكثر أشعارها رثاء علي ولديها وكانا صغيرين، اسم أحدهما عبد الرحمن، والآخر قثم. فلما فاز معاوية بعد تحكيم الحكمين

وقال في العبر: وكانت منازلهم بأرض نجد ومن هنالك انتقلوا إلى البصرة، واليمامة، وامتدت إلى الغري من أرض الكوفة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر، ولم تبق منهم بادية، ومن بطونهم حنظلة، وبنو العنبر.

- (١) بنو يشكر: من نسل بكر بن وائل.  
 (٢) تشتجر: تُمنع وتَضَعُ. [القاموس المحيط، مادة: شجر].  
 (٣) بنو كنانة: بطن من مضر من القحطانية، وكنانة هذا كان له من الولد علي عمود النسب النبوي: النَّظَر. وخارجاً عن عمود النسب، مالك، وملكان، والحارث، وعمرو، وغيرهم. قال أبو عبيد وهم في اليمن.

- (٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، القرشي، الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة، صحابي جليل ولد بمكة سنة ٣ ق.هـ/٦١٩ م. نشأ في بدء عصر النبوة، فلزم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة. شهد مع علي الجمل وصفين، كُفَّ بصره في آخر عمره، فسكن الطائف وتوفي بها سنة ٦٨ هـ/٦٨٧ م.

بعث بالضحاك بن قيس<sup>(١)</sup>، وبسر بن أرطاة<sup>(٢)</sup> بجيش وأمرهما أن يقتلا كل من كان من شيعة علي بن أبي طالب حتى الأطفال والحرم فذهب بسر إلى اليمن وكان عبيد الله بن العباس<sup>(٣)</sup> عاملاً هناك فلما لم يجده أغار على بيته فعرث بولديه المذكورين فذبحهما بشفرة كانت معه فجزعت أمهما عليهما جزعاً شديداً، وخالط عقلها بعض اللمم فصارت لا تعقل ولا تعي ولا تصغي إلى قول داع ولا تقبل على نصح بل علقت تطوف الأحياء وتقصد المنتديات في المواسم وحيثما رأت مجتمعاً رفعت صوتاً يقطع البكاء وتنشد مرثي يرق لها الجلمود ومن مرثيها قولها:

يا من أحس بابني اللذين هما	كالدرتين تشظي عنهما الصدفُ
يا من أحس بابني اللذين هما	سمعي وقلبي فقلبي اليوم مردهفُ <sup>(٤)</sup>
يا من أحس بابني اللذين هما	مخ العظام فمخي اليوم مختطفُ
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا	من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابني مرهفة	مشحوذة وكذاك الإفك يقترفُ
حتى لقيت رجلاً من أرومته	شم الأنوف لهم في قولهم شرفُ

(١) هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهري ولد سنة ٥ هـ. القرشي أبو أمية أو أبو أنيس سيد بني فهد في عصره. وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق وسكنها، شهد صفين مع معاوية، وولاه معاوية علي الكوفة سنة ٥٣ هـ. ففتقد الخورنق (قصر النعمان) وأصلحه، ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى قضاء علي معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد، ولما خنع معاوية بن يزيد نفسه لصف يدع إلى بيعة ابن الزبير بدمشق، مات معاوية سنة ٦٤ هـ، فأقبل أهل دمشق على الضحاك، فباعدوا عن أن يصلي بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع الناس على خليفة، وانعقدت البيعة لزيد بن معاوية، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مروان، فقتل في مرج راهط سنة ٦٥ هـ.

(٢) هو بسر بن أرطاة، أو ابن أبي أرطاة، العامري، القرشي، أبو عبد الرحمن، قتل في الحجاز، ولد في مكة قبل الهجرة وأسلم صغيراً، كان من رجال معاوية بن أبي سفيان، شهد فتح مصر، ومات معاوية سنة ٣٩ هـ في ثلاثة آلاف إلى المدينة، فأخضعها، وإلى مكة فاحتلها، وإلى البصرة فاحتلها، وكان معاوية قد أمره بأن يوقع بمن يراه من أصحاب علي، فقتل منهم حمداً، وولاه معاوية علي البصرة سنة ٤١ هـ، بعد مقتل علي وصلح الحسن، فاحتل البصرة، وولاه معاوية البحر، فغزا الروم سنة ٥٠ هـ، فبلغ القسطنطينية. أمست بعد ذلك في عتق، فمات معاوية سنة ٦٠ هـ، مدنياً منزله، وهو على تلك الحال، إلى أن مات سنة ٨٦ هـ ١٠٥ هـ في دمشق.

(٣) هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، الهاشمي، القرشي، أم محمد، ولد سنة ١ هـ، وأبوه أصغر من أخيه عبد الله بسنة، رأى النبي ﷺ ولم يره عنه شيئاً، استعمله علي بن أبي طالب، فصح بالناس سنة ٢٦ هـ، وسنة ٢٧ هـ. كان علي مقدمة الحسن بن علي إلى معاوية، مات بالمدينة سنة ٨٧ هـ كان سخياً جواداً ينحر كل يوم جزوراً. قيل: إنه أول من وضع الموائد على الطرق.

(٤) مردهف: ضامر. [القاموس المحيط، مادة: رهف].

فالآن ألعن بسرأ حق لعنته هذا لعمر أبي بسر هو السرف<sup>(١)</sup>  
من دل والهة حرى مولهة على حبيبين ضلا إذ غدا السلف

فكان كل من يسمعتها تنفجر منابع عينيه حزناً عليها وتنفطر صفاة قلبه رثواً إليها فسمعتها يوماً يمانى ذو نفس أبية ونخوة جاهلية، فذهب إلى بسر وتلطف بالتزلف إليه حتى وثق به فخرج يوماً بولديه إلى وادي أوطاس وقتلتهما ثم فرَّ وأنشد:

يا بسر بسر بني أرطاة ما طلعت شمس النهار ولا غابت عن الناس  
خير من الهاشميين اللذين هما عين الهدى وصمام إلا سوق القاسي  
ماذا أردت إلى طفلي مولهة تبكي وتنشد من أثلكت في الناس  
أما قتلتهما ظلماً فقد شرقت من صاحبك قناتي يوم أوطاس  
فاشرب بكأسهما ثكلاً كما شربت أم الصبيين أو ذاق ابن عباس  
ومن قولها أيضاً:

ألا يا من سبى الأخوي من أمهما هي الثكلي  
تسائل من رأى ابنيها وتستسقي فما تسقى  
فلما استياست رجعت بعبرة واله حرى  
تتابع بين ولولة وبين مدامع ترى

وقيل<sup>(٢)</sup>: إنه لما بلغ علي بن أبي طالب قتل «بسر» الصبيين جزع لذلك جزعاً شديداً ودعا على «بسر» بقوله: اللهم اسلبه دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلب عقله. فأصابه ذلك، وفقد عقله وكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب، ويجعل بين يديه زق منفوخ، فلا يزال يضربه حتى يسأم.<sup>(٣)</sup>

وقيل: دخل عبيد الله بن العباس على معاوية بن أبي سفيان وعنده بسر بن أرطاة فقال له عبيدالله: أنت قاتل الصبيين أيها الشيخ؟ قال: نعم، أنا قاتلتهما. فقال عبيد الله: لوددت أن الأرض كانت أثبتتني عندك.

قال: فقد أثبتتكم الآن عندي فقاما فقال عبيد الله: ألا سيف. فقال له «بسر»: هاك سيفي فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لـ «بسر» أخزاك الله شيخاً، قد كبرت وذهب عقلك وذاك رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنه تدفع إليه سيفك إنك لغافل

(١) السرف: تجاوز الحد والاعتدال. [القاموس المحيط، مادة: سرف].

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي ج ٣/ ص ١٤٠.

(٣) قال ابن معين: كان ابن أبي أرطاة رجلاً سوءاً، أهل المدينة ينكرون أن يكون له صحبة.

عن قلوب بني هاشم والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك. قال عبید الله: أجل والله، وكنت أثنى به. (١)

### أم خالد النميرية

كانت من نساء العرب المشهورات بالعقل والذكاء والتدبير في قبيلتها بني نمير<sup>(٢)</sup> وهي مشهورة بأم خالد وشهرتها غلبت اسمها، ولذلك لم تأت الرواة عليه ولها أبيات في ولدها خالد وكان توفي في بعض الغزوات ودفن في الغربة وهي:

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضه      أتتنا برایات نصاب هبوبها  
أتتنا بمسك خالط المسك عنبر      وريح خزامى باكرتها جنوبها  
أحنّ لذكره إذا ما ذكرته      وتنهلّ عبرات تفيض غروبها  
حين أسير نازح شدّ قيده      وأعوال نفس غاب عنها حبيبها

وقالت وهو يروى لأم الضحّاك المحاربة:

وكيف يساوي خالداً أو يناله      خميص في التقوى بطين من الخمر

### أم الخير ابنة الحريش بن سراقه البارقية

كانت من المتكلمات الخطيبات البليغات من نساء العرب وفدت على معاوية كما قال عبد الله بن عمر الغساني عن الشعبي<sup>(٣)</sup> أن معاوية كتب إلى واليه بالكوفة<sup>(٤)</sup> أن يحمل إليه أم الخير ابنة الحريش ورحلها وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيراً، وبالشر شراً بقولها فيه، فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه فقالت: وأما أنا فغير زائغة عن طاعته، ولا معتلة بكذب.

- (١) أشار الذهبي في تاريخ الإسلام (٣: ١٤٠) إلى ما ارتكبه في اليمن في سبي النساء المستلمات.
- (٢) بنو نمير: بطن من عامر بن صعصعة، وهم بنو نمير بن عامر بن صعصعة منهم أسير بن عامر بن أسيد الصحابي. قال في العبر: وكانت منازلهم الحذية الغدائية والشام.
- (٣) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو، ولد له من نساء بني نمير بنت حفظة، ولد في الكوفة سنة ١٩ هـ/ ٦٤٠ م ومات فجأة في الكوفة سنة ١٠٣ هـ/ ٧٢١ م. بعد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره واسمته إلى ملك الروم سنة ١٠٣ هـ/ ٧٢١ م. أشهر، سنل عما بلغ إليه حفظة، فقال: ما كتبت سواداً في بيضاء، ولا حديثاً في حديد، ولا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استفضاه عمر بن عبد العزيز. كان فقيهاً شاعراً، اسمه في شعب، وهو بطن من همدان.
- (٤) الكوفة: مصر مشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسمونها قوم خد العذراء. قال أبو بكر محمد بن القاسم: سميت الكوفة لاستدارتها. وقيل: سميت الكوفة دفقة لاجتماع الناس بها من قريش وقبائل تكوف الرمل. معجم البلدان، ج ٤/ ص ٥٥٧.

ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تختلج في صدري فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها: يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إليّ أنه مجازيني بالخير خيراً، وبالشر شراً فما عندك؟ قالت: يا هذا، لا يطمعك برك بي أن أسرك بباطل ولا يؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية، فأنزلها مع الحرم.

ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلسائه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال لها: وعليك السلام يا أم الخير بحق ما دعوتني بهذا الاسم. قالت: يا أمير المؤمنين، لكل أجل كتاب. قال: صدقت، فكيف حالك يا خالة وكيف كنت في مسيرك؟ قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى سرت إليك فأنا في مجلس أنيق عند ملك رقيق، قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم. قالت: يا أمير المؤمنين، يعيدك الله من دحض المقال وما تخشى عاقبته. قال: ليس هذا أردنا، أخبريني كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر<sup>(١)</sup>؟ قالت: لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة فإن أحببت أن أحدثك مقالاً غير ذلك فعلت، فالتفت إلى جلسائه فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين. قال: هات. قال: كآني بها بين بردين زائرين كثيفي النسيج وهي على جمل أرمك، ويدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول: «يا أيها الناس، اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم إن الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، وبيّن السبيل، ورفع العلم ولم يدعكم في عمياء مدلهمة، فأين تريدون رحمكم الله إفراراً عن أمير المؤمنين أم فراراً من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتداداً عن الحق؟ أما سمعتم الله جل شأنه يقول: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك يا رب أزمة القلوب فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق إلى أهله هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضي التقي، والصديق الأكبر إنها إحن بدرية وأحقاد جاهلية وسببها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد

(١) هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين أبو اليقظان، العنسي، القحطاني، صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي. ولد سنة ٥٧ ق.هـ، وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهير به، هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، وبيعة الرضوان، وكان النبي يلقبه: الطيّب المطيّب، وفي الحديث: «ما خيّر عمار بين أمرين إلا اختار أرحمهما». هو أول من بنى مسجداً في الإسلام، بناه في المدينة وسمّاه قباء، ولاه عمر بن الخطاب الكوفة فأقام زماناً وعزله، شهد الجمل وصفين مع علي، وقتل في الثانية، وعمره ثلاث وتسعون سنة وكان ذلك عام ٣٧ هـ.

شمس<sup>(١)</sup>، ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون صبراً، يا معاشر المهاجرين والأنصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكأنني بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرّت من قسورة لا تدري أيّاً يسلك بها من فجاج الأرض باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى وعمّا قليل ليصبحن نادمين حين تحل بهم الندامة فيطلبون الإقالة [ولات حين]<sup>(٢)</sup> مناص إن من ضل والله عن الحق وقع في الباطل، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها واستطابوا الآخرة فسعوا لها، فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، وتقوى كلمة الشيطان فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وأبي سبطيه<sup>(٣)</sup> خلق من طيبته وترفع من نبعته وجعله باب دينه، وأبان ببغضه المنافقين، وها هوذا مفلق الهام ومكسر الأصنام صلى والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزيه وأفنى أهل أحد<sup>(٤)</sup> وهزم الأحزاب<sup>(٥)</sup> وقتل الله به أهل خيبر<sup>(٦)</sup> وفرّق به جمع أهوائهم فيا لها من وقائع زرعت في القلوب نفاقاً، وردّة، وشقاقاً، وزادت المؤمنين إيماناً. قد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي، ولو قتلتك ما حرّجت في ذلك. قالت: والله ما يسوءني أن يجري قتلي على يد من يسعدني الله بشقائه. قال: هيئات، وكثيرة الفضول ما تقولين في عثمان بن عفان<sup>(٧)</sup> رحمه الله؟ قالت: وما عساني أن أقول في

- (١) بنو عبد شمس: بطن من حمير من القحطانية، وهم بنو عبد شمس بن وائل بن الغوث بن فضال بن عريب بن زهير بن الغوث بن أبي بن الهميسع بن حمير.
- (٢) وردت في الأصل: «ولا تحين»، ولعل الصحيح مع أثبتناه، لات من أخوات نيس اسمها محذوف وجوباً ويقدر من نفس لفظ الخبر. المعجم الميسر في القواعد والبلاغة والإنشاء، الجزء ١، ص ١٠٠، أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- (٣) السبط: ولد الولد، ويغلب هذا التعبير عن ولد البنت مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن المقصود الحسن والحسين.
- (٤) أحد: جبل مشهور في الجزيرة العربية شهد موقعة كبرى بين المسلمين والكفار سنة ٦٢٥ هـ، على يد خالد بن الوليد. معجم البلدان، ج ١/ ص ١٣٥.
- (٥) الأحزاب: موقعة هزم فيها المسلمون أحزاب الكفار وهنا الإشارة بهذا المعنى.
- (٦) خيبر: الموضع المذكور في غزاة النبي ﷺ، وهي ناحية على ثمانية بُرود من المدينة لمن يريد الشام، وسميت بهذا الاسم لاشتمالها على حصون عدة، ولفظ خيبر عند اليهود معناها الحصن، ولكن هذه البقعة تشتمل على حصون عدة. معجم البلدان، ج ٢/ ص ٤٦٨.
- (٧) هو عثمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. قشبي، أموي، يجمع هو والنبي ﷺ، في عبد مناف، وهو ثالث الخلفاء الراشدين، ولد بالطائف بعد الفيل بست سنين على النبي ﷺ.

عثمان، استخلفه الناس وهم به راضون، وقتلوه وهم له كارهون. قال معاوية: يا أم الخير، هذا ثناؤك الذي تثنين؟ قالت: لكن والله يشهد وكفى بالله شهيداً ما أردت بعثمان نقصاً، ولكن كان سابقاً إلى الخير وإنه لرفيع الدرجة غداً. قال: وما تقولين في الزبير؟ قالت: وما أقول في ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وأنا أسألك بحق الله يا معاوية فإن قريشاً تحدّثت أنك أحلمها أن تعافيني من هذه المسائل وتسالني عما شئت من غيرها قال: نعم ونعمة عين قد عفيتك منها.

ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردّها مكرمة إلى الكوفة وبقيت في عزّ إلى أن توفّاها الله.

### أم سلمة زوجة السفاح

هي ابنة يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكانت ذات أدب وجمال ومال تزوج بها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها، ثم كانت عند هاشم فهلك عنها، وسبب زواجها بالسفاح هو أنها بينما كانت ذات يوم جالسة في منزلها إذ مر بها أبو العباس السفاح<sup>(١)</sup> وكان جميلاً وسيماً فسألت عنه، فنسب لها، فأرسلت له مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها. وقالت لها: قولي له هذه سبعمائة دينار أوجه بها إليك وكان معها مال عظيم وجوهر وحشم فأتته المولاة فعرضت عليه ذلك فقال: أنا مملق لا مال عندي، فدفعت إليه المال فأنعم لها وأقبل إلى أخيها فسأله التزويج بها فزوجه إياها فأصدقها خمسمائة دينار وأهدى لها مائة دينار ودخل عليها من ليلته وإذا هي على منصة فصعد عليها فإذا كل عضو منها مكلل بالجواهر فلم يصل إليها فدفعت بعض الجوارى فنزلت وغيرت لبسها ولبست ثياباً مصيفة وفرشت له فرشاً على الأرض دون ذلك فلم يصل إليها فقالت: لا يغرك هذا كذلك كان

٥٧٦ م. أمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف. يكنى بأبي عبد الله وأبي عمرو، يقال لعثمان - رضي الله عنه: «ذو النورين» لأنه تزوج رقية، وأم كلثوم ابنتي النبي ﷺ، ولا يُعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره، قتل عثمان سنة ٣٥ هـ/٦٥٦ م، عثمان بن عفان، ذو النورين، محمد رضا، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله، ابن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس السفاح. أول خلفاء الدولة العباسية، وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب. ويقال له المرتضى والقائم. ولد بالشرية سنة ١٠٤ هـ/٧٢٢ م ونشأ بها، وقام بدعوته أبو مسلم الخراساني. فبويغ له بالخلافة جهراً في الكوفة سنة ١٣٢ هـ. وصفا له الملك بعد مقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين في الشام. كان شديد العقوبة، عظيم الانتقام. تتبع بقايا الأمويين بالقتل والصلب والإحراق حتى لم يبق منهم غير الأطفال والجالين إلى الأندلس. لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دمائهم. كانت إقامته بالأنبار، حيث بنى مدينة سمّاها «الهاشمية»، وجعلها مقر خلافته هو أول من أحدث الوزارة في الإسلام، كان سخياً جداً. يوصف بالفصاحة والعلم والأدب. مرض بالجدري فتوفي شاباً في الأنبار سنة ١٣٦ هـ/٧٥٤ م.

غيرك يصيبه مثل ما أصابك فلم تزل به حتى وصل إليها من ليلته، وحظيت عنده وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى فولدت له محمد وريطة، وغلبت على أمره غلبة شديدة حتى إنه كان لا يقطع أمراً إلا بمشورتها حتى آلت الخلافة إليه فلم يكن يدنو من غيرها لا حرة ولا أمة، ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها فبينما كان ذات يوم في خلافته إذ خلا به خالد بن صفوان<sup>(١)</sup> فقال:

«يا أمير المؤمنين، إني فكرت في أمرك وسعة ملكك وقد ملكت نفسك امرأة واحدة فإن مرضت مرضت، وإن غابت غبت، وحرمت نفسك التلذذ واستطراف الجوارى ومعرفة أخبارهن وحالاتهن والتمتع بما تشتهي منهن فإن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغداء، والغضة البيضاء، والعقيقة الأدماء، والدقيقة السمراء، والبربرية العجزاء، من مولدات المدينة تفتتن بمحادثتهن وتلد بخلوتهن، وأين أمير المؤمنين من بنات الأحرار والنظر إلى ما عندهن وحسن الحديث منهن، ولو رأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء، والسمراء اللعساء، والصفراء العجزاء، والمولدات من البصريات، والكوفيات ذات الألسن العذبة، والقذود المهفهفة والأوساط المخرصة، والأصداغ المظرفنة، والعيون المكحلة، والثدي المحققة، وحسن زيهن وزينتتهن وشكلهن لرأيت شيئاً حسناً».

وجعل خالد يجيد في الوصف ويجد في الإطناب بحلاوة لفظه، وجودة وصفه، فسبغ فرغ كلامه قال له أبو العباس: ويحك يا خالد ما حك مسامعي والله قط كلام أحسن مما سمعت منك فأعد عليّ كلامك فقد وقع مني.

فأعاد عليه خالد أحسن من الأول ثم انصرف وبقي أبو العباس مفكراً فيما سمع منه، فدخلت عليه أم سلمة امرأته، فلما رآته مفكراً مغموماً قالت: إني لأنكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك خبر فارتعت منه؟ قال: لم يكن من ذلك شيء قالت: فما قصتك أخبرني عنها؟ فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت: فما قلت لابن الفاعلة؟ قال لها: سبحان الله ينصحني وتشتمي؟ فخرجت من عنده مغضبة وأرسلت إلى خالد عشرة من أصحابه ومعهم العصي وأمرتهم أن لا يتركوا منه عضواً صحيحاً. قال خالد: فأنصفت لي مني ما كنت في غاية السرور بما رأيت من أمير المؤمنين وإعجابه بما ألقىته إليه، ثم أثنيت أن منتهى ستائبي

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التميمي المنقري، من فصحاء العرب المشهورين كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد وشيخاً للعصاة. أسر أهلها مالا، ولم يتزوج. له كلمات سائرة، قيل له: أي إخوانك أحب إليك؟ فقال: الذي بعد زللي ويقبل عليّ ويسد خللي. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي. حظى عنده من الفصاحة أفقر الناس على مدح الشيء، وذمه. كان يرمي بالبحل، وكف عنه يوم كان في السجن. م ٧٥٠/هـ ١٣٣.



فلم ألبث حتى صار أولئك الخدم وأنا قاعد على باب داري، فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة واصله حتى وقفوا عليّ فسألوا عني فقلت: ها أنا ذا خالد فبادر إليّ أحدهم بهراوة كانت معه.

فلما أهوى بها إليّ وثبت فدخلت منزلي وأغلقت الباب عليّ واستترت ومكثت أياماً على تلك الحال لا أخرج من منزلي ووقع في خلدي أنني أوتيت من قبل أم سلمة وطلبني أبو العباس طلباً شديداً فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم قد هجموا عليّ وقالوا: أجب أمير المؤمنين، فأيقنت بالموت فركبت وليس عليّ لحم ولا دم، فلما وصلت إليه أوماً إليّ بالجلوس ونظرت فإذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أرخيت، وحزكة خلفها فقال: يا خالد لم أرك منذ ثلاث! قلت: كنت عليلاً يا أمير المؤمنين. فقال: ويحك إنك وصفت لي في آخر دخلة من أمر النساء والجواري ما لم يخرق سمعي قط كلام أحسن منه فأعده عليّ.

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، أعلمتك أن العرب اشتقت اسم الضرة من الضر، وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلا كان في جهد فقال: ويحك لم يكن هذا في الحديث قلت: بلى والله يا أمير المؤمنين وأخبرتكم أن الثلاث من النساء كأنهن في قدر يغلي عليهن. قال أبو العباس برئت من قرابتي من رسول الله ﷺ إن كنت سمعت منك هذا في حديثك الأول. قال: وأخبرتكم أن الأربعة من النساء شر صريح لصاحبهن يشيبه ويهرمه ويسقمه قال: ويلك، والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت! قال خالد: بلى والله. قال: ويلك أتكذبني؟ قال: أو تريد أن تقتلني؟ قال: مرّ في حديثك. قال: وأخبرتكم أن أبكار الجواري رجال، ولكن لا خصي لهن قال خالد فسمعت الضحك من وراء الستر قلت: نعم وأخبرتكم أيضاً أن بني مخزوم ريحانة قريش وأنت عندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمح بعينك إلى حرائر النساء وغيرهن من الإماء قال خالد فقيل لي من وراء الستر: صدقت، والله يا عماه بهذا حدثت أمير المؤمنين، ولكنه بدل وغير ونطق بما في ضميره عن لسانك فقال له أبو العباس: ما لك قاتلك الله وأخزأك وفعل بك وفعل. قال: فتركته وخرجت وهو يشتم وقد أيقنت بالحياة فلما وصلت منزلي أخذت راحتي وصرت أفكر فيما حصل فما أشعر إلا ورسل أم سلمة قد صاروا إليّ ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام فأخذتها وانصرفوا وبقيت أم سلمة عند السفاح إلى أن توفاه الله وهي مالكة قلبه.

### أم سنان ابنة جشمه

كانت من شاعرات العرب الموصوفات بالأدب اللائي لهنّ اليد الطولى بالنظم والنثر مع رقة المعنى ودقة المبنى والحماسة الزائدة التي تقصر عنها حماسة الرجال وناهيك ما قالت في

مدح آل البيت وتحريض آل مذحج<sup>(١)</sup> على نصرتهم، وقد وفدت على معاوية كما قال سعيد بن أبي حذافة قال: إن مروان بن الحكم وهو والي المدينة حبس غلاماً ليس في جناية جناها فأتته جدة الغلام وهي أم سنان ابنة جشمه المذحجية فكلمته في الغلام فأغلظ لها مروان فخرجت إلى معاوية، فدخلت عليه، فانتسبت فعرفها فقال لها: مرحباً يا ابنة جشمه ما أقدمك أرضنا وقد عهدتكَ تشتمينا وتحضين علينا عدونا؟ قالت: إن لبني عبد مناف<sup>(٢)</sup> أخلاقاً طاهرة وأحلاماً وافرة لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينتقمون بعد عفو، وإن أولى الناس باتباع ما سنّ أبائهم لأنك قال: صدقت نحن كذلك فكيف قولك:

عذب الرقاد فمقلتي لا ترقد      والليل يصدر بالهموم ويوردُ  
يا آل مذحج لا مقام فشمروا      إن العدو لآل أحمد يقصدُ  
هذا عليّ كالهلال تحفه      وسط السماء من الكواكب أسعدُ  
خير الخلائق وابن عم محمد      إن يهدكم بالنور منه تهتدوا  
ما زال مذ شهر الحروب بمظفر      والنصر فوق لسوائه ما يفقدُ

قالت: كان ذلك يا أمير المؤمنين، وأرجو أن تكون لنا خلفاً، فقال رجل من جنسائه كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة:

أما هلكت أبا الحسين فلم تزل      بالحق تعرف هادي مهدي  
فاذهب عليك سلام ربك ما دعت      فوق الغصون حمامة قسري  
قد كنت بعد محمد خلفاً كما      أوصى إليك بنا فكنت وصي

قالت: يا أمير المؤمنين، لسان صدق وقول حق ولكن تحقق ما ظننا فحظك الأوفر والله ما أورثك الشنآن في قلوب المسلمين إلا هؤلاء فأضحك مقاتلهم وأبعد منزلتهم إنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً ومن المؤمنين حباً.

قال: وإنك تقولين ذلك قالت: سبحان الله والله ما مثلك مدح يبطل ولا أمه تذل.

(١) آل مذحج: واسمه مالك، قبيلة من كهلان، قال الجوهري: مذحج وهم من بني مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عذبة بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(٢) بنو عبد مناف: بطن من قريش من العدنانية، وهم عبد مناف بن قصي، وأمهم حبي بنت عبد مناف بن كنانة، فحوله لعبد مناف، وهو منسب عظيم لهم، فحشي أبوه قصي بن كلاب بن أسد بن عبد مناف بن قصي، وكان له شوكه في قريش، وكان له من الأبناء إسحاق: وكان له من الولد هاشم وعبد شمس وعبد المطلب وأخته: قال ابن حبيب: وهي عاتكة بنت مرة السلمي، وكان قصي قد جعل لابنه عبد الدار في مقابلة شرف عبد مناف الجليل، والوليد والنودة، والرفادة، والسقاية، فبقوا على ذلك إلى أن اتزع بنو عبد مناف منهم السقاية والرفادة.

بكذب وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا كان والله عليّ أحب إلينا منك، وأنت أحب إلينا من غيرك.

قال: فمن قالت من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص. قال: وبما استحققت ذلك عندك؟ قالت: بسعة حلمك وكريم عفوك. قال: إنهما يطمعان في ذلك. قالت: هما والله من الرأي على غير ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله. قال: والله لقد قاربت ما حاجتك؟ قالت: يا أمير المؤمنين إن مروان تَبَنَّكَ<sup>(١)</sup> بالمدينة تَبَنَّكَ من لا يريد منها البراح لا يحكم بعدل ولا يقضي بسنة يتبع إثارات المسلمين، ويكشف عورات المؤمنين حبس ابن ابني فأتيته. فقال: كنت وكنت، فأسمعته أحشن من الحجر، وألجمته أمر من الصبر، ثم رجعت إلى نفسي بالملامة، وقلت: لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالعمو منه فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظراً وعليه معدياً.

قال: صدقت لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته اكتبوا لها بإطلاقه قالت: يا أمير المؤمنين وأتى لي بالرجعة وقد نفذ زادي وكلت راحلتي فأمر لها براحلة وخمسة آلاف درهم وانصرفت إلى قومها.

### أم عقبه زوجة غسان بن جهضم

كانت ابنة عمه وكان مفتوناً بها لأنها كانت من أجهل النساء وأحسنهن وأفضلهن خصالاً وكان لما حضرته الوفاة جعل ينظر إليها ويبكي، ثم قال لها: إني منشدك أبيات أسألك فيها عما تصنعين بعدي وأعزم عليك أن تصدقيني فقالت: قل فوالله لا أكذبك. فأنشد:

أخبري بالذي تريدين بعدي      ما الذي تضميرين يا أم عقبه  
تحفظيني من بعد موتي لما قد      كان مني من حسن خلق وصحبة  
أم تريدين ذا جمال ومال      وأنا في التراب رهن سجن وغربة  
فأجابته:

قد سمعنا الذي تقول وما قد      خفته يا خليل من أم عقبه  
سوف أبكيك ما حييت شجواً      ومراث أقولها وبنديبه  
فقال:

أنا والله واثق بك لكن      ربما خفت منك غدر النساء  
بعد موت الأزواج يا خير من عو      شر فارعي حقي بحسن وفاء

(١) تَبَنَّكَ: أقام في المكان وفي عزه تمكن. [القاموس المحيط، مادة: بَنَنَّكَ].

إني قد رجوت أن تحفظي العهد - فكوني إن مت عند رجائي

فلما مات توافد عليها الخطاب فقالت:

سأحفظ غساناً على بعد داره وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشرُ

وإني لفي شغل عن الناس كلهم فكفوا فما مثلي من الناس يغدرُ

سأبكي عليه ما حيتت بعبرة تجري على الخدين مني فتكثُرُ

فلما طالت الأيام وكثر إلحاح الناس أجابت الخاطب فلما كانت الليلة التي زفت فيها

جاءها غسان في النوم فأنشد:

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي عهداً

ولم تصبري حولاً حفاظاً لصاحب حلفت له يوماً ولم تنجزني وعداً

غدرت به لما ثوى في ضريحه كذلك ينسى كل من سكن اللحداً

فانتبهت مرعوبة كأنما كان معها فقالت النساء لها: ما دهاك؟ قالت: ما ترك غسان لي

في الحياة أرباً ولا في السرور رغبة أتاني في المنام فأنشدني هذه الأبيات، ثم جعلت ترددها

وتبكي فشاغلنها بالحديث فلما غفلن عنها أخذت شفرة فذبحت نفسها ووفت لزوجها.

### أم عمران ابنة وقدان

كانت من النساء المتحمسات في الجاهلية وكلامها يغلب عليها الهيجان بين العرب،

قيل: إنها حينما قتل بعض رجال قومها قالت تحرضهم على أخذ ثاره وتوبخهم على تعذيبه

عنه:

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا نقب النساء فبنس رهط المرهق

أهاكم أن تطلبوا بأخيكم أكل الخزير ولعق أجرد أمحق

### أم قيس الضبية

لها في ابن سعد<sup>(١)</sup> زوجها مراث روى منها صاحب الحماسة قولها:

من للخصوم إذا جد الضجاج بهم بعد ابن سعد ومن أخصم القوم

(١) هو محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أم عبد الله مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث، ولد في

البصرة سنة ١٦٨ هـ/٧٨٤ م. وسكن بغداد وتوفي فيها سنة ٢٣٠ هـ/٨٤٥ م. صاحب كتاب

المؤرخ. قال الخطيب في تاريخ بغداد: محمد بن سعد ثقة من أهل بغداد، له كتاب

صدقته، فإنه يتحرى في كثير من رواياته

ومشهد قد كفيت الغائبين به في مجمع من نواصي الناس مشهود  
فرجته بلسان غير ملتبس عند الحفاظ وقلب غير مذود  
إذا قناة امرئ أزرى بها خور هز ابن سعد قناة صلبة العود

### أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب

أمها فاطمة<sup>(١)</sup> ابنة رسول الله ﷺ ولدت قبل وفاة النبي خطبها عمر بن الخطاب إلى أبيها عليّ فقال: إنها صغيرة. فقال عمر: زوجنيها يا أبا الحسن فإني أرصد من كرامتها ما لم يرصده أحد. فقال له: عليّ أنا أبعثها إليك فإن رضيتها فقد زوجتكها فبعثها إليه ببرده فقال لها: قولي له: هذا البرد الذي قلت لك عليه. فقالت: ذلك لعمر. فقال لها: قولي له: قد رضيت رضي الله عنك ووضع يده عليها. فقالت له: أتفعل هذا؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك، ثم جاءت أباهما فأخبرته وقالت له: بعثتني إلى شيخ سوء. قال: يا بنية، إنه زوجك فجاء عمر فجلس إلى المهاجرين في الروضة وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون. فقال: ارفئوني فقالوا: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجت أم كلثوم بنت علي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل سب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري»<sup>(٢)</sup> وكان لي به ﷺ النسب والسب فأردت أن أجمع إليه الصهر فرفأوه، فتزوجها علي مهر أربعين ألفاً فولدت له زيدا ورقية، وتوفيت أم كلثوم وابنها زيد في وقت واحد وكان زيد قد أصيب في حرب كانت بين بني عدي<sup>(٣)</sup> خرج ليصلح بينهم فضربه رجل منهم في الظلمة فشججه وصرعه، فعاش أياماً ثم مات هو وأمه وصلى عليهما عبد الله بن عمر<sup>(٤)</sup>

- (١) هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب، الهاشمية، القرشية، فاطمة الزهراء، أمها خديجة بنت خويلد من نابهات قريش وهي إحدى الفصيحات العاقلات. تزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الثامنة عشر من عمره، ولدت سنة ١٨ ق.هـ/٦٠٥ م، كانت أحب الناس إلى قلب أبيها ﷺ، أولادها: الحسن، والحسين، وأم كلثوم، وزينب. عاشت بعد أبيها ستة أشهر توفيت سنة ١١ هـ/٦٣٢ م. وهي أول من جعل لها النعش في الإسلام، عملته لها أسماء بنت عميس، وكانت قد رآته يُصنع في بلاد الحبشة.
- (٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ١١٤). والحاكم في المستدرک (٣: ١٤٢). والطبراني في المعجم الكبير (٣: ٣٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩١٤).
- (٣) يراجع: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٢٢ - ٣٢٥.
- (٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. كان جريئاً جهيراً. ولد في مكة سنة ١٠ ق.هـ/٦١٣ م. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، شهد فتح مكة، توفي فيها سنة ٧٣ هـ/٦٩٢ م. أفتى الناس في الإسلام ستين سنة. =

وقدمه الحسن بن علي<sup>(١)</sup> وذلك بعد وفاة عمر بن الخطاب، ولما قتل عنها عمر تزوجها عون بن جعفر.

وقيل: لما تأيمت<sup>(٢)</sup> أم كلثوم بنت علي من عمر بن الخطاب دخل عليها الحسن والحسين<sup>(٣)</sup> أخواها فقالا لها: إنك ممن قد عرفت سيدة نساء المسلمين وبنت سيدتهن وإنك

ولما قُتل عثمان عرض عليه نفر أين يباعوه بالخلافة فأبى. غزا إفريقية مرتين الأولى مع ابن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حديج سنة ٣٤ هـ. كُف بصره في آخر حياته. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة.

(١) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، القرشي، أبو محمد، خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية (وهي فرقة من المسلمين تقول بإمامة علي - رضي الله عنه - بعد النبي ﷺ، وأنها لأبناء علي يتوارثونها وهم متفقون على أن الأئمة اثنا عشر، وأنهم ختموا بالمهدي المنتظر وفي أسمائهم خلاف، والأشهر في تسميتهم أنهم: الإمام علي، الحسن، الحسين، زين العابدين، الباقر، الصادق، الكاظم، الرضا، الجواد، الهادي، العسكري، المهدي. وولد في المدينة المنورة سنة ٣ هـ/ ٦٢٤ م. أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلاً حليماً محباً للخير، فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبديهة وكان معاوية بن أبي سفيان يوصي أصحابه باجتنب محاوره رجلين هما: الحسن بن علي وعبد الله بن عباس. لقوة بدهتهما حج عشرين حجة ماشياً. وقال أبو نعيم: دخل أصبهان غازياً مجتازاً إلى غزاة جرجان، ومعه عبد الله بن الزبير. بايعه أهل العراق بالخرفة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ، وأشاروا عليه بالسفر إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان، فأطاعهم وزحف بمن معه. وبلغ معاوية خبره، فقصده بجيشه. فقال لحسن أن يقتل المسلمون، ولم يستشعر الثقة بمن معه، فكتب إلى معاوية يشترط شروطاً لتصبح معاوية، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة ٤١ هـ، وسبق هذا العام «عام الجماعة» لاجتماع كلمة المسلمين فيه وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أودع في توفي مسموماً، ويقال: إن الذي دس السم للحسن هو امرأته أسماء بنت الأشعث بن قيس. أفضى معاوية مائة ألف فسقته السم في اللبن، وكانت وفاته سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م.

(٢) تأيمت: فقدت زوجها. [القاموس المحيط، مادة: أم].

(٣) هو الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، القرشي العدناني، أبو عبد الله، السبط الشهيد، ولد في الزهراء. ولد في المدينة سنة ٤ هـ/ ٦٢٥ م. نشأ في بيت النبوة، وهو الذي تأيمنت بعد وفاة النبي ﷺ هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرش الأمويين، وذلك أن معاوية بن أبي سفيان لما مات، وخلفه يزيد بن معاوية، تخلف الحسين عن مبايعته، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه فأقام فيها يوماً ثم رحل إلى كربلاء على أن يباعوه بالخلافة، وكتبوا إليه أنهم في جيش متجهين للثورة عليهم وأنه من أراد مبايعتهم فليخرج من مكة في مواليه ونسائه وذاريه، ونحو ثمانين من رجاله. علم يزيد سكره فمخه رثته جيشاً من أهل كربلاء بالعراق قرب الكوفة، فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح شديده، وسقط على وجهه فدمته سنان بن أنس النخعي، وقيل: الشمير بن ذي الجهم، وأسل أسن ونسائه وأطفاله إلى دمشق عاصمة الأمويين آنذاك، فظاهر يزيد بالحزن عليه. واحتفلوا في الماء الذي دُفن فيه في كربلاء، فدفنوا فيه في كربلاء مع الجثة، وقيل في مكان آخر، فتعددت المواقف، وتعددت معرفة مآثره، وتعددت - رضي الله عنه - يوم الجمعة عاشر المحرم.

والله إن أمكنتِ علياً من رمتك لنكحك بعض أيتامه، ولئن أردت أن تصيبي بنفسك مالا عظيماً لا تصيبيه فوالله ما لبثا حتى طلع عليّ يتكىء على عصا فجلس فحمد الله وأثنى عليه وذكر منزلتهم من رسول الله ﷺ وقال: قد عرفتم منزلتكم عندي يا بني فاطمة، وآثرتكم على سائر ولدي لمكانكم من رسول الله ﷺ وقرابتكم منه.

قالوا: صدقت رحمك الله فجزاك الله عنا خيراً. فقال: أي بنية، إن الله عز وجل قد جعل أمرك بيدك، وأنا أحب أن تجعله بيدي. فقالت: أي أبت إني امرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء وأحب أن أصيب مما تصيب النساء من الدنيا، وأنا أريد أن أنظر في أمر نفسي. فقال لها: لا يا بنية ما هذا من رأيك وما هو إلا رأي هذين ثم قام فقال: والله لا أكلم رجلاً منهما أو تفعلين، فأخذنا بشيابه فقالا: اجلس يا أبانا فوالله ما على هجرتك من صبر.

فقالا لها: اجعلي أمرك بيده. فقالت: قد فعلت. قال: فإني قد زوجتك من عون بن جعفر وإنه لغلام. وبعث لها بأربعة آلاف درهم وأدخلها عليه وبقيت معه حتى مات عنها قتيلاً في وقعة كربلاء وهي مع أخيها الحسين ورجعت مع السبايا من العراق إلى الشام ثم إلى المدينة وذلك في قصة مشهورة وتوفيت في المدينة.

### أم كلثوم ابنة عقبة بن أبي معيط<sup>(١)</sup>

أسلمت وهاجرت وبايعت الرسول ﷺ وكانت هجرتها سنة ٧ هجرية وتزوجها زيد بن حارثة<sup>(٢)</sup> فقتل عنها يوم مؤتة، ثم تزوجها الزبير بن العوام فولدت له زينب وطلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف<sup>(٣)</sup> فولدت له إبراهيم وأحمد وغيرهما. ومات عنها فتزوجها عمرو بن

(١) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس من مقامي قريش في الجاهلية. كنيته أبو الوليد. كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة، فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الإسلام.

(٢) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، صحابي، اختطف في الجاهلية صغيراً، اشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبي ﷺ حين تزوجها، فتبناه قبل الإسلام، وأعتقه وزوجه بنت عمته، واستمر الناس يسمونه زيد بن محمد، حتى نزلت الآية ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وهو من أقدم الصحابة إسلاماً، كان النبي ﷺ لا يبعثه في سرية إلا أمره عليها، وكان يحبه ويقدمه. جعل له الإمارة في غزوة مؤتة، فاستشهد فيها، وكان ذلك سنة ٨ هـ/٦٢٩ م.

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد، الزهري القرشي، صحابي، من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، وأحد السابقين إلى الإسلام، قيل: هو الثامن. وكان من الأجواد الشجعان العقلاء. اسمه في الجاهلية «عبد الكعبة»، أو «عبد عمرو»، سماه رسول الله ﷺ «عبد الرحمن» ولد بعد عام الفيل بعشر =

العاص فماتت عنده وكانت أول مهاجرة من مكة إلى المدينة.

قيل: مشت على قدميها من مكة إلى المدينة ولما عزمت على المهاجرة أتى أخوها عمارة والوليد<sup>(١)</sup> يطلبانها فنزلت الآية: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [المنححة: ١٠] وكانت أم كلثوم أخت عثمان ابن عفان لأمه وقد نزلت فيها ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْتَمَّحْنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ [المنححة: ١٠] إلى آخرها.

### أم كلثوم ابنة عبدود

كانت أحسن نساء زمانها جمالاً، وأوفرهن عقلاً وكمالاً. ذات أدب وفصاحة، وكياسة، وملاحة. ولها باع طويل في الشعر. ولما قتل أخوها يوم الخندق وكان قد خرج في نفر من القرشيين إلى المسلمين وقال لهم: من يبارز فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو إنك آليت على نفسك أنه لا يدعوك أحد إلى إحدى ثلاث إلا أجبتة وإني أدعوك إلى الإسلام. فقال: لا حاجة لي بذلك.

فقال: أدعوك إلى الانصراف فإن كان محمد صادقاً تقربت عنده بذلك، وإن كان كاذباً فما عليك من كذبه شيء ويقع بيد غيرك. فقال: كيف تقول عني نساء قريش إن تركت النزال ورجعت. فقال له: إني أدعوك إلى النزال. فقال: هذه، ما كنت أظن أحداً من العرب يتجاسر أن يدعوني إليها، ولكن يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك. فقال له علي: لكنني أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنزلا وتجاولا فقتله علي سنة ٥ للهجرة [أو] ٦٢٧<sup>(٢)</sup> للميلاد وذلك في خبر طويل.

ولما نعي عمرو إلى أخته أم كلثوم سألت من قاتله فقيل لها علي بن أبي طالب فقلت: لم يأت يومه إلا على يد كفاء كريم وأنشدت:

أسدان في ضيق المكر تجاولا وكلاهما كفو كريم بسائل

= سنين أي سنة ٤٤ ق.هـ/ ٥٨٠ م. وأسلم وشهد بداء، وأحداً، والمشاهد فيها جرحه، وأصيب في عاتقه وعشرون جرحاً. وفاته كانت سنة ٣٢ هـ/ ٦٥٢ م في المدينة.

(١) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أب وهب، الأموي القشيري، وأبوه قيس بن عباد بن عبد شمس بن عبد مناف، وأجدادهم. فيه ظرف، ومجون، ولهو. هو أخو عثمان بن عفان لأمه. أسلم يوم دح وعاش في عهد رسول الله ﷺ، على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني عذبة، ولما ولاه عثمان بن عفان بعد سعد بن أبي وقاص سنة ٢٥ هـ. أقام إلى سنة ٢٩ هـ، فشهد معه حيازة عبد مناف بن عبد شمس الخمر. فعزله ودعا به إلى المدينة وحده وحيسه، ولما قتل عثمان اعتزل القيس بن عامر بن عبد مناف، ولكنه رثى عثمان وحرض معاوية على الأخذ بشاره. مات بالمهرة سنة ٦١ هـ/ ٦٨٠ م.

(٢) وردت في الأصل: «و»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.



فتخالسًا سلب النفوس كلاهما  
وكلاهما حسر القناع حفيظه  
فاذهب عليّ فما ظفرت بمثله  
وأنشدت أيضاً:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله  
لكن قاتله من لا يعاب به  
من هاشم في ذراها وهي صاعدة  
قوم أبى الله إلا أن يكون لهم  
يا أم كلثوم ابكيه ولا تدعي  
لكنك أبكي عليه آخر الأبد  
من كان يدعى أبوه بيضة البلد  
إلى السماء تميت الناس بالحسد  
مكارم الدين والدنيا بلا لدد  
بكاء معولة حرى على ولد

ولما بلغت أبياتها إلى النبي ﷺ علم وفور عقلها وأنها مائلة إلى الإسلام فدعاها إلى ذلك فلبت طلبه وكان ذلك يوم فتح مكة وبقيت إلى أن توفيت في حياته.

### أم موسى الهاشمية

هي امرأة أديبة عاقلة حكيمة ذات مكر ودهاء وفطنة قد جعلها المقتدر كهرمانة داره سنة ٢٩٨ هجرية فكانت تؤدي الرسائل من المقتدر وأمه إلى الوزير، وكان لها كلمة نافذة وهي التي تسببت في عزل عليّ بن عيسى<sup>(١)</sup> عن وزارة المقتدر سنة ٣٠٤ هجرية، وذلك أنها أرادت الدخول عليه لتتفق معه على ما يحتاج حرم الدار والهاشمية من الكسوات والنفقات، فوصلت إليه وهو نائم فقال لها صاحبه: إنه نائم فلا أحد يوقظه فاجلسي في الدار ساعة حتى يستيقظ فغضبت من هذا وعادت، فاستيقظ عليّ بن عيسى في الحال وأرسل إليها حاجبه وولده يعتذر لها فلم تقبل ودخلت على المقتدر وتحرشت على الوزير عنده وعند أمه، فعزله وأعيد أبو الحسن عليّ بن الفرات<sup>(٢)</sup> ثم عزلها المقتدر سنة ٣١٠ هـ، وذلك لأنها زوجت ابنة

(١) هو علي بن عيسى بن داود بن الجراح، أبو الحسن البندادي السني، وزير المقتدر العباس والقاهر. أحد العلماء الرؤساء من أهل بغداد. فارسي الأصل ولد سنة ٢٤٤ هـ/٨٥٩ م. نشأ كاتباً كأيّبه. ولي مكة، استقدمه المقتدر إلى بغداد سنة ٣٠٠ هـ فولاه الوزارة، فأصلح الأحوال وأحسن الإدارة ونفاه إلى مكة سنة ٣١١ هـ ومنها إلى صنعاء. أذن له بالعودة إلى مكة سنة ٣١٢ هـ فعاد، ولي فيها الاطلاع على أعمال مصر والشام، فكان يتردد إليهما، أعاده المقتدر إلى الوزارة سنة ٣١٤ هـ، ونقم عليه سنة ٣١٦ هـ فعزله وقبض عليه، ثم جعل له النظر في الدواوين سنة ٣١٨ هـ. وهكذا كانت حياته ملؤها الاضطراب. توفي في بغداد سنة ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م.

(٢) هو علي بن الفرات محمد بن موسى، أبو الحسن، ابن الفرات، وزير من الدهاة الفصحاء الأدباء الأجواد. هو ممهد الدولة للمقتدر العباسي. ولد في النهروان الأعلى بين بغداد وواسط سنة =

أختها من أبي العباس أحمد بن محمد بن إسحاق بن المتوكل وأكثرت من النثار والدعوات وخسرت أموالاً جليلاً فسعى بها أعداؤها إلى المقتدر وقالوا: إنها قد سعت لأبي العباس في الخلافة وحلّفت له القواد وكثر القول عليها فقبض عليها المقتدر وأخذ منها أموالاً جسيمة وجواهر نفيسة.

### أم ندبة زوجة بدر بن حذيفة

كانت عقيلة قومها كريمة بيتها مسموعة كلمتها وكان ولدها ندبة يكنى أبا قرافة قد قتله قيس بن زهير العبسي<sup>(١)</sup> في حرب داحس والغبراء<sup>(٢)</sup> فقالت ترثيه وتلوم زوجها بقبول الدية:

حذيفة لا سلمت من الأعداي  
أيقتل ندبة قيس وترضى  
أما تخشى إذا قال الأعداي  
فخذ ثأراً بأطراف العوالي  
وإلا خلني أبكي نهاري  
لعل منيتي تأتي سريعاً  
أحب إليّ من بعل جبان  
فيا أسفي على المقتول ظلماً  
ترى طير الأراك ينوح مثلي  
وهل تجد الحمائم مثل وجدي  
فيا يوم الرهان فجعت فيه  
ولا زال الصباح عليك ليلاً

ولا وقيت شر النائبات  
بأنعام ونوق سارحات  
حذيفة قلبه قلب البنات  
أو البيض الحداد المرهفات  
وليلي بالدموع الجاريات  
وترميني سهام الحاديات  
تكون حياته أردى الحياة  
وقد أمسى قتيلاً في القلاة  
على أعلى الغصون المائلات  
إذا رميت بسهم من شتات  
بشخص جاز عن حد الصفات  
ووجه البدر مسود الجهات

٢٤١ هـ / ٨٥٥ م. اتصل بالمعتضد بالله، فولاه ديوان السواد ثم بلغ منتهى ما كان عليه المقتدر، فتولاها ثلاث مرات ثم قبض عليه سنة ٣١٢ هـ فسخن ٣٣ يوماً ومات سنة ٣١٤ هـ في دجلة.

(١) هو قيس بن زهير بن حذيفة بن ربيعة العبسي، أمير عس، وداهبها، أمير عس، أمير عس العراق. كان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه. يكنى أم هند. من الأمراء المشهورين في عصره. حضر الشجعان. ورث الإمارة عن أبيه. أشتهرت قناعه في حربه مع بني فزارة وديلم. حفظه عن قتلهم وشعر جيد فحل. زهد أواخر عمره، فرحل إلى عُمان، وعف عن المال حتى أكل الحنظل. ومات في عُمان إلى أن مات سنة ١٠ هـ / ٦٣١ م. بقصر المثل بدهانه.

(٢) داحس والغبراء: اسمان لفرسين لقيس بن زهير، وقعت الحرب بين عيس وديلم بينهما صلح. وكان يوم داحس لعبد القيس على فزارة. ومن أيام حروب داحس والغبراء يوم المريسك، وديلم حساء، واليعمرية، الهباءة، فروق، قطن.

ويا خيل السباق سقيت سماً      مذاباً في المياه الجارية  
ولا زالت ظهورك مثقلات      بصمان الجبال الراسيات  
لأن سباقكم ألقى علينا      هموماً لا تزال إلى الممات

### أمالتونسا ابنة ثيودوريك

وأما «أوديفليد» أخت «كلوفيس»<sup>(١)</sup> ملك فرنسا، وكانت «أمالتونسا» بيدها أزمة أحكام البلاد الإيطالية، وذلك لأنه لم يكن «لثيودوريك» ابن يرث ملكه من بعده، فزوج ابنته هذه بفتى، سليل أحد أعضاء العائلة الملكية، الذي فر هارباً إلى إسبانيا فرقاه الملك الفوثي إلى رتبة قنصلية وأمير، ولكن ذلك الفتى لم يتمتع زماناً طويلاً بلذة ارتقائه واقتارانه بـ «أمالتونسا»، بل مات مخلفاً طفلاً يدعى «أثالاريك» فتولت زوجته بعد وفاته وموت أبيها أحكام البلاد بالنيابة عن ابنها القاصر، واشتهرت هذه بجمالها البديع وحسنها الباهر وذكائها العظيم، وسعة معارفها، وكثرة عوارفها، وكان لها القدم الأولى في المباحث العلمية والفلسفية.

قيل: إنها درست اللغة اليونانية، واللاتينية، والقوطية، وتضلعت منها حتى أصبحت قادرة أن تتكلم بكل منها بفصاحة ورشاقة ولا ريب أنها كانت حسنة المبادئ كريمة النفس لأنها عاملت الرومانيين سكان روميا وإيطاليا الأصليين معاملة رعاياها وأشفقت عليهم خلافاً للقوطيين الذين لم يزالوا يعتبرونهم أعداء وعبداً.

وكان ابنها «أثالاريك» خملاً يبغض العلوم والمعارف، ويتأوه من الدرس ومشقاته وإجهاد العقل في سبيل التحصيل وينفر من والدته لإكراهها إياه على المواظبة والاجتهاد فحدث ذات يوم أن الفوثيين كانوا مجتمعين في قصر «رافنا» ففر هذا الأمير الفتى من غرفة أمه، وانتصب بين الجميع وهو يذرف عبرات الغضب والكبرياء وشكا إلى الحاضرين قساوة أمه وضربها إياه بسبب عصيانه وعناده فأثر هذا الكلام بأولئك المتوحشين وتوهموا أن الملكة راغبة في إهلاك ابنها واختلاس سرير ملكه وطلبوا خلاص الفتى وتربيته كأجداده ورجال أمته في ميادين القتال والعراك لينشأ بطلاً، وقدروا بفضاظتهم وإلحاحهم أن يحرموا الغلام وسائل التمدن والتهديب فتركوه وشأنه يقضي أوقاته في السكر والملاهي وارتكاب الفواحش ولما رأت الملكة عصيان ابنها وزيفه و[إحاطة]<sup>(٢)</sup> الأعداء بها من كل جانب خابرت «بوستنيان»

(١) كلوفيس (Clovis): أول ملوك فرنسا ٤٦٥ م - ٥١١ م، ملك سنة ٤٨١ م. وهو أول ملوكها الأفرنج

جرماني الأصل، كان وثنياً ثم اعتنق المسيحية.

(٢) وردت في الأصل: «أحاطت»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

يقصد السكن في بلاده، وأرسلت إلى مدينة «دارخيوم» في إقليم «أبيروس»<sup>(١)</sup> ٤٠ ألف دينار غير أن حب التسلط على الناس كان متسلطاً على فؤادها فأعارت صبوة الطمع أذناً صاغية وقلباً واعياً، وحينما أزمعت على مبارحة إيطاليا نجحت بدسائسها وقدرت أن تهلك بعضاً من كبار الرؤساء الثائرين عليها، وتمكنت بموت هؤلاء من الاستبداد بالأحكام والقبض على أزيمة البلاد بالنيابة عن ابنها كما كانت أولاً غير أن هذا الفتى الجاهل لم يعش زماناً طويلاً لأن الفسق والفواحش واللذات أضنته، فمات يافعاً لم يتجاوز السادسة عشرة من العمر فاضطرت إذ ذاك إلى مشاركة ابن عمها «سيودونس» الجبان البخيل فثار الفوثيون عليها ونفوها إلى جزيرة صغيرة في بحيرة «بوليسنا» وهناك قتلوها سنة ٥٣٨ [ق.م] بالحمام خنقاً، وهكذا انتهت حياة هذه الملكة الفاضلة.

## أمامة ابنة أبي العاص<sup>(٢)</sup> بن الربيع بن عبد

### العزى بن عبد مناف القرشية الهاشمية

أمها زينب<sup>(٣)</sup> ابنة رسول الله ﷺ ولدت على عهد جدّها ﷺ وكان يحبها وحملها في الصلاة وكان إذا ركع أو سجد تركها، وإذا قام حملها.

وروي عن عائشة<sup>(٤)</sup> أن رسول الله ﷺ أهديت له هدية فيها قلادة من جرج فقال: «لأدفعنها إلى أحب أهلي إلي»<sup>(٥)</sup>. فدعا أمامة ابنة زينب فعلقها في عنقها ولما كبرت أمامة

- (١) أبيروس: أو أبيروس (Epeiros) مملكة قديمة من البلقان جنوبي مقدونيا أشهر مدنها بيلاسوس.
- (٢) هو القاسم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو العاص، صحابي، من أمهات النبي ﷺ، غلب عليه لقبه: أبو العاص، وكان يلقب جرو البطحاء، ويقال له: لأمين، وهو زوج زينب الكبرى بنت النبي ﷺ تزوجها في الجاهلية، بمكة، وتزوج إسلامه، فكانت مدامها من النساء، وأسلم فأعيدت إليه.
- (٣) هي زينب بنت النبي ﷺ، الكبرى توفيت سنة ١ هـ / ٦٣٠ م، تزوجها من حاكمها أبو عبد الله بن جهم.
- (٤) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش، ولدت سنة ١٠ هـ / ٦٢١ م، من المهاجرين المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب، كانت تكتب يوم عهد الله ﷺ، وهي من المهاجرين الذين هجروا من مكة، فكانت أحب نساءه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه، لها حفت ووفت ووفت ووفت، وكان لها أمر إلا أنشدت فيه شعراً، كان أكابر الصحابة يسألونها عن فرائض وحبهم، وكانوا يفتونهم، روى عنها يقول: حدثني الصديقة بنت الصديق، كانت ممن تقم على عثمان عده في بيته، لم غضبت له بعد مقتله، شاركت في معركة الجمل ضد الإمام علي بن أبي طالب، توفيت في المدينة سنة ٥٨ هـ / ٦٧٨ م. روي عنها ٢٢١٠ أحاديث.
- (٥) أخرجه أحمد في المسند (٦: ١٠١).

تزوجها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعد موت فاطمة - عليها السلام - وكانت فاطمة أوصت علياً أن يتزوجها، فلما توفيت فاطمة تزوجها من الزبير بن العوام لأن أباهما قد أوصاه بها، فلما جرح علي خاف أن يتزوجها معاوية فأمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أن يتزوجها بعده، فلما توفي علي وقضت العدة تزوجها المغيرة فولدت له يحيى وبه كان يكنى فهلك عند المغيرة.

### أمامة ابنة حمزة بن عبد المطلب

أمها سلمى بنت عميس وهي التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد - رضي الله عنهم - لما خرجت من مكة وسألت كل من مر بها من المسلمين أن يأخذها فلم يفعل، فاجتاز بها علي فأخذها فطلب جعفر أن تكون عنده لأن خالتها أسماء ابنة عميس<sup>(١)</sup> عنده وطلبها زيد بن حارثة أن تكون عنده، لأنه كان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ فقضى بها النبي ﷺ لجعفر لأن خالتها عنده، ثم زوجها رسول الله من سلمة ابن أم سلمة وسماها الواقدي عمارة وأخواها لأمها عبد الله وعبد الرحمن ابنا شداد وهي من الصحابيات المحدثات اللاتي أخذ عنهن جملة من مشاهير المحدثين.

### أمامة المريديّة

كانت شاعرة من شاعرات نساء العرب إلا أن شعورها قليل ولم يكن في وقتها من يجمع الشعر وكانت صحابية محدثة أخذ عنها جملة من المحدثين.

ومما يروى عنها أنها قالت: لما قتل سالم بن عمير أبا عتيك - أحد بني عمرو بن عوف<sup>(٢)</sup>. وكان من المنافقين وظهر نفاقه فقال رسول الله ﷺ: «من لي من هذا الخبيث؟»<sup>(٣)</sup> فخرج إليه سالم بن عمير فقتله - فقالت في ذلك:

تكذب دين الله والمرء أحمداً      لعمرى الذي أمناك أن بئس ما يمّني  
حباك حنيف آخر الدهر طعنة      أبا عاتك خذها على كبر السنّ

(١) هي أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث الخثعمي، صحابية، كان لها شأن، أسلمت قبل دخول النبي ﷺ، دار الأرقم بمكة، هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فولدت له عبد الله ومحمداً وعوفاً، ثم قتل عنها جعفر شهيداً في وقعة مؤتة سنة ٨ هـ، فتزوجها أبو بكر الصديق، فولدت له محمداً. توفي عنها أبو بكر فتزوجها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى وعوناً. ماتت بعد علي سنة ٤٠ هـ/ ٦٦١ م.

(٢) هو عمرو بن عوف بن الخزرج بن حارثة، من الأزدي، من القحطانية.

(٣) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ٢٢١).

## أمامة ابنة ذي الأصبع

أبوها ذو الأصبع العدواني<sup>(١)</sup> الشاعر الفارس المشهور. كانت أمامة شاعرة مشهورة يشار إليها بالبنان، أخذت العلم والشعر عن والدها وهي أصغر أولاده، وكان يحبها محبة عظيمة ولمحبته أحبها جميع قبيلتها ولها يقول ورأته قد نهض وسقط وتوكأ على العصا فبكت فقال:

جزعت أمامة إذ مشيت على العصا  
فلقبلما رام الإله بكيده  
بعد الحكومة والفضيلة والنهي  
وتفرقوا وتقطعت أشلاؤهم  
خربوا البلاد فأعقمت أرحامهم  
حتى أبادهم على أخراهم  
لا تعجبين أمام من حدث عرا  
ومن شعرها قولها ترثي قومها:

كم من فتى كانت له منعة  
قد مرّت الخيل بحافاتهم  
قد لقيت فهم وعدوانها  
كانوا ملوكاً سادة في الورى  
حتى تساقوا كأسهم بينهم  
بادوا فمن يحلل بأوطانهم  
وتذكرت إذ نحن ملفتيان  
إرمأ وهذا الحي من عدوان  
طاف الزمان عليهم بأوان  
وتبددوا فرقاً بكل مكان  
والدهر غيرهم مع الحدثان  
صرعى بكل نقيرة ومكان  
فالدهر غيرنا مع الأزمان  
أبلج مثل القمر الزاهر  
مر غيث بجبل عاظر  
قتيلاً وهلكاً آخر الغابر  
دهراً لها الفخر على الفاخر  
بغياً فيا للشارب الخاسر  
يحلل برسهم مقفر دائر

## أمة العزيز ابنة دحية الأندلسية الشريفة الحسنية

كانت ذات قناع، تفرعت من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها في السماء، والحداد من سلالة أكابر وأشرف رفاة أسرة منابر من بني عبد مناف. تصرفت في الدنيا شبيبتها بين دراسة معارف وإفاضة عوارف لها أشعار رائقة معناها، بديعة مبدعها، منها ما قاله الحافظ أبو

(١) هو خثران بن الحارث بن محيرث بن ثعلبة، من عدنان، ينتهي إلى مصعب بن عمير، شاعر جاهلي، شاعر جاهلي، لقب بذي الأصبع لأن حية نهشت إصبعه، حله ففقطعه، ويقال كنت له إصبع، لأنه كان طويلاً حتى غد من المعمرين، له حروب وقائع، أخبار، شعرة مدي، بالحكمة، والعظمة، والفجر، قليل الغزل، والمديح.

الخطاب بن دحية<sup>(١)</sup> في «المطرب من أشعار المغرب» قال: أنشدتني أخت جدي الشريفة الفاضلة أمة العزيز الحسنية لنفسها:

لحاظكم تجرحنا في الحشا      ولحظنا يجرحكم في الخدودِ  
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا      فما الذي أوجب جرح الصدودِ

قال العلامة المِقْرِي<sup>(٢)</sup> في كتابه «نفح الطيب»<sup>(٣)</sup>: هذا السؤال يحتاج إلى جواب وقد رأيت للقاضي الإمام الفاضل أبي الفضل قاسم [العقباني]<sup>(٤)</sup> التلمساني<sup>(٥)</sup> - رحمه الله تعالى - جوابه والغالب أنه من نظمه وهو قوله:

أوجبه مني يا سيدي      جرح بخد ليس فيه جحودُ  
وأنت فيما قلته مدّع      فأين ماقت وأين الشهودُ

### أمة ابنة خالد بن سعيد

[أمة ابنة خالد بن سعيد<sup>(٦)</sup>] بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية

(١) هو عمر بن الحسن بن علي بن محمد، أبو الخطاب، ابن دحية الكلبي، أديب، مؤرخ، حافظ للحديث، من أهل سبتة بالأندلس ولد سنة ٥٤٤ هـ/١١٥٠ م. ولي قضاء دانية، ورحل إلى مراكش، والشام، والعراق، وخراسان، واستقر بمصر. وكان كثير الوقعة في العلماء والأئمة فأعرض بعض معاصريه عن كلامه، وكذبوه في انتسابه إلى «دحية»، وقالوا: إن دحية الكلبي لم يعقب، وهجاه ابن عنين. توفي في القاهرة سنة ٦٣٣ هـ/١٢٣٦ م.

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المِقْرِي التلمساني، المؤرخ، الأديب، الحافظ. صاحب «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب» في تاريخ الأندلس السياسي والأدبي. ولد ونشأ في تلمسان بالمغرب وانتقل إلى فاس فكان خطيبها والقاضي بها، ومنها إلى القاهرة ١٠٢٧ م، تنقل في الديار المصرية، والشامية، والحجازية، توفي في مصر ودفن في مقبرة المجاورين، وقيل: توفي في الشام مسموماً عقب عودته من إسطنبول سنة ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م. إلى مَقْرَة من قرى تلمسان.

(٣) المِقْرِي، نفح الطيب في غصن الأندلس للرطيب، ج ١/ص ٣٦٨.

(٤) وردت في الأصل: «العقباني»، والصحيح ما أثبتناه استناداً إلى ترجمة القاضي الفاضل قاسم العقباني التلمساني.

(٥) هو قاسم بن سعيد العقباني التلمساني، أبو الفضل، فقيه، بلغ درجة الاجتهاد. ولي القضاء بتلمسان، ثم عكف على التدريس إلى أن مات. له «أرجوزة» في التصوف، و«تعليق على ابن الحاجب».

(٦) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، صحابي، من الولاة الغزاة، قديم الإسلام، أسلم ورسول الله ﷺ يبث الدعوة للدين سراً، فكان الثالث أو الرابع من الداخلين في الإسلام بعد البعثة، ولزم رسول الله ﷺ، يصلي معه في نواحي مكة خالياً، فبلغ ذلك أبا أحيحة وهو أبوه وكان من خصوم الإسلام الأشداء، فدعاه وكلمه في أن يدع ما هو عليه، فأبى، فضربه أبو أحيحة بعصا كانت في يده حتى كسرهما على رأسه ثم حبسه وضيق عليه وأجاعه وقطع عنه الماء ثلاثة أيام، وهو صابر، هاجر إلى الحبشة فأقام بضع عشرة سنة، عاد سنة ٧ هـ، فغزا مع النبي ﷺ، وحضر فتح مكة ثم وقعة =

الأموية تكنى أم خالد مشهورة بكنيتها ولدت بأرض الحبشة مع أخيها سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمها أميمة بنت خلف تزوج أم خالد الزبير بن العوام وولدت له عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير وبه كانت تكنى وهي من المحدثات المشهورات بالصدق وقد روى عنها جملة من التابعين منهم موسى وإبراهيم ابنا عقبة وكريب بن سليمان الكندي وغيرهم ويروى عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يتعوذ من عذاب القبر.

### أميمة ابنة رقيقة

[أميمة ابنة رقيقة] ابنة خويلد بن أسد<sup>(١)</sup> أخت خديجة بنت خويلد<sup>(٢)</sup> فأميمة ابنة خالة أولاد النبي من خديجة، وهي أميمة بنت عبد بن بجاد بن عمير بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة وكانت من المبايعات المحدثات روى عنها محمد بن المنكدر وابنتها حكيمة بنت أميمة.

وروي عن محمد بن المنكدر أنه سمع أميمة بنت رقيقة تقول: بايعت النبي ﷺ في نسوة فقال لنا: «فيما استطعن وأطقن»<sup>(٣)</sup> قلت: الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا.

ومما روته حكيمة بنت أميمة عن أمها بنت رقيقة قالت: كان لرسول الله ﷺ قدح من عيدان يبول فيه يضعه تحت السرير، فجاءت امرأة اسمها بركة فشربته فطلبه فلم يجده فقتل

= تبوك. كان يكتب للنبي في مكة والمدينة. شهد وقعة مرج الصفر قرب دمشق فقتل فيها سنة ١٤ هـ / ٦٣٥ م.

(١) هو خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، من قريش، والد خديجة أم المؤمنين، حادي كان من الفرسان يلقب بأبي الخسف. قال يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام، وهو من حفدة النبي ﷺ، لي، أبي الخسف.

(٢) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش، زوجة رسول الله ﷺ، ولدت له أولاداً من أسن منه خمسة عشرة سنة، ولدت بمكة، نشأت في بيت شريف وعاش في بيت شريف، وتزوجت بأبي هالة بن زائدة التميمي فمات عنها ولدت له من أولادها خمسة عشر رجلاً، تسأجر الرجال وتدفع المال مضاربة. فلما بلغ رسول الله ﷺ الحمة، بعثه رسول الله ﷺ إلى سوق بصرى بحوران وعاد راجعاً، فدنست له من عوامس غنمته زوجة من بني أسد، فماتت عنها، فحضر وتزوجها رسول الله ﷺ، قبل الهجرة، فولدت له أميمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. وكان بين كل ولد منهن ولد، فماتت أم كلثوم قبل أن تلد. ولما بعث رسول الله ﷺ، دعاها إلى الإسلام، فدخلت من أسن من الرجال، فماتت مكثاً يصليان سراً إلى أن ظهرت الدعوة. أولاد النبي ﷺ كلهم منها من غيرهم.

(٣) وردت في الأصل: «وأطعن»، الصحيح ما أثناه.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن (١٥٩٧). والنسائي في السنن (١١٤٩). وابن أبي عمير في السنن (٢١١٤١).

وأحمد في المسند (٦: ٣٥٧).



شربته بركة فقال: «لقد احتظرت من النار بحظار»<sup>(١)</sup>.

### أميمة ابنة قيس بن أبي الصلت الغفارية

كانت عابدة زاهدة محبة للخير صانعة للمعروف ناهية عن المنكر لها صحبة حسنة، وروت أحاديث كثيرة وروى عنها جملة من التابعين، وكانت شفيقة على المجاهدين ودائماً تحضر الوقائع وتداوي الجرحى وتدور بين القتلى وكانت تحث الناس على ذلك فقالت يوماً لرسول الله ﷺ وقد جاءته في نسوة من غفار: إنا نريد أن نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال رسول الله ﷺ: «على بركة الله»<sup>(٢)</sup> وكان ذاهباً إلى خيبر فذهبن معه وصرن يداوين الجرحى ويوارين القتلى وهي تهديهن لما يلزم لذلك حتى [انتهت]<sup>(٣)</sup> الحرب ورجع المسلمون منصورين فنالت بذلك رضا ربها ومدح قومها.

### [أم جعفر ابنة عبد الله بن عرفطة]

أم جعفر ابنة عبد الله بن عرفطة بن قتادة بن معد بن غياث بن نداح بن عامر بن عبد الله بن خطمة بن مالك بن جشم بن الأوس.

كانت ذات عقل وأدب وعفة وكان يشبب بها الأحوص ولم يرها قط فلما كثر تشبيهه وشاع ذكره توعدده أخوها أيمن وهذده ولم ينته، فاستعدى عليه والي المدينة فربطهما في جبل ورفع إليهما سوطين، وقال لهما: تجالدا، فتجالدا، فغلب أخوها الأحوص وأتبعه أيمن حتى فاته الأحوص هرباً وقد كان الأحوص قال فيها:

لقد منعت معروفها أم جعفر	وإني إلى معروفها لفقير
وقد أنكرت بعد اعتراف زيارتي	وقد وغرت فيها عليّ صدور
أدور ولولا أن أرى أم جعفر	بأبياتكم ما درت حيث أدور
أزور البيوت اللاصقات بيبتها	وقلبي إلى بيت الحبيب يزور
وما كنت زوّاراً ولكنّ ذا الهوى	إذا لم يزر لا بد أن سيزور
أزور على أن لست أنفك كلما	أتيت عدوّاً بالبنان يشير

فقال السائب بن عمر يعارض الأحوص في هذه الأبيات ويعيّره بفراره:

- (١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ : ٧).  
 (٢) أخرجه أحمد في المسند (٦ : ٣٨٠). والبيهقي في السنن الكبرى (٢ : ٤٠٧). ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨ : ٢١٤). وابن كثير في البداية (٤ : ٢٠٤).  
 (٣) وردت في الأصل: «انتهى»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

وقد منع المعروف من أم جعفر  
علاك بمتن السوط حتى اتقيته  
أخو ثقة عند الجلاد صبور  
بأصفر من ماء الصفاق يفور  
فقال الأحوص:

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه  
أريد انتقام الذنب ثم تردني  
فمن ذا الذي يغفر له ذنبه بعدي  
يد لا يدين مباركة عندي

ولما أكثر الأحوص من ذكرها جاءت متنقبة فوقفت عليه وهو في مجلس قومه ولا يعرفها فقالت له: اقض ثمن الغنم التي ابتعتها مني. قال: ما ابتعت منك شيئاً فأظهرت كتاباً قد وضعت عليه ويكت وشكت حاجة وفاقة وقالت: يا قوم كلموه، فلامه قومه وقالوا: اقض المرأة حقها فحلف أنه ما رآها قط ولا يعرفها، فكشفت عن وجهها وقالت: ويحك، أما تعرفني فجعل يحلف أنه ما يعرفها ولا رآها قط حتى إذا استفاض قولها وقوله واجتمع الناس وكثروا وسمعوا ما دار وكثر لغتهم وأقوالهم قامت، ثم قالت: أيها الناس، اسكتوا فسكت الناس، ثم أقبلت عليه وقالت: يا عدو الله صدقت والله ما لي عليك حق ولا تعرفني، وقد حلفت على ذلك وأنت صادق، وأنا أم جعفر وأنت تقول: قلت لأم جعفر، وقالت لي أم جعفر: فمن أين قلت لك وقلت لي وأنت لم ترني إلا هذه الساعة، فخجل الأحوص وانكسر عن ذلك وبرأت عندهم.

### أميمة أم تأبط شراً

وهي من بني القين بطن من فهم<sup>(١)</sup> ولدت خمسة نفر تأبط شراً<sup>(٢)</sup>، وريش لغب، وريش نسر، وكعب جدر، والأتركي. وقيل: إنها ولدت سادساً واسمه عمر، وتأبط شراً لقب به لأنه كان رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت إبطه فجعل يبول عليه طول طريقه، فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش فلم يقله فرمى به فإذا هو الغول فقال له قومه: ما تأبطت يا ثابت؟ قال: الغول، قالوا: لقد تأبطت شراً فسمي بذلك. وقيل: بل قالت له أمه كل إخوتك يأتييني بشيء.

- (١) بنو فهم: بطن من بني بحر من لحم من القحطانية، مساكنهم مع قومهم بني بحر من بني النضير الأندلسية الألفية، وإليه تنسب البلدة المعروفة بالفهمين.
- (٢) هو ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهمي، المشهور بتأبط شراً من مشاهير شعراء بني النضير من فتيان العرب في الجاهلية. كان من أهل تهامة. شعره فحل، استفتح الضبي مفضلياته بقصيدة له مطلعها:

يا عيد مالك من شوق وإبراق

يقال: إنه كان ينظر إلى الطي في الفلاة فيجري خلفه فلا يفوته. قتل في بلاد هذيل والقي في عار يقال له: رخمان. فوجدت جثته فيه بعد مقتله. الشعراء الصعاليك في الجاهلية، لصومس أم رواد ثورة اجتماعية، محمد أمين الضناوي، دار الشرق الأوسط، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧

إذا راح غيرك . فقال لها : سأتيك الليلة بشيء ومضى فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه ووضعهن في جراب وذهب متأبطاً به فألقاه بين يديها ففتحته فتساعين في بيتها فوثبت وخرجت فقال لها نساء الحي : ماذا أتاك به ثابت؟ فقالت : أتاني بأفاعي في جراب . قلن : كيف حملها؟ قالت : تأبطها . قلن : لقد تأبط شراً فلزمه هذا اللقب .<sup>(١)</sup>

وكانت شاعرة من شاعرات العرب وقولها منسجم وله طلاوة وأغلبه مراث في ولدها تأبط شراً وخلافه ومن ذلك قولها فيه :

طاف يبغني نجوة	من هلاك فهلـك
ليت شعري ضلـة	أيّ شيء قتلـك
أمريض لم تعد	أم عدوّ ختلـك
أم تولي مارد	غال في الدهر السلـك
والمنيايـا رصد	للفتى حيث سلـك
أيّ شيء حسن	لفتى لم يك لك
[كلّ] <sup>(٢)</sup> شيء قاتل	حين تلقى أجلـك
طالما قد نلت في	غير كدّ أملك
إن أمراً فادحاً	عن جوابي شغلـك
سأعزي النفس إذ	لم تجد من سألـك
ليت قلبي ساعة	صبره عنك ملك
ليت نفسي قدّمت	بالمنيايا بدلك

ولها فيه أيضاً :

بثابت ابن جابر ابن سفيان	نعم الفتى غادرته بئر خمان
يحدو ويروي ظمأ الندمان	روء من يحمي حمى الإخوان

ولها مراث وأشعار كثيرة غير ذلك .

### [أميمة ابنة خلف بن أسعد]

أميمة ابنة خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة الخزاعية .

(١) الشعراء الصعاليك في الجاهلية، لصوص أم رواد ثورة اجتماعية، محمد أمين الضناوي، دار الشرق الأوسط، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ .

(٢) وردت في الأصل : «قل»، ولعل الصحيح ما أثبتناه .

وهي عمه طلحة بن عبد الله بن خلف الملقب بطلحة الطلحات<sup>(١)</sup> وهي زوجة خالد بن سعيد بن العاص هاجرت معه إلى أرض الحبشة وكانت من السابقات إلى الإسلام.

وقيل: اسمها أمينة. وقيل: همينة وولدت بالحبشة سعيد بن خالد وأمة بنت خالد ولها صحبة حسنة وعشرة لطيفة ورجعت مع من رجع من مهاجري الحبشة إلى المدينة.

### أميمة ابنة عبد شمس الهاشمي بن عبد مناف القرشي<sup>(٢)</sup>

وأما تفخر بنت عبيد بن دوس بن كلاب كانت ذات مجد أثيل وبيت أصيل وباع طويل. تزوجها حارثة بن الأوقص السلمي فولدت له أمية بن حارثة وقتل أبو سفيان بن أمية بن عبد شمس<sup>(٣)</sup> أخاها في يوم عكاظ من حرب الفجار<sup>(٤)</sup> وكان يعدّ أبو سفيان وإخوته من العنابس وهي الأسد فقالت أميمة تراثه وترثي من قتل في حرب الفجار من قريش:

أبى ليلى أن يذهب      ونيط الطرف بالكوكب  
ونجم دونه الأهوا      ل بين الدلو والعقرب  
وهذا الصبح لا يأتي      ولا يدنو ولا يقرب  
يعقر عشيرة منا      كراد الخيم والمنصب

(١) هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، طلحة الطلحات أحد الأجواد السقدمين. كان أحد أعمام علي بن أبي طالب البصرة في زمانه. ذهبت عينه بسمرقند وكان يميل إلى بني أمية، فيكرهونه، وولاه يدوس بسمرقند سجستان، توفي فيها سنة ٦٥ هـ/ ٦٨٥ م وكان والياً عليها.

(٢) هي أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، من قريش، شاعرة جاهلية. اشتهرت في أيام حرب الفجار بين قريش وقيس عيلان. استمرت هذه الحرب أربعة أعوام متتالية. لها شعر في بعض القصائد قصيدة في رثاء من قتل بها من قريش أورد الأغاني ما كان يتغنى به منها.

(٣) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ولد سنة ٥٧ ق هـ/ ٥٦١ م. كان من سادات قريش في الجاهلية. وهو والد معاوية، رأس الدولة الأموية. شارك في حرب الإسلام عند ظهوره، قاد قريش، وكان يوم أحد يوم الحديفة الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكة سنة ٨ هـ، وأبلى بعد إسلامه البلاد الحسن. شهد حروب كثيرة، ثم فقت الأخرى يوم اليرموك، فعسى، وكان من الشجعان لأبطال قريش. كان يوم اليرموك ينادي باليرموك إلا صوت رجل يقول: يا نصد الله اقتت. قال: فقتل يوم اليرموك. توفي سنة ٣١ هـ/ ٦٥٢ م.

(٤) حرب الفجار: بكسر الفاء وهي حرب دام أمتها أربع سنين وهي بين بني حنظلة وبني تميم وبني بكر. هذه الحرب فيها أربعة أيام: الأول: بين كنانة وهوازن. الثاني: بين قريش وكنانة. الثالث: بين قريش ونصر بن معاوية، ولم يكن فيها كبير قتال. الرابع: وهو الأدم. كان بين قريش وهوازن. وكان بين قريش وبين رسول الله ﷺ، ست وعشرون سنة، شهده الرسول ﷺ، وهو بين أربع عشرة سنة.

أحبال عليهم دهر  
فحلّ بهم وقد أمنوا  
وما عنه إذا ما حلّ  
ألا يا عين فابكيهم  
فإن أبكي فهم عزي  
وهم أصلي وهم فرعي  
وهم مجدي وهم شرفي  
وهم رمحي وهم ترسي  
فكم من قائل منهم  
وكم من ناطق فيهم  
وكم من فارس منهم  
وكم من مدره فيهم  
وكم من جحفل فيهم  
وكم من خضرم فيهم

حديد الباب والمخلب  
ولم يقصر إذا يشطب  
من منجى ولا مهرب  
يدمع منك مستغرب  
وهم ركني وهم منكب  
وهم نسبي إذا أنسب  
وهم حصني إذا أرهب  
وهم سيفي إذا أعضب  
إذا ما قال لم يكذب  
خطيب مصقع معرب  
كمي معلم مجرب  
أريب حوله مغلب  
عظيم النار والموكب  
نجيب ماجد منجب

### أميمة ابنة عبد المطلب الهاشمية

كانت صاحبة جمال وجلال، وفصاحة وذكاء وبلاغة، وسخاء وشعر ونثر، ونسب وفخر. قال لها أبوها يوماً مع إخوتها أسمعيني شعرك رثاء بي كأي ميت. فقالت له: أعيدك من ذلك: فقال: لا بد من أن تقولي فقالت:

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد  
ومن يالف الضيف الغريب بيوته  
كسبت وليداً خير ما يكسب الفتى  
أبو الحارث الفياض خلى مكانه  
فإني لباك ما بقيت وموجع  
سقاك ولي الناس في القبر ممطراً  
وقد كان زيناً للعشيرة كلها

وسباقي حجيج الله حامي عن المجد  
إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد  
فلم تنفك تزداد يا شيبة الحمد  
فلا تبعدن إذ كل حيّ إلى بعد  
وكان له أهلاً لما كان من وجد  
وسوف أبكيه وإن كنت في اللحد  
وكان حميداً حيثما كان من حمد

### أم هارون رضي الله عنها

كانت من الخائفات العابدات وكانت تأكل الخبز وحده وكانت تقول: ما أنشرح إلا

بدخول الليل فإذا طلع النهار اغتممت، وكانت تقوم الليل كله فتقول: إذا جاء السحر دخل قلبي الروح وصرخت مرة فسمعت قائلاً يقول: خذوها فوقعت مغشياً عليها وما دهنت رأسها بدهن مدة عشرين سنة، وكانت إذا كشفت رأسها وجد شعرها أحسن من شعر النساء، وكانت إذا عرض لها الأسد في البرية قالت له: إن كان لك في شيء فكل فيولي راجعاً عنها - رضي الله عنها.

### أمة الجليل رضي الله عنها

كانت من العابدات الزاهدات، واختلف مرة العابدون في تعريف الولاية على أقوال فقالوا: امضوا بنا إلى أمة الجليل. فقالوا لها: ما الذي عندك من تعريف الولاية؟ فقالت: ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا ليس لولي في الدنيا ساعة يتفرغ منها لشيء دون الله عز وجل، ثم قالت لواحد منهم: من حدثكم أن أولياء الله تعالى لهم شغل بغير الله تعالى فكذبوه رضي الله عنها.

### إنياس خليعة شارل السابع<sup>(١)</sup> ملك فرنسا

ولدت في قرية «فرومنتو» من «تورين» نحو سنة ١٤٠٩ [م]، وتوفيت نحو سنة ١٤٥٠ [م] وهي ابنة «سوريل دوسان جيرار» أحد أعوان الكونت «دوكليرمون». كانت في أول أمرها رفيقة لـ «إيزابو دو سورينه» دوقة «أنجو».

وسنة ١٤٣١ [م] صحبت سيدتها إلى باريس وزارت بلاط «شارل الرابع»، فلما رآها «شارل» المذكور فتن بجمالها وسحر بمحاسنها فأبقاها لديه وجعلها رفيقة للملكة، ثم اتخذها عشيقة بعد أن ماطلته وردت مطالبه وبلته بهيام شديد. ويقال: إنها لم تستخدم ما كان لها عليه من السطوة إلا لإنهاض همته وإثارة الحمية في صدره لأنه كان قد استغرق في اللذات بينما كان الإنكليز يفتحون بلاده، وبذلك أنقذت فرنسا من وبال عظيم، وخطر جسيم فتمكن حبها من قلب «شارل» فأجزل لها العطاء وفتح لها كفه كما فتح لها قلبه فوهبها القصر المسماة بالفرنساوية «بوتي» ومعناه: الجمال، وهو على ضفة نهر الـ «مرن» بقرب «سانمور» ولذلك لقبت بمدمام «لوبوتي» ومعناه سيدة «بوتي» أو الجمال، وفي ذلك من التورية ما لا يخفى وكانت الملكة نفسها تحبها وتكرم مثواها إلا أن غناها وتنعمها حملاً رجال البلاط والأمة على كرهها. وسنة ١٤٤٥ [م] أساء إليها ابن الملك «شارل السابع» فتركت البلاط الملكي وأقامت في قصر كان قد بناه لها الملك في «لوس».

(١) شارل السابع: ولد في باريس سنة ١٤٠٣ م. ملك سنة ١٤٢٢ - ١٤٦١ م. ساعدته القديسة جان دارك بعد تحرير أورليان سنة ١٤٢٩ م على استعادة ممتلكاته فحصر الإنكليز في كاليه.

وسنة ١٤٥٠ [م] سارت إلى «جوميالك» لمقابلة عاشقها فتوفيت هناك فجأة وظن الناس أن ابنه دس إليها السم في بعض المشروبات وكان قد ولد لها من «شارل السابع» ثلاث بنات فاعترف بهن ورباهن وكن يعرفن بنات فرنسا.

## أولغا امرأة إيفور دور يكوفتش

ثالث غراندوق روسي وكانت تلقب بالقديسة «أولغا»<sup>(١)</sup> ولدت من عائلة فقيرة في قرية قرب «بسكوف»<sup>(٢)</sup> وكانت ذات جمال بارع وذكاء سام، فتزوجها «إيفور» سنة ٩٠٣ [م]، وجلس معها على كرسي الملك سنة ٩١٢ [م]، ومات عنها سنة ٩٤٥ [م]، فحكمت بعده بالنيابة عن ابنها «سفياتوشيلاف» وقد انقسمت حياتها من ذلك الوقت إلى حين وفاتها إلى قسمين ممتازين خصص أحدهما بالسياسة والآخر بالدين والتعب.

وسبب وفاة زوجها هو أنه جمع عسكرياً وخرج به ليغزو قبيلة «الدريفليان» ويجمع منهم الضريبة السنوية وبعد أن جمعها رجع ظافراً وبينما هو على الطريق خطر له أن ما جمعه يسير فأمر عسكريه بالرجوع ليجمع ضريبة أخرى، فأبى العسكر أن ترجع معه، فعاد بشرذمة يسيرة، فلما رآته تلك القبيلة سألته ماذا يطلب فأمرها بجمع الجلود والعسل والمال فلما سمعوا ذلك احتدوا غيظاً وهجموا عليه وقتلوا من معه، وأما هو فمسكره وأحنوا شجرتين وربطوه بطرفيهما وتركوهما فرجعتا إلى مكانهما فتمزق الأمير إرباً إرباً ومات شهيد الطمع فلما قتله «الدريفليان» انتخبوا منهم عشرين رجلاً وأرسلوهم إلى امرأة «إيفور» يطلبون إليها أن تتزوج أميرهم، فلما أتى إليها الرسل سألتهم ماذا يطلبون فأجابوا: إننا قتلنا زوجك لأنه خرب أرضنا، والآن نطلب أن تقبلي أميرنا زوجاً لك.

فقالت: حسناً تقولون أجب طلبكم، وإنما أريد أن أعظمكم في أعين شعبي فارجعوا إلى سفينتكم وعندما يأتيكم رسلي اطلبوا إليهم أن يحملوكم على أكتافهم، وبعد انصراف الرسل أمرت «أولغا» أن يحفروا خندقاً وراء قصرها، وأرسلت رسلها وأمرتهم أن يحملوهم ويطرحوهم في الحفرة، فلما أتى رسل «أولغا» إليهم [قال]<sup>(٣)</sup> لهم أولئك: لا نذهب مشاة، ولا نمتطي صهوات الجياد، ولا نركب العجلات احملونا على أكتافكم. فأجابوا طلبهم،

(١) أولغا (Olga): أميرة كييف، تنصرت سنة ٩٥٤ م، توفيت سنة ٩٦٩ م. وهي قديسة روسية.

(٢) بسكوف: أو بسكوف (Pskov) مدينة روسية جنوب غربي بطرسبرج على بحيرة بسكوف.

(٣) وردت في الأصل: «قالوا»، ولعل الصحيح ما أثبتناه لسلامة المعنى، لأن الفعل لا يأخذ إلا فاعلاً واحداً.

وعندما أتوا القصر طرحوهم في الحفرة المعدة لهم وواروهم التراب وبعد ذلك أرسلت «أولغا» تقول لهم: إذا كنتم ترغبون حقيقة أن أكون امرأة لأميركم فأرسلوا رؤساء قومكم لأحضر معهم، فلما أتوا أمرتهم أن يغتسلوا في الحمام فلما دخلوه أمرت بإحراقه فماتوا عن بكرة أبيهم، وعند ذلك أرسلت تقول «للدريفليان» استعدوا لاستقبالي وهيئوا المشروبات على قبر زوجي فإني عازمة على أن أبكي هناك ومن ثم أتزوج بأميركم فأجابوا طلبها، ولما قدمت إليهم سألوها أين رجالنا فأجابتهم سيحضرون مع عسكر زوجي وبعد ذلك أولمت وليمة عظيمة، وعندما لعبت الخمر في رؤوس «الدريفليان» بطش بهم رجال «أولغا» وقتلوا منهم خمسة آلاف رجل ورجعت على الأعقاب إلى مدينتها، وبعد مضي سنة جمعت عسكراً وأخذت ابنها وغزت «الدريفليان» وحاصرت عاصمتهم، ولما لم تقدر أن تأخذها أرسلت تقول لهم: أعازمون أن تموتوا جوعاً وعطشاً؟ اجمعوا لي جزية وأنا أرحل عنكم، وأنا أطلب منكم جزية خفيفة وهي: ثلاث حمامات وثلاثة عصافير من كل بيت فسروا سرورا عظيماً وحالاً جمعوا المطلوب وأرسلوه على جناح السرعة فأمرت «أولغا» عساكرها بأن يربضوا بأذناها خرقاً ملوثة بمواد ملتهبة وعندما يبدو لهم الظلام يشعلون الخرق ويفلقون الحساد والعصافير ففعلوا ذلك ورجع كل طير إلى عشه فالتهمت النار البيوت وفراراً من الحريق هرب سكان المدينة فألقتهم «أولغا» بعسكرها وفرقتهم أيدي «سبأ»، ونهبت أرضهم، ودوّخت عدة قبائل، وضربت عليهم الضرائب الثقيلة ورجعت إلى «كييف» ثم سافرت إلى «نوفوغودود» فاستمالت بحكمتها كل القلوب.

وسنة ٦٥٥ [م] سلمت زمام الملك لابنها المذكور وتفرغت لأموال العبيدة فاعتنقت المذهب المسيحي وعمدها في القسطنطينية في السنة المذكورة البيطريك جحصار الإمبراطور «قسطنطين بورفيرو جينيتوس» وحاولت إقناع ابنها بالاعتداء بها فلم يفعل حتى دهر شيئاً وماتت سنة ٩٦٨ [م] فأسف عليها الناس جداً واحترمها الروس احترام قديس وفي أيامها ذاع اسم روسيا في الأقطار الأوروبية الشاسعة.

### [أولمبياس ابنة نيو بتوليمس]

أولمبياس ابنة نيو بتوليمس ملك أيرروس، امرأة فيليبس المقدوني، أم الإسكندر الكبير، اشتهرت بكثرة قبائحها وتسليمها نفسها إلى شهواتها، فهجرها «فيليبس» وأفسدت لبي

(١) فيليبس: أو فيليبس اسم حمله خمسة من ملوك مقدونيا وهذا هو فيليبس الثاني ٣٣٦ - ٣٣٦ ق.م. الإسكندر الكبير ملك سنة ٣٥٦ ق.م، أخضع كل المدن اليونانية، وقضى على استقلالها.



«أبيروس» ودست إلى زوجها من قتله وهو في «بوسانياس»، ثم رجعت إلى «مكدونيا» وأعلنت فرحها بقتل زوجها.

واحتفلت بجنائز «بوسانياس» قاتله بلا وجل ولا خجل، ولما ملك ابنها الإسكندر<sup>(١)</sup> حاولت أن تشاركه في الملك غير أن حكمته حالت دون مطامعها. ولما مات إسكندر طمعت في الاستيلاء على المملكة غير أن ثبات «أنتيباتر»<sup>(٢)</sup> وزيره اضطرّها إلى الرجوع إلى «أبيروس» فدعا بها «بوليسيرخون» الذي خلف «أنتيباتر» ولقبها نائبة الملك فلم تلبث أن قتلت «أدخيدوس» - وهو ابن «فيلبس» من امرأة أخرى - وعدداً كثيراً من أعوانه فكانت مثلاً لسفك دم عائلة الإسكندر، وقتلت «نيكانور» - أخي «كاسندروس» - فأتى إليها «كاسندروس» وحاصرها في «بدنا» و[حصرت]<sup>(٣)</sup> معها حفيدها «إسكندر أيفوس» ابن الإسكندر الأكبر أملاً في معاونة الأمة لها إذا رأوه معها فلم يلتفت إليها أحد فاستسلمت فلم يجسر «كاسندروس» أن يقتلها بنفسه وهي أم سيده، فوكل بقتلها جماعة من الضابطة المكدونيين غير أن هيبتهما وتذكرهم مجد ابنها منعاهم عن إتمام العمل فدعا «كاسندروس» الذين قتلت «أولمبياس» أبناءهم وأقرباءهم، فذبحوها بدون تردد وذلك سنة ٣١٧ قبل المسيح.

### أوجين ملكة الفرنسيين

هي حليمة «شارل لويس» بن «لويس نابليون» الذي تولى سدة الملك باسم «نابليون الثالث»<sup>(٤)</sup> كانت في صباها المشار إليها بالبنان. والمثنى عليها بكل شفة ولسان، ولما أودعها الله من الحسن والल्प وحسن التربية مع الكياسة والرقة والظرف رقت في عصر زوجها مقاماً تحسدها عليه السبع الطباقي، وبلغت شأواً أطار ذكرها في الآفاق، وناهيك أنها تصدرت في

معركة خيرونيا سنة ٣٣٨ ق.م.

(١) هو الإسكندر الكبير ٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م من أشهر الغزاة الفاتحين، لقب بذي القرنين. ابن فيليبس ملك

مقدونيا، خلف والده سنة ٣٣٦ ق.م، اجتاح إمبراطورية الفرس فهزم داريوس الثالث في إيسوس سنة

٣٣٣ ق.م، أخضع صور بعد حصار دام سبعة أشهر واحتل مصر وأسس الإسكندرية ٣٣٢ ق.م.

تعقب داريوس ففضى عليه في معركة كوكميلة قرب أربيل بالعراق سنة ٣٣١ ق.م. مات بالحمى في

بابل. تقاسم إرثه قواده أنتيغوس، وبطليموس، وسلوقس، فنشأت الممالك الهلنستية.

(٢) أنتيپاتر: أو أنتيپاتروس (Antipatros) قائد مقدوني، مساعد الإسكندر الكبير، حكم مقدونيا في غياب

سيده، وقضى على ثورة المدن اليونانية بعد موت الإسكندر سنة ٣٢٢ ق.م.

(٣) وردت في الأصل: «حصلت»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

(٤) نابليون الثالث: إمبراطور من ملوك فرنسا ولد سنة ١٨٠٨ م ملك سنة ١٨٥٢ م - ١٨٧٠ م، خلع بعد

هزيمته أمام الألمان سنة ١٨٧٠ م. اعتزل في إنكلترا إلى أن مات سنة ١٨٧٣ م.

مائدة جمعت ملوك الأرض، وكلهم يحسب احترامها كالسنّة، وتعظيمها كالفرض. وحسبك أنها لما أتت مصر عام الاحتفال بفتح خليج السويس كان عزيز مصر في خدمتها ولفيف من أمراء الشرق والغرب في عداد حاشيتها.

ولما قدمت القسطنطينية استقبلها ساكن الجنان السلطان عبد العزيز حتى المرفأ وأبدى لها من التحية والتبجيل ما يعز عن المثل.

وإذ ذكت نار الحرب بين الفرنسيين والألمان أقامها الإمبراطور خليفة له على العرش تنظر في أمره، وتقضي في حالتي خله وخمره، وخرج قائداً للجيش يصدّم به العدو ولسان حالهما يقول:

هي الدنيا تقول بملء فيها      حذار حذار من بطشي وفتكي  
فلا يغرركم مني ابتسام      فقولي مضحك والفعل مبكي

فإن الدهر بعد أن سقاها سلسبيلاً، ودار عليها من الصفو أكواباً كان مزاجها زنجبيلاً في سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، عاضها بالزقوم والغسلين، وهبط بها من أعلى عليين، إلى أسفل السافلين، فغادرها سموم وحميم، وظل من يحموه لا بارد ولا كريم. وذلك أن زوجها بعد أن كان حالفه النصر في معركة «سادبروك» وأمل العالم لأمة الفرنسيين بالفتح المبين، والفوز المكين، خالفه التوفيق في سائر المعارك فقهره أعداؤه أي قهر وكسره مساجلوه أي كسر حتى إذا زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر دخل إلى الاستمنان بعد واقعة «سيدان» التي حدثت في أربعة أيلول عام ١٨٧٠ [م]، فاخترط حسامه وسدده إلى الملك «غليوم»<sup>(١)</sup> عدوّه الألد مكتفياً من النصر بالأسر مع ثمانين ألفاً من جيشه، ودميره مأسوراً في «فاستافاليا» من بلاد الألمان حتى حميت لظى الحرب بين الفريقين.

ثم لم يأت حين من الدهر حتى ألم به داء في المثانة عياء ذهب به إلى دار القضاة، بعد أن أذاقه صنوف الويل وأفانين البرحاء تاركاً وراءه المسكينة «أوجين» على فراش «سيدان» ووسادة من الرمضاء، ولم يكتف بهذا الدهر الظالم حتى نكلها في وحيدده، ففقدت معها لبيس «أميربال» شهيداً في بلاد «الفرولوس» الأفريقية مطعوناً بأسنة أمة بديهة وهو يرفع في تصدرة العمر وريعان الشباب وبقيت بعده كالغزاة النافرة من زرود جزعاً على خشفتها العزيز تنثر لآلئ

(١) غليوم: هو غليوم الأول (Guillaume) ملك بروسيا ولد سنة ١٧٩٧ م. ملك سنة ١٨٦١ م. وإمه دوق ألمانيا سنة ١٨٧١ م. اتخذ بسمارك وزيراً، وأنشأ جيشاً قوياً. انتصر على الدانمارك سنة ١٨٦٤ م. وعلى النمسا سنة ١٨٦٦ م. وعلى فرنسا سنة ١٨٧١ م. وانتزع منها الألزاس واللورين، وجمعها في الإمبراطورية الألمانية، تودى به إمبراطور ألمانيا في فاساي سنة ١٨٧١ م.

الدمع على يواقيت الخدود وتغرس عقيق الشفاه ببرد الثغر البرود، ولسان حالها يقول: لقد جئت يا دهر شيئاً فرياً يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً. تحاول الاعتصام بالصبر على ما انتابتها به الأيام. وهو بعيد عنها بعد المسجد الأقصى عن المسجد الحرام وبقيت على ذلك إلى هذه الأيام.

### أيريني إمبراطورة بيزنطية

ولدت في أثينا سنة ٧٥٣ [م] وتوفيت في جزيرة «لسيوس»<sup>(١)</sup> سنة ٨٠٣ [م] واشتهرت بالعقل والجمال، فاخترها «قسطنطين كويردنيوموس» زوجة لابنه المعروف بـ «لاون» الرابع، فاستولت على قلبه كل الاستيلاء ولما مات عهد إليها وصاية ابنه «قسطنطين الخامس»<sup>(٢)</sup> سنة ٧٨٠ [م] فقامت بأعباء الملك حق القيام حتى إذا ساعدها القدر وخدمها السعد بطرت واستكبرت وداخلها الطمع فعقدت مع هارون الرشيد<sup>(٣)</sup> صلحاً غير موافق لانتفاعها به.

وسنة ٧٨٧ [م] عقدت مجمعاً في «نيقية»<sup>(٤)</sup> أمرت فيه بعبادة الأيقونات وألغت انشقاق الكنيسة الشرقية فلما رشد ابنها سنة ٧٩٠ [م] نفاها وهجرها في قصر لكنها تخلصت بعد خمس عشرة سنة واتصل بها الأمر لكي تستبد بالمملكة إلى أن سملت عيني ابنها بلا خوف ولا خجل ولكي تنسي الناس هذا العمل الفظيع شرعت بأعمال عظيمة فقيل: إنها عرضت نفسها على «شارلمان»<sup>(٥)</sup> ليتزوجها أو قبلت بالأقل أن تزوج إحدى بناتها بأحد أولاده لكن

(١) لسيوس: جزيرة يونانية في بحر إيجه قرب الساحل التركي.

(٢) قسطنطين الخامس: أحد أباطرة بيزنطة ٧٤١ م - ٧٧٥ م من محطمي الصور.

(٣) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء بني العباس في دولتهم بالعراق، وهو أشهرهم. ولد بالرّي سنة ١٤٩ هـ/٧٦٦ م، لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان. نشأ في دار الخلافة ببغداد. وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة إيريني (Irene) وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار تبعت بها إلى خزنة الخليفة في كل عام. بويغ بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ، فقام بأعبائها، ازدهرت الدولة في أيامه. اتصّلت المودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب بشارلمان فكانا يتهاديان التحف. كان الرشيد عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقّه، فصيحاً، شاعراً، له محاضرات مع علماء عصره، شجاعاً كثير الغزوات يلقب بجبار بني العباس، حازماً، كريماً، متواضعاً، يحج سنة ويغزو سنة، لم ير خليفة أجود منه، ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على باب من العلماء، والشعراء، والكتاب، والندماء. كان يطوف أكثر الليالي متنكراً. توفي في سناباد من قرى طوس سنة ١٩٣ هـ/٨٠٩ م وقبره بها.

(٤) نيقية: أو نيقيا (Nikia) مدينة قديمة في آسيا الصغرى هي اليوم إزنيق في تركيا على بحيرة إزنيق.

عقد فيها مجمعان مسكونيان سنة ٣٢٥ م و٧٨٧ م.

(٥) شارلمان: أو شارل الأول الكبير (Charlemagne) ولد سنة ٧٤٢ م. ملك الإفرنج وإمبراطور =

قبل أن يتم لها ذلك حجر عليها «نيقيفورس» خازنها الأكبر سنة ٨٠٢ [م] ونفاها إلى جزيرة «لسيوس» فحط بها الدهر هناك حتى احتاجت أن تأكل من غزل يدها وهناك ماتت سنة ٨٠٣ [م] فتأثر اليونان لمصائبها وجعلوها قديسة وأقاموا عيد تذكار لها في ١٥ آب من كل سنة. واسمها في بعض كتب العرب «أريني».

### إيزابيلا الأولى الملقبة بالكاثوليكية<sup>(١)</sup> ملكة قسطيلة ولاون

ولدت سنة ١٤٥١ [م]، وتوفيت سنة ١٥٠٤ [م] كانت بنت «يوحنا الثاني» ملك قسطيلة من «إيزابيلا» البرتوغالية زوجته الثانية وفي السنة الرابعة من عمرها توفي أبوها فخلفه في الملك ابنه «هنري» من «ماريا» الأراغونية زوجته الأولى واستمرت «إيزابيلا» مع أمها إلى سنة ١٢ من عمرها وكانتا منفردتين في بليدة «أريقالوا» فلما ولدت «جوانا» نقلها «هنري» إلى بلاطه محاولاً بذلك أن يمنع تألف حزب يمكنها إرث الملك من بعده بدل البرنسيس «جوانا» المذكورة وكان حصولها على تاج الملك أمراً مستبعداً لأن أخاها البكري كان منكأً وبه بنت وكان لها أيضاً أخ أصغر منها في قيد الحياة غير أن أكابر ملوك أوروبا أتوها خاضعين أملاً بمستقبلها.

قال «برسكوت»: وكان «فرديندو» أول من خطبها وهو الذي تزوجها بعد أن حل دون ذلك مصاعب شتى فإنها خطبت في السنة الحادية عشرة من عمرها لأخيه «كارلوس» وتزوجا بلغ الأربعين فدفع عنها ذلك المكروه بموت «كارلوس» بالسم. وسنة ١٤٦٤ [م] تزوجها أخوها «هنري ألفونس» ملك البرتوغال فعارضته في ذلك مدعية أن بنت ملوك قسطيلة لا يتزوجن إلا بموافقة أشرف المملكة ثم حدثت ثورة تحت رئاسة «مركيز» «فيينا» وعمه رئيس أساقفة «طليطلة»<sup>(٢)</sup> وكان من بواعثها اعتقاد كثيرين من الأشراف أن البرنسيس «جوانا» التي أقسم لها أكابر الدولة بالطاعة بناء على طلب الملك لم تكن من صلبه بل من صلب «كارلوس»

الغرب. مؤسس السلالة الكاثوليكية، جعل أسس لاسانبل (البرلمان) في قشتالة وكونتاريا في إسبانيا ففشل في سرقسطة سنة ٧٧٨ م. نشر المسيحية، حكم إسبانيا وبرتغال وجزر الكناريات مع الشرق. كانت بينه وبين هارون الرشيد الخليفة العباسي علاقة صداقة.

(١) إيزابيلا الأولى: ولدت سنة ١٤٥١ م. ملكة قشتالة أو قسطيلة، الملقبة بالملكة الحكيمة، تزوجت في سنة ١٤٦٩ م. ملك أراغون فوحدت الدولة الإسبانية واحتلت غرناطة سنة ١٤٩٢ م. ماتت عام ١٥٠٤ م. لاكتشاف أميركا. توفيت سنة ١٥٠٤ م.

(٢) طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتصل عماتها بعملي ودين الحجاز. من أعلام الأندلس، وهي غربي ثغر الروم وبين الحواف والشرق من فوطها، وكانت قاعدة الملوك المرابطين وموضع قرارهم. معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥.

دولا كويبا» عشيق الملكة فأعلن الثائرون انتقال الملك من «هنري» إلى أخيه «ألفونس» وجمعوا جيشاً لإجراء ذلك فحاول الملك إسكان رؤسائهم بتزوج «إيزابيلا» بالدون «بدر و جيرون» الفاسق أخي مركز «قلينا».

أما هي فقالت لأخيها: إن زوجتي به أشق صدره بخنجر وأرفع عن نفسي العار. غير أن الدون المذكور مات في طريقه إلى العرس وبعد ذلك بستين أي سنة ١٤٦٨ [م] توفي «ألفونس» فعرض الثائرون تاج الملك على «إيزابيلا» فرفضته وآثرت أن تجعل وارثة لأخيها فعاهد العصاة «هنري» على أن يطلق الملكة ويعترف بأن «إيزابيلا» وارثة لمملكتي «قسطيلة» و«لاون» وأن لها حقاً في اختيار بعل تتزوجه برضاها ولم يلبث المجلس العالي أن قرر حق «إيزابيلا» في الإرث.

أما «هنري» فلا يبالي بشروط المعاهدة وحاول إكراه أخته على الاقتران بملك البورتغال غير أن السياسة والحب استمالاها إلى «فرديندو» برنس «أراغون» فتهدها أخوها بالحبس فلم تعبأ به وعزمت على أن تباشر الأمر بنفسها فردت الرسول الأراغوني بجواب مرضٍ ووقع «فرديندو» على عقد الزواج في «سرفيرا» وذلك سنة ١٤٦٩ [م] وضمن لعروسه جميع حقوقها الملكية الأصلية في «قسطيلة» و«لاون» فأنفذ «هنري» في الحال فرقة من العساكر لإلقاء القبض على شقيقته، فهربت إلى بلاد الوليد وأرسلت إلى «فرديندو» تحته على أن يوافقها بسرعة لإتمام الزواج فلم يتمكن «فرديندو» من أن يسير بخفر، لأن أباه كان يحارب عصاة «قطالونيا» وكان بيت المال فارغاً فلبس ثوب خادم وسار متنكراً مع ستة رفقاء استأمنهم فلم يعرفه العساكر الذين أقامهم «هنري» لمنعه المرور وخرج من تلك المدينة بزّي لائق فأغذوا السير إلى بلاد الوليد وتزوج «إيزابيلا» سنة ١٤٦٩ [م].

فأعلن «هنري» أن أخته أضاعت جميع الحقوق التي تقررت لها بموجب المعاهدة، وجعل «جوانا» ودية عهده، فانقسمت البلاد إلى قسمين كبيرين متحاربين، وعضدت فرنسا الملك غير أن «إيزابيلا» كانت بحكمتها وفضائلها تستميل إليها أهالي «قسطيلة» شيئاً فشيئاً وتكتسب طاعتهم وأمانتهم.

وفي سنة ١٤٧٤ [م] توفي «هنري» وبعد يومين من وفاته أقيمت «إيزابيلا» ملكة في «سيروفا» فأقسم لها كثيرون من الأشراف بالطاعة إلا أن حزب «جوانا» كان قوياً فلم تعترف البلاد كلها بالملكة إلا بعد حرب جرت لها مع «ألفونس» ملك البرتغال، وكان قد خطب «جوانا»

ومن ثمّ شرعت في أعمال تحلى بها تاريخ إسبانيا فأصلحت قوانين البلاد وأدارت

الملكة [الشؤون] (١) الداخلية وعضدت الآداب والصنائع وبذلت جهدها في تغير تصرفات زوجها فإنها كانت قرينة القساوة والخداع ومع أنها كانت روح الحرب التي شهرت على العرب وكانت تحارب فيها بنفسها وتلبس درعاً لم يزل محفوظاً إلى الآن في مدريد (٢) كانت تقاوم القساوة التي اتخذها الإسبانيول في تلك الأيام سياسة نحو الأمة المذكورة ولم تأمر بطرد اليهود من «قسطيلة» ولا سلمت على غير إرادتها بإجراء الفحص الديني إلا لاعتقادها أن سلامة الدين الكاثوليكي تتوقف على ذلك وزادها شهرة مساعدتها «كرستوفورس كولومبوس» (٣) فاتح أميركا على إنفاذ مقاصده فإن الأسطول الذي اكتشف به أميركا جهز على نفقتها وضادت استرقاق الهنود الأميركيين.

فلما وصل الأسرى الذين أرسلهم إليها «كرستوفورس» المذكور أمرت بإرجاعهم إلى بلادهم وبمساعدة الكردينال «كسيمس» أصلحت الراهبات وبذلك جعلت للكنيسة في إسبانيا نظاماً ثابتاً رهنأ كالنظام الذي سنته للدولة ولم يكن المال ولا علو المرتبة يشفعان عندها بالمدنبيين، بل كان سيف العدل يعلو رقاب المجرمين من الأكابر والأصاغر والإكليروس على حد سواء، وكانت «إيزابيلا» جامعة بين عقل الرجال ومحاسن النساء وفضائل ناضرة عديمة النظر فباتت موضوعاً محبوباً للمؤرخين في الأعصر التالية والإسبانيول الآن يحبون ذكرها كما كان رعاياها منهم يحبون شخصها.

أما الموت الفجائي الذي أصاب كلاً من الدون «كارلوس» والدون «بدروجيرو» وأخيه «ألفونس» فلم يوقع عليها أقل شبهة مع أنه نالها بذلك ربح عظيم وكانت تحب زوجها حباً شديداً لا يعتريه فتور ألبتة غير أنه لم يكن يقابلها دائماً بمثل ذلك، وكانت تقواها الطبيعية تزين كل أعمال حياتها، وكان جمال خلقها يعادل حسن خلقها، وكانت صافية اللون ذات عينيّن زرقاوين وشعر أسمر وولد لها خمسة أولاد وهم: «إيزابيلا» التي تزوجت «غسبونيل» ملك البرتوغال و«جوان» وكان أميراً فاضلاً. توفي سنة ١٤٩٧ م [م] وله من العمر ٢٠ سنة و«جوان» التي تزوجت «فيليب» أرشيدوق «أوستريا» وولد لها منه الإمبراطور «كارلوس الخامس».

(١) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

(٢) مدريد (Madrid): عاصمة إسبانيا فيها مركز فني وثقافي، كنائس، أندية، أندية رياضية، أندية.

(٣) كرسستوفورس كولومبوس: ولد في جنوى بإيطاليا سنة ١٤٥١ م، رحل إلى إسبانيا في سنة ١٤٩٢ م. مكتشف أميركا، أبحر من بالوس في ٣ آب ١٤٩٢ م، ووجهته بلاد الهند عن طريق المغرب فوصل إلى شواطئ سان سلفادور في ١٢ تشرين الأول ١٤٩٢ م.

(٤) كارلوس الخامس: ولد سنة ١٥٠٠ م، ملك إسبانيا سنة ١٥١٦ م هو إمبراطور العرب من ١٥١٩-١٥٥٦ م حارب الأتراك. دخل في نزاع طويل مع فرنسا الأولى وأمه العنقا في سنة ١٥٥٨ م.

و«ماريا» التي تزوجت «عمنويل» بعد وفاة أختها، و«كاترينا» زوجة «هنري الثامن» ملك إنكلترا.

### إيزابيلا الثانية ملكة إسبانيا

ولدت في مدينة «مدريد» سنة ١٨٣٠ [م] وهي بكر بنات «فردينندو السابع»<sup>(١)</sup> من «ماريا كرسينا» رابع زوجاته نشأ عن مسألة إرثها الملك بعد أبيها حرب أهلية شديدة لأنه لم يكن لأبيها ولد ذكر يخلفه. ففي ٢٩ آذار (مارس) سنة ١٨٣٠ [م] أبطل القانون الذي وضعه «فيليب الخامس» وماله حرم الإناث تخت الملك وجعل بنته خليفة له وبذلك حرم أخاه الدون «كارلوس» وليّ العهد ما كان له من الحق المقرر بموجب القانون المذكور.

وفي سنة ١٨٣٣ [م] توفي «فردينندو» وكانت «إيزابيلا» في السنة الثالثة من عمرها فأقيمت ملكة فشهدت الدون «كارلوس» السلاح وعضده حزب كبير سمي بالكارلوسي نسبة إليه ولم تلبث دائرة الخلاف أن اتسعت وصارت إلى حرب أهلية رديئة وانحاز الإكليروس إلى الدون «كارلوس» أما حزب الملكة فسمي بحزب الحرية أو بالحزب النظامي لأن أم الملكة التي استولت على زمام الملك بالنيابة عن ابنتها تعهدت بوضع قانون أساسي لإسبانيا وكان معظم الشعب من حزب إيزابيلا.

وفي سنة ١٨٣٤ [م] أجمع أكثر أعضاء المجلس العالي على حرمان الدون «كارلوس» ونسله الملك.

وفي سنة ١٨٣٩ [م] عقد الصلح بين الجنرال «ماروكي» الكارلوسي والجنرال «إسبرتيرو» النظامي وهرب الدون «كارلوس» إلى فرنسا وفي أثناء الحرب كانت الملكة النائبة تتردد بين حزب المحافظين أو المعتدلين وحزب الحرية أما وزارة «منديزابال» فغيرت النظام ووسعت دائرة قانون الانتخاب وقامت بإصلاحات أخرى غير أن ديوان المشورة الكبير لم يكتف بذلك وطلب إعادة النظام الذي تقرر سنة ١٨١٢ [م] فحصل عليه أخيراً ثورة حدثت في «مدريد» سنة ١٨٣٧ [م].

وفي سنة ١٨٣٩ [م] حدثت ثورتان في «برشلونة»<sup>(٢)</sup> و«مدريد» فأكرهت أم الملكة على الفرار إلى فرنسا.

(١) فردينندو السابع: أو فردينان السابع ولد سنة ١٧٨٤ م اعتلى العرش سنة ١٨٠٨ م، خلعه نابليون وأحلّ مكانه أخاه جوزيف بونابرت استعاد عرشه سنة ١٨١٤ م، فقامت عليه ثورات وتحمرت المستعمرات الأميركية مات سنة ١٨٣٣ م.

(٢) برشلونة: (Barcelona): مرفأ في إسبانيا على المتوسط، عاصمة إقليم قتلونية.

وفي سنة ١٨٤٠ [م] تولى «إسبرتيرو» زمام البلاد. وفي سنة ١٨٤١ [م] جعل وكيلاً للملك غير أن أصدقاء «كرستينا» والمحافظين ثاروا عليه واضطروه إلى الاستعفاء وكانت الملكة قد ناهزت سن الرشاد ولم يبق إلا ١١ شهراً لبلوغها السن القانونية فضرب عنها المجلس العالي صفحاً وأجلسها على تخت الملك في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٤٣ [م].

وفي سنة ١٨٤٤ [م] وجهت رئاسة الوزارة إلى الجنرال «زفايز» الذي كان قد تولى رئاسة الثائرين. وفي السنة التالية غير النظام تغييراً غير موافق لأهل الحرية.

وفي سنة ١٨٤٦ [م] تزوجت «إيزابيلا» بابن عمها الدون «فرنشسكودواسبس» وفقاً لمشورة الملك «لويس فيليب» وفي الوقت نفسه زوجت أختها «ماريا فردينند لويزا» بدوق «مينيسيا» غير أن زواج الملكة أدى إلى تأويلات مستهجنة ووقع الخلاف بين الزوجين وكثرت الإشاعات فذهب قوم إلى أن الملك ليس كفواً للملكة. وكان آخرون يتهمون الملكة بخيانة زوجها وعقدت «إيزابيلا» الصلح مع النمسا وبروسيا.

وفي سنة ١٨٤٩ [م] أنفذت جيشاً لمساعدة البابا. وفي سنة ١٨٥٢ [م] حاول بعضهم قتلها فحملها الحزب المحافظ على فض المجلس العالي واتخاذ وسائل مشددة ونفي كثيرين من جنرالية الحزب النظامي.

وفي سنة ١٨٥٤ [م] قام الجنرال «لودونل» والجنرال «دلشي» بثورة عسكرية ومدنية في «مدريد» وتمكن من إقامة حكومة محلية فهربت أم الملكة ثانياً إلى فرنسا أما «إيزابيلا» فصرحت بالعفو التام وفتحت مجلساً عالياً جديداً وأباحت بيع الأوقاف.

وفي سنة ١٨٥٦ [م] حاول «أودونل» أخذ القوة بالبطش وأخذت الملكة ثورات حدثت في جنوب إسبانيا فتوطد سلطانها وأعادت النظام الذي تقرر سنة ١٨٤٥ [م] فآذنت لمر نهج سياسة مضادة لأهل الحرية.

وكانت نتيجة ذلك سقوط وزارة «توفاييز» في السنة التالية. قياد «أودونل» و«دلشي» إلى الحزب النظامي وذلك في سنة ١٨٥٧ [م] وتولى «أودونل» قيادة «توفاييز» التي أصبحت للحزب مراكش فاستظهر على المراكشيين وانتهت الحرب سنة ١٨٦٠ [م].

ثم تداخلت «إيزابيلا» مع فرنسا في أمور المكسيك وأرسلت إليها جيشاً تحت قيادة الجنرال «بريم» سنة ١٨٦١ [م]، وسنة ١٨٦٢ [م]، إلا أن الجنرال المذكور، لم يلبث أن قصر حبل المداخلة وحاولت الملكة الاستيلاء على «سنود» و«منغه» و«بيرو» و«شياني» ففشلت.



وفي سنة ١٨٦٦ [م] استعفى وزراؤها فاضطر الأمر إلى تقرير قرار مبطل نظام سنة ١٨٦١ [م] الذي بموجبه ضمت جمهورية «دومينيكا» إلى الملكة وفي السنة نفسها أمرت ببيع جميع الأملاك المختصة بأفراد البيت المذكور وصرفت أثمانها في أمور نافعة للأمة.

وفي سنة ١٨٦٦ [م] حملها الإكليروس والوزارة الجديدة التي تألفت تحت رئاسة «ترفايز» على إبطال حرية المطبوعات وجعل التعليم العمومي في أيدي خدمة الدين فحدثت ثورات تولى قيادة بعضها «بريم» وذلك في السنة نفسها والسنة التالية. وكان الثائرون منتشرين في جهات مختلفة من البلاد غير أن مساعيهم هبطت لعدم انتظامهم. وخلف «ترفايز» في رئاسة الوزارة «غنزالز برافو» فصاد أهل الحرية أكثر من سلفه غير أنه سنة ١٨٦٨ [م] ابتدأت الثورة في قانس فانتشرت في الحال في إسبانيا كلها ونشأ عنها فرار الملكة إلى فرنسا مع أولادها وعشيقتها «مرفوري» وقسيسها «كلاريت» فقدم لها «نابليون الثالث» قصر «بوفاه» صدرت منه إعلاناً إلى الشعب الإسباني فقامت به الحجة على الثورة.

وفي سنة ١٨٦٨ [م] صرح في «مدريد» بخلعها فاستوطنت «باريس» غير أنها أقامت مدة في «جنيفا» في أثناء الحرب التي جرت بين فرنسا وجرمانيا.

وفي ٢٥ حزيران (جون) سنة ١٨٧٠ [م]، تنازلت عن تخت الملك لابنها «ألفونس» فسمى نفسه «ألفونس الثاني عشر» في إسبانيا.

### إيزابيلا فيليب لوبل الملقبة بالفرنساوية ملكة إنكلترا

والدها «فيليب» ملك فرنسا، ولدت سنة ١٢٩٢ [م]، وتوفيت سنة ١٣٥٨ [م]، وتزوجت «إدورد الثاني» ملك إنكلترا سنة ١٣٠٧ [م]. غير أنه أهملها لأن ندماءه الأشرار كانوا قد ملكوا قلبه فكان يوافقهم في جميع آرائهم ومشوراتهم فصرحت بخلعه بمساعدة أخيها «شارل لوبل» واستولت على زمام الملك بالوكالة عن ابنها «إدورد الثالث»<sup>(١)</sup> سنة ١٣٦٢ [م] إلا أن عشيقها «روجر مرتيمر» أهلك «إدورد الثاني» في السنة التالية بعد أن أذاقه أمر العذاب فاغتاظ ابنها وخلع نيرها وأمر بقتل «مرتيمر» سنة ١٣٣٠ [م] أما هي فحبسها في سجن ماتت فيه بعد ٢٨ سنة. وقد زعم «إدورد الثالث» وحلفاؤه أن لهم حقاً في ملك فرنسا لأن «إيزابيلا» المذكورة كانت من البيت الملكي الفرنسي. وقيل: إنها لما توجهت إلى فرنسا لتسوية

(١) إدورد الثالث: ولد سنة ١٣١٢ م، ملك إنكلترا سنة ١٣٢٧ م، أعلن حرب المائة سنة على فرنسا.

مات سنة ١٣٧٧ م.

الخلاف الذي وقع بين أخيها وزوجها رأت كثيرين من الإنكليز الهاربين وهم من أصحاب «أرل لنكستر» وكان أكثرهم إقداماً ونشاطاً شاب اسمه «روجر مرتيمر» فجمعتهم إليها وقرّر رأيهم على خلع «إدورد».

وفي شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٣٢٦ [م] وصلت الملكة إلى ساحل «سفلك» بعساكر أجنبية مؤلفة من ٣٠٠٠ مقاتل تحت قيادة «روجر مرتيمر» و«جون منهنو» فأسرع لملاقاتها أكابر الأشراف والقسوس واستنجد «إدورد» برعاياه فلم ينجده أحد ففرّ هارباً إلى تخوم «ولس» فاقتفت الملكة أثره وقبضت عليه في دير «نيت» من «كونتيه كلامرغان»، وأرسلته إلى قلعة «كبتلورس». وفي تلك الأثناء ألقى القبض على «هدلود سنسر» وقتل خنقاً واجتمع المجلس العالي بأمر «إيزابيلا» و«مرتيمر» فأصدر قراراً في شهر يونيو سنة ١٣٢٧ [م] يؤذن بسقوط «إدورد أف كرنارفون» ونقله إلى قلعة «بيركلي» وكان حرسه من الأوباش فبقي فيها إلى أن وجد في ٣١ أيلول عند الصباح ملقى ميتاً على فراشه. وكان قد سُمع صراخ وأنين من غرفته ولم تبق جثته على حالها الطبيعية فدل ذلك على أنه قتل قتلاً ذريعاً والمظنون أن أمعاءه أحرقت بحديد محمى بالنار.

ولما بلغ «إدورد الثالث» من العمر اثنتي عشرة سنة أخذته والدته الملكة «إيزابيلا» المذكورة إلى فرنسا ولبثت ملكية «شارل الرابع» في ولايتي «غينا» و«نبتيو» اللتين وهبه إياهما أبوه «إدورد الثاني» وهناك عقدت الملكة «إيزابيلا» بين «إدورد» وبين «فيليب» عقد زواج فتزوجها في ٢٤ يونيو سنة ١٣٢٨ [م]. ولما أسر «إدورد الثاني» وسمي «إدورد الثالث» ملكاً لإنكلترا أمرت الملكة «إيزابيلا» بتعيين أربعة أساقفة وعشرة أشراف لكي يقرروا ودالة الملك وكان أكثرهم من حزبها فقرروا لها ولـ «مورتيمر» الذي صار أرل «مرنش» حق إدارة المملكة من تلك الأثناء فقضى «روبرت تروسيل» شروط الهدنة التي كانت بينه وبين مملكة إنكلترا. أنفذ جيشاً عظيماً تحت قيادة «رندولف» و«زغلاس» فحملوا في كتيبة «كمبرلان» وألقوا بالخراب والدمار فأرسلت «إيزابيلا» ولدها «إدورد» إلى «انسيمال» بجيش يزيد عن الأربعمائة ألف مقاتل وهناك حصل بينه وبين الأسكوتسيين وجرى له معهم معاهدة. هي من نتائج المعاهدة جداً فلم يتمكن من التغلب عليهم ويقال: إنه بكى لما رأى جماعة يسيرة قد استظهروا له عليه. وإنها تلك الحرب المشؤومة. فعقد معاهدة اعترف فيها باستقلال «أسكوتسيا» تماماً. وهذه الحالة ألفت المسؤولية على «إيزابيلا» و«مرتيمر» وكانا قد غاظا الشعب بأفعالهما ضد «أرل أف كونت» فإنهما سعياً في قتله لخيانة كبرى اتهمته بها وذلك سنة ١٣٣٠ [م].

وفي السنة نفسها استبد «إدورد» بالسلطة وتخلص من طاعة أمه ومحبيها، قتل «مرتيمر»

لخيانة بدت منه وأما «إيزابيلا» فأمر بحبسها طول حياتها في قصر «رشتغ» حتى توفيت كما تقدم.

### إيزابيلا البافارية ملكة فرنسا

وهي ابنة دوق «باباريا» ولدت سنة ١٣٧١ [م]، وتوفيت سنة ١٤٣٥ [م] تزوجت «شارل السادس» سنة ١٣٨٥ [م] فلما جنّ سنة ١٣٩٢ [م] جعلت رئيسة لمجلس الوكالة الملكية وكان من أعضائه دوق «أورليان»<sup>(١)</sup> أخو الملك و«جان» دوق «بورغونيا» الملقب بعديم الخوف فحصل بين هذين الأميرين مناظرة شديدة نشأ عنها الخصام الذي جرى بين البورغونيين والأرمنياكيين، وكانت «إيزابيلا» تميل إلى دوق «أورليان».

ويقال: إنه كان بينهما علائق حبية فأضمر لها دوق «بورغونيا» الشر وقتل خصمه سنة ١٤٠٧ [م] رغبة في الانتقام منها فغمها الأمر جداً ولكنها رضيت بمعاهدة القاتل لتحفظ لنفسها السلطان، ولما قتل دوق «بورغونيا» نفسه سنة ١٤١٩ [م] واطأت خلفه «فيليب لوبون» على تسليم فرنسا ليد أجنبية حارمة بذلك من الملك نفس ابنها «شارل السابع» ووقعت على معاهدة «تروا» التي بموجبها وجه تخت فرنسا إلى «هنري الخامس»<sup>(٢)</sup> ملك إنكلترا وذلك سنة ١٤٢٠ [م] وقلت أهميتها بعد وفاة «شارل السادس» و«هنري الخامس» سنة ١٤٢٢ [م] فلم تكن تتداخل في الأحكام وفي سنة ١٤٣٥ [م]، توفيت مصحوبة باحتقار الشعب غير مأسوف عليها.

### ألمس

المغنية الشهيرة التي فاقت كافة أرباب الألحان وآلات الطرب، وحازت شهرة عظيمة لا مزيد عليها وقد جمعت أموالاً كثيرة حتى قيل فيها إنها سلبت أموال القطر المصري برقة صنعتها وحلاوة صوتها الشاجي وكانت ابنة رجل فقير يتعاطى صنعة الصباغة، وكان ظهورها في أواخر أيام سعيد باشا<sup>(٣)</sup> وأوائل حكم إسماعيل باشا الخديوي<sup>(٤)</sup> وكانت في ذلك الوقت

- (١) أورليان (Orleans): مدينة في فرنسا على لوار، حاصرها الإنكليز فردّتهم عنها جان دارك ١٤٢٩ م.
- (٢) هنري الخامس: ولد سنة ١٣٨٧ م، ملك إنكلترا سنة ١٤١٣ م وأصبح وصياً على العرش الفرنسي سنة ١٤٢٠ م. توفي سنة ١٤٢٢ م.
- (٣) هو سعيد باشا ولد سنة ١٨٢٢ م والي مصر من سنة ١٨٥٤ - ١٨٦٣ م. ابن محمد علي فتح ترعة السويس وبني بور سعيد. توفي سنة ١٨٦٣ م.
- (٤) هو إسماعيل باشا ولد سنة ١٨٣٠ م، حاكم مصر من سنة ١٨٦٣ - ١٨٧٩ م، وهو ابن إبراهيم باشا، منحه السلطان عبد العزيز لقب الخديوي. دشن قناة السويس سنة ١٨٦٩ م، اشتهر بمشاريعه العمرانية =

سائدة على مغنيات مصر لا سيما «ساكنة» المغنية الشهيرة وكانت قد أسست وكانت «ألمس» صغيرة لا تتجاوز على ما بلغني الثانية عشرة من سنيها وكان اسمها الحقيقي «سكينة» ولكنها في مبادئ ظهورها لقبت باسم «ألمس» وقد غلب على الاسم الأصلي فشهدت به، وفي أول ظهورها قد طلبت إحدى سيدات العائلة الخديوية جملة بنات من بنات الأهالي حسنات الأصوات لأجل تعليمهن الألحان فجاءتها إحدى أتباعها بما طلبت ومن جملتهن «ألمس»، فاختبرت أصوات الجميع فلم يرق لها سوى صوت المترجمة فطلبت إليها الإقامة عندها فامتنعت واعتذرت أنها لا تقدر على ترك والدها الفقير فقبلت عذرها بكل أسف وأنعمت عليها بشيء من النقود وانصرفت ثم بعد ذلك اشتهرت بين سيدات مصر وذواتها فكثرت طلبها وتحديث بذكرها الرجال والنساء.

ولما رأت «ساكنة» المغنية ذلك خافت على مركزها وشهرتها أن تسترها «ألمس» بما منحها الله من حسن الصوت ورقة الصنعة فضمتها إليها وصارت من ضمن أتباعها فصار الالتفات الكلي من الأهالي وولاية الأمور لجهة «ألمس» وصارت «ساكنة» لا يُعبأ بها فداخلها الحسد والحقد، فساءت معاملتها ولما رأت المترجمة ذلك انفصلت عنها وجعلت لها تخاتاً خصوصياً وكبر شأنها وطلبها ولاية مصر وذواتها وتركت «ساكنة» ونسي أمرها فزاد الحقد والحسد لها من جميع مغنين ومغنيات مصر وكان عبده الحمولي<sup>(١)</sup> المغني الشهير هو المشهور بين الرجال في ذلك الوقت فأخذته الخوف على شهرته وارتعب من إطفاء اسمه كما حصل لـ «ساكنة» فأظهر «ألمس» في بادئ الأمر العداوة ووقع الخلاف حتى صار إذا أراد أن يزين أفراحه ويجعل لها رونقاً جمع ما بينهما في سامر واحد فيظهر كل منهما ما عنده من حسن الصنعة ورقة الصوت فيطرب السامعين ويصح فيهم المثل السائر: «تشاحت السراكيه بسعد الركاب»<sup>(٢)</sup>.

والثقافية، ألغى الرق وبنى الإسماعيلية. أدى انتفاع الديوان إلى تدخل الدولة في الشؤون الثقافية وتوقيع. توفي في الأستانة سنة ١٨٩٥ م.

(١) عبده الحمولي: المصري مجدد شباب الغناء العربي. ولد في منف سنة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م. بالغناء، وكان حسن الصوت جداً، فتصرف بصنعة تصادف مجدداً في سنة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م. في القاهرة القديمة والسبب ثوباً رقيقاً شفافاً. زار الأستانة فأخذ عن الممثلين السراكيين في الغناء. كان أول من مزج الغناءين. كان كبير النفس في أخلاقه، شرب الخمر، دبت، وارتعب من إطفاء اسمه كما حصل للمغنين، يُعد من أصحاب الإبداع والاختراع في هذا الفن. توفي في القاهرة سنة ١٣١٩ هـ الموافق ١٩٠١ م. ومما ذكرناه في ترجمته يتنافى مع ما ورد في متن الكتاب من أنه عمداً إلى الحيلة والتمس الخروج من ألمس بغية منعها من الغناء والحؤول دون تقدمه ونجاحه.

(٢) مثل شعبي عامي.

ولما رأى ذلك عبده الحمولي وأن الأهالي متجهة أفكارها إلى جهة «المس» وكثر مادحوها، وقل الالتفات إلى جهته عمد إلى الحيلة والمكر اللذين يتهم بهما النساء وأظهر لها الحب والود الذي لا يُشك فيه، وطلب إليها الاقتران وبذل جهده في إتقان الحيلة حتى قبلت اقترانها به وكانت من قبل تزوجت برجل إيراني وانفصلت منه لا أعلم إن كان بموت أو بالحياة.

ولما دخلت على عبده كان آخر العهد بها فمنعها عن الغناء وتقدم هو فرجعت له شهرته الأولى إذ لم يبق غيره في القطر المصري وأسف الأهالي جميعاً من غياب سناء «المس» عن عيونهم وحزن الكثير من هذا الاقتران.

ولما صارت تحت حكمه سلمت له كل مالها وما تملكه ففتح محل تجارة وحيث إنه كان مسرفاً في بذل الأموال لم تدم تجارته إلا قليلاً فقفل محله التجاري.

وكانت المترجمة حملت منه ولم تلد، بل توفاه الله بحملها وهي في نضارة الشباب وعنفوان الصبا فأسف عليها المصريون كل الأسف وكان لها يوم مشهود جمع أكابر مصر وأصاغرها واحتفل بمشهدتها تقله أعناق الرجال وتسقى الأرض بأنهر من الدمع المدرار.

وحزن عبده عليها الحزن الشديد وحاقه الندم على ما فرط منه في معاملتها بالقسوة حيث إنه كان يعاملها بكل فظاظة وهجر حتى قيل: إنه كان يقصد خسارة أموالها فيركب العربة تقلها الخيل الجياد من خيلها فلا يحملانه أكثر من الأسبوع وخسرت التجارة ما ينوف عن الثلاثين ألف جنيه وغير ذلك من الخسائر الباهظة غير ما عاملها به من الهجر والإعراض فلحقها الغم وندمت من حيث لا ينفع الندم حتى قيل: إن ذلك كان سبب موتها لما لحقها من الكدر.

فأثر هذا الأمر في عبده بعد موتها وثابر على الحزن مدة من الزمن وغنى عليها بالحن محزنة نذكرها على سبيل الاستئناس وهو:  
مذهب:

شربت الصبر من بعد التصافي      ومر الحال ما عرفتش أصافي  
يغيب النوم وأفكاري توافي      عدمت الوصل آه يا قلبي عليّ

دور:

يقضي لوم يكفاني ملامه      وزاد بي الحال يا الله السلامه  
مضت بهجة فؤادي يا ندامه      عدمت الوصل آه يا وعدي عليّ

دور:

على عيني بعباد الحلو ساعه  
لأن الروح في الدنيا وداعه  
ولكن للقضا سمعاً وطاعه  
عدمت الوصل آه يا قلبي عليّ

دور:

زمان الأنس راح عني وودّع  
وبعد الهجر هو الصبر ينفع  
وصرت اليوم من ولهي مولع  
عدمت الوصل آه يا قلبي عليّ

هذا ما بلغني من ترجمة «ألمس» ولم أجد من يطلعني على شيء من نوادرها وملحها

الكثيرة.

## حرف الباء الموحدة

### باقو الملقبة بالطاهرة زوجة السلطان مراد الثالث

هي امرأة من البندقية كانت ذات فكر ثاقب وجمال بارع أسرها لصوص البحر سنة ١٥٨٠ [م] وهي سائرة مع أبيها من البندقية<sup>(١)</sup> إلى «كورفو»<sup>(٢)</sup> فسيقت إلى القسطنطينية وصارت فيها من جواري السلطان مراد الثالث<sup>(٣)</sup> ثم تزوجها وجعلها سلطانة وأخذ حبها بمجامع قلبه فنذت كلمتها وكانت لها سطوة عجيبة في أيام ابنها السلطان محمد الثالث<sup>(٤)</sup> فكان يستشيرها في مصالح السلطنة غير أن حفيدها السلطان أحمد تغير عليها سنة ١٦٠٣ للميلاد ووضعها في السراية القديمة إلى أن ماتت.

### بثينة حبية جميل بن معمر العذري

هي بثينة<sup>(٥)</sup> بنت حبا بن ثعلبة بن لهوذ بن عمر بن الأصب بن حر بن ربيعة، كذلك نسبها صاحب الأغاني وهي من بني عذرة<sup>(٦)</sup> هام بها وذكرها في شعره جميل بن عبد الله بن

- (١) البندقية: أو فينيسيا (Venezia)، مدينة إيطالية على الأدریاتيك، مبنية فوق مائة جزيرة صغيرة تفصل بينها القنوات وتربطها ببعضها مئات الجسور. هي من عواصم العالم السياحية المشهورة بمبانيها، منها كنيسة القديس مرقس وساحتها.
- (٢) كورفو: أو كركيرا (Corfu, Kerkyra) جزيرة يونانية في البحر الأيوني عند مدخل الأدریاتيك يفصلها عن الساحل مضيق كورفو.
- (٣) مراد الثالث: سلطان عثماني ولد سنة ١٥٤٦ م، ملك سنة ١٥٧٤ م، هو ابن سليم الثاني. انتصر على الفرس سنة ١٥٧٦ م واحتل جورجيا. قضى على الأمير قرقماز المعني في لبنان سنة ١٥٨٤ م. توفي سنة ١٥٩٥ م.
- (٤) محمد الثالث: سلطان عثماني ولد سنة ١٥٦٦ م، ملك سنة ١٥٩٥ م. اغتال إخوته وحارب النمسا، توفي سنة ١٦٠٣ م.
- (٥) هي بثينة شاعرة من بني عذرة، من قضاة، اشتهرت بأخبارها مع جميل بن معمر العذري. وهو من قومها. كانت منازلهم بوادي القرى بين مكة والمدينة، في شعرها رقة ومثانة. مات جميل قبلها، فرثته ولم تعش بعده طويلاً.
- (٦) بنو عذرة: بطن من قضاة من القحطانية، وهم بنو عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن أسود بن =





رجلاً وجاء على الصهباء ناقته حتى وقف ببثينة وأم الحسين وهما تحدثانه وهو ينشدهما قوله :

حلفت برب الراقصات إلى مني هوي القطا تجتزن بطن دفين  
لقد ظن هذا القلب أن ليس لاقياً سليمان ولا أم الحسين لحين  
فليت رجلاً فيك قد ندرؤا دمي وهموا بقتلي يا بثين لقوني

فبينما هو على تلك الحال إذ وثب عليه القوم فأطلق عنان الناقة، فخرجت من بينهم كالسهم ووعدت جميلاً يوماً أن يلتقيا في بعض المواضع فأتى لوعدها، وجاء أعرابي يستضيف القوم فأنزلوه وقرؤه فقال لهم: قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفر متفرقين متوارين في الشجر وأنا خائف عليكم أن يسلبوا بعض إبلكم، فعرفوا أنه جميل وصاحبه فحرسوا بثينة ومنعوا من الوفاء بوعدده، فلما أسفر الصبح انصرف كثيراً سيء الظن بها ورجع إلى أهله فجعل نساء الحي يقرعنه بذلك ويقلن له: إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر وغيرها أولى بوصلك منها كما أن غيرك يحظى بوصلها فقال في ذلك:

فلرب عارضة علينا وصلها بالجد تخطه بقول الهازل  
فاجبتها في القول بعد تستر حبي بثينة عن وصالك شاغلي  
لو كان في صدري كقدر قلامه فضلاً وصلتك أو أتتك رسائلي  
ويقلن إنك قد رضيت بباطل منها فهل لك في اجتناب الباطل  
ولباطل ممن أحب حديثه أشهى إلي من البغيض الباذل  
ليزلن عنك هواي ثم يصلنني وإذا هويت فما هواي بزائل  
أبثين إنك قد ملكت فاسحجي وخذي بحظك من كريم واصل

وفي وعدها بالتلاقي وتأخرها يقول أيضاً قصيدته الرائبة التي أولها:

يا صاح عن بعض الملامة أقصر إن المنى للقاء أم المسور

ومنها:

وكان طارقها على علل الكرى والنجم وهنا قد دنا لتغور  
يستاف ربح مدامة معجونة بذكي مسك أو سحيق العنبر

ومنها:

إني لأحفظ غيبكم ويسرني إذ تذكرين بصالح أن تذكرني  
ويكون يوم لا أرى لك مراسلاً أو نلتقي فيه علي كأشهر  
يا ليتني ألقى المنية بغتة إن كان يوم لقائكم لم يقدر  
أو أستطيع تجلداً عن ذكركم فيفيق بعض صابتي وتفكري

لو قد تجنّ كما أجنّ من الهوى  
والله ما للقلب من علم بها  
لا تحسبي أنني هجرتك طائعاً  
فلتكنني الباقيات وإن أبح  
يهواك ما عشت الفؤاد فإن أمت  
إني إليك بما وعدت لناظر  
يعد الديون وليس ينجز موعداً  
ما أنت والوعد الذي تعدينني  
قلبي نصحت له فردّ نصيحتي

والتقت بجميل بعد طول تهاجر كان بينهما طالت مدته فتعابها طويلاً ثم قالت له : ويحك  
يا جميل أتزعم أنك تهواني وأنت القائل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغرّ من أنيابها بالقوادح

فأطرق طويلاً وهو يبكي وينتحب ثم رفع رأسه وقال : بل أنا القائل :

ألا ليتني أعمى أصم تقودني بثينة لا يخفى عليّ كلامها

فقالت : ويحك ، ما حملك على هذه المنى أوليس في سعة العافية ما كفاك جسيماً؟

وسعت جارية من جوارى بثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما : إن جسيلاً عنده البينة  
فأتياها مشتملين سيفهما ، فرأياه جالساً إليها يحدثها ويشكو إليها وجده بها وشوقه لها ، ثم قال  
لها : يا بثينة ، أرأيت ودي لك وشغفي بك ألا تجزيه؟ قالت : بساذاً! قال : بما يكون بين  
المتحابين . فقالت له : يا جميل أهذا تبغي والله لقد كنت عندي بعيداً منه ، ولكن عادت  
تعريضاً بريية لا رأيت وجهي بعدها أبداً فضحك من كلامها ، قال : والله ما قلت لك هذا إلا  
لأعلم ما عندك فيه ، ولو علمت أنك تجيبيني إليه لعلمت أنك تجيبين لغيري ، ولو رأيت منك  
مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي أو هجرتك إن استطعت لئلا يظن  
سمعت قولتي :

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو أبصره العاشق لقت بلاياً

بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى وبالأمل المرجحة قد حباب أماني

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي أو أخيره لا نلتقي ، أو أئاماً

فقال أبوها لأخيها : قم بنا فما ينبغي بعد اليوم أن نسمع هذا الرجل من لقائنا فاصبر  
وتركاهما . وقال جميل يوماً لأحد أتراه : هل لك في مساعدتي على لقاء بثينة ، فمضى .

حتى كمن له في الوادي وأرسل معه خاتمه إلى راعي بثينة ودفعه إليه فمضى به إليها ثم عاد بموعد منها إليه فلما جن الليل جاءته فتحدثا طويلاً حتى أصبَحَا ثم ودعها وركب ناقته وهي باركة قالت له بثينة ادن مني يا جميل فدنا منها وقال:

إن المنازل هيجت أطرابي      واستعجمت آياتها بجوابي  
فترى تلوح بذى اللجين كأنها      أنضاء رسم أو سطور كتاب  
لما وقفت بها القلوص تبادرت      مني الدموع لفرقة الأحباب  
وذكرت عصراً يا بثينة شاقني      وذكرت أيامي وشرح شبابي

وقال كُثَيِّرٌ<sup>(١)</sup>: لقيني جميل مرة فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من عند أبي الحبيبة - أعني بثينة - فقال: وإلى أين تمضي؟ قلت: إلى الحبيبة - أعني عَزَّة<sup>(٢)</sup> - فقال: لا بد أن ترجع عودك على بدئك فتستجد لي موعداً من بثينة. فقال: عهدي بها الساعة وأنا أستحي أن أرجع. فقال: لا بد من ذلك. فقلت: فمتى عهدك بها؟ قال: في أول العيد وقد وقعت سحابة بأسفل وادي الردم فخرجت ومعها جارية لها تغسل ثيابها، فلما أبصرتني أنكرتني وضربت بيدها إلى ثوب في الماء فالتحفت به تستراً، وعرفتني الجارية فأخبرتها، فتركت الثوب في الماء وتحدثنا حتى غابت الشمس، وسألتها الموعد فقالت: أهلي سائرون. وما وجدت أحداً غيرك يا كُثَيِّرٌ حتى أرسله إليها فقال له كُثَيِّرٌ: فهل لك في أن آتي الحي فأنزع بأبيات من الشعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها.

قال: ذلك الصواب، فأرسله إليها فذهب، وقال: انتظرني حتى أعود، ثم سار حتى أناخ بهم فقال له أبوها: ما ردك يا كُثَيِّرٌ؟ قال: ثلاثة أبيات عرضت لي فأحببت أن أعرضها عليك. قال: هاتها. قال كُثَيِّرٌ: فأنشدته وبثينة تسمع من وراء الخدر:

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي      إليك رسولاً والموكل مرسل

(١) هو كُثَيِّرٌ بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر، شاعر متيم مشهور «بكُثَيِّرٌ عَزَّة». من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وفد على عبد الملك بن مروان فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاخص به وببني مروان، يعظمونه ويكرمونه. كان مفرط القصر دميماً، في نفسه شمم وترفع كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدمون عليه أحد. وفي المؤرخين من يذكر أنه كان من غلاة الشيعة. وينسبون إليه القول بالتناسخ، قيل: كان يرى أنه «يونس بن متى»، أخباره مع عَزَّة بنت حميل (بالحاء) الضمرية كثيرة. كان عفيفاً في حبه. قيل له: هل نلت من عَزَّة شيئاً طول مدتلك؟ فقال: لا والله، إنما كنت إذا اشتد بي الأمر أخذت يدها فإذا وضعتها على جيني وجدت لذلك راحة. توفي بالمدينة سنة ١٠٥ هـ/٧٢٣ م.

(٢) هي عَزَّة بنت حميل (بالحاء) الضمرية، صاحبة الشاعر كُثَيِّرٌ، عشقها فاشتهر بها واشتهرت به، توفيت في مصر سنة ٧٠٤ م.

بأن تجعلني بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أفعلاً  
وآخر عهدي منك يوم لقيتني بأسفل وادي الردم والثوب يغسلُ

فضربت بثينة صدرها وقالت: احسأ احسأ، فقال أبوها: مهيم<sup>(١)</sup> يا بثينة؟ قالت: كلب  
يأتينا إذا نام الناس من وراء هذه الرابية، ثم التفتت إلى الجارية وقالت: أبغينا من الدومات  
حطباً لنذبح لكثير شاة ونسويها له. فقال كثير: أنا أعجل من ذلك وخرج وراح إلى جميل  
فأخبره. فقال له جميل: الموعد الدومات بعد أن تنام الناس. وكانت بثينة قد قالت لأختها أم  
الحسين، وليلى ونجيا بنات خالتها: إني قد رأيت في نحو نشيد كثير أن جميلاً معه وكانت قد  
أنست إليهن واطمأنت بهن وكاشفتهن بأسرارها فخرجن معها، وكان جميل وكثير خرجا حتى  
أتيا الدومات (اسم محل) وجاءت بثينة ومن معها فما برحوا حتى برق الصبح فكان كثير يقول:  
ما رأيت عمري مجلساً قط أحسن من ذلك المجلس ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر ولم  
أدر أيهما كان أفهم. ولما ندر أهل بثينة دم جميل وأهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل،  
فكان يصعد بالليل كتيب رمل ويتنسم الريح من نحو حي بثينة ويقول:

أيا ريح الشمال أما تريني أهيم وإنني بادي النحول  
هبي لي نسمة من ريح بثن ومني بالهبوب إلى جميل  
وقولي يا بثينة حسب نفسي قليلك أو أقل من القليل

فإذا ظهر الصبح انصرف وكانت بثينة تقول لجوار من الحي عندها: ويحك، إني  
لأسمع أنين جميل من بعض الغيران فيقلن لها: اتقي الله فهذا شيء يخيله لك الشيطان لا حقيقة  
له، واجتمع كثير بجميل يوماً فقال له: يا جميل، أترى بثينة لم تسمع بقولك:

يقيقك جميل كل سوء أماله لديك حديث أو إيث رسول  
وقد قلت في حبي لكم وصبابتي محاسن شعر ذكرهن يفنون  
فإن لم يكن قولي رضاك فعلمي هبوب الصبا يابثن كيف أقول  
فما غاب عن عيني خيالك لحظة ولا زال عنها والخيال يدنو

فقال جميل أترى عزة يا كثير لم تسمع بقولك:

يقول العدا يا عز قد حال دونكم شجاع عبي فتمها قطار دمامة  
فقلت لها والله لو كان دونكم جهنم ما حببنا من جهنم  
وكيف يروغ القلب يا عز النع وهجهك في قطار دمامة

(١) مهيم: كلمة استفهام: ما حالت، أو ما حدث لك، أو ما أحسب أنك تفعل، أو ما فعلت، أو ما فعلت به. وهي:

وما ظلمتك النفس يا عز في الهوى فلا تنقمي حبي فما فيه منقم

قال: فبكيا ليلتهما إلى أن بزغ الصباح، ثم انصرفا وخرج جميل لزيارة بثينة ذات يوم فنزل قريباً من الماء يترصد أمة لبثينة، أو راعية ليتخذها واسطة لتبليغ رسالته، وإذا بأمة حبشية معها قربة واردة على الغدير لتملأها، وكانت عارفة به، ولما تبينها وتبينته سلمت عليه وجلست معه وجعل يحدثها ويسألها عن أخبار بثينة ويخبرها بما يعانیه من ألم الفراق، ويحملها رسائله إلى بثينة، ثم أعطها خاتمه وسألها أن تدفعه لها وأخذ عليها موعداً ترجع له فيه، ومكث ينتظر رجوعها وذهبت الجارية إلى أهلها وقد أبطأت عليهم، فلقبها أبو بثينة وزوجها وأخوها فسألوها عما أبطأ بها فالتوت عليهم ولم تخبرهم بشيء مما حصل لها مع جميل، وتعلت عليهم فضربوها ضرباً مبرحاً، ومن ألم الضرب أعلمتهم حالها مع جميل ودفعت إليهم خاتمه، وصدف أنه مر بها في تلك الحالة فتیان من بني عذرة فسمعا القصة جميعها وعرفا الموضع الذي فيه جميل، فأحبا أن يدرآ عنه هذا الخطر فقالا للقوم: إنكم إن لقيتم جميلاً وليست بثينة معه ثم قتلتموه لزمكم في ذلك كل مكروه وكان أهل بثينة أعز بني عذرة فدعوا الأمة وأعطوها الخاتم وأمروها أن توصله إلى بثينة وحذروها من أن تخبرها بأنهم علموا القصة ففعلت، ولم تعلم بثينة بما جرى، ومضى الفتیان فأنذرا جميلاً وقالوا تقيم عندنا في بيوتنا حتى يهدأ الطلب، ثم تبعث إليها فتزورك وتقضي من لقائها وطراً وتنصرف سليماً.

فقال: أما الآن فابعثا إليها من ينذرها فأتياه براعية لهما وقالوا له: قل بحاجتك فقال: ادخلي إليها وقولي لها إنني أردت اقتناص ظبي فحذره ذلك جماعة اعتوروه من القناص ففاتني الليلة فمضت فأعلمتها ما قال لها فعرفت قصته وبحثت عنها ففهمتها تماماً فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصدوها فلم تبرح من مكانها ومضوا يفتنون أثره فوجدوا ناقته فعرفوا أنه قد فاتها وفي ذلك يقول جميل:

خليلتي عوجاً اليوم حتى تسلما      على عذبة الأنياب طيبة النشرِ  
ألمّا بها ثم اشفعالي وسلما      عليها سقاها الله من سائغ القطرِ

وقال:

أبى القلب إلا حب بثنة لم يرد      سواها وحب القلب بثنة لا يجدي  
إذا ما دنت زدت اشتياقا وإن نأت      جزعت لنأي الدار منها وللبعدِ  
سلي الركب هل عجنا لمغناك مرة      صدور المطايا وهي موقرة تخدي  
وهل فاضت العين الشروق بمائها      من اجلك حتى أخضل من دمعها بردي  
وإني لأستجري لك الطير جاهدا      لتجري بيمن من لقائك من سعدي

وإني لأستبكي إذا الركب غردوا      بذكراك أن يحيا بك الركب إذ تحدي  
فهل تجزيني أم عمرو بודהا      فإن الذي أخفى بها فوق ما أبدي  
وكل محب لم يزد فوق جهده      وقد زدتها في الحب مني على الجهد

ولما ضاقت برهط بثينة الحيل ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يثقون بها يقال لها: أم منظور  
فجاءها جميل وقال لها: أريني بثينة، فقالت: لا والله لا أفعل وقد ائتمنوني عليها فقال: أما  
والله لا أضرنك فقالت: المضرة والله في أن أريكها فخرج من عندها وهو يقول:

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت      بالحجر يوم جلتها أم منظور  
ولا استلابتها خرساً جبائرها      إلي من ساقط الأوراق مستور

قال فما كان إلا قليل حتى انتهى إليهم هذان البيتان فتعلقوا بأم منظور فحلفت لهم بكل  
يمين فلم يقبلوا منها وعاقبوها على ذلك هكذا رواه صاحب الأغاني<sup>(١)</sup> عن الزبير بن بكار<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى أن رجلاً أنشد مصعب بن الزبير<sup>(٣)</sup> البيت الأول من البيتين المذكورين  
فقال مصعب: لوددت أني عرفت كيف جلتها فقبل له: إن أم منظور هذه حية فكتب في حسبه  
إليه مكرمة فحملت إليه فقال لها: أخبريني عن قول جميل.

(١) هو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني، الأموي، القرشي، أبو فرج لأصبهان،  
من أئمة الأدب، الأعلام في معرفة التاريخ، والأنساب، والسير، والآثار، واللغة والمغازي ولد في  
أصبهان سنة ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م. نشأ وتوفي في بغداد سنة ٣٥٦ هـ/٩٦٧ م. قال لذهبي: «العباد  
أموي شيعي». وكان يبعث بتصانيفه سرا إلى صاحب الأندلس الأموي فيأبى إبعاده من أشبهان  
«الأغاني»، ثم يعمل في بابه مثله. جمعه في خمسين سنة.

(٢) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي، الأسدي، الحامي، من أجداد الزبير بن العوام، ولد في  
عالم بالأنساب وأخبار العرب، ولد في سنة ١١٢ هـ/١١١ م. توفي فيها سنة ٢٥٦ هـ/١١٠ م.

(٣) هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، القرشي، من أجداد الزبير بن العوام، ولد في  
صدر الإسلام. نشأ بين يدي أخيه عبد الله بن الزبير، وكان مصعب الأعمى من ولده، وولد له  
والعراق. وولاه عبد الله البصرة سنة ٦٧ هـ، فنصدها، وصبغ أمه هـ، وولد له من ولده  
عبد الله عنها مدة سنة، وأعادها في أواخر سنة ٦٨ هـ، وأصابه من أجداد بني هاشم، فجهز  
عبد الملك بن مروان لقتاله، فسار إليه الجيوش، وكان مصعب يتبعه حتى خرج إليه عبد الملك  
بنفسه، فلما دخل العراق، حذال مصعب قواد حشده وأصحابه، فذبح الجيوش ثم وودع فقتل عبد الملك  
عبد الملك في وقعة عند دير الجائليق، وبلغه، فذبحه في فسطاطه، وحبسه في السجن  
عبد الملك. وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملك الشام. كان مصعب أحب أمه، ثم هو من  
العراق، يعطيهم عطاءين، عطاء للشتاء، وعطاء لل الصيف. وكان شتاء في موسم الشتاء، وحر في موسم  
اللين.

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت بالحجر يوم جلثها أم منظور

كيف كانت هذه الجلوة؟ قالت: ألبستها قلادة بلح ومخنقة بلح في وسطها تفاحة وضفرت شعرها، وجعلت في فرقها شيئاً من الجلوة ومر بنا جميل راكباً على ناقته فجعل ينظر إليها بمؤخر عينه ويلتفت إليها حتى غاب عنا فقال لها مصعب: فإني أقسم عليك إلا جلوت عائشة بنت طلحة<sup>(١)</sup> مثل ما جلوت بثينة ففعلت، وركب مصعب ناقته وجعل ينظر إلى عائشة بمؤخر عينه مثل ما فعل جميل ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع. وجاء جميل إلى بثينة ليلة وقد تزيا بزوي راع لبعض الحي، فوجد عندها ضيفان لها فانتبذ ناحية وجلس فيها فسألته: من أنت؟ فقال: مسكين مكاتب فعشت ضيفانها وعشته وخذته ثم جلست هي وجارية لها تجاه النار تصطليان واضطجع القوم منتحين فقال جميل:

هل البائس المقرور دان فمصطل من النار أو معطى لحافاً فلابس

فقالت لجاريتها: صوت جميل والله اذهبي فانظري فذهبت ثم رجعت وقالت: هو والله جميل فشهقت شهقة سمعها القوم فأقبلوا يجرون، وقالوا: ما لك فطرحت برداً لها من حبرة في النار وقالت: احترق بردي، فرجع القوم وأرسلت جاريتها إلى جميل فجاءتها به فحبسته عندها ثلاث ليال ثم ودعها وخرج.

ورصدها ليلة في نجع لبني عذرة حتى إذا صادف منها فرصة وهي مارة مع أترابها في ليلة ظلماء ذات رعود وأمطار فحذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها ففزعت وقالت: والله ما حذفني في مثل هذا الوقت إلا الجن فقالت لها بثينة - وقد فطنت - : انصرفي إلى منزلك حتى نذهب إلى النوم، فانصرفت وبقي مع بثينة أم الحسين وأم منظور فقامت إلى جميل فأخذته إلى الخباء معها وتحادثا طويلاً ثم اضطجع واضطجعت إلى جانبه فذهب بهما النوم حتى أصبحا وجاءها غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به إليها زوجها (يظهر من تواريخ العرب أنهم كانوا على الطريقة التي اتخذها الإفرنج في وقتنا هذا بأن الزوج لا يرقد وزوجته في محل واحد بل كل منهما في محل) فلما رآها نائمة مع جميل مضى لوجهه حتى يخبر سيده فرأته ليلي والصبوح معه وكانت قد عرفت خبر بثينة وجميل فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وبعثت

(١) هي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله من بني تيم بن مرة، أديبة، عالمة بأخبار العرب، فصيحة، أمها أم كلثوم ابنة أبي بكر الصديق، خالتها عائشة أم المؤمنين، وكانت أشبه الناس بها. كانت لا تستر وجهها، فعاتبها زوجها مصعب بن الزبير في ذلك، فقالت: إن الله قد وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس فما كنت لأستره، والله ما فيّ وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد. كانت تقيم بمكة سنة، وبالمدينة سنة، وفدت على هشام بن عبد الملك، فبعث إلى مشايخ بني أمية أن يسمروا عنده. فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها إلا أفاضت معهم فيه. وما طلع نجم ولا غار إلا سمته.

بجارتها لها وقالت: حذري بثينة وجميلاً، فجاءت الجارية فنبهتهما، فلما تبينت بثينة الصبح قد أضاء والناس منتشرين ارتاعت وقالت: يا جميل نفسك نفسك فقد جاءني غلام زوجي بصبوح من اللبن فرأنا نائمين فقال لها وهو غير مكترث لما خوفته منه:

لعمرك ما خوفتني من مخافة      بثين ولا حذرتني موضع الحذر  
فأقسم لا يلقى لي اليوم غرّة      وفي الكف مني صارم قاطع ذكر

فأقسمت عليه أن يلقي نفسه تحت النضد وقالت: إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك، ففعل ما أمرته به ونامت كما كانت، وأضجعت أم الحسين إلى جانبها، وذهبت خادمة ليلي وأخبرتها الخبر فتركت العبد يمضي إلى سيده فمضى والصبوح معه وقال: إني رأيت جميلاً مع بثينة في فراش واحد مضطجعا إلى جانبها فمضى إلى أخيها وأبيها وأخبرهم الخبر وأخذهما وأتى بهما إلى خباء بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوب فإذا أم الحسين إلى جانبها نائمة، فخجل زوجها وسب عبده وقالت ليلي لأخيها وأبيها: قبحكما الله أفي كل يوم تفضحان فتاتكما ويلقاكما هذا الأعور فيها بكل قبيح قبحه الله، وقبحكما معه. وجعلا يسبان زوجها ويقولان له كل قول قبيح وأقام جميل عند بثينة حتى جن الليل ثم ودعها وانصرف وخافت بثينة مما جرى فتحات منه مدة فقال في ذلك:

أن هتفت ورقاء ظلت سفاهة      تبكي على جمل ورقاء تهتف  
فلو كان لي بالصرم<sup>(١)</sup> يا صاح طاقة      صرمت ولكني عن الصرم أضعت  
لها في سواد القلب بالحب منعة      هي الموت أو كادت على الموت تشرف  
وما ذكرتك النفس يابثن مرة      من الدهر إلا كادت النفس تتلف  
وإلا اعترتني زفرة واستكانة      وجادلها سحل من الدمع يذرف  
وما استطرفت نفسي حديثاً لخلّة      أسرّ به إلا حديثك أضرف  
وهي قصيدة طويلة منها قوله:

ولست بناس أهلها حين أقبلوا      وجالوا غليت بأسيد وضمود  
وقالوا جميل بات في الحي عندها      وقد جردوا أسيفهم ثم ودعوا

ولما اشتهرت بثينة بحب جميل إياها اعترضه عبيد الله بن قطيب بن الأحمق وهو من رهطها الأقربين فهجاه وبلغ ذلك جميلاً فأجابه وتطاولا فعبه جميل وحب غنم بن قطيب واعترضه عمير بن رمل رجل من بني الأحب أيضاً وإياه عنى جميل بقوله:

إذا الناس هابوا خزية ذهب بها      أحب المخازي كنهانها

(١) الصرم: البعد والجفاء. [القاموس المحيط، مادة صرم.]



لعمر عجوز طرقت بك إنني عمير بن رمل لابن حرب أقودها  
بنفسي فلا تقطع فؤادك ضلة كذلك حزني وعتها وصعودها

قال: فاستعدوا عليه عامر بن ربعي وكان الحاكم على بلاد عذرة وقالوا: يهجوننا ويغشي بيوتنا وينسب بنسائنا فأباحهم دمه وطلب فهرب، وغضبت عليه بثينة لهجائه أهلها جميعاً فقال جميل:

وما صائب من نائل قذفت به يد وممر العقدين وثيق  
له من خوافي النسر جم تطاير ونصل كنصل الزاعبي فتيق  
على نبعة زوراء أما خطامها فمثن وأما عودها فعتيق  
بأوشك قتلاً منك يوم رميتني نوافذ لم تظهر لهن خروق  
تفرق أهلنا بثين فمنهم فريق أقاموا واستمر فريق  
فلو كنت خوَّاراً لقد باح مضمري ولكنني صلب القناة عريق  
كان لم يحارب يا بثين لو أنه تكشف غماها وأنت صديق

وبعد ذلك بمدة وقع الصلح بينه وبينها وأخذ منها موعداً للقاءه فوجدوه عندها فأعذروا إليه وتوعدوه وكرهوا قتله خوفاً من أن ينشب بينهم وبين قومه حرب بدمه وكان قومه أشد بأساً من قوم بثينة فأعادوا شكواه إلى السلطان فطلبه طلباً شديداً فهرب إلى اليمن فأقام بها مدة. ومن شعره وهو في اليمن:

ألم خيال من بثينة طارق على النأي مشتاق إليّ وشائق  
سرت من تلاع<sup>(١)</sup> الحجر حتى تخلصت إليّ ودوني الأشعرون وعافق  
كأن فتيت المسك خالط نشرها تقلّ به أردافها والمرافق  
تقوم إذا قامت به عن فراشها ويغدو به من حضنها من تعانق

ولم يزل في اليمن إلى أن عزل ذلك الوالي وانتقل أهل بثينة إلى ناحية الشام فرجع إليهم فشكا أكابر الحي إلى أبيه وكان ذا مال وفضل وقدر في أهله فناشدوه الله والرحم وسألوه كف ابنه عن فتاتهم وعن تشبيه بها وما يفضحهم به بين الناس فوعدهم كفه ومنعه ما استطاع ثم انصرفوا فدعا به وقال له: يا بني حتى متى أنت أعمى في ضلالك ألا تأنف من أن تتعلق في ذات بعل يخلو بها وأنت عنها بمعزل تغرك بأقوالها وخذاعها، وتريك الصفاء والمودة، وهي مضمرة لبعلها ما تضمرة الحرة لمن ملكها فيكون قولها لك تعليلاً وغروراً فإذا انصرفت عنها عادت إلى بعلها على حالتها المبدولة إن هذا لذل وضيم وما أعرف أخيب سهماً ولا أضيع

(١) التلاع: ضد ما علا من الأرض، ما سفّل منها. [القاموس المحيط، مادة: تلغ].

عمرأ منك فأنشدك الله ألا كفت وتأملت في أمرك فإنك تعلم أن ما قلته حق ولو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها، ولكن هذا أمر قد فات واستبدّ به من قدر له وفي النساء عوض؟! فقال له جميل: الرأي ما رأيت والقول كما قلت، ولكن هل رأيت قبلي أحداً قدر أن يدفع هواه عن قلبه أو ملك أن يسلي نفسه أو استطاع أن يدفع ما قضى عليه والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي، أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت ولا سبيل إلى ذلك وإنما هو بلاء بليت به لحين قد أتيج لي، ولكن أنا أمتنع من طروق هذا الحي والإمام به ولو مت كمدأ، وهذا جهدي ومبلغ ما أقدر عليه، وقام وهو يبكي فبكى أبوه ومن حضر جزعاً لما رأوا منه من حب بثينة ثم أنشد:

ألا من لقلب لا يمل فيذهل  
سلا كل ذي ودّ علمت مكانه  
فما هكذا أحببت من كان قبلها  
فيا قلب دع ذكرى بثينة إنها  
وقد أيأست من نيلها وتجهمت  
وإلا فسله نائلاً قبل بينها  
وكيف ترجى وصلها بعد بعدها  
وإن التي أحببت قد حيل دونها  
ففي اليأس ما يسلي وفي الناس خلة  
بدا كلف مني بها فتأقلت  
هيني بريئاً نلت به بظلامه  
فتاة من المران ما فوق حقوها<sup>(١)</sup>

أفق فالتعزي عن بثينة أجمل  
وأنت بها حتى الممات موكل  
ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل  
وإن كنت تهواها تضرّ وتبخل  
ولليأس إن لم يقدر النيل أمثل  
وأبخل بها مسؤولة حين تسأل  
وقد جد حبل الوصل ممن تؤمل  
فكن حازماً والحازم المتحوّل  
وفي الأرض عمن لا يواتيك معزّل  
وما لا يرى من غائب الوجد أفضل  
عفاها لكم أو مديب يتصل  
وما تحته منها نف يتهيل

والتقى جميل بعمر بن أبي ربيعة<sup>(٢)</sup> فقال له: يا جميل، قم بنا نذهب إلى ربيعة فقال: قال: قد أهدر لهم السلطان دمي إن وجدوني عندها وهاتيك أبياتها فذهبت النساء في ذلك حتى وقف على أبياتها فقال: يا جارية، أنا عمر بن أبي ربيعة فأعطني بيتاً من أبياتها

(١) الحقول: الخصم. [القاموس المحفوظ، مادة حيم]

(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المحامي، ولد في الحجاز، من شعراء بني ربيعة، وهو جدير بالفردق، ولم يكن في فريش الشعراء، ولد في المدينة المنورة في سنة ٢٣ هـ/٦٤٤ م. فسمي باسمه، كان ينادى على عبد الملك بن مروان فحججه، وبعده أبو بكر بن عبد العزيز أنه يتعرّض لنساء الحج، ويشيب بهن ففاه إلى دهات، ثم عاد في الحج فحججه، والسفينة به ويمن معه، فمات فيها نحو سنة ٩٣ هـ/٧١٢ م.

فخرجت إليه في مبادلها وقالت: والله يا عمر لا أكون من نساءك اللاتي يزعمن أن قد قتلهن الوجد بك، فانكسر عمر وقال لها قول جميل:

وهما قالتا لو أن جميلاً  
بينما ذاك منهما وأتاني  
نظرت نحو تربها ثم قالت  
عرض اليوم نظرة فرآنا  
أعمل النص سيرة زفيانا  
قد أتانا وما علمنا منا

فقالت: إنه استملى منك فما أفلح، وقد قيل: اربط الحمار مع الفرس فإن لم يتعلم من جريه تعلم من خلقه فخجل من قولها وانصرف.

ولما ضاقت بجميل الحيل وأراد الخروج إلى الشام هجم ليلاً على بثينة وقد وجد غفلة في الحي فقالت له: أهلكني والله وأهلكت نفسك ويحك أما تخاف؟ فقال لها: هذا وجهي إلى الشام وإنما جئتك مودعاً فحادثها طويلاً ثم ودعها وقال: يا بثينة ما أرانا نلتقي بعد هذا وبكى بكاءً طويلاً وبكت، ثم قال وهو يبكي:

ألا لا أبالي جفوة الناس ما بدا  
وما لم تطيعي كاشحاً أو تبدي  
وإني وتكراري الزيارة نحوكم  
وإن صباباتي بكم لكثيرة  
لنا منك رأي يا بثين جميل  
بنا بدلاً أو كان منك ذهول  
بثين بذني هجر بثين يطول  
بثين ونسيانكم لقليل

وخرج إلى الشام وطال غيابه فيها، ثم قدم وبلغ بثينة خبره فراسلته مع بعض نساء الحي تذكر شوقها إليه ووجدتها به وطلبها للحيلة في لقائه وواعدته لموضع يلتقيان فيه فسار إليها وحدثها وبث إليها أشواقه وأخبرها خبره بعدها وقد كان أهلها رصدوها فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما فوثب جميل، وانتضى سيفه وشد عليهما فاتقياه بالهرب وناشدته بثينة الله ألا انصرف وقالت له: إن أقمت فضحتني ولعل الحي أن يلحقوا بك. فأبى وقال: أنا مقيم، وامض أنت وليصنعوا بي ما أحبوا فلم تنزل تنشده حتى انصرف وقد هجرته وانقطع التلاقي بينهما مدة وفي ذلك يقول:

ألم تسأل الربع الخلاء فينطق  
وقفت بها حتى تجلت عمائتي  
تعزو إن كانت عليك كريمة  
لعمركم إن البعاد لشائقي  
وهل تخبرنك اليوم ببدء سملق  
ومل الوقوف إلا رحبي المنوق  
لعلك من رق لبثنة<sup>(١)</sup> تعتق  
وبعض بعاد البين والنأي أشوق  
ومظهر شكوى من أناس تفرقوا  
لعلك محزون ومبد صباية

(١) ترخيم لاسم بثينة.

وبيض غريرات تثني خصوصها  
عزائز لم يلقين بؤس معيشة  
وغلغلت<sup>(٣)</sup> من وجد إليهن بعدما  
معي صارم قد أخلص القين صقله  
فلولا احتيالي ضقن ذرعاً بزائر  
تسوق بقضبان الأراك مفلجاً  
أبينة للوصل الذي كان بيننا  
أبينة<sup>(٤)</sup> ما تنأين إلا كأنني

وأقام مرة لا يلم بها ثم لقي ابني عمه روقاً ومسعد فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله:

زورا بثينة فالحبيب مزور  
إن الترحل أن تلبس أمرنا  
إني عشية رحمت وهي حزينة  
وتقول بت عندي فديتك ليلة  
غراء مبسام كأن حديثها  
مخطوطة المتنين مضمرة الحشا  
لا حسنها حسن ولا كدلالها  
إن اللسان بذكرها لموكل  
ولئن جزيت الودّ مني مثله

فقال له روقٌ: إنك لعاجز ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وتركت الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود من هو أجمل منها وإنك منها بين فجور أرفعت عنه أو ذل لا أحبه لك، أو كمد يؤدبك إلى التلف، أو مخاطرة بنفسك لقومها إن تعذرت لهم بعد إغدا هم إليك، أو صرفت نفسك عنها وغلبت هواك فيها وتجرعت مرارة الحزم وتصيب نفسك منها ما يوجب لك كارهة ألفت ذلك وسلوت.

فبكى جميل وقال: يا أخي، لو ملكت اختياري لكان ما قلت منه أب، ولكني لا أملك نبي

- (١) أسوق: جمع ساق. [القاموس المحيط، مادة: سوق].
- (٢) المتنوق: المتروق. [القاموس المحيط، مادة: نوق].
- (٣) غلغل: أسرع في سيره. [القاموس المحيط، مادة: غلغل].
- (٤) ترخيم لاسم بثينة.

اختياراً، ولا أنا إلا كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً، وقد جئتكم لأمر أسألك أن لا تكدر ما رجوته عندك فيه بلوم، وأن تحمل على نفسك في مساعدتي.

فقال له: فإن كنت لا بد مهلكاً نفسك فاعمل على زيارتها ليلاً فإنها تخرج مع بنات عم لها إلى ملعب لهن فأجىء معك حينئذٍ سرّاً ولي أخ من رهط بثينة من بني الأحب ناوي عنده نهاراً فأسأله مساعدتك على هذا فتقيم عنده أياماً نهارك وتجتمع معها بالليل إلى أن تقضي أربك. فشكره ومضى رَوْقٌ إلى الرجل الذي من رهط بثينة فأخبره الخبر واستعهده كتماناً وسأله مساعدته فيه فقال له: لقد جئتني بإحدى العظام ويحك إن في هذا معاداتي الحي جميعاً إن فطن به فقال: أنا أتحرز في أمره من أن يظهر فواعده في ذلك ومضى إلى جميل فأخبره بالقصة فأتيا الرجل ليلاً فأقاما عنده وأرسل إلى بثينة بوليدة له بخاتم جميل فدفعته إليها فلما رآته عرفت فتبعهتا وجاءته فتحدثا ليلتهما وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودعها وقال لها: عن غير قلى والله ولا ملل يا بثينة كان وداعي لك ولكني قد تدممت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسه لقومه، وقد أقمت عنده ثلاثاً ولا مزيد على ذلك، ثم انصرف وقال في عدل رَوْقٍ له:

لقد لامني فيها أخ ذو قرابة	حبيب إليه في ملامته رشدي
وقال أفق حتى متى أنت هائم	ببثينة <sup>(١)</sup> فيها قد تعيد وقد تبدي
فقلت له فيها قضى الله ما ترى	عليّ وههل فيما قضى الله من ردّ
فإن يك رشداً حبها أو غواية	فقد جئت ما كان مني على عمدٍ
لقد لج ميثاق من الله بيننا	وليس لمن لم يوف الله من عهدٍ
فلا وأبيها الخير ما خنت عهدا	ولا لي علم بالذي فعلت بعدي
وما زادها الواشون إلا كرامة	عليّ وما زالت مودتها عندي
أفي الناس أمثالي أحب فحالهم	كحالي أم أحببت من بينهم وحدي
وهل هكذا يلقي المحبون مثل ما	لقيت بها أم لم يجد أحد وجدي

قيل: وقع بين بثينة وجميل هجر في غيرة كان غار عليها من فتى كان يتحدث إليها من بني عمها، فكان جميل يتحدث إلى غيرها، فيشق ذلك على بثينة وعلى جميل، وجعل كل واحد منهما يكره أن يبدي لصاحبه شأنه، فدخل جميل يوماً وقد غلب عليه الأمر إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بثينة، فلما رآته جاءت إلى البيت ولم تبرز له، فجزع لذلك وجعل كل واحد منهما يطالع صاحبه وقد بلغ الأمر من جميل كل مبلغ فأنشأ يقول:

(١) ترخيم لاسم بثينة.

لقد خفت أن يغتالني الموت عنوة      وفي النفس حاجات إليك كما هيا  
وإنني لتثيني الحفيظة كلما      لقيتك يوماً أن أبشك ما بيا  
ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني      أظل إذا لم أسق ريقك صاديا

فرقت له بثينة وقالت لمولاة لها كانت معها: ما أحسن الصدق بأهله. ثم اصطلحا  
فقالته: أنشدني قولك:

تظل وراء الستر ترنو بلحظها      إذا مر من أترابها من يروقها

فأنشدها إياها فبكت وقالت: كلا يا جميل ومن ترى أنه يروقني غيرك.

وروى بعضهم عن عجوز من بني عذرة قالت: كنا على ماء لنا بالجناب وقد تجنبتنا  
الجماعة لجيوش كانت تأتينا من قبل الشام تريد الحجاز وقد خرج رجالنا لسفر وخلفوا معنا  
أحدائاً فانحدروا ذات عشية إلى صرم قريب منا يتحدثون إلى جوار منهم فلم يبق غيري وغير  
بثينة إذا انحدر علينا منحدر من هضبة تلقانا فسلم ونحن مستوحشون وجلون فتأملته ورددت  
السلام فإذا جميل فقلت: أجميل؟ قال: أي والله، وإذا به لا يتماسك جوعاً فقامت إلى قعب لنا  
فيه أقط مطحون وإلى عكة فيها سمن ورب، فعصرتها على الأقط ثم أدنيتها منه وقلت: أصب  
من هذا فأصاب منه وقمت إلى سقاء فيه لبن فصببت عليه ماء بارداً فشرب منه، وتراجعت  
نفسه فقلت له لقد بلغت ولقيت شراً فما أمرك؟ قال: أنا والله في هذه الهضبة التي ترين منذ  
ثلاث ما أريمها أنتظر أن أرى فرجة فلما رأيت منحدر فتياكم أتيتكم لأودعكم، وأنا عما بيني  
مصر فتحدثنا ساعة، ثم ودعنا وشخص فلم تطل غيبته أن جاء ناعيه.

روي عن رجل كان شاهداً جميلاً لما حضرته الوفاة بمصر قال: إنه دعاه فقال: هل لك  
في أن أعطيك كل ما أخلفه علي أن تفعل شيئاً أعهدك إليك؟ قال: فقلت: اللهم نعم، قال: إذا  
أنا مت فخذ حلتي هذه التي في عييتي فاعزلها جانباً، ثم كل شيء سواها لك، وارجل إلى  
رهط بني الأحب من عذرة - وهم رهط بثينة - فإذا صرت إليهم فارتحل ناقتي هذه وأنت  
البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على شرف وصح بهذه الأبيات وخلاك دودك من شدي هذه  
الأبيات:

صدع النعي وما كنى بجميل      وثوى بمصر ثواء غير قفول  
ولقد أجرّ الذيل في وادي القرى      نشوان بين مزارع ونخيل  
قومي بثينة فاندبني بعويل      وابكي خليلك دون كل خليل

قال: فلما قضى وواريته أتيت رهط بثينة ففعلت ما أمرني به جميل، فما استتمت  
الأبيات حتى برزت إلي امرأة يتبعها نسوة قد فرعتهن طولاً، وبرزت أمامهن كأنها يدور

في دجنة وهي تتعثر في مرطها حتى أتتني فقالت: يا هذا والله لئن كنت صادقاً لقد قتلتنني، ولئن كنت كاذباً لقد فضحتني. قلت: والله ما أنا إلا صادق وأخرجت حلتة فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها واجتمع نساء الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت فمكثت مغشياً عليها ساعة ثم قامت وهي تقول:

وإن سلوي عن جميل لساعة من الدهر ما حانت ولا حان حينها  
سواء علينا يا جميل بن معمر إذا مت بأساء الحياة ولينها

وقيل: إنها كررت هذين البيتين حتى ماتت بعد ثلاثة أيام<sup>(١)</sup> من سماعها بموت جميل، وله فيها أشعار كثيرة ولو أنه لم يقل فيها سوى هذين البيتين لكفاها شهرة وفخراً وهما قوله من قصيدة طويلة هي من ضمن أشعاره:

هي البدر حسناً والنساء كواكب وشتان ما بين الكواكب والبدر  
لقد فضلت بثن على الناس مثل ما على ألف شهر فضلت ليلة القدر

### بثينة ابنة المعتمد بن عباد

أمها الرميكية كانت بثينة هذه نحواً من أمها في الجمال والنادرة ونظم الشعر، ولما أحيط بأبيها ووقع النهب في قصره كانت في جملة من سبي ولم يزل المعتمد والرميكية عليها في وله دائم لا يعلمان ما آل إليه أمرها إلى أن كتبت إليهما وكان أحد تجار «إشبيلية» اشتراها على أنها جارية ووهبها لابنه فنظر في شأنها وهيئت له فأراد الدخول عليها فامتنعت وأظهرت نسبها، وقالت: لا أحل لك إلا بعقد وإن أذنت بمخاطبة والذي بذلك فعلت وإني أحب أن أكون قرينتك في سنة الله تعالى، فوقع عنده كلامها موقعاً عظيماً وداخله سرور زائد لكونه صاهر المعتمد بن عباد وإن كان في نكته وأذن لها بما أرادت فكتبت لأبيها تستأذنه وكان الذي كتبه بخطها ما صورته:

اسمع كلامي واستمع لمقالتني فهي السلوك بدت من الأجياد  
لا تنكروا أني سبيت وأنني بنت لملك من بني عباد  
ملك عظيم قد تولى عصره وكذا الزمان يؤل للإفساد  
لما أراد الله فرقة شملنا وأذاقنا طعم الأسى من زاد  
قام النفاق على أبي في ملكه فدنا الفراق ولم يكن بمرادي  
فخرجت هاربة فأعجزني امرؤ لم يأت في إعجازه بسداد

(١) كانت وفاتها سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م.

إذ باعني بيع العبيد فضمني      من صانني إلا من الأنكادِ  
وأرادني لنكاح نجل طاهر      حسن الخلائق من بني الأنجادِ  
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضا      ولأنت تنظر في طريق رشادي  
فعساك يا أبتى تعرفني به      إن كان ممن يرتجى لودادِ  
وعسى رميكة الملوك بفضلها      تدعو لنا باليمن والإسعادِ

فلما وصل شعرها لأبيها وهو بأغمات واقع في شراك الكروب والأزمات سرّ هو وأمها بحياتها، ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتها إذ علما ما آل إليه أمرها، وجبر كسرهما، إذ ذاك أخف الضررين، وإن كان الكرب قد ستر القلب منه حجاب وأشهد على نفسه بعقد إنكاحها من الشاب المذكور وكتب إليها أثناء كتابه:

بنيتي كوني به برة      فقد قضى الدهر بإسعافه

وأخبار المعتمد بن عباد تذيب الأكباد وقد أضربنا عنها خوف الخروج عن الموضوع.

### بدور وقيل: قدور الساحرة

هي امرأة مصرية ساحرة كانت في زمان دلوكة، وكانت السحرة تعظمها وتقدمها ولما حل ما حل بفرعون والمصريين من الغرق في البحر الأحمر عند اتباعهم بني إسرائيل ولم يعد في مصر من الرجال المقدمين والأبطال من يقدر على حفظ البلاد بعثت دلوكة إلى بدور تقول لها: إننا قد احتجنا إلى سحرك وفزعنا إليك ولا نأمن أن يطمع فينا الملوك، فعمي لنا نبيد نغلب به من حولنا وقد كان فرعون يحتاج إليك فكيف وقد ذهب أكابرنا وبقي أقلنا.

فبنت بدور بزبي من حجارة في وسط مدينة منف وجعلت لها أربعة أبواب إلى جهة القبلي والبحري والشرق والغرب، وصورت فيه صور الخيل والبغال والحسيرة والسفن والرجال وقالت لهم: قد عملت لكم عملاً يهلك به كل من أرادكم من أي جهة أتوا من البحر وأرضها وهذا يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مؤنة من أتاكم من كل جهة فإنهم إن أتوا في البحر على خيل، أو بغال، أو إبل، أو في سفن، أو رجالة تحركت هذه الصور فيصيبهم في أنفسهم قيل: ولم تزل تلك العجوز تدبر مصر نحو أربعمائة سنة، كما، انهدم من تلك البزبي شيء، لم يقدر على إصلاحه إلا هي أو ولدها أو ولد ولدها، ولما انقرض بيتها تهدمت البزبي ولم يقدر أحد على إصلاحها - ذكر ذلك المقرئزي (١).

(١) المقرئزي: هو أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس، الحسيني، العمدي، من أئمة المذاهب الأربعة مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارة، من حارات بعلبك في أمانة بعلبك.



## بديعة ابنة السيد سراج الدين الرفاعي

كانت ذات عرفان و يقين وبكاء وحنين أخذت عن أبيها وسمع منها الإمام محمد الوتري وغيره، وحدثت ولها شعر عجيب ومنه قولها في مدح النبي ﷺ:

رسول الهدى أدعوك والقلب خاشع      هلوع في اللغارة الأحمدية  
عليك تحياتي ولو أن همتي      حطيطة حدّ عن مقام التحية  
فإنك مصباح الوجودات كلها      وشمس أسارير الهدى للبرية

ولها كرامات ومناقب وأحوال ظاهرة وكانت من الحياء والدين وعلم الشريعة بمنزلة رفيعة، وتوفيت - رضي الله عنها - سنة ٨٩٠ هجرية.

### بذل المغنية

هي من مولدات المدينة ربيت بالبصرة وهي من المتقدمات الموصوفات بكثرة الرواية للأغاني. قيل: كانت تغني ثلاثين ألف صوت ولها كتاب في الأغاني يشتمل على ١٢ ألف صوت وكانت ظريفة الوجه لطيفة المحاضرة، وأخذت عن أبي سعيد مولى فائد ورحمانه وفليح وابن جامع<sup>(١)</sup> وإبراهيم الموصل<sup>(٢)</sup> وطبقتهم، وقرأت على جحظة البرمكي، واشتراها جعفر بن محمد الهادي فوصفت لمحمد الأمين بن الرشيد<sup>(٣)</sup> فبعث إلى جعفر يسأله أن يريه

= سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٥ م في القاهرة، ونشأ فيها، وتوفي فيها سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م. ولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، اتصل بالملك الظاهر برقوق، دخل دمشق مع ولده الناصر سنة ٨١٠ هـ. عُرض عليه قضاؤها فأبى، وعاد إلى مصر له مؤلفات كثيرة.

(١) ابن جامع: هو إسماعيل بن جامع المتوفي سنة ٨٠٨ م. مغن مكّي كبير. له مع الرشيد وأدباء زمانه أخبار ذكرها صاحب الأغاني.

(٢) هو إبراهيم بن ماهان بن بهمن، الموصل<sup>١</sup> التميمي بالولاء، أبو إسحاق النديم، أوجد زمانه في الغناء واختراع الألحان، شاعر من ندماء الخلفاء، فارسي الأصل، من بيت كبير في العجم. انتقل والده إلى الكوفة، فولد بها سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م. مات أبوه وهو صغير فكفله بنو تميم وربّوه، فنسب إليهم. رحل إلى الموصل فأقام سنة يتعلّم الضرب بالعود، فنسب إليها أيضاً. أجاد الغناء الفارسي والعربي. كانت له عند الخلفاء منزلة حسنة، أول من سمعه منهم هو المهدي العباسي، ثم حبسه لشربه النبيذ، فحذق القراءة والكتابة في الحبس، ولما ولي موسى الهادي، أغدق عليه نعمه، وكذلك هارون الرشيد من بعده، وجعله من ندمائه وخاصته، استصحبه معه إلى الشام، مرض فعاده الرشيد. مات في بغداد سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م.

(٣) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، الأمين العباسي، خليفة عباسي. ولد في رصافة بغداد سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٧ م بويج بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٩٣ هـ. بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي العهد من بعده. فلما كانت سنة ١٩٥ هـ، أعلن الأمين خلع =

إياها فأبى، فزاره محمد إلى بيته فسمع شيئاً لم يسمع مثله فقال لجعفر: يا أخي بعني هذه الجارية.

فقال: يا سيدي، مثلي لا يبيع جارية. قال: فهبها لي. قال: هي مدبرة منزلي فاحتال عليه محمد حتى أسكره وأمر ببذل فحملت معه إلى الحراقة وانصرف بها فلما انتبه جعفر سأل عنها فأخبر بخبرها فسكت، فبعث إليه محمد من الغد فجاءه وبذل جالسة فلم يقل شيئاً فلما أراد جعفر أن ينصرف قال محمد: أوقروا حراقة ابن عمي دراهم فأوقرت. قيل: كان مبلغ المال ألف ألف درهم وبقيت بذل في دار محمد إلى أن قتل، ثم خرجت، فكان ولد جعفر وولد محمد يدعون ولاءها، فلما ماتت ورثها عبد الله بن محمد الأمين.

وقيل: وهب لها محمد من الجواهر شيئاً لم يملك أحد مثله فكانت تخرج منه الشيء بعد الشيء فتبيعه بالمال العظيم فكان ذلك معتمداً مع ما يصل إليها من الخلفاء إلى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة، ولم تقبل أن تتزوج.

وقد رغبت إليها وجوه القواد والكتاب والهاشميين، وكان يهواها علي بن هشام ويكتم ذلك وهجرته مدة فاسترضاهما، وكان إبراهيم بن المهدي يعظمها ويتوافى لها ثم تغير بعد ذلك استغناء بنفسه عنها فسارت إليه فدعت بعود وغنت في طريقة واحدة وإيقاع واحد وأصبع واحدة مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها صوتاً واحداً، ثم وضعت العود وانصرفت فلم تدخل داره بعد ذلك حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها في الرجوع إليه.

وقيل: إن إسحاق بن إبراهيم الموصلي خالف بطلاً في نسبة صوت غنته بحضرة المأمون<sup>(١)</sup> فأمسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات وسألت إسحاق عن صانعها فلم يعرفه.

أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين وجنّاه الأمين وزيره ابن ماهان لحربه، وجنّاه المأمون طاهر بن الحسين، فالتقى الحشدر، فقتل ماهان وانهمز جيش الأمين، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد طويلاً حتى سقطت المدينة، فقتل بالسيف بمدينة السلام، وكان الذي ضرب عنقه مولى لطاهر، بأمره سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م. المأمون أبيض، طويل، سمياً، جميل الصورة، شجاعاً، أديباً، رقيق الشعر، مكشاً في بعض الأماكن، سقى التدبير، يؤخذ عليه انصرافه إلى اللهو ومجالسة الندماء.

(١) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، أم العباس، تابع الخلفاء العباسيين في العراق، وأحد أعظم الملوك، في سيرته وعلمه وسعة ملكه ولد سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م. نفذ أمره من إفريقيا إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند إلى الخلافة بعد حلق أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ. فتمم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة. ألحق أفلاطون، وبعث إليه بعدد كبير من كتب أفلاطون، وأرسطو، وأبقراط، وجالينوس، وإقليدس، وبقية من كتبهم. فاختر لها مهرة الترجمة، فترجمت. حضر الناس على فوائدها، فقامت دولة الحكمة في أيامه.

فقالت: والله يا أمير المؤمنين هي لأبيه أخذتها من فيه فإذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره فاشتد ذلك على إسحاق حتى روي في وجهه.

### برقا جارية علاء الدين البصري

قال الرياشي: اشترى علاء الدين البصري جارية على أرفع ما يكون من الجمال والفصاحة فكلف بها وكان مسرفاً فأنفق ماله عليها ولم يبق شيئاً، فأشارت عليه بأن يبيعها شفقة عليه، فلما حضر بها إلى السوق أخذت إلى ابن معمر وكان عاملاً على البصرة فاشتراها بمائة ألف درهم فلما قبض المال وهم بالانصراف أنشدت:

هنيئاً لك المال الذي قد حويته      ولم يبق في كفي غير التذکر  
أقول لنفسي رهن غم وكربة      أقلّي فقد بان الحبيب أو أكثرى  
إذا لم يكن للأمر عندي حيلة      ولم تجدي شيئاً سوى الصبر فاصبرى  
فاشتد بكاء مولاها، وأنشد:

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن      يفرقنا شيء سوى الموت فاصبرى  
أروح بهم في الفؤاد مبرح      أناجي به قلباً طویل التفكير  
عليك سلام لا زيارة بيننا      ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر: قد شئت خذها ولك المال فانصرفا راشدين فوالله لا كنت سبياً لفرقة محبين (انظر إلى كرم هذا الأمير) وبقيت عند مولاها إلى أن ماتت وهما في نعمة وأمان، وقد أعاد الله لهما سعدهما وبقياً أحسن مما كانا عليه حين اشتراها.

### بربارة القديسة (١)

كانت عذراء ذات شهرة معتبرة في الكنيسة اليونانية والرومانية يقال: إنها نالت إكليل الشهادة في «إليوبوليس»<sup>(٢)</sup> سنة ١٣٠٦ للميلاد وفي «نيقومديا» من «بشينا» سنة ١٢٣٥ [م] وإنها ولدت في «إليوبوليس» من مصر من أبوين وثنيين وإن أباهما حبسها في برج خوفاً من أن

العلماء، والفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، وأهل اللغة، والأخبار، والمعرفة بالشعر والأنساب. وأطلق حرية الكلام للباحثين، وأهل الجدل والفلسفة، وفي السنة الأخيرة من حياته ابتدع فكرة خلق القرآن. كان فصيحاً مفوهاً، واسع العلم، محباً للعفو. من كلامه: لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا إليّ بالجرائم. توفي بزندون سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣ م. دفن في طرسوس.

(١) بربارة: عذراء شهيدة قديسة كرمها المسيحيون منذ القرن السابع.

(٢) إليوبولس: أو هليوبولس وهي مدينة بعلبك اللبنانية تعود إلى العهد الفينيقي. مدينة الشمس، مستعمرة رومانية في عهد أغسطس في القرن الأول، مركز عبادة جوبيتر، شيد فيها الرومان هياكل رائعة.

تؤخذ منه لجمالها البارع، فبينما كانت في الحبس سمعت بوعظ «أوريجانوس» فكتبت إليه طالبة منه أن يعلمها الديانة المسيحية فأرسل إليها أحد تلاميذه فعلمها الديانة المسيحية وعمدها.

وقيل: إنه لما بلغ أباهما ذلك سلمها إلى الوالي فعذبها عذاباً مبرحاً فتهيأ لها الهرب إلى أحد الجبال فجذ في طلبها والدها إلى أن أدركها فاحتز بالسيف رأسها. ويقال: إنه أصيب وهو راجع بصاعقة مات بها قصاصاً له، ومن ثم اتخذت محامية للملاحين في النوء وللطبجية وتصور غالباً وبجانبها برج ولها عيد يحتفل به في ٤ كانون الأول ومن عادة أهالي الشرق أن يتخذوا ليلة عيدها حلويات من قطائف وعودات ونحوها وأن يطوفوا على البيوت مساخر مؤلفة من أولاد ورجال قد غيروا زيهم وصبغوا وجوههم بالسواد ولا يعلم بالتحقيق أصل هذه العادة وربما كانت تذكاري سعي أبيها مع جماعة من الشرط في طلبها، وربما كان الشرط من السودان فيكون ذلك أصلاً لصبغ الوجوه بالسواد.

### برنيقة ابنة لاغوس<sup>(١)</sup> وأنتيفونه

كانت من أجمل وأعقل نساء زمانها صاحبة رأي صائب، وفكر ثاقب. ولما تزوج «بطليموس الأول»<sup>(٢)</sup> بـ «أورديفي» بنت ملك سوريا توجهت في موكبها «برنيقة» وكان لها احتفال عظيم، ومن جمالها ومهارتها وإتقانها تزوج بها «بطليموس» وصارت زوجة ثالثة له وأقنعته بأن يجعل ابنها «بطليموس فيلازلفوس»<sup>(٣)</sup> خليفة له دون ابن آخر له أكبر منه من «أورديفي» وقد شهر حكمتها وفضلها كل من «جلوترخوس» و«شيوكراتوس» وبعد وفاتها قضى بها بإكرامات إلهية.

### برنيقة ابنة بطليموس الثاني

الملقب «فيلازلفوس» وزوجته، «أنطيوخس الثاني»<sup>(٤)</sup>، ملك سوريا المنقب «الملك» فإن «أنطيوخس» عقد معاهدة سنة ٢٩٤ قبل الميلاد قيل بموجبها: أن يظن أنه أحد اليهودية

(١) لاغوس: والد بطليموس أحد قواد الإسكندرية، وجد بطليموس.

(٢) بطليموس الأول: هو سوتير المحلص ولد سنة ٣٦٠ ق. م من لاغوس، ومؤسس سلالة بطليموس.

الإسكندر الكبير جعل الإسكندرية عاصمته، وأسس فيها جامعة أُنشئت في سنة ٢٨٣ ق. م.

(٣) بطليموس فيلازلفوس: أو فيلازلفوس أو بطليموس الثاني ولد سنة ٢٨٣ ق. م حامي الفسوف واللاهوت.

أنشأ مكتبات ومتاحف، وترك آثاراً عمرانية أهمها منارة الإسكندرية إلى عهداء يعود تاريخها إلى عهد

السبعينية، مات سنة ٢٤٦ ق. م.

(٤) أنطيوخس الثاني: اسم ملك من ملوك السلوقيين في سوريا.

ويتزوج «برنيقة»، لكن عند موت «فيلازلفوس» بعد ذلك بسنتين أرجع «أنطيوخس» «لبوديكة» وطلق «برنيقة» في دورها ولكن «لبوديكة» لم تتركه إلى «أنطيوخس» فدمت إليه سمّاً مات به، وهربت «برنيقة» من وجه «لبوديكة» إلى دفن فقتلها هناك مع ابنها وأتباعها قوم من حزب «لبوديكة».

### برنيقة ابنة ماغاس ملك القيروان<sup>(١)</sup>

هي زوجة «بطليموس الثالث»<sup>(٢)</sup> ملك مصر الملقب «أفرجيتس» وعذبها أبوها «بطليموس» هذا ومات بعد ذلك بقليل وأما أمها فكانت راغبة جداً عن اتخاذ هذا القرين لابنتها ولكي تمنع تزويجها به عرضتها على «ديمتريوس بوليورستس»<sup>(٣)</sup>، ولكن عند وصول «ديمتريوس» إلى القيروان ليتخذها زوجة علق قلب أمها به فغاظ «برنيقة» تفضيل «ديمتريوس» لأمها عليها فسعت في قتله وهو على ذراعي الملكة وحينئذ ذهبت إلى مصر وتزوجت بـ «أفرجيتس» وعند رجوع زوجها من سفره إلى سوريا، فإيفاء لنذر كانت نذرته قدمت شعرها إلى الزهرة، ولما علم «بطليموس الرابع»<sup>(٤)</sup> الملقب بـ «فيلوباتر» هذه التقدمة أمر بقتلها فقتلت وذلك عند جلوسه على سرير الملك.

### برنيقة ابنة بطليموس الثامن<sup>(٥)</sup>

الملقب «لاسيروس» ملك مصر وتسمى أيضاً «كليوباترة» وهي زوجة إسكندر الثاني أي «بطليموس العاشر»<sup>(٦)</sup> أجلسها أهل الإسكندرية على تخت الملك بعد وفاة أبيها سنة ٨١ قبل الميلاد، فقبل إسكندر الذي جعل ملكاً لـ «سلابان» بأن يتخذها زوجة ويشاركها في الملك إلا أنه بعد أن تزوج بها بتسعة عشر يوماً سعي في قتلها ويقال: إن ذلك غاظ أهالي الإسكندرية جداً فخرجوا عليه وقتلوه.

(١) القيروان: مدينة تونسية مركز ولاية، عاصمة الأغلبية في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، ثم الفاطميين إلى جانب المهديّة، أنشأها عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م. أهم آثارها جامع سيدي عقبة. معجم البلدان، ج ٤ / ص ٤٧٦.

(٢) بطليموس الثالث: أو أفرجانس أو أفرجيتس أي المحسن ولد سنة ٦٤٦ ق.م. انتصر على سلوقس كاليينكس ملك سوريا وعلى الفرس. بلغت الدولة في عهده أوج عزاها، شيّد معابد أدفو.

(٣) ديمتريوس بوليورستس: ملك من ملوك السلوقيين الذين حكموا سوريا.

(٤) بطليموس الرابع: أو فيلوپاتور ولد سنة ٢٢١ ق.م. هزم أنطيوخس الثالث في معركة رافيا أو رفح سنة ٢١٧ ق.م. توفي بطليموس الرابع سنة ٢٠٣ ق.م.

(٥) بطليموس الثامن: ملك من الملوك الهلنستيين الذين حكموا مصر، وعرفوا بالبطالسة، أو اللاجيين.

(٦) بطليموس العاشر: ملك من الملوك الهلنستيين الذين حكموا مصر، وعرفوا بالبطالسة، أو اللاجيين.

### برنيقة ابنة بطليموس الحادي عشر<sup>(١)</sup>

الملقب بـ «أفليتس» وهي أكبر أخت لـ «كليوباترة» المشهورة نودي باسمها ملكة عند خلع أبيها سنة ٥٨ قبل الميلاد، وكانت تحب أن تتزوج بأمر من دم ملكي فأرسلت إلى سوريا في طلب «سلوقس كيبوساكتس»<sup>(٢)</sup> الذي كان يدعي أنه من سلالة السلوقيين الملكية، ولما وجدت ما كان عليه من الدناءة أمرت بخنقه بعد ذلك بأيام قليلة، ثم تزوجت بـ «أرخيلاوس» من «كومونا» الذي كان يدعي أنه ابن «متريداتس أوباتور» وإن «أفلوس غابينوس» الذي كان يحاول رد «أفليتس» إلى تخت الملك حاربها فكسرها هي وزوجها في ثلاث معارك متوالية سنة ٥٥ قبل الميلاد، وقتل «أرخيلاوس» وأول أعمال «أفليتس» بعد جلوسه على تخت الملك أنه أمر بقتل ابنته المذكورة.

### برنيقة ابنة كوستوبارس وسالومي

هي أخت «هيروودس»<sup>(٣)</sup> الكبير<sup>(٤)</sup> ملك اليهودية تزوجت بابن عمها «أرسطو بولس» فعيرها «أرسطو بولس» بدناءة أصلها فشكته إلى أمها فزاد بذلك العدوان على زوجها وبعد أن قتل سنة ٦ قبل المسيح تزوجت بـ «ثوربون» خال «أنتياتر» وهو أكبر ابن لـ «هيروودس» وبعد وفاة [«ثوربون»]<sup>(٥)</sup> ذهبت مع أمها إلى رومية وبقيت هناك إلى أن أدركتها المنية وهي أم «أغريبال الأول».

### برنيقة ابنة أغريبال الأول

تزوجت «هيروودس»<sup>(٦)</sup> ملك «كلخيدة» فرزقت منه ولدين وعند موته سنة ٤٧ بعد الميلاد بقيت مع أخيها «أغريبال» مدة، ثم تزوجت بـ «وليمون» ملك «كليكية»<sup>(٧)</sup>، ثم تركته

- (١) بطليموس الحادي عشر: ملك من الملوك الهلنستيين الذين حكموا مصر، وعرفوا بالملوك البطلميين.
- (٢) سلوقس كيبوساكتس: ملك من ملوك سوريا السلوقيين.
- (٣) هيروودس: هو اسم لأربعة ملوك يهود.
- (٤) هيروودس الكبير: أو هيروودس الأول ولد سنة ٧٢ ق.م في عسفلان. ملك اليهودية من سنة ٤٠ ق.م حتى ٤ ق.م. جمل هيكل أورشليم، وبني هيكل السامرة، اشتهر بحبه للعمارة، وهو من أمم يهود. أطفال بيت لحم. مات سنة ٤ ق.م.
- (٥) ودرت في الأصل: «ثوربون»، ولعل الصحيح ما أثناه.
- (٦) هيروودس: ملك من ملوك اليهود، شارك في قمع المسيحيين، وحارب انتشار المسيحية.
- (٧) كليكية: أو قليقية (Cilicie)، منطقة في تركيا الآسيوية جنوب شرقى الأناضول على المتوسط.

وكانت مقيمة في بيت أخيها عندما احتج «بولس»<sup>(١)</sup> الرسول أمامه في قيصرية<sup>(٢)</sup> وفي حصار أورشليم رآها «نيطس» فسباه حسنها، فأخذها معه إلى رومية، فرغب أن يتزوج بها ولكن اضطره الرأي العام في رومية إلى إرجاعها إلى اليهودية ضد إرادته وإرادتها وقد بنى «راسين»<sup>(٣)</sup> على فراقهما تراجيدية مشهورة.

### بريجيتا القديسة

ولدت في «أسوج»<sup>(٤)</sup> سنة ١٣٠٢ للميلاد، وتوفيت في «رومية» في ٢٣ تموز سنة ١٣٧٣ [م]، ويظن أنها ابنة «برجر» وهو برنس أسوجي من سلالة ملوك الغطيط، ولما كان عمرها ١٦ سنة تزوجت بـ «أولغو» فكان لها منه ثمانية أولاد والكبيرة منهم جعلت في درج القديسين الروماني باسم القديسة «كاترينا» الأسوجية، ثم نظر الوالدان العفة وبنا مستشفى خيرية كانا يخدمان فيه بنفسهما وسافرا لزيارة «سنتياغوري كومستلا»، وبينما كانا راجعين عزم «أولغو» على دخول دير «القستري»، وتوفى سنة ١٣٤٤ [م] وحينئذ قسّمت زوجته الأملاك بين أولادها وبنت ديراً كبيراً في «ورستينا» جعلت فيه ٢٥ راهباً وستين راهبة وذلك على قانون مار «أوغسطينوس»<sup>(٥)</sup> فصرفت هناك سنتين منفردة لا تقابل أحداً، ثم ذهبت إلى رومية فبنت هناك منزلاً للمسافرين والطلبة من الأسوجيين وذهبت إلى أورشليم لزيارة الأماكن المقدسة، ثم رجعت إلى رومية فبنتها البابا «بونيفاشيوس التاسع» سنة ١٣٩١ [م]، والكنيسة الرومانية تعيد لها في ٨ تشرين الأول، وكانت «بريجيتا» مشهورة في «رومية» على

= عُرفت قديماً بأرمينية الصغرى. من مدنها أدنة وطرسوس. كانت مملكة مستقلة في العهد الصليبي من سنة ١١٩٨ م - ١٣٧٥ م.

(١) بولس: قديس اشتهر بلقب رسول الأمم. كان من أعنف مضطهدي المسيحية، ثم اهتدى على طريق الشام، وعمّده حننياً سنة ٣٣ م. اندفع بعدها متفانياً في التبشير بين مدن آسيا الصغرى واليونان. كان اسمه شاول قبل اهتدائه، استشهد في روما بقطع الرأس سنة ٦٧ م. له أربع عشرة رسالة موجهة إلى الكنيسة، أو إلى بعض تلاميذه.

(٢) قيساريا: أو قيصرية، مدينة تركية في الأناضول عاصمة كبدوقية القديمة. من أساقفتها القديس باسيليوس، تنازعها العرب والبيزنطيون. احتلها السلجوقيون سنة ١٠٨٢ م.

(٣) جان راسين (Racine): شاعر فرنسي ولد سنة ١٦٣٩ م، من شعراء العصر الكلاسيكي، استوحى فنّه من الأدب اليوناني، له: «أندروماك»، «فيدر»، «بريتانيكوس»، «أستير»، «عتالية». امتازت تمثيلياته بوحدة الموضوع وإنسانية الأشخاص العميقة، وصفاء الشعر.

(٤) أسوج: أو السويد (Sverige)، مملكة في أوروبا الشمالية باسكنديناquia بين نروج وفنلندا على خليج بوتنيا وبحر البلطيق، ومضائق بحر الشمال.

(٥) أوغسطينوس: أوغسطينس الكنتربري المتوفى سنة ٦٠٤ م، قديس أيطالي أرسله البابا غريغورس الأول لتبشير الإنكليز.

الأكثر بواسطة إعلاناتها وعلى الخصوص المتعلقة بآلام يسوع المسيح، والحوادث التي كانت مزمنة أن تجري في بعض الممالك وقد كتبت عن لسانها ولكن طعن «برسون» في تلك الأخبار بعبارات قاسية إلا أن مجمع باسل ثبتها بعد أن فحصها بالتدقيق «جون دوترا كريماتا» ومن جملة كتاباتها: خطاب في مدح مريم العذراء، وصلوات عن أم المسيح ومحبتها.

### بريرة مولاة عائشة

بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - وكانت مولاة لبعض بني هلال. وقيل: كانت مولاة لأبي أحمد بن جحش. وقيل: كانت مولاة أناس من الأنصار فكاتبوها ثم باعوها من عائشة فأعتقتها ولما أرادت عائشة أن تشتري بريرة اشترطوا عليها الولاء فقال النبي ﷺ: «الولاء لمن أعطى الثمن»<sup>(١)</sup> أو «لمن ولي النعمة»<sup>(٢)</sup>. وكان اسم زوجها مغيثاً، وكان مولى فخيرها رسول الله فاختارت فراقه، وكان يحبها فكان يمشي في طرق المدينة وهو يبكي واستشفع إليها برسول الله فقال لها فيه فقالت: أتأمر؟ قال: «بل أشفع»<sup>(٣)</sup>، قالت: فلا أريده، وكان عبداً وقد جعل النبي عدة بريرة حين فارقها زوجها عدة المطلقة.

وروي عن عبد الملك بن مروان<sup>(٤)</sup> أنه قال: كنت أجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول

- (١) أخرجه الترمذي في السنن (٢١٢٥). وأبو داود في السنن (٢٩١٦). السعد في لطفت كحدي (٨: ١٨٨).
- (٢) أخرجه مسلم في الصحيح (العتق: ١١). والنسائي في السنن (الطلاق: ٣٢). وأحمد في المسند (٦: ١١٥).
- (٣) أخرجه الترمذي في السنن (٢١٢٥). وأبو داود في السنن (٢٩١٦). السعد في لطفت كحدي (٨: ١٨٨).
- (٤) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد، من أعظم الخلفاء ودهاتهم، ولد سنة ٢٦ هـ/٦٤٦ م. نشأ في المدينة. كان فقيهاً واسع العلم، متعبداً، ناسكاً شهد يوم الدار مع النبي ﷺ. استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ست عشر سنة. انتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه معاوية بن أبي سفيان فاضبط أمورها وظهر بمظهر القوة، فكان جباراً على معانديه، قوي الهبة، جليل المنزلة، قوي البأس، قهر المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربيهما مع الحجاج بن يوسف الثقفي، وفتح بلاد فارس والرومية إلى العربية، وضيظ الحروف بالنقط والحركات، وهو أول من كتب الفقه في الإسلام، وأول من نقش بالعربية على الدراهم. وكان من الحفظة في ذلك الدهر. ولد له من الأولاد «معاوية للحلم وعبد الملك للحزم». يقول الشعبي: «ما دانت أحدنا إلا حلت لي الفداء». ولد له عبد الملك، فما ذكرته حديثاً ولا شعراً إلا زادني فيه». كان عبد الملك بن مروان أنصراً، وهو يلازم أعين، رقيق الوجه، أفوه، مفتوح الفم، مشبك الأسنان بالذهب، مفرد العينين، مشرف الأنف، ليس بالنحيل ولا البدين، أبيض الرأس واللحية، نقش خاتمه: «أمنت بالله مخلصاً»، توفي في سنة ٨٦ هـ/٧٠٥ م.



لي: يا عبد الملك، إني أرى فيك خصالاً، وإنك لخليق أن تلي هذا الأمر فإن وليته فاحذر الدماء فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق»<sup>(١)</sup>.

## بركة خوند والدة السلطان الأشرف<sup>(٢)</sup>

كانت أمة مولدة، فلما أقيم ابنها في مملكة مصر عظم شأنها وحجت سنة ٧٧٠ [م] بتجمل كثير وبرج زائد وعلى محفتها العصائب السلطانية والكؤوسات تدق معها ومعها ما يجلب وصفه من ذلك قطار جمال محملة مخائر<sup>(٣)</sup> قد زرع فيه البقل والخضروات وعند قدومها خرج السلطان بعساكره إلى لقائها، وسار إلى البويب<sup>(٤)</sup> حتى تقابل معها وسار بركابها حتى وصلت إلى مصر، وكانت خيرة عفيفة لها بر كثير ومصرف تحدث الناس بحجتها عدة سنين لما كان لها من الأفعال الجميلة في تلك المشاهد الكريمة، وكان لها اعتقاد في أهل الخير ومحبة في الصالحين. ومن مآثرها المدرسة المشهورة بمدرسة أم السلطان خارج باب زويلة<sup>(٥)</sup> بقرب القلعة بمصر يعرف خطها الآن بخط التبانة وكان موضعها مقبرة أنشأتها سنة إحدى وسبعين وسبعمائة وعملت بها درساً للشافعية ودرساً للحنيفية، وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهي من المدارس الجليلة وفيها دفن الملك الأشرف بعد قتله وبقيت مدة تجتمع فيها الطلبة والمدرسون يدرسون فيها جميع العلوم حتى صارت أخيراً جامعاً بمعرفة أحد ولادة مصر وهو مقام الشعائر لغاية الآن.

وتوفيت الست المشار إليها سنة ٧٧٤ هجرية، ودفنت بمدرستها المذكورة واتفق حين ماتت أنه أنشد الأديب شهاب الدين أحمد بن يحيى الأعرج هذين البيتين:

في ثامن العشرين من ذي القعدة      كبايت صبيحة موت أم الأشرف  
فالله يرحمها ويعظم أجرها      ويكون في عاشور موت اليوسفي

فكان كما قال وغرق الحائل يوسف في شهر محرم سنة ٧٧٥ [هـ].

- (١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧: ٢٩٨). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٩٩٢١). وابن كثير في البداية والنهاية (٩: ٦٢).
- (٢) السلطان الأشرف: هو قانصوه الغوري، سلطان المماليك. البرجيتين، حكم من سنة ١٥٠١ - ١٥١٦ م. قتله سليم الأول في مرج دابق من أنحاء سوريا.
- (٣) المخر: مخر الأرض شقها للزراعة، ولعل المقصود هنا ما نعرفه اليوم بأحواض الزرع.
- (٤) البويب: مدخل أهل الحجاز إلى مصر. معجم البلدان، ج ١/ ص ٦٠٧.
- (٥) باب زويلة: باب عظيم في القاهرة بناه بدر الجمالي على أيام المستنصر الفاطمي.

## برة ابنة عبد المطلب الهاشمية

كانت من الشاعرات الأديبات ذوي المعاني الرائقة، والألفاظ الموزونة المتناسقة رثت أباهما عبد المطلب في حال حياته مع أخواتها بناء على طلبه بقولها:

أعينيّ جوداً بدمع درر	على طيب الخيم والمعتصر
على ما جدّ الجدّ وارى الزناد	جميل المحيا عظيم الخطر
على شية الحمد ذي المكرمات	وذي المجد والعز والمفتخر
وذي الحلم والفضل في النائبات	كثير المكارم جم الفخر
له فضل مجد على قومه	منير يلوح كضوء القمر
أته المنايا فلم تشوه	بصرف الليالي وريب القدر

## بصيص جارية ابن نفيس<sup>(١)</sup>

كانت أعجوبة وقتها في الحسن والغناء ويتمنى كل من سمع بها رؤيتها ولو بذهاب نفسه ولشدة رغبة الناس في سماع صوتها قال بعضهم فيها هذه الأبيات:

بصيص أنت الشمس مزدانة	فإن تبدلت فأنت الهلال
سبحانك اللهم ما هكذا	فيما مضى كان يكون الجمال
إذا دعت بالعود في مشهد	وعاونت يمني بيد الشمال
غنت غناء يستفز الفتى	حذقا وزان الحذق منها الدلال

وتذاكروا بخل مزيد أبي إسحاق في مجلسها يوماً وكان من جملتهم ابن مصعب فقالت: أنا آخذ منه درهماً فقال مولاها: إن فعلت جعلتك حرة وكسوتك ثوب وشي، وأولست أنت يوماً فقالت: ارفع الغيرة، فقال: إن رفع رجلك لم أقل شيئاً فخرج ابن مصعب فراه في مسجد بالمدينة فقال له: يا أبا إسحاق أما تحب أن ترى «بصيص» جارية ابن نفيس؟ فقال: لا والله، طالق إن لم يكن الله ساخطاً عليّ فيها، وإن لم أكن أسأله أن يرينيها منذ سنة قد تعجبني.

(١) هو فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودي العناني البصري، تولى القضاء في مصر سنة ٧٥٩ هـ/١٣٥٨ م. نشأ بالقاهرة، تفقه بالحنفية، وتعلم لغات عدة تفوق في الفقه، وله الظاهر برقوق رياسة الأطباء، ثم كتابة السر. خلع عليه سنة ٨٠١ هـ، فاستمر إلى أن مات بطنها، وولي خراج الناصر فقبض عليه سنة ٨٠٨ هـ وألزمه بمال فحمله، فأوج عنه، وأعيد إلى كتابة السر بعد تسعة أشهر. واتسعت حاله ونيط به جل الأمور إلى أن قتل الناس، وحلقه المستعصم بالله العباسي، واستبد أحد الأمراء وهو الشيخ عبد الله المحمودي بالمملكة المصرية واعتقل الخليفة فقبض على فتح الله سنة ٨١٥ هـ، وشجن ثم خنق، وكان من خير أهل زمانه.

فقال له : اليوم إذا صليت العصر فوافني ههنا . قال : امرأتي طالق إن برحت من هنا حتى تجيء صلاة العصر . قال : فانصرفت في حوائجي حتى العصر فدخلت المسجد فوجدته فيه فأخذته بيده وأتيتهم به فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا، فأقبلت «بصيص» على مزيد فقالت له : يا أبا إسحاق كأن نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة :

لقد حثوا الجمال ليهـ ريبوا منا فلم ينلوا

فقال : امرأتي طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ . قال : فغنته، ثم سكتت ساعة وقالت : يا أبا إسحاق، كأن نفسك تشتهي أن تقوم فتجلس إلى جانبي وتقرصني قرصات وأغنيك :

قالت وأبثتها وجدي فبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر  
أست تبصر من حولي فقلت لها غطي هواك وما ألقى على بصري

فقال : امرأتي طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسب الأنفس غداً وبأي أرض تموت، فغنته ثم قالت : برح الخفاء أنا أعلم أنك تشتهي أن تقبلني وأغنيك هزجاً :

أنا أبصرت بالليل غلاماً حسن الدل  
كفصن البان قد أصبـ ح مسقياً من الطل

فقال : أنت نبيه مرسله فقبلها وغنته، ثم قالت : يا أبا إسحاق أرأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجونني إليك ولا يشترون ريحاناً بدرهم؟ يا أبا إسحاق هلم درهماً أشتري به ريحاناً، فوثب وصاح : وا حرباه، أي زانية أخطأت إستك<sup>(١)</sup> الحفرة، انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحى إليك، وغطط القوم وعلموا أن حيلتها لم تنفذ فيه، ثم خرج ولم يعد إليهم وأعاد القوم مجلسهم فكان أكثر شغلهم في حديث مزيد، والضحك منه وبقيت «بصيص» في عز وإقبال مدة حياتها وهي تتفنن في ضروب الألحان حتى فاقت أهل زمانها.

### بلقيس ملكة سبأ<sup>(٢)</sup>

المشهوره قصتها مع النبي سليمان بن داود ورد ذكرها في الكتب المنزلة واشتهرت في كتب التواريخ وضرب بها المثل في المجد والسلطان والجمال، وقد شرح العلماء تفاصيل سيرتها وسبب ورودها إلى سليمان بأقوال متباينة مرجعها إلى ما يأتي :

(١) الإست: السافلة، أو المؤخرة. [القاموس المحيط، مادة: أست].

(٢) سبأ: أرض باليمن مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام. سيمت هذه الأرض بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. معجم البلدان، ج ٣/ ص ٢٠٣.

قال المؤرخون في نسب بلقيس<sup>(١)</sup>: إنها [يلقمة]<sup>(٢)</sup> بنت يشرع بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقيل: أبوها يشرع بن تبع ذي الأذعار بن تبع ذي المنار بن تبع الرائش، ويلقب «هادداً» و«هداد». وقيل: اسمه الحارث بن سبأ. وقيل: الشيصبان. وقيل: شراحيل.

وقال كثير من الرواة إن أمها كانت جنية ابنة ملك الجن واسمها رواحة أو ريحانة بنت السكن. وقيل: [يلقمة]<sup>(٣)</sup> بنت عمرو بن عمير الجني، وسبب اتصال أبيها بالجن أنه كان ملكاً عظيم الشأن آخر أربعين ملكاً من ملوك اليمن وملك كل تلك الأقاليم ولم يكن في ملوك الأرض من هو كفو له فكان يقول لهم: ليس أحد منكم يدانيني. وأبى أن يتزوج من الإنس لرفعة شأنه فكان يخرج إلى الصيد ويصطاد الجان بصورة الطباء فيخلي عنها فظهر له ملك الجن وشكره على صنيعه، فاغتنمها فرصة وخطب ابنته فأجابته.

وقيل: بل خرج مرة فوجد حيتين سوداء وبيضاء تقتتلان، وقد ظفرت السوداء على البيضاء، فأمر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصبَّ عليها ماء حتى أفاقت، فأطلقها وعاد إلى داره فجلس منفرداً، وإذا بجانبه شاب جميل فدعر منه فقال له: لا تخف أنا الحية التي أنجيتك وإني مكافئك بالمال أو علم الطب.

فقال: أما المال فلا حاجة لي به وأما الطب: فقبیح بالملوك ولكني أختار إن كان لك ابنة أن أخطبها إليك فأجابه بشرط أن لا يغير عليها شيئاً تعمله فإذا غير عليها فارقتك وشرط أيضاً أن يعطيه ساحل البحر ما بين بيرين<sup>(٤)</sup> إلى عدن<sup>(٥)</sup> فأذعن لذلك، ثم تزوج بالجنية فولدت له غلاماً وألقتة في النار فجزع لذلك، ولكنه سكت للشرط، ثم ولدت جارية فألقته إلى صبيه فعظم عليه الأمر ولكنه صبر، ثم عصى عليه بعض أصحابه فجمع عسكره فسار ليقاتله وهي معه، فلما صاروا في مفازة رأى جميع ما معهم من الزاد يخلط بالتراب والماء ينصب من أفواه القرب فأيقن بالهلاك وعلم أنه فعل الجن بأمر زوجته فضاق ذرعاً عن حمل ذلك الجن.

- (١) بلقيس: يمانية من أهل مأرب، أشير إليها في القرآن الكريم ولم يسمها.  
 (٢) قال الطبري في تاريخ الأمم والملوك: «إن اسم بلقيس بلقمة بنت يشرع بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان». وهذا الصحيح لذلك أثبتناه، فقد ورد في الأصل «بلقمة»  
 (٣) وردت في الأصل: «بلقمة»، ولعل الصحيح ما أثبتناه، فقد ورد في الأصل «بلقمة»  
 (٤) بيرين: دمل لا تدرك أطرافه عن يمين مقطع الشمس من جهة الشمال، وهو في بلاد اليمن.  
 ج ٥/ص ٤٩٠.  
 (٥) عدن: وهو من قولهم عدن بالمحان إذا أغمى به، وذلك سميت عدن، هي مدينة في بلاد اليمن، وهي من بلاد الهند من ناحية اليمن، هي بلدة تجارة لما يجمع فيها التجار ويبيعون البضائع والسيوف.

وجلس أمامها وأوماً إلى الأرض وقال: يا أرض صبرت لك على إحراق ابني وإطعام ابنتي للكلب، ثم الآن قد فجعتنا بالزاد والماء حتى أشرفنا على الهلاك فقالت له: لو صبرت لكان خيراً لك فإن عدوك خدع وزيرك فجعل السم في الزاد والماء وتحقيق ذلك أنه يمتنع من شرب شيء من الماء الفاضل، فأمر وزيره بالشرب، فامتنع، فقتله، ثم دلته على نبع وميرة يمتارها ثم قالت: وأما ابنك فقد سلمته إلى حاضنة تربيته وقد مات، وأما ابنتك فهي باقية وإذا بجويرية قد خرجت من الأرض وهي بلقيس وفارقت زوجها وسار إلى عدوه فظفر به وفوض إليها أبوها الملك فملكته بعده.

وقيل: بل مات بلا وصية. فاختلف الناس بعد موته، وافترقوا فرقتين: فرقة بايعتها، وفرقة بايعت ابن أخ أبيها. فساء السيرة في الرعية وكان فاحشاً خبيثاً فاسقاً لا يبلغه عن بنت جميلة إلا أحضرها وهتكها، فأراد قومه خلعه فلم يقدرُوا، فلما رأت بلقيس ذلك أخذتها الغيرة وقد طلب منها الحضور إليه فقالت له: بل احضر أنت عندي وأعدت له رجلين يقتلانه إذا دخل قصرها، فلما حضر قتلاه فأحضرت وزراءه ووبختهم وقالت: أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم عشيرته، ثم أرتهم إياه قتيلاً وقالت: اختاروا رجلاً تملكونه فقالوا لا نرضى بغيرك.

وقيل: بل هي عرضت نفسها عليه فقال: ما منعني إلا اليأس منك فقالت: لا أرغب عنك فإنك كفو كريم فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم ففعل فسألوها فقالت: قد أجبت فلما زفت إليه سقته الخمر حتى سكر، فحزت رأسه وانصرفت إلى منزلها، وأمرت أن تعلق رأسه على باب دارها، فلما رأى الناس ذلك علموا الحيلة فملكوها عليهم وقال قوم: إن أباهم لم يكن ملكاً بل وزير ملك، وكان الملك قبيحاً - يفعل ما تقدم ذكره - فقتلته بلقيس فملكوها عليهم فعظم شأنها وكثر جندها واتسع نطاق ملكها حتى قال بعضهم: إنه كان تحت يدها أربعمئة ملك، كل ملك منهم على كورة وله ٤٠٠٠٠ [مقاتلاً]<sup>(١)</sup> وكان لها ٣٠٠ وزير يدبرون ملكها، وكان لها ١٢ [قائداً]<sup>(٢)</sup> يقود كل واحد ١٢ ألف مقاتل وبالغ بعضهم في ذلك.

وأما عرشها الوارد ذكره في القرآن الحكيم فقيل: كان سريراً ضخماً من ذهب وفضة مرصعاً بالجواهر النفيسة، وكان في جوف سبعة بيوت عليها سبعة أغلاق كل بيت داخل الآخر وهو في آخرها.

وقيل: كان مقدمه من الذهب منضداً بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من

(١) وردت في الأصل: «مقاتل»، ولعل الصحيح ما أثبتناه، لأنها تميز للعدد منصوب.

(٢) وردت في الأصل: «قائد»، ولعل الصحيح ما أثبتناه، لأنها تميز للعدد منصوب.

فضة مكللاً بأنواع الجواهر واللآلئ، وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر، وقائمة من ياقوت أصفر، وقائمة من زبرجد أخضر، وقائمة من در أبيض، وصفائح السرير من ذهب، وقيل: أنفقت بلقيس على الكوة التي تدخل منها الشمس فتسجد لها ثلاثمائة ألف أوقية من الذهب.

قال ابن الأثير<sup>(١)</sup>: قد تواطأوا على الكذب والتلاعب بعقول الجاهل حتى يصدقوا المحال لأن أوصاف عرشها، وعدد جيوشها من الأمور التي لا يمكن تصديقها.

وأما سبب مجيئها إلى سليمان وإسلامها على يده فروي أن سليمان رأى يوماً رهجاً قريباً منه ولم يكن يبدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فسأل عن ذلك الرهج فقالوا: هو عرش بلقيس. فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَكُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَاءَ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٨، ٣٩] قال: أريد أسرع من ذلك فقال أصف ابن برخيا: ﴿أَنَاءَ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]. وقيل: إن أحد بني إسرائيل قال لسليمان: أنت أقرب الناس إلى الله فلو طلبت إليه لأحضره بأسرع ما يكون فصلى سليمان وإذا بالأرض انشقت وظهر العرش يتلألاً. وقيل: إن سليمان في بعض مغازيه احتاج إلى الماء من تحت الأرض فطلب الهدهد فلم يره.

وقيل: بل أصابت الشمس سليمان فنظر ليرى من أين نفذت إليه لأن الطير كانت تظنه فرأى موضع الهدهد فارغاً فقال: ﴿لَأَعْدِيتهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسَطْرٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

وكان الهدهد قد مر على قصر بلقيس فرأى بستاناً لها خلف القصر فسأل إلى الخضر فوجد فيه هدهداً فقال له: أين أنت من سليمان؟ وما تصنع هنا؟ فقال له: ومن سليمان؟ فإني له جاني فقال: وأين أنت من هذه الدنيا الواسعة والحداثق الأنيقة، والقصور الشامخة، والربيع البهجة؟ فقال: ولمن هذا كله؟ فقال: هو لبلقيس صاحبة العرش العظيم، وهى صفت له عذابه فأتى الهدهد إلى سليمان وأخبره بخبره فكتب لها سليمان كتاباً وقال له: ﴿أَذْهَبَ تَكْتَبِي عِندِي فَأَلْقِيهِ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٢٨] فوافاها وهي في قصرها فرمى الكتاب في حجره فوجد الهدهد قد علمت قومها بذلك وإذا بالكتاب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لا يقرأه من قومهم ﴿مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠ و٣١] فقال قومها: ﴿نَحْنُ أَذْلُوا قُوَّةً وَأَذْلُوا نَاسٌ شَدِيدٌ وَالْأَمْرُ لِلَّذِينَ إِتَمَّتْ أَمْرُهُمْ﴾ [النمل: ٣٣]

قالت: إني مرسله إليهم بهدية فإن قبلها فهم من ملوك الدنيا فتحن أعمى من أعمى والى الله.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج ١/ ص ١٣٥

يقبلها فهو نبي من الله وإني أمتحنه بها، ثم وجهت إليه الهدية وكانت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن وخمسمائة جارية على زيِّ الغلمان كلهم على سروج الذهب والخيال الموسومة، وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجاً مكللاً بالياقوت والمسك والعنبر وحقاً فيه درة يتيمة، وخرزة مثقوبة معوجة الثقب، وأرسلتها مع أشرف رجالها المنذر بن عمرو وآخر ذي رأي وعقل وقالت: إن كان نبياً ميّز بين الغلمان والجواري وثقب الدرّة ثقباً مستويّاً، وسلك في الخرزة خيطاً ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك غضباً فهو ملك فلا يهولنك أمره، وإن رأيت شيئاً لطيفاً فهو نبي، فأعلم الله سليمان بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة، وفرشت في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ، وجعلوا حول الميدان حائطاً مشرفة شرفة من ذهب وشرفة من فضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر أن يربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللين، وأمر بأولاد الجن فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على كرسيه والكراسي عن يمينه ويساره، واصطفت الشياطين والجن والإنس صفوفاً فراسخ، والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك، فلما دنا القوم منهم نظروا فرأوا الدواب تروث على الذهب فرموا بما معهم منها فلما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق، ثم قال: ﴿أَتُمَدُّونَ بِمَالٍ فَمَاءَ آتِنِـۥ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَنَكُمُ﴾ [النمل: ٣٦]، ثم قال: أين الحق الذي فيه كذا وكذا فقدّموه بين يديه، فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرّة وأمر دودة بيضاء وقد جعل خيطاً بفيها فمرت في ثقب الخرزة، ثم دعا بالماء وأمر الغلمان والجواري أن يغسلوا أيديهم ووجوههم فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى وتضرب به وجهها والغلام كان يأخذه يضرب به وجهه، ثم رد الهدية فرجع القوم وأخبروها بما شاهدوا فعلمت أنه نبي وأرادت الشخصوص إليه في اثني عشر ألف فيل.

فلما قربت من مكانه قال حينئذٍ: من يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين فأتى به - كما تقدم - وكان بين سليمان والعرش مسيرة شهرين للمجدّ فلما علم الجن أنها آتية وأن سليمان ربما تزوجها فتفشي له أخبار الجن لأنها تربت عندهم، وأنها إذا ولدت ولداً انتقل الملك إليه فلا ينفكون من تسخير سليمان وولده أساءوا فيها القول وقبحوها له وقالوا: إنها غير عاقلة ولا تميز وإن رجليها كحافر الفرس وهي شعراء الساقين، فأراد سليمان أن يمتحن ذلك فنكر عرشها بأن جعل تبديلاً في الجواهر حتى ينظر هل تعرفه وأمر أن يبنى له صرح من زجاج وأجرى تحته الماء وجعل فيه من دواب البحر حتى إذا رآته حسبته ماء فتكشف عن ساقها فيتحقق الأمر.

وقيل: بل بنى الصرح من قوارير زجاج أخضر وجعل له طوابق من قوارير زجاج أبيض وتحت الطوابق صور دواب فصار كأنه البحر، وجلس سليمان على سرير في صدر المكان فلما

وصلت بلقيس قيل لها: ﴿أَهْكَذَا عَرَشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢]. ولقد تركته في حصون وعنده جنود تحفظه فكيف جاء ههنا وقيل: إنها عرفتة ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها فلم تقل نعم خوفاً من الكذب ولا خوفاً من التنكيت فعلم سليمان كمال عقلها ثم ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ [النمل: ٤٤]، لتخوضها وقد قالت في نفسها: إن سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل أهون عليّ من هذا فلما رآها سليمان صرف نظره عنها ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [النمل: ٤٤] ثم دعاها سليمان إلى الإسلام فأجابت فأراد أن يتزوجها وكره كثرة شعر ساقها فسأل عن شيء يزيله ولا يضر الجسد فعملت له الشياطين النورة وأشاروا بالحمام.

قيل: فكان ذلك أول ظهور النورة فتزوجها وأحبها حباً شديداً وردها إلى ملكها باليمن وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام، فولدت له غلاماً سماه داود ومات في حياة سليمان.

وقيل: أمرها سليمان أن تتزوج برجل من قومها فأنفت من ذلك فقال: لا يكون في الإسلام إلا ذلك فقالت: إن لم يكن بدّ فزوجني ذا تبع ملك همذان فزوجه بها ثم ردها إلى اليمن وسلط زوجها على الملك وأمر الجن من أهل اليمن بطاعته فاستعملهم ذا تبع في بناء عدة قصور حصينة منها: «صلخين». وقيل: «سلجين» و«مرواح» و«قليون» و«هنيدة» و«بنون» وقصر «غمذان» أشهرها فلما مات سليمان لم يطع الجن ذا تبع فانقضى ملكه وملك بلقيس بموت سليمان. وقيل: إن بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وإنه دفنها بتدمر وأخفى قبرها عن الناس.

## بكاره الهلالية

كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة، والإقدام، والفصاحة، والشعر، والشهامة والخطابة حضرت مع علي بن أبي طالب حرب صفيين ولها هناك مقالات حساسة جعلت من سمعها يقدم على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب وقد دخلت على معاوية يومها في المدينة وكانت قد أسنت وغشي بصرها وضعفت قوتها ترتعش بين خدسين لها فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال: كيف أنت يا خالدة، قالت: يحير يا أمير المؤمنين قال: غيرك الدهر؟ قالت: كذلك هو ذو غير من عاش كبير، ومن مات فقد، فقال عمر بن العاص هي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

يا زيد دونك فاحتر من دارنا      سيفاً حساماً في التراب دفينا  
قد كنت أذخره ليوم كريهة      فاليوم أبرزه الزمان مصفاً



وقال مروان وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أتري ابن هند للخلافة مالكا هيهات ذاك وإن أراد بعيدي  
متك نفسك في الخلاء ضلالة أغراك عمرو<sup>(١)</sup> للشقا وسعيد<sup>(٢)</sup>

وقال سعيد بن العاص وهي والله القائلة :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطبا  
فالله أحر مدتي فتناولت حتى رأيت من الزمان عجائبا  
في كل يوم للزمان خطيهم بين الجميع لآل أحمد عابا

ثم سكتوا فقالت: يا معاوية، كلامك أغشى بصري وقصر حجتي أنا والله قائلة ما قالوا  
وما خفي عليك مني أكثر فضحك. وقال: ليس يمنعنا ذلك من برك اذكري حاجتك قالت: أما  
الآن فلا وانصرفت، فوجه إليها معاوية بجائزة سنية.

### بلنش ملكة فرنسا

ولدت سنة ١١٨٧ [م]، وتوفيت سنة ١٢٥٢ [م] وهي ابنة «ألفونس التاسع» ملك  
«قسطيلة» من زوجته «ألينورا» الإنكليزية ابنة «هنري الثاني»<sup>(٣)</sup> وكانت مقتدرة في الأمور  
السياسية ولما دعا الأمراء المتحالفون زوجها سنة ١٢١٦ [م] للجلوس على تخت إنكلترا  
ألحت عليه بإجابة طلبهم وأرسلت إليه مالا ونجدات ولكن نشأ عن موت الملك «يوحنا»  
وجلوس ابنه على تخت الملك خضوع الأمراء للحكومة وعند وفاة «فيليب أوغسطوس»  
وجلوس زوجها على التخت باسم «لويس الثامن»، كانت تقوده بحكمتها وحسن إدارتها وقد  
رافقتة في الحرب الصليبية التي أقيمت على «الأليجوا»<sup>(٤)</sup> وعند وفاته جعلت نائبة للملك في  
مدة قصر ابنها «لويس التاسع»<sup>(٥)</sup>.

(١) المقصود عمرو بن العاص.

(٢) المقصود سعيد بن العاص.

(٣) هنري الثاني: ولد سنة ١١٣٣ م ملك إنكلترا سنة ١١٥٤ م. أوقعته سياسته الدينية الطائشة ني خلاف  
مع وزيره بيكيت. مات سنة ١١٨٩ م.

(٤) الأليجوا: أو الأليجيون أو الكتار (Albigois) بدعة دينية مسيحية ظهرت أواخر القرن الثاني عشر  
جنوبي فرنسا. استمدت بعض تعاليمها من المانوية، حاربها ملوك فرنسا، وقاومها بالوعظ، والتبشير  
الأخوة الواعظون أو الدومينيكان. تلاشت بعد سنة ١٢٤٤ م.

(٥) لويس التاسع: ملك من ملوك فرنسا ولد سنة ١٢١٤ م. قاد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة.  
وصل إلى دمياط سنة ١٢٤٩ م. أسر في معركة المنصورة سنة ١٢٥٠ م. توفي بالطاعون في تونس  
سنة ١٢٧٠ م.

وسنة ١٢٣٤ [م] زوّجت ابنها وهو في سن ١٩ بـ «مرغريتا» البروفنسية وكان عمرها ١٢ سنة.

وسنة ١٢٣٦ [م] تنازلت عن نيابتها لابنها المذكور وكانت المملكة في أيامها زاهرة زاهية وقد ألحق بها أرض كبيرة مهمة وكان ابنها يعتمد رأيها ولا يدعها تفارقه إلا أنه دخل ضد إرادتها في الحرب الصليبية لإنقاذ الأرض المقدسة، وفي مدة غيابه تسلمت نيابة الأحكام وقابلت بحكمتها وإقذارها المعتادين الصعوبات الجديدة التي حدثت في تلك الأيام وكانت على الدوام ترسل المال والنجادات إلى ابنها لتساعده في تلك الحركة المشؤومة ولما انكسر هو وإخوته وأسروا في مصر التزمت أن تقوم بدفع فدية بليغة لإنقاذهم فنشأ عن ذلك ضرائب جسيمة خسرت بها البلاد ثروتها، ومع ارتباكاتها وتقواها كانت تقاوم تعديات خدمة الدين بنشاط عظيم، وقد حمت منهم بنجاح حقوق التاج الملكي. وقد ناحت البلاد عموماً ولبست الحداد عند موتها وهي تحسب من أشهر من حكم فرنسا.

### بمبادور خلية لويس الخامس عشر

ولدت سنة ١٧٢١ [م] في باريس، وتوفيت في «فرساليا» سنة ١٧٩٤ [م]. وهي ابنة جزار قد ربتها أمها تربية حسنة وزوّجتها سنة ١٧٤١ [م] بملتزم أعشار، وبعد ذلك بتقيل زاهر الملك وهو يتصيد في غابة «سنبرت» فعلق قلبه بها ولكن لم يظهر ذلك إلا بعد وفاة مادام «ده شانور».

وسنة ١٧٤٤ [م] وقد رافقت «لويس» في حرب «فونتنوا» في أيار سنة ١٧٤٥ [م]، عند رجوعها عرفت بمركيزة «بمبادور» وكانت تعضد العلوم والصنائع وبمساعدة «فونتر» و«بربي» رتبت أعياداً زاهرة حتى إنها بعد أن ضعف حبّ الملك لها حافظت على سطوتها بجعلها نفسها ضرورية لراحته ثم بعد قليل أخذت تريحه من أتعاب الأحكام وكانت تتداخل في المسائل العامة وتولي الوزراء وتقرب إليها الجنسنيين والكوبيتين والكفار والمجلس كلاً في دورهم حتى وصلت لها عضد من جميع الأحزاب، وقد تملقتها «مريا تريزا» بإرسالها لها كتاب الخطب الذي، وعصفت من «فردريك الثاني» لظعنه في حكومتها فعقدت محالفة بين فرنسا والنمسا ضد روسيا، ولما عنها حرب السبع سنين المهلكة.

وسنة ١٧٥٧ [م] حاول «داميان» قتل الملك فاضطرها الأمر أن تخرج من البلاط ولم يمض إلا قليل حتى دعيت إليه ثانية فسعت في معاقبة الوزراء الذين أشاروا بطردها وعصفت سطوتها في تعيين المأمورين العسكريين من أعظم أسباب قتل العساكر في الحرب، وهو من

مصحوبة ببعض الشعب وعدم أسف الملك، وكان لها زيادة على مرتبتها السنوي الباهظ مداخيل جسيمة في العقارات، وكانت تعطي الفقراء بسخاء وتساعد المخترعين والصنّاع، وأصحاب المعارف. وجمعت كمية عظيمة من أعمال الصناعة والتحف. وكانت ماهرة في التصوير والنقش وقد كتب كثيرون سيرة حياتها وينسب إليها ترجمات ورسائل ليست لها.

### بنلوبا زوجة عولس اليوناني<sup>(١)</sup>

هي أم «تلبماك» ابنة «أبكارايوس» وقد خطبها كثيرون ولكن أباهما وعد بها من يغلب في سباق العدو فغلب «عولس». ولما ألح عليها أبوها أن تبقى معه ولا ترافق زوجها إلى «أنباكي» سمح لها زوجها بأن تفعل كما تشاء فأظهرت عزمها على مرافقته بسترها وجهها بمنديل خجلاً ولما كان «عولس» في حصار تروادة<sup>(٢)</sup> أحاط بها عشاق كثيرون ألحوا عليها بإجابة طلبهم فخدعتهم بقولها إنه يجب أن تكمل كفنًا كانت تنسجه لعمها الشيخ قبل أن يقر رأيها إلا أنها كانت تحل ليلاً كل ما كانت تنسجه نهاراً فلما عرف عشاقها بمكيدتها كان «عولس» قد رجع بعد أن غاب ٢٠ سنة فقتلهم جميعاً.

وقد أشاع بعض المضادين لها أنها ولدت بنتاً من عشاقها فطلقها زوجها عند رجوعه من تروادة، فذهبت عند ذاك إلى «إسبرطه»<sup>(٣)</sup> ومنها إلى «منتينا» وقد استدل قوم على قبرها هناك بعد ذلك بزمان طويل.

### بهية ابنة عبد الله البكري

من بكر بن وائل وفدت مع أبيها إلى النبي ﷺ فبايع الرجال وصافحهم وبايع النساء ولم يصافحهن قالت: فنظر إليّ ودعاني ومسح رأسي ودعا لي ولولدي، ولما رجعت وتزوجت كثرت عليّ الأولاد وامتألاً المنزل، وخشيت الفقر من كثرة العيال وكان عدد أولادي ستين ولداً، أربعون رجلاً وعشرون امرأة، فأستشهد منهم عشرون في الجهاد بين يدي النبي ﷺ والصحابة، ولم يعلم بامرأة ولدت ستين ولداً غير هذه فسبحان الخالق الرازق.

(١) عولس اليوناني (Ulysse): من أبطال اليونان الأسطوريين في حرب طروادة. ملك إيتاق وزوج بينلوب وأبو تيليماك.

(٢) تروادة: أو طروادة أو إليون (Toria) وهي مدينة قديمة غرب تركيا. ازدهرت في الألف الثالث ق.م. خربتها حروب وزلازل عديدة، أشهرها حرب أسطورية قام بها اليونان وحاصروها سنة ١١٩٣ ق.م، حتى سنة ١١٨٤ ق.م. تغنى هوميروس بمعاركها في الإلياذة.

(٣) إسبرطة (Spate): من عواصم اليونان القديمة. زاحمت أثينا على السيادة وتغلب عليها في حرب بيلوبونيز سنة ٤٠٤ ق.م. أخضعها الرومان سنة ١٤٦ ق.م خربتها الحروب والغزوات.

## بوديسيا ملكة الأيسينه

هي أم قبيلة بريطانيا كان موطنها ما يدعى الآن ببلاد «كمبردج» و«سقولك» و«نورفولك» و«هردفرد»، توفيت نحو سنة ٦٢ بعد المسيح ولما توفي زوجها «براسوتغوس» ملك «الأيسينه» جعل ابنتيه مع الإمبراطور «نيرون» ورثة لثروته العظيمة لأنه كان يأمل أنه بذلك يحفظ عائلته ومملكته من تعديات الغزاة ولكن حالما مات أخذ قائد المائة الروماني مملكته وجلدت الملكة البريطانية جهاراً لذنوب حقيقي أو وهمي، وتركت بناتها لشهوة العبيد فاستغتمت «بوديسيا» فرصة غياب «سويتونيوس باولينوس» الحاكم الروماني من تلك الجهة من إنكلترا وجمعت كل القوة العسكرية من شيعتها البرابرة وثارَت في مقدمتهم على مستعمرة لندن الرومانية وقتلت بالسيف في تلك المستعمرة والأماكن المجاورة لها سبعين ألفاً على الأقل من الرومان والتجار والإيطاليان، وغيرهم من رعايا الملكة، فبادر «سويتونيوس» إلى محل تلك القطائع، وكان تحت قيادة ملكة «الأيسينه» ١٢٠ ألف جندي وكان عددهم يتزايد شيئاً فشيئاً حتى بلغوا ٢٣٠ ألفاً<sup>(١)</sup> حال كون «سويتونيوس» لم يكن قادراً أن يأتي إلى ميدان القتال بعشرة آلاف جندي فانتشبت نيران القتال، وأظهرت «بوديسيا» شجاعة عظيمة، ولما قهرت العساكر الرومانية المنتظمة عساكرها أخذت سماً وابتلعتته فماتت به، وأما الغالبون فلم يعفوا عن شيء فإنهم قطعوا الأولاد والدواب والكلاب جميعاً إرباً. ويقال: إنه ذبح في ذلك اليوم ثمانون ألف بريتوني وأما العساكر الرومانية فلم يقتل منها إلا ٤٠٠ شخص وجرح بقدرهم.

## بوران ابنة أبرويز بن هرمز<sup>(٢)</sup>

كانت من أحسن نساء بني الترك والفرس وملكته الناس بعد «شهربريز بن أبرويز» وأصلحت القناطر والجسور، وردت خشبة الصليب إلى ملك الروم، ولما جنست عيني السامية قالت: ليس يبطش الرجل تدوخ البلاد، ولا بمكايدهم ينال الظفر وإنما ذلك بعون الله، وأقامت سبعة أشهر ويقال: إن «فيروز بن رستم» صاحب خراسان خطبها فماتت ولا يبقين للملكة أن تتزوج علانية وواعدته أن يقدم عليها سراً في ليلة عيبتها، فجدد في ذلك الليل فقتلته، فسار إليها رستم فقتلها، وذلك بخبر طويل في تاريخ الفرس.

(١) وردت في الأصل: «الف»، ولعل الصحيح ما أنشأه

(٢) هو كسرى الثاني وقد سبق الحديث عنه.

(٣) من أشهر ملوك الفرس في بطشه وظلمه وهو زوج شهزاد، وهما محب، فودس الذي كثر الشعر والجمال ليلة وليلة.

## بوران ابنة الحسن بن سهل<sup>(١)</sup>

كانت أحسن نساء زمانها وأجملهن وأكرمهن أخلاقاً، وأفضلهن أدباً وأوفرهن عقلاً، لها إمام بصناعة الطرب. تربت في بيت أبيها أحسن تربية، وخالطت نساء الرشيد، واكتسبت من آدابهن.

ولما ولي المأمون الخلافة افتتن بها وخطبها من أبيها الحسن، وكان وزيره بعد أخيه الفضل بن سهل<sup>(٢)</sup>، وقد زفت إليه بناحية فم الصلح (بلدة من العراق) في شهر رمضان سنة ٢١٠ هجرية.

فلما دخل عليها كانت عنده حمدودة بنت الرشيد وزبيدة بنت جعفر وأم الفضل والحسن جدة «بوران» فنثرت عليه أم الفضل ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون فأمر بجمعها فجمعت فأعطاهما لـ «بوران» وقال: هذه نحلتك وسلي حوائجك، فأمسكت فقالت لها جدتها: سلي سيدك، فقد أمرك أن تسأليه، فسأله الرضا عن إبراهيم بن المهدي فقال: قد فعلت وسأله الإذن لزبيدة في الحج فأذن لها وبنى بها في ليلته وأوقدوا في تلك الليلة شمعة عبروا وزنها أربعين مناً، وأنفق الحسن على المأمون مالاً جزيلاً قيل: إنه أقام عند الحسن تسعة عشر يوماً يعد له في كل يوم ولجميع من كان معه ما يحتاجون إليه، فكان مبلغ النفقة عليه خمسين ألف ألف درهم، وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم، وأقطعه فم الصلح المذكورة - فجلس الحسن وفرق المال على قواده وحشمه وعسكره.

وقيل: احتفل أبوها بأمرها وعمل من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله في عصر من الأعصر فإنه نثر على الهاشميين والقواد والوجوه بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وجوار ودواب وغير ذلك فكانت البندقة إذا وقعت بيد رجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة فإذا علم ما فيها

(١) هو الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، أبو محمد وزير المأمون العباسي، أحد كبار الولاة والقادة في عصره المولود سنة ٢٣٦ هـ/٧٨٢ م. اشتهر بالذكاء المفرط، والأدب والفصاحة وحسن التوقيعات، والكرم. هو والد بوران زوجة المأمون. كان المأمون يجله ويبالغ في إكرامه، وللشعراء فيه أماديح. أصيب بمرض السويداء سنة ٢٠٣ هـ فتغير عقله حتى شد في الحديد، ثم شفي منه قبل زوج المأمون بابنته سنة ٢١٠ هـ. توفي في سرخس سنة ٢٣٦ هـ/٨٥١ م.

(٢) هو الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس، المولود سنة ١٥٤ هـ/٧٧١ م. وزير المأمون وصاحب تدبيره. اتصل به في صباه وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ. وكان مجوسياً. صحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً، فكان يلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة). توفي في سرخس سنة ٢٠٢ هـ/٨١٨ م. قتله جماعة بينما كان في الحمام. قيل: إن المأمون دسهم له، وقد ثقل عليه أمره.

ذهب إلى الوكيل المرصد لذلك في دفعها إليه ويستلم ما فيها، ثم نثر على سائر الناس الدنانير والدرهم، ونوافج المسك، وبيض العنبر على المأمون وقواده وجميع أصحابه وأجناده وأتباعه وكانوا خلقاً لا يحصون وعلى الحماليين والمكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره فلم يكن في العسكر من يشتري شيئاً لنفسه أو لدابته وقد قالت الشعراء والخطباء في ذلك الزفاف أشياء كثيرة ومما يستطرف في ذلك قول محمد بن حازم الباهلي<sup>(١)</sup>:

بَارِكْ اللهُ لِلْحَسَنِ      وَلِبُورَانَ فِي الْخَتَنِ<sup>(٢)</sup>  
يَا إِمَامَ الْهَدَى ظَفَرَ      تَ وَلَكُنْ بِنْتَ مَنْ

وبقيت «بوران» عند المأمون إلى أن توفي سنة ٢١٨ [هـ]، وتوفيت هي سنة ٢٧١ [هـ] وعمرها ٨٠ سنة.

### بيلمون زوجة السلطان أوزبك

قال ابن بطوطة في «رحلته»: اسمها «بيلون» - وهي ابنة ملك القسطنطينية العظمى السلطان «تكفور» - قال: لما مررنا ببلاد السلطان «أوزبك» ودخلنا عليه التزمنا بعد خروجنا من عنده أن ندخل على الملكة «بيلون» زوجته حسب عادة تلك الديار أنه متى زار أحد الملك يلزم أن يزور أزواجه وعائلته، وأكابر مملكته، فدخلنا على هذه الخاتون وهي قاعدة على سرير مرصع قوائمه فضة وبين يديها نحو مائة جارية، روميات، وتركيات، ونوبيات منهن قائمات وقاعدات، والفتيات على رأسها، والحجاب بين يديها من رجال البرود، فسألت عن حالنا ومقدمنا وعن بعد أوطاننا وبكت ومسحت وجهها بمنديل كان في يدها رقة منها وشفتها، وأمرت بالطعام فأحضر وأكلنا بين يديها، ولما أردنا الانصراف قالت: لا تنقطعوا عند ترددي علينا، وطالبونا بحوائجكم وأظهرت مكارم الأخلاق وبعثت في أثرنا بطعمه وخبز كثير وسمن وغنم ودرهم وكسوة جيدة وثلاث من جياذ الخيل وعشرة من سواها. قال: وبقيت هذه الخاتون عند السلطان «أوزبك» مدة طويلة وهي تتفقدا بخيراتهم وميراثهم حتى قصبت لهم إلى القسطنطينية فذهبت معها وكان ذهابها لأجل زيارة أهلها، مكثت هناك مدة ثم رجعت إلى أممها إلى أن ماتت.

(١) هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي بالولاء، أمه جعد، شاعر مقلد، فاضل لهجته، له تاريخ من الخلفاء غير المأمون العباسي ولد ونشأ في مصر، وسكن في بغداد ومات فيها سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م.

(٢) الختن: الصهر. [القاموس المحيط، مادة: ختن]

## حرف التاء

### تحفة الزاهدة

هي جارية لبعض تجار بغداد كانت بارعة في الجمال تحسن صنعة العود وكان سيدها صرف عليها ماله وزاد في تعليمها وتهذيبها وكان شراؤها عليه بعشرين ألف درهم وغايته الربح فيها مثل ثمنها لحسن صنعتها وكمال أدبها واستقامتها فبينما هي يوماً جالسة والعود في حجرها وهي تغني وتقول:

وحقك لانقضت الدهر عهدا      ولا كدّرت بعد الصفو ودًا  
ملأت جوانحي والقلب وجدًا      فكيف ألد أو أسلو أو أهدًا  
فيا من ليس لي مولى سواه      تراك تركتني في الناس عبدًا

ثم كسرت العود وقامت وبكت وانتحبت فاتهما سيدها بمحبة إنسان فاستقصى عن ذلك فلم يجد له أثراً فحار سيدها في أمره ولم يجد لها سلوي عن الاكتتاب والهيام وقيام الليل ومناشدة الأشعار وطول التذكار وتشتت الأفكار فسألها عما أصابها فأنشدت تقول:

خاطبني الحق من جناني      فكان وعظي على لساني  
قربني منه بعد بعد      وخصني الله واصطفاني  
أجبت لما دعيت طوعاً      ملياً للذي دعاني  
وخفت مما جنيت قدماً      فأوقع الحب بالأمان

ولما أعيته الحيل ذهب بها إلى الممارستان راجياً أن تشفى مما أصابها ولما دخلت البيمارستان أودعوها في حجرة مغلولة اليدين مقيدة الرجلين فلما رأت ذلك بكت بكاء مرأً وأنشدت تقول:

أعيذك أن تغل يدي      بغير جريمة سبقت  
تغل يدي إلى عنقي      وما خانت وما سرقت  
وبيّن جوانحي كبداً      أحس بها قد احترقت

وحقك يا منى قلبي      يميناً برّة صدقت  
فلو قطعتهما قطعاً      وحقك عنك ما رجعت

ويروى عن السري السقطي<sup>(١)</sup> أنه قال: دخلت يوماً على تحفة في المارستان فوجدتها أنضر الناس وجهاً وعليها أطمار حسنة، فشممت منها رائحة عطرية وهي تفوح شذاها إلى خارج المارستان، فسألت القيم عنها فقال: هي جارية مملوكة قد اختل عقلها فحبسها مولاهما لعلها تنصلح، فلما سمعت كلامه اغرورقت عيناها بالدموع، ثم أنشدت:

معشر الناس ما جنت ولكن      أنا سكرانة وقلبي صاحي  
أغللتهم يدي ولم آت ذنباً      غير جهدي في حبه وافتضاحي  
أنا مفتونة بحب حبيب      لست أبغي عن بابه من براح  
فصلاحي الذي زعمتم فسادي      وفسادي الذي زعمتم صلاحي  
ما على من أحب مولى الموالي      وارتضاه لنفسه من جناح

قال السري: فسمعت ما أفلقني وأشجاني، وأحرقني وأبكاني، فلما رأت دموعي قالت: يا سري، هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق معرفته ثم أغمي عليها، فلما أفاقتم جعلت تقول:

ألبستني ثوب وصل طاب ملبسه      فأنت مولى الورى حقاً ومولاني  
كانت بقلبي أهواء مفرقة      فاستجمعت مذراتك العين أهواني  
من غص داوى بشرب الماء غصته      فكيف يصنع من قد غص بالماء  
قلبي حزين على ما فات من زللي      والنفس في جسدي من أعظم الداء  
والشوق في خاطري مني وفي كبدي      والحب مني مصون في سويداء  
إليك منك قصدت الباب معتذراً      وأنت تعلم ما ضمته أحشائي

فقال لها السري: يا جارية سمعتك تذكرين المحبة فلمن تحبين؟ قالت: لمن تعرفت بنعمائه وجاد علينا بجزيل عطائه، فهو قريب إلى القلوب، مجيب لقلب المحبت، يسرع عليهم، بديع حكيم، جواد كريم، غفور رحيم، ثم أنشأت تقول:

قلبي أراه إلي الأحباب مرتاحاً      سكران من راح أحب بالهدى ساجداً

(١) هو سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن، من كبار العلماء، ولد في سنة ٢٥٣ هـ/٨٦٧ م. هو أول من تكلم في تعداد مسائل التوحيد وأحوال أئمة الهدى، كان إماماً للشيعة وشيخهم في وقته. وهو حال الجنيد، وأستاذه.

(٢) الراج: الكف، كف اليد [القائم من المحيط، مادة الراج]



يا عين جودي بدمع خوف هجرهم      فرب دمع أتى للخير مفتاحا  
 ورب عين رآها الله باكية      بالخوف منه تنال الروح والراحا  
 لله عبد جنى ذنباً فأحزنه      فبات يبكي ويذري الدمع سفاحا  
 مستوحش خائف مستيقن فظن      كأن في قلبه للنور مصباحا

قال السري: فبينما نحن كذلك إذا بسيدها أقبل فقال للقيم: أين تحفة؟ قال: هي في الداخل، وعندها السري السقطي - رضي الله عنه - ففرح سيدها ودخل وسلم عليه وعظّمه فقال له السري: هي أولى بالتعظيم مني فما الذي تكرهه منها حتى حبستها ههنا؟ فقال: أمور كثيرة، وجعل يعدّد له خصالها فقال له السري: غليّ الثمن وأزيدك فصاح سيدها وا فقراه! من أين لك ثمن هذه الجارية وأنت رجل فقير؟ فقال له: لا تعجل دعها في المارستان حتى آتي بثمانها، ثم ذهب باكي العين رافة على الجارية حتى طرق باب أحمد بن المشنى فأخبره بالخبر، فدفع له ثمنها ومثله معه، فلما كان الغد أقبل إلى المارستان فقال له: قد جئتك بثمان الجارية ومثله معه فقال: لا والله لو أعطيتني الدنيا ما قبلت بل هي حرة لوجه الله تعالى فلما سمعت ذلك بكت بكاءً مرأً وأنشأت تقول:

هـرّبت منه إليه      بكيّت منه عليه  
 وحقه هو مولى      لا زلت بين يديه  
 حتى أنال وأحظى      بمسارجات لديه

وتوجهت إلى مكة وهناك دخلت الكعبة وجعلت تقول:

محب الله في الدنيا سقيم      تطاول سقمه فدواه داه  
 سقاه من محبته بكأس      فأرواه المهيمن إذ سقاه  
 فهام بحبه وسمما إليه      فليس يريد محبوباً سواه  
 كذاك من ادعى شوقاً إليه      يهيم بحبه حتى يراه

ثم مكثت على ذلك مدة وهي بين الخوف والرجاء إلى أن توفاه الله بمكة المكرمة وبعدها خرجت من المارستان سأل السري السقطي مولاها عن سبب عتقه لها وعدم قبوله ثمنها بعدما كان مشدداً على لزوم استلام الثمن إن وجد من يدفعه إليه ولما عرض عليه ازدراره واستهزأ بقوله ظاناً أنه لا يقدر على ثمنها فقال له مولى الجارية أنه بعدما حصل منه ذلك راجع صوابه وقال: إن السري السقطي مع ضيق ذات يديه وعدم اقتداره على ثمن جارية مثل هذه تعهد بأن يستحضر ثمنها ولا بد ذلك أن يكون من أهل الخير وليس هم بأكرم مني حالة كوني قادراً على عمل الخير بدون أن يحصل لي ضرر وغلب عليّ الكرم ففعلت ما فعلت وأرجوك

الدعاء فدعا له السري بإصلاح حاله، وبزيادة البركة في ماله، وتصدق بثمان الجارية الذي استحضره من أحمد بن المثنى المازّ ذكره.

## تذكارباي خاتون

هي ابنة الظاهر «بيبرس»<sup>(١)</sup> كانت تقية صالحه محبة للخير مقربة للفقراء، وأخصهن النساء الصالحات حتى إنها من محبتها لهن بنت لهن رباطاً وسمته برباط البغدادية، وصفه المقرئ بقوله: إن هذا الرباط بداخل الدرب الأصفر تجاه خانقاه «بيبرس» حيث كان المتجر ومن الناس من يقول: رواق البغدادية وهذا الرباط بنته الست الجلييلة «تذكارباي خاتون» ابنة الملك الظاهر «بيبرس» في سنة ٦٨٤ [هـ] للشيخة الصالحة زينب ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية فأنزلتها به، ومعها النساء الخيرات وما برح إلى وقتنا هذا (أي وقت المقرئ) يعرف سكانه من النساء بالخير وله دائماً شيخة تعظ النساء وتذكرهن وتفقههن، وآخر من أدركنا فيه الشيخة الصالحة سيدة نساء زمانها زينب بنت فاطمة بنت عباس البغدادية، توفيت سنة ٧١٤ [هـ] في ذي الحجة، وقد أنافت على الثمانين وكانت فقيهة، وافرة العلم، زاهدة، قانعة باليسير، عابدة، واعظة حريصة على النفع والتذكير ذات إخلاص وخشية وأمر بالمعروف.

انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر وكان لها قبول زائد ووقع في النفوس ومصر بعد ذلك من قام بمشيخة هذا الرباط من النساء يقال لها البغدادية أقامت به عدة سنين على أحسن طريقة إلى أن ماتت يوم السبت لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٧٩٦ [هـ]، وأدركنا هذا الرباط وتودع فيه النساء اللاتي طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن صيانة لهن كما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات.

(١) هو بيبرس العلاني البندقداري الصالح، ركن الدين الملك الظاهر، صاحب الملك الناصر المنصور والآثار. مولده بأرض القيحاق سنة ٦٢٥ هـ ١٢٢٨ م. أسير في مصر سنة ٦٤٠ هـ ١٢٤٣ م. ومنها إلى القاهرة، فاشتراه الأمير علاء الدين أيدقدين البندقدار، وفي سنة ٦٤٠ هـ ١٢٤٣ م. أرسله إلى مصر. الصالح نجم الدين أيوب أخذ بيبرس، فجعله من خامسة خدمه، ثم أرسله إلى القاهرة سنة ٦٤٠ هـ حتى أصبح أتاك العساكر بمصر، في أيام الملك المظفر قطز، فلما معه التنازع في منسطين ثم انضم مع أمراء الجيش على قتل قطز، فقتلوه، وتولى بيبرس سلطنة مصر، والشام سنة ٦٥١ هـ. نقلت بالقاهرة أبي الفتوحات. كان شجاعاً جباراً، يباشر الحروب بنفسه له وقائع هائلة مع التتار، والفرنجيين، والفتحوات العظيمة، منها بلاد النوبة ودنقلة، ولم تفتح قبلة مع كثرة عروب الخلفاء، والأسلاف من بعده أيامه انتقلت الخلافة إلى البلاد المصرية. توفي في دمشق سنة ٦٧٦ هـ ١٢٧٧ م. يعرفون به المعروف، أقيمت حوله المكتبة الظاهرية.

ثم لما فسدت الأحوال في عهد حدوث المحن بعد سنة ٨٠٦ هـ [تلاشت أمور هذا الرباط ومنع مجاوروه من إقامة النساء المتعبدات فيه، وهذا الرباط قد زال بالكلية وبني في محله الآن الحوانيت المتسعة على باب الدرب الأصفر.

## تركان خاتون الجلالية ابنة طغفاج خان من نسل فراسياب التركي

هي زوجة السلطان «ملكشاه»<sup>(١)</sup> ووالدة السلطان «محمود بن ملكشاه»<sup>(٢)</sup> كانت من النساء العاقلات الدينات والحكيماات المدبرات. شهدت لها التواريخ وألسنة الأقلام بالحكمة والتدبير وعلو الهمة والإقدام، وكانت مطاعة في أوامرها، مسموعة الكلمة عند أمراء المملكة، محبوبة لديهم.

وكانت تبذل لهم العطايا والإقطاعات وكان زوجها لا يرد لها طلباً وهي المالكة والمشاركة له في الملك، وكانت من حسن سياستها وتدبيرها، توصلت لأن تصاهر الخليفة المقتدي بأمر الله العباسي، وذلك من كثرة ترددها على حريم الخلافة ومعها ابنتها «خاتون» وهي كانت من الجمال على جانب عظيم وصفوها للمقتدي فأحبها على الوصف وأراد الاقتران بها، فأرسل الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جهير إلى السلطان «ملكشاه» يخطب ابنته، ولما سار فخر الدولة إلى أصبهان ووصل إلى السلطان يخطب منه ابنته للخليفة فقال له: إن ذلك مما يزيدني شرفاً، ولكن الأمر في ذلك إلى والدتها «تركان خاتون» فيجب أن تذهب إليها.

وأمر نظام الملك أن يمضي معه إلى «تركان خاتون» ويتكلم معها في هذا المعنى فمضيا إليها فخطبها فقالت: إن ملك غزنة وملوك الخانية، وما وراء النهر طلبوها وخطبوها لأولادهم وبذلوا أربعمئة ألف دينار فلم أرض، فإن حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم، فبلغ الخبر «أرسلان» والدة الخليفة فتأثرت من ذلك وأرسلت إلى «تركان خاتون» تقول: إن ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة لم يحصل لأحد غيرها وكلهم عبيده وخدمه، ومثل الخليفة لا يطلب منه مال فأجابت إلى ذلك وشرطت أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وأنه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته إلا عندها، فأجبت إلى ذلك، فأعطى السلطان يده فعاد فخر الدولة إلى بغداد.

(١) ملكشاه الأول: سلطان سلجوقي ولد سنة ١٠٥٥ م خلف أباه ألب أرسلان سنة ١٠٧٢ م اتخذ نظام الملك وزيراً فأسس النظاميات، وبلغت الدولة في عهده أوج ازدهارها ولمع في أيامه عمر الخيام، واحتل حسن الصباح قلعة الموت. خلفه ولداه محمود ثم بركياروق بعد موته سنة ١٠٩٢ م.  
(٢) محمد بن ملكشاه من السلاطين السلاجقة تولى الحكم والسلطنة بعد وفاة والده سنة ١٠٩٢ م.

وفي محرم نقل جهازها إلى دار الخليفة على مائة وثلاثين مجللاً بالديباج الرومي وكان أكثر الأحمال من الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وستين بغلاً مجللاً بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقاً من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي، وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرساً من الخيل الرائعة، عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومن عظيم إكسير الذهب، وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة «كوهرائين» والأمير «برسق» وغيرهما. ونثر أهل نهر مالمى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان خرج من بغداد متصيداً، ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع إلى «تركان خاتون» وبين يديه نحو الثلثمائة موكبه ومثلها مشاعل ولم يبق في الحريم غرفة إلا وقد شعلت فيها الشمعة والاثنان، وأكثر من ذلك، وأرسل الخليفة مع «ظفر» خادمه محفة لم ير مثلها.

وقال الوزير لما وصل لـ «تركان خاتون»: إن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وقد أذن في نقل الوديعة إلى داره، فأجابت بالسمع والطاعة، وحضر نظام الملك فمن دونه دولة السلطان، وكل منهم معه من الشمع والمشاعل شيء كثير، وجاء نساء الأمراء والكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جسدتها وتجملها وبين أيديهن الشموع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان، ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شيء من ذلك، أحاط بالمحفة مائة جارية من الأتراك بالمراكب العجيبة، وسارت إلى دار الخلافة وسارت ليلتهم مشهودة لم ير ببغداد مثلها، فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السانطة وجمع عندهم كلهم وعلى كل من له ذكر في العسكر وأرسل الخلع إلى «تركان خاتون» وإلى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك، وبعدهما مكثت مدة في دار الخليفة وولدت بنتاً ولد لها يطب لها المقام معه فأخبرت والدتها بذلك وهي أرسلت إلى الخليفة تطيب بنتها فطلب لها منته، وسبب ذلك أن الخليفة أكثر الاطراح لها والإعراض عنها، فأذن لها في ربيع الأول سنة ٤٨٢ [هـ] وسار معها إليها من الخليفة أبو الفتح، وسار معها إلى بغداد مع الله ومعهما سائر أرباب الدولة، ومشى مع محفتها سعد الدولة، ثم خرج الوزير وشيعهم إلى النهروان وعاد وسارت الخاتون إلى أمصيه فأنزلت بها إلى ذي القعدة، وتوفيت، وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة أيام وأكث الشعراء من أبيها ببغداد وبعسكر السلطان.

وسار «ملكشاه» بعد قتل نظام الملك إلى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر.

رمضان سنة ٤٨٥ [م] لقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير واتفق أن السلطان خرج إلى الصيد وعاد ثالث شوال مريضاً وأنشب الموت أظفاره فيه، وكان سبب مرضه أنه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يصر إخراج الدم فثقل مرضه، وكانت حمته محرقة فتوفي ليلة الجمعة في النصف من شوال سنة ٤٨٥ [هـ].

ولما ثقل نقل أرباب الدولة أموالهم إلى حريم دار الخلافة، ولما توفي سترت زوجته «تركان خاتون» موته وكتمته وأعدت جعفر بن الخليفة من ابنة السلطان إلى أبيه المقتدي بأمر الله وسارت إلى بغداد والسلطان معها محمولاً وبذلت الأموال للأمرء سرّاً، واستحلفتهم لابنها محمود، وكان تاج الملك يتولى ذلك لها، وأرسلت قوام الدولة «كربوقا» إلى أصبهان بخاتم السلطان، فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر أن السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله ولم يصل عليه أحد ولم يلطم عليه وجه.

وكان مولده سنة ٤٧٦ [هـ]، وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام من أقصى بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن وحمل إليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب، وانقضت أيامه على أمن عام وسكون شامل وعدل مطرد وما ذلك إلا باتحاده مع «تركان خاتون»، وعدم إتيانه أمراً إلا برأيها ومشورتها حتى دانت لهما العباد، وذلت لسلطانها البلاد.

ولما مات «ملكشاه» وفعلت زوجته كما ذكر أرسلت إلى الخليفة المقتدي في أمر الخطبة بأن يخطب لولدها محمود فأجابها بشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون مدير زعامة الجيوش الأمير «أنز» يصدر عن رأي تاج الملك وهو الذي يدبر الأمر بين يدي «تركان خاتون» فلما جاءت رسالة الخليفة إلى «خاتون» بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها: إن ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته، وكان مخاطبها الغراني، فأذعنت له وأجابته إليه ولقب ناصر الدنيا والدين، وأرسلت «تركان خاتون» إلى أصبهان في القبض على «بركيارق»<sup>(١)</sup> أكبر أولاد السلطان خيفة أن ينازع ولدها في السلطنة، فقبض عليه، فلما ظهر موت «ملكشاه» وثبت المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك بأصبهان فأخذوه وساروا من البلد وأخرجوا «بركيارق» من الحبس وملكوه بأصبهان وكانت والدته زبيدة بنت ياقوتي بنت عم «ملكشاه» خاتمة على ولدها من «تركان خاتون» أم محمود فأتاها الفرج بالمماليك النظامية

(١) بركيارق: أو بركياروق سلطان سلجوقي ولد سنة ١٠٨٠ م، خلف أباه ملكشاه سنة ١٠٩٢ م. نازعه الملك أمه، وإخوته، وأخواله معظم أيام حكمه. رضي بتقسيم السلطنة سنة ١١٠٤ م. كانت نهاية ملكه بداية انحطاط السلاجقة. توفي سنة ١١٠٥ م.

وسارت «تركان خاتون» من بغداد إلى أصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالأموال فوعدهم، فلما وصلوا إلى قلعة برجين صعد إليها لينزل الأموال منها، فلما استقر فيها عصى على «تركان خاتون» ولم ينزل خوفاً من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيئاً، ولما وصلت «تركان خاتون» إلى أصبهان لحقها تاج الملك واعتذر لها بأن مستحفظ القلعة حبسه وأنه هرب منه إليها، فقبلت عذره.

وأما «بركيارق» فإنه لما قاربت «تركان خاتون» وابنها محمود أصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الري فلقبهم «أرغش» النظامي في عساكره وصاروا يداً واحدة، فلما اجتمعوا حاصروا قلعة «طبرق»<sup>(١)</sup> وأخذوها عنوة، وسيرت «تركان خاتون» العساكر إلى قتال «بركيارق» فالتقى العسكران بالقرب من «بروجرد»<sup>(٢)</sup>، فاجتاز جماعة من الأمراء والذين في عسكر «خاتون» إلى «بركيارق» منهم الأمير «يلبرد» و«كمشكين الجاندار» وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم، وآخر ذي الحجة اشتد القتال فانهزم عسكر «خاتون» وعادوا إلى أصبهان وصار «بركيارق» في أثرهم فحصرها بأصبهان.

وكان تاج الملك في عسكر «خاتون» وشهد الواقعة، فهرب إلى نواحي «بروجرد» فأخذ وحمل إلى عسكر «بركيارق» وهو يحاصر أصبهان، وكان يعرف كفاءته، فأراد أن يستوزره، فشرع تاج الملك في إصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتي ألف دينار سوى العروض فزال ما في قلوبهم، فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه، فوضع الغلمان الأصاغر عنى الاستغاثة وأن لا يقنعوا إلا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه، وفصلوه أجزاء وكان قتله في محرم سنة ٤٨٦ هـ وحمل إلى بغداد إحدى أصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب، وإنما غطى جميع محاسنه مسائلته عنى قتل نظام الملك، وهو الذي بنى تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وعمل المدرسة التي إلى جانبها، ورتب بها الشيخ أبا بكر الشاشي، وكان عمره حين قتل سبعا وأربعين سنة.

وفي شعبان سنة ٤٨٦ أرسلت «تركان خاتون» إلى إسماعيل بن ياقوت بن داود خال «بركيارق» وابن عم «ملكشاه» تطمعه أن تتزوج به وتدعوه إلى محاربة «بركيارق»، فأجابها إلى ذلك وجمع خلقاً كثيراً من التركمان وغيرهم أصحاب «سرهك ساوتكين» في خيله، وأرسلت إليه «تركان خاتون» «كربوقا» وغيره من الأمراء في عسكر كثير، مدداً له، فجمع «بركيارق»

(١) بروجرد: مدينة إيرانية في لورستان، مشهورة بصناعة السجاد.

(٢) طبرق: مدينة ليبية فيها مرفأ في محافظة درنة قرب الحدود المصرية. كانت موقعاً عسكرياً في الحرب العالمية الثانية.

عساكره وسار إلى حرب خاله إسماعيل، فالتقوا عند الكرج فانحاز الأمير «يلبرد» إلى «بركيارق» وصار معه فانهزم إسماعيل وعساكره وتوجه إلى أصبهان، فأكرمته «تركان خاتون» وخطبت باسمه وضربت اسمه على الدنانير بعد ابنها محمود بن «ملكشاه» وكاد الأمر في الوصلة يتم بينهما، فامتنع الأمراء عند ذلك لا سيما الأمير «أنز» وهو مدبر الأمر ورئيس الجيش وآثروا خروج إسماعيل عنهم، وخافوه وخاف هو أيضاً منهم، ففارقهم وأرسل يستأذن أخته «زبيدة» والدة «بركيارق» في اللحاق بهم فأذنت له في ذلك، فوصل إليهم وأقام عندهم أياماً يسيرة، فخلا به «كمشكين الجاندار» و«أقسنقر» و«بوزوان» وبسطوا له في القول فأطلعهم على سره وأنه يريد السلطنة وقتل «بركيارق» فوثبوا عليه فقتلوه وأعلموا أخته خبره فسكتت عنه.

وفي سنة ٤٨٦ هـ [هـ] أرسلت «تركان خاتون» جيشاً مع الأمير «أنز» لقتال «توران شاه بن قاورت بيك» حاكم بلاد فارس فسار إليه وحاربه وأخذ أكثر بلاده وبقي حاكماً عليها، ولما لم يحسن الأمير «أنز» تدبير بلاد فارس استوحش منه الأجناد واجتمعوا مع «توران شاه»<sup>(١)</sup> وهزموا «أنز»، ومات «توران شاه» بعد الكسرة بشهر من سهم أصابه فيها.

وبقيت «تركان خاتون» في عز ورفعة ومنعة لم يقدر عليها أحد من الملوك والسلاطين، وطالما حاول «بركيارق» إزلالها وأخذ السلطنة منها فلم يقدر عليها، وذلك من كثرة حكمتها وكرمها وحسن إدارتها فإن جميع الأمراء كانت تحبها وتسعى في خدمتها إلى أن توفيت في رمضان سنة ٤٨٧ هـ [هـ] بأصبهان.

وكانت قد برزت من أصبهان لتسير إلى تاج الدولة «تتش»<sup>(٢)</sup> لتتصل به فمرضت وعادت وماتت، وأوصت إلى الأمير «أنز» وإلى الأمير «سرمز» شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة أصبهان ومعها عشرة آلاف فارس أترك وكان لها جملة آثار مثل: بناء مساجد وأضرحة، ومداوس، وبیمارستانات وخلاف ذلك في جميع أنحاء المملكة، وأسف الناس عليها أسفاً شديداً تغمدها الله برحمته.

### تقية ابنة أبي الفرج

ذكرها الحافظ السلفي في تعليقه وأثنى عليها وأخذت عنه العلم بشعر الإسكندرية وفاقت

(١) توران شاه بن أيوب المتوفى سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م. أمير أيوبي، أخو صلاح الدين الأكبر.

(٢) تش: أوتاج الدولة المتوفى سنة ١٠٩٥ م. ابن ألب أرسلان السلجوقي. حكم الشام سنة ١٠٧٩ م حاول الوصول إلى العرش بعد وفاة أخيه ملكشاه. حارب الأمراء مناصري بركياروق بن ملكشاه، وأخضع آمد والموصل، وقتل أقسنقر حاكم حلب سنة ١٠٩٤ م، قتله بركياروق.

الرجال فيه ولها زيادة على ذلك الباع الطولى في الشعر والأدب ولطائفها الأدبية مع الحافظ المذكور كثيرة منها أنه كان ماراً بمنزله، فعثر فجرح قدمه فقطعت جارية من الدار قطعة من خمارها وعصبت بها قدمه فأنشأت تقيه تقول:

لو وجدت السبيل جدت بخدي عوضاً عن خمار تلك الوليدة  
كيف لي أن أقبل اليوم رجلاً سلكت دهرها الطريق الحميدة

ومن غرائبها في الأدب أنها مدحت الملك المظفر بن أخي السلطان صلاح الدين بقصيدة خمرية. فقال مماًزحاً: أتعرف الشيخة هذه الأحوال من صباها؟ فبلغها ذلك فنظمت قصيدة أخرى حربية وصفت فيها الحرب وما تتعلق به أحسن وصف وبعثتها إليه وقالت: علمي بهذا كعلمي بذاك وهي في القرن السادس من الهجرة.

### تماضر الشهيرة بالخنساء<sup>(١)</sup>

هي ابنة عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة. وقيل: تهبة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر، وتكنى أم عمرو، وإنما الخنساء لقب غلب عليها وهي الظبية وكان دريد بن الصمة<sup>(٢)</sup> رآها يوماً وهي تهنأ جملأ فعلق بها وقال فيها:

حيوا تماضر واربعوا صحبي وقفوا فإن وقوفكم حسبي  
أخناس قد هام الفؤاد بكم وأصابه تبل من الحب

وخطبها بعد ذلك إلى أبيها فقال له أبوها: مرحباً بك يا أبا قرّة إنك لكريم لا يظعن في حسبه واليد لا تردّ عن حاجته ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها وإنما أذكرك لها ثم دخل عليها وقال: يا خنساء، أتاك فارس هوازن وسيد بني جشم دريد بن الصمة يخطبك وهم ممن تعلمين، ودريد يسمع قولها فقالت: يا أبت، أتراني تاركة بني عمي مثل عمي الذي أرى وناكحة شيخ بني جشم هاته اليوم أو غداً وأنشأت تقول:

(١) للاستزادة يراجع: شرح الشواهد (٩١). معاهد التنصيص (١: ٣٤١). الأعلام (١٢٣١). المنثور (١٠٩). الشريشي (٢: ٢٣٣). أعلام النساء (١: ٣٠٥). حسن الصحاح (١٩٤١). الأعلام (١: ٢٠٨). جمهرة الأنساب (٢٤٩).

(٢) هو دريد بن الصمة الجشمي البكري، من هوازن، شجاع، من الأبطال، الشعراء، المعروفين في الجاهلية، كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزاه نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها، عاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، وأدرك الإسلام، ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم بدر، وكانت هوازن خرجت لقتال المسلمين فاستصحبته معها تيمناً به، وهو أعمى، وأما جشم بن الصمة، فدركه ربيعة بن رفيع السلمى فقتله. الصمة لقب أبيه معاوية بن الحارث



أتخطبني هبلت على دريد      وتطرد سيداً من آل بدرِ  
معاذ الله ينكحني خبر كي      يقال أبوه من چشم بن بكرِ  
ولو أمسيت في چشم هديا      لقد أمسيت في دنس وفقرِ

فخرج إليه أبوها فقال: يا أبا قرّة، قد امتنعت ولعلها أن تجيب فيما بعد فقال دريد:

سمعت ما دار بينكما وانصرف غضبان وقال يهجو الخنساء:

لمن طلل بذات الخمس أمس      عفا بين العقيق فبطن خرسِ  
أشبهها غمامة يوم دجن      تبالأ برقها أو ضوء شمسِ

وهي طويلة أضربنا عنها فقيل للخنساء: ألا تجيبه؟ فقالت: لا أجمع عليه أن أردّه

وأهجوّه، ولما ردت دريداً خطبها رواحة بن عبد العزيز السلمي فولدت له عبد الله، ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر فولدت له يزيد ومعاوية وبنّتاً اسمها عمرة.

حكى بعضهم أنه لما كانت ليلة زفاف عمرة كانت أمها جالسة ملتفة بكساء أحمر وقد هرمت وهي تلحظ ابنتها لحظاً شديداً فقال القوم: يا عمرة، ألا تحرّشت بأملك فإنها الآن تعرف بعض ما أنت فيه، فقامت عمرة تريد شيئاً، فوطأت على قدمها وطأة أوجعتها فقالت لها وقد اغتاظت: حسن إليك يا حنفاء كأنما تطئين أمة ورهاء أنا كنت أكرم منك عرساً، وأطيب ورساً، وذلك زمان إذ كنت فتاة أعجب الفتيان، لا أذيب الشحم ولا أرعى البهم، كالمهرة الصنع لا مضاعة ولا عند مضيع، فضحك القوم من غيظها.

وكانت الخنساء من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم وهي تعدّ من الطبقة الثانية في الشعراء، وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر. وكان معاوية أخاها لأمها وأبيها، وكان صخر أخاها لأبيها وأحبهما إليها واستحق صخر ذلك منها لأنه كان موصوفاً بالحلم مشهوراً بالجود معروفاً بالتقدم والشجاعة، محظوظاً في العشيرة وأجمل رجل في العرب، فلما قتل جلست الخنساء على قبره زماناً طويلاً تبكيه وترثيه وفيه جل مراثيها، وكانت في أول أمرها تقول البيتين أو الثلاثة حتى قتل أخوها معاوية وصخر وقد أجمع الشعراء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها.

وقيل لجرير<sup>(١)</sup>: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: أنا لولا هذه الخبيثة - يعني الخنساء - قال

(١) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبى اليربوعي، من تميم، أشهر أهل عصره. ولد سنة ٢٨ هـ/٦٥٠ م في اليمامة. عاش عمره كله يناضل شعراء زمانه ويساجلهم وكان هجاءً مُرّاً، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. وكان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً. كان يكنى بأبي حَزْرَةَ مات في اليمامة سنة ١١٠ هـ/٧٢٨ م.

بشار<sup>(١)</sup>: لم تقل امرأة قط شعراً إلا تبين الضعف في شعرها. فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ قال: تلك فوق الرجال. وكان الأصمعي<sup>(٢)</sup> يقدم ليلي الأخيلية<sup>(٣)</sup> عليها.

قال المبرد<sup>(٤)</sup>: كانت الخنساء وليلى فائقتين في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول، وكان النابغة الذبياني يجلس للشعراء في سوق عكاظ<sup>(٥)</sup> وتأتيه الشعراء فتنشده أشعارها فأنشدته الخنساء في بعض المواسم قصيدتها الرائية التي في أخيها صخر، فأعجبه شعرها وقال لها: اذهبي فأنت أشعر من كانت ذات ثديين، ولولا هذا الأعمى أنشدني قبلك - يعني الأعشى<sup>(٦)</sup> - لفضلتك على شعراء هذا الموسم فإنك أشعر الإنس والجن، وكان ممن عرض شعره في ذلك الموسم حسان بن ثابت<sup>(٧)</sup> فغضب وقال: أنا أشعر منك ومنها. فقال: ليس الأمر كما ظننت،

(١) هو بشار بن بُرد العُقيلي، بالولاء، أبو معاذ، أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من ضارستان غربي نهر جيحون ونسبته إلى امرأة عقيلية قيل إنها أعتقت من الرق. وكان ضريباً. ولد سنة ٩٥ هـ/ ٧١٤ م. نشأ في البصرة وقدم بغداد. أدرك الدولتين الأموية والعباسية. شعره كثير منتزق من الدرجة الأولى. توفي سنة ١٦٧ هـ/ ٧٨٤ م.

(٢) هو عبد الملك بن قُريب علي بن أطمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب. أخذ أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أضمع. مولده في البصرة سنة ١٢٢ هـ/ ٧٤٠ م. كان نشر التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافئ عليها بالعطايا الوافرة. كان الرشيد يسميه: «شيطان الشعر». كان يقول: إنني أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

(٣) هي ليلي بن عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب، الأخيلية، من بني عامر بن صعصعة شاعر فصيحة ذكية جميلة. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. قال لها عبد الملك بن مروان: ما رأيك منك توبة حتى عشقك؟ فقالت: ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفة. وفدت على حجاج بن يوسف عدة فكان يكرمها ويقربها. طبقتها في الشعر تلي طبقة الخنساء. كان بينها وبين لسانة بنت جهم مهاجرة. ماتت في ساوة ودفنت بها سنة ٨٠ هـ/ ٧٧٠ م.

(٤) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي، أبو العباس المعروف بـ«السيد». ولد سنة ٢١٠ هـ/ ٨٢٦ م في البصرة. إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب. الأندلسي. توفي في بغداد سنة ٢٨٦ هـ/ ٨٩٩ م.

(٥) عكاظ: قال الليث سمي عكاظ عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيه، فيعكظ بعضهم بعضاً. (يدعك) وهو اسم لسوق من أسواق العرب في الجاهلية. كانت قنادل العرب تجتمع في سوق عكاظ سنة ويتفاحرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون. معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٠٠.

(٦) هو عامر بن الحارث بن رباح الباهلي، المعروف بـ«الأعشى» من بني عامر بن صعصعة. شعره مشهور، وقصده قحطان، أشهر شعره رائية له في رثاء أخيه لأمه المنشور في «الديوان».

(٧) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عدوس، أم عبد الحميد، الأصمعي، الحجازي، شاعر الرسول ﷺ، المتوفى سنة ٥٤ هـ، وله من العمر ١٢٠ سنة، عاش ٦٠ سنة من عمره في الجاهلية و٦٠ سنة في الإسلام، مخضرم، كانت له نامية يسدلها بين عينيه، وكان يقصد بسنانه روثه أنه من طوله، كان شديد الهجاء فحل الشعراء، قال المبرد في الخامل في التاريخ، الأدب، وأعرق قوم ذاب في الشعر آل حسان.

ثم التفت إلى الخنساء . وقال : يا خناس خاطبيه ، فالتفتت إليه الخنساء وقالت : ما أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفاً؟ قال قولي فيها :

لنا الجففات الغرّ يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقال : ضعفت افتخارك وأندرته في ثمانية مواضع في بيتك هذا . قالت : قلت لنا : الجففات<sup>(١)</sup> والجففات ما دون الغر ، ولو قلت : الجفان لكان أكثر ، وقلت : الغرّ ، والغرة : بياض في الجبهة ، ولو قلت : البيض لكان أكثر اتساعاً ، وقلت : يلمعن ، واللمع : شيء يأتي بعد شيء ، ولو قلت : يشرقن لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان . وقلت : بالضحى ولو قلت : بالدجى لكان أكثر إطراقاً ، وقلت : أسياف ، والأسياف : ما دون العشرة ، ولو قلت : سيوفاً لكان أكثر ، وقلت : يقطرن ، ولو قلت : يسلن لكان أكثر ، وقلت : دماً ، والدماء : أكثر من الدم .

فسكت حسان ولم يردّ جواباً وكان في أثناء ذلك ظهور الإسلام ، فقدمت الخنساء على رسول الله ﷺ فأسلمت واستنشدتها فأنشدته فأعجب بشعرها وهو يقول : «هيه يا خنساء»<sup>(٢)</sup> . ثم انصرفت .

وقيل : إن عمر بن الخطاب سألها ما أقرح ماقي عينيك؟ قالت : بكائي على السادات من مضر . قال : يا خنساء ، إنهم في النار . قالت : ذاك أطول لعويلي عليهم إني كنت أبكي لهم من الثأر ، وأنا اليوم أبكي لهم من النار . وقيل : إنها أقبلت في خلافته حاجة ، فنزلت بالمدينة بزي الجاهلية فقام إليها عمر في أناس من الصحابة فدخل عليها فإذا هي كما وصفت له فعذلها ووعظها ، وقال لها : إن الذي تصنعين ليس صنع الإسلام ، وإن الذين تبكين هلكوا في الجاهلية وهم أعضاء اللهب وحشو جهنم . فقالت : اسمع مني ما أقول في عدلك إياي ولومك لي فقال : هات ، فأنشدته من شعرها في أخويها فتعجب من بلاغتها . وقال : دعوها فإنها لا تزال حزينه أبداً .

وقيل : إنها أتت عائشة فنظرت إليها وعليها الصدار وهي محلوقة الرأس تدب من الكبر على عصي فقالت لها عائشة : أخناس؟ فقالت : لبيك يا أماء ، قالت : أتلبسين الصدار وقد نُهي عنه في الإسلام؟ فقالت : لم أعلم بنهيه . قالت : ما الذي بلغ بك ما أرى؟ قالت : موت أخي صخر . قالت عائشة : ما دعاك إلى هذا إلا صنائع من جميله ، فصفها لي . قالت : نعم ، إن لشعاري سبباً ، وذلك أن زوجي كان رجلاً متلاًفاً للأموال يقامر بالقداح ، فأتلف فيها ماله حتى بقينا على غير شيء فأراد أن يسافر فقلت له : أقم وأنا آتي أخي صخرأ فأسأله ، فأتيته ، فشكوت

(١) الجففات : الخمرة . [القاموس المحيط ، مادة : جفن] .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الشعر : ١) .



وقولها في أخويها:

من حس بالأخوين كال  
قرمىـن لا يتظالمـا  
ويلي على الأخوين والـ  
رمحين خطيين في  
ما خلفا إذ ودعا  
سارا بغير تكلف

وقولها ترثي أباها معاوية:

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية  
بداهية يصغي الكلاب حسيها  
ألا لا أرى كالفارس الورد فارساً  
وكان لزاز الحرب عند شبوبها  
بلينا وما تبلى نضار وما ترى  
فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي

وقولها أيضاً فيه وكان مقتله في بني مرة:

ألا ما لعينك أم مالها  
أبعد ابن عمرو من آل الشريد  
وأقسمت آسي على هالك  
سأحمل نفسي على آلة  
نهين النفوس وهون النفو  
ورجاجة فوقها بيضها  
ككر فثة الغيث ذات الصبيد  
وقافية مثل حد السنا  
نطقت ابن عمرو فسهلتها  
فإن تك مرة أودت به  
تزول الكواكب من فقهه

وأما مرثيها في أخيها صخر فكثيرة جداً كما قلنا وأشهر ما قالت فيه قولها عندما مات:

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل  
دراك ضيم وطلاب بأوتار

مركب في نصاب غير خوَارِ  
وما أضاءت نجوم الليل للساوي  
وشمروا إنها أيام تشارِ  
وكل حيّ إلى وقت ومقدارِ

وأذكره لكل غروب شمسٍ  
على موتاهم لقتلت نفسي  
أعزي النفس عنه بالتأسي

ألا تبكيان لصخر الندا  
ألا تبكيان الفتى السيدا  
د ساد عشيرته أمرداً<sup>(١)</sup>  
إلى المجد مدّ إليه يدا  
إلى المجد ثم مضى مسعدا  
وإن كان أصغرهم مولدا  
يرى أفضل المجد أن يحمدا  
تأزر بالمجد ثم ارتدى

أم أفقرت إذ خلت من أهلها الدار  
ودونه من جديد التراب أسداً  
والدهر في صرفه حول أطراف  
أهل الموارد ما في ورده عداً  
له سلاحان أنياب وأظفار  
لها حنينان إصغاء وإبصار  
فإنما هي إقبال وإدبار  
فإنما هي تحنان وتسجار

قد كنت تحمل قلباً غيره مؤتشب  
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة  
شدوا المآزر حتى تستعاد لكم  
وابكوا فتي الحيّ لاقتة منيته  
وقولها:

يذكرني طلوع الشمس صخراً  
ولولا كثرة الباكين حولي  
وما سيكون مثل أخي ولكن  
وقولها:

أعيني جوداً ولا تجمدا  
ألا تبكيان الجريء الجميل  
طويل النجاد رفيع العما  
إذا القوم مدّوا بأيديهم  
فقال الذي فوق أيديهم  
يحمله القوم ما عالهم  
ترى المجد يهدي إلى بيته  
وإن ذكر المجد ألفتة  
وقولها:

قذى بعينيك أم بالعين أعور  
تبكي لصخر العبرى وقد ذرفت  
لا بدّ من موة في صرفها غير  
يا صخر وارد ماء قد تناذره  
مشى السبتى<sup>(٢)</sup> إلى هيجاء معضلة  
فما عجول على بوّ تطيف به  
ترعى إذا نسيت حتى إذا ذكرت  
لا تسمن الدهر في أرض وإن رتعت<sup>(٣)</sup>

- (١) الأمرد: الشاب طرّ شاربه ولم تثبت لحيته. [القاموس المحيط، مادة: مردا].  
(٢) السبتى: الجريء المقدم، النمر. [القاموس المحيط، مادة: سبت].  
(٢) رتع: أقام في المكان وتنعم وأكل فيه وشرب ما شاء في خصب وسعة. [القاموس، مادة: رتع].

يوماً بأوجد مني يوم فارقني  
 فإن صخرأ لوالينا وسيدنا  
 وإن صخرأ التأم الهداة به  
 لم تره جارة يمشي بساحتها  
 ولا تراه وما في البيت يأكله  
 مثل الرديني لم تنفد شببته  
 في جوف رمس مقيم قد تضمَّنه  
 طلق اليدين لفعل الخير ذو فخر  
 في رفقة حار حاديهم بمهلكة  
 كان دمعي لذكراه إذا خطرت  
 تبكي خُنَّاس<sup>(٤)</sup> على صخر وحق لها  
 وتوفيت الخنساء<sup>(٥)</sup> في البادية في خلافة معاوية بن أبي سفيان رحمة الله عليها.

### تماضر زوجة زهير

كانت من بنات بني عبس الأكبر الذين ورثوا المجد كابرأ عن كابر، تزوجت بالملك زهير العبسي على محبة ووافق وزادت به شرفاً ومقاماً وإجلالاً وإكراماً، وولدت له جملة أولاد نجباء، منهم: قيس، ومالك ابنا زهير، وزوجها زهير ملك بني عبس، ولها رثاء قليل في ولدها مالك قتله حذيفة بن بدر<sup>(٦)</sup>، ومن قولها:

كأن العين خالطها قذاها  
 على ولد وزين الناس طراً  
 لئن حزنت بنو عبس عليه  
 لغيبتكم فلم تعط كراها  
 إذا ما النار لم تر من صلاها  
 فقد فقدت بنو عبس<sup>(٧)</sup> فتاها

(١) نَحَار: كثير النحر أي الذبح وهذا دليل الكرم والغنى. [القاموس المحيط، مادة: نحر].

(٢) الدسيعة: العطية الجزيلة، المائدة الكريمة. [القاموس المحيط، مادة: دسع].

(٣) الطُخِيه، الطُخِيه، الطُخِيه: القطعة من السحاب، [القاموس المحيط، مادة: طخا].

(٤) خُنَّاس: ترخيم الخنساء، تحبياً.

(٥) كانت وفاتها سنة ٢٤ هـ / ٦٤٥ م.

(٦) هو حذيفة بن بدر، يضرب به المثل في سرعة السير. كان في عصر المنذر بن ماء السماء، في

الجاهلية، قيل: سار في ليلة مسيرة ثمانين ليالٍ، فُضِرْب به المثل.

(٧) بنو عبس: بطن من غطفان من العدنانية، وهم بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، كان له من

الولد قطيعة وورقة. منهم زهير بن قيس صاحب حرب داحس والغبراء.

فمن للضيف إن هبت شمال  
أسيدكم وحاميكم تركتم  
نرى الشم الجحاجح<sup>(١)</sup> من بغيض  
فتركها إذا اضطربت بطعن  
حذيفة لا سقيت من الغوادي  
كما أفجعتني بفتى كريم  
فدمعي بعده أبداً هطول  
مزعزعة يجاوبها صداها  
على الغبراء منهدماً رحاها  
تبدد جمعها يوماً رآها  
وينهبها إذا اشتجرت<sup>(٢)</sup> قناها  
ولا روتك هاطلة<sup>(٣)</sup> نداها  
إذا وزنت بنو عبس وفاها  
وعيني دائم أبداً بكاهها

### تنوسة جارية عليّة بنت المهدي العباسي<sup>(٤)</sup>

كانت ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، وأدب ما له مثال. تعلمت الغناء حتى صارت أحسن المغنين والمغنيات، وساعدها على ذلك صوتها وحدة ذهنها وشدة استحضارها. وكانت تختلف إلى الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر<sup>(٥)</sup> وترتاح لمنادمتها، وهو يشاقق لسماع صوتها.

وقيل: إن محمد بن عبد الله جلس يوماً في مجلس أنسه وكان عنده صديقه الحسن بن محمد بن طالوت، وكان أخص الناس به فقال له: لا بد لنا في يومنا هذا من ثالث نطيب بمعاشرته، ونلتذ بصحبته ومؤانسته حتى نسمع صوت «تنوسة» فمن ترى أن يكون ظاهر الأعراق غير دنس الأخلاق، فأعمل فكره الحسن وأمعن نظره وقال: أيها الأمير قد حضر بياني

- (١) الجحاجح: السيد المسارح إلى الكرم. [القاموس المحيط، مادة: جح.]
- (٢) اشتجرت: اشتجر القوم أي تشاجروا. [القاموس المحيط، مادة: شج.]
- (٢) هاطلة: المطر نزل متتابعاً متفرقاً عظيم القطر. [القاموس المحيط، مادة: هظ.]
- (٤) هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، أم عبد الله، الملقب بـ «تنوسة»، من آل أبي طالب، ولد في كربلاء سنة ١٢٧ هـ - ١٤٤ م، وتوفي في بغداد سنة ١٥٨ هـ. أقيم في الخلافة عشر سنين وشهيداً، مات في سنة ١٥٨ هـ. كان محمود السيرة والعهد، محبباً إلى الرعية حسن الخلق والخلق، حريصاً على العدل والبر، كان يفتي بالسيوف المصلنة والقسى، والشباب، والعمد، وهو أول من لعب بكرة القدم في زمانه. له شعر في الرصافة، وتربته بها، انمحي أثر الجامع والتربة بعد ذلك.
- (٥) هو محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي، أم العباس، ولد سنة ٢٠٩ هـ - ٨٢٤ م، أمير حرم، من آل أبي طالب، من بيت مجد ورياسة. ولي نيابة بغداد في أيام المتوكل العباسي، توفي بها سنة ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م. له في فتنه «المعتز بالله» أخبار كثيرة. كان قاصداً أدبياً حوادياً، قال الخليل البغدادي: كان مألفاً لأهل العلم والأدب. قال الشافعي: لما مات محمد بن عبد الله بن طاهر، وجد «المعتز» عليه وكان يرى أن الآء الك بهاء له من أجله، وشاه.



رجل ليست علينا في مجالسته كلفة قد خلا من إبرام المجالسة وبرئ من ثقل المؤانسة خفيف الوقفة إذا أحببت، سريع الوثبة إذا أمرت. قال: ومَنْ ذاك؟ قال: «مان الموسوس»<sup>(١)</sup>. قال: أحسنت والله فتقدم إلى أصحاب الأرباع بطلبه، فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب ربع الكرخ<sup>(٢)</sup> فسار به إلى باب الأمير فأدخل الحمام وأخذ من شعره، وألبس ثياباً نظافاً، ثم أدخل عليه فقال: السلام عليك يا أمير. فقال: عليك السلام يا «مان»، ألم يأن أن تزورنا على حين توقان منا إليك، ومنازعة قلوبنا نحوك. فقال «مان»: الشوق شديد، والمزار بعيد، والحجاب عتيد، والبواب فظ عنيد ولو سهل الإذن لسهلت علينا الزيارة. قال: لقد ألطفت في الاستئذان، فلا تمنع في أيّ وقت جئت من ليل أو نهار، ثم أذن له فجلس، ثم دعا له بالطعام فأكل، ثم غسل يديه وأخذ مجلسه. وكان محمد قد تشوّق إلى السماع من «تنوسة» جارية ابنة المهدي، فأحضرت فكان أول ما غنت:

ولست بناس إذ غدوا فتحملوا دموعي على الأحباب من شدة الوجد

وقولي وقد زالت بليل حملهم بواكر تخدى لا يكن آخر العهد

فقال «مان»: أحسنت والله، ألا زدت فيه:

أقمت أناجي الفكر والدمع حائر بمقلة موقوف على الجهد والضدّ

ولم يعدني هذا الأمير بعزه على ظالم قد لج في الهجر والبعد

فاندفعت تغنيه، فرق محمد بن عبد الله له وقال: أعاشق أنت يا «مان»؟ قال: فاستحيا

وغمزه ابن طالوت أن لا ييوح له بشيء فيسقط من عينه فقال: بل هلع، وطرب أعز الله الأمير

وشوق كان كامناً فظهر وهل بعد المشيب من صبوة، ثم اقترح محمد على «تنوسة» هذا

الصوت من شعر أبي العتاهية<sup>(٣)</sup>:

(١) هو محمد بن القاسم، أبو الحسن، المعروف بـ«ماني الموسوس» شاعر كان من أظرف الناس وأطفهم، من أهل مصر. رحل إلى بغداد أيام المتوكل العباسي.

(٢) الكرخ: هو تجمّع التجار أو السوق وقد بُني بأمر من المنصور. معجم البلدان، ج ٤/ص ٥٠٨.

(٣) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي، من قبيلة عنزة بالولاء، أبو إسحاق الشهير بـ«أبي

العتاهية»، شاعر مكثر سريع الخاطر، في شعره إبداع. كان ينظم المائة والمائة وخمسون بيتاً في اليوم، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره في سبيل. وهو يُعدّ من مقدّمي المولدين، من طبقة بشار،

وأبي نواس وأمثالهما. كان جيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره. ولد في عين

التمر بقرب الكوفة سنة ١٣٠ هـ/٧٤٨ م. نشأ في الكوفة، وسكن بغداد. وكان في بدء أمره يبيع

الجرار ثم اتّصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم. وهجر الشعر مُدّة، فبلغ ذلك المهدي العباسي،

فسجنه ثم أحضره إليه وهدد بالقتل أو يقول الشعر، فعاد إلى نظمه، فأطلقه. توفي في بغداد سنة

٢١١ هـ/٨٢٦ م.

حجبوها عن الرياح لأنني قلت يا ريح بلغها السلاما  
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرحيل الكلاما

فغنته فطرب محمد، ثم دعا برطل فشربه فقال «مان»: ما على قائل هذا الشعر لو زاد

فيه:

فتنفست ثم قلت لطيفي آه لو زرت طيفها إماما  
خصها بالسلام سترأ وإلا منعوها لشقوتي أن تناما

فكان أبعث للصبابة بين الأحشاء وألطف تغلغلاً على كبد الظمآن من زلال الماء مع  
حسن تأليف نظامه وانتهائه إلى غاية تمامه قال محمد: أحسنت والله يا «مان»، ثم أمر «تنوسة»  
بإلحاقها هذين البيتين بالأولين ففعلت ثم غنت هذين البيتين من شعر أبي نواس<sup>(١)</sup>.

يا خليلي ساعة لا تريما وعلى ذي صبابة فأقيما  
ما مررنا بدار زينب إلا فضح الدمع سرنا المكتوما

فاستحسنه محمد فقال «مان»: لولا رهبة التعدي لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا  
يردان على سمع ذي لب إلا صد استحسنانه لهما. فقال محمد: الرغبة فيما تأتي به حائلة دون  
كل رهبة فهات ما عندك فقال:

ظبية كالغزال لو تلحظ الصخر وإذا ما تبسمت خلت ما تبدى  
قال محمد: أحسنت والله فأجز:

لم تطب اللذات إلا لمن غنت بصوت أطلقت عبرة  
فقال «مان»:

وكيف صبر النفس عن غادة وتظلمها إن قلت طء وساء  
وجرت إن شبهتها بانه في جنة الفردوس مع الساء

ثم سكت، فقال محمد: فأعد لي وصفك لها، فقال:

(١) هو الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح الحكمي، بالولاء، أمه نواس شامة لعراق في عهد هارون  
ولد في الأهواز من بلاد خوزستان سنة ١٤٦ هـ/٧٦٣ م. نشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فتعبر فيها  
بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، ومدح أمراء  
الخصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها سنة ١٩٨ هـ/٨١٤ م. كان حذو مولاهم المصاحح من  
عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه

وغير عدل إن قرنا بها      جوهرة في التاج مغروسه  
جلت عن الوصف فما فكرة      تلحقها بالنعمة محسوسه

فقالت «تنوسة»: وجب علينا يا «مان» شكرك، فساعدك دهرك، وعطف عليك الفك،  
وقارنك سرورك، وفارقك محذورك، والله تعالى يديم لنا السرور ببقاء من ببقائه اجتمع شملنا  
فأنشأ يقول:

ليس لي إلف فيقطعني      فارقت نفسي الأباطيلُ  
أنا موصول بنعمة من      حبله بالحمد موصولُ  
أنا مشمول بمنّة من      منه في الخلق مبذولُ  
أنا مغبوط بزورة من      ربه بالمجد مأهولُ

فأوماً إليه ابن طالوت بالقيام فنهض وهو يقول:

ملك عز النظير له      زانه الغرّ البهاليلُ  
طاهري في مركبه      عرفه للناس مبذولُ  
دم من يشقى بصارمه      مع هبوب الريح مطلولُ

فقال محمد: وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سلفت منا إليك، ثم أقبل على ابن  
طالوت فقال: يا هذا، ليس خسارة ثوب المرء واتضاع المنظر ونبوّ العين بمذهب جوهر  
الأدب المركب فيه والله در صالح بن عبد القدوس حيث يقول:

لا يعجبك من يصون ثيابه      حذر الغبار وعرضه مبذولُ  
فلربما افتقر الفتى فرأيته      دنس الثياب وعرضه مغسولُ  
ثم قال وهو واقف:

مدمن التحقيق موصول      ومطيل اللبث مملولُ

فأنا استودعكم الله، ثم انصرف فأمر له محمد بن عبد الله بصلة سنية قال ابن طالوت:  
فما رأيت أحداً أحضر ذهنأ منه إذ تقول له الجارية عطف عليك الفك فينفها بقوله: ليس لي  
إلف فيقطعني البيت. قال: ولم يزل محمد مجرياً عليه رزقاً سنياً إلى أن مات، وبقيت  
«تنوسة» معززة مكرمة في منزل عليّة ابنة المهدي إلى أن ماتت بعدما عمرت ولم يتغير شيء من  
صوتها وجمالها.

## حرف الثاء

### ثبيته ابنة الضحاک بن خليفة الأنصارية الأشهلية

ولدت على عهد رسول الله ﷺ وكانت على جانب عظيم من الجمال والكمال، واللطافة والأدب، وعزة النفس. وكان يضرب بها المثل في الجمال بين نساء العرب، وكانت كلما خرجت من منزلها تتمايل إليها الأنظار وتهوى إليها القلوب بالأبصار وكان مرة سهل بن أبي حثمة ماراً في الطريق فرأى محمد بن مسلمة<sup>(١)</sup> يطارد ثبيته بنظره فقال له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ. فقال: نعم، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ألقى الله عز وجل في قلب رجل خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها»<sup>(٢)</sup>. ومن ذلك يتضح أن من أراد الخطبة فله أن ينظر مخطوبته قبل زواجه بها، وبقيت ثبيته محط أنظار شبان الصحابة حتى تزوجت وهي في غاية العفة والصيانة ولم يمدد إليها أحد يده بسوء، ولها صحبة حسنة وأحاديث نبوية.

### ثبيته ابنة مرداس بن قحطان العنبري

كانت من شاعرات العرب وكرمائهن اللاتي يضرب بهن المثل، وكان زوجها كريماً، يوجد أكرم منه في زمانه.

قيل: إنه أتاه أخو امرأته يوماً فأعطاه بعيراً من إبله وقال لامرأته: هاتي حبلاً يقرب به ما أعطيناه إلى بعيره، ثم أعطاه بعيراً آخر، وقال: هاتي حبلاً، ثم أعطاه ثالثاً فقال: هاتي حبلاً، فقالت: ما بقي عندي حبلى. فقال: علي الجمال، وعليك الحبال. فرمت إليه خسارها، وقالت: اجعله حبلاً لبعضها فأنشأ يقول:

(١) هو محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الله الحارثي، من بني لؤي، من بني عبد مناف، من المدينة. ولد سنة ٣٥ ق.هـ/٥١٩ م. شهد بدرًا وما بعده، إلا أنه لم يمت في أحد المعارك. شهد فتح مكة، وفتح المدينة في بعض غزواته. ولاة عمر على صدقات جهته: العباس بن عبد المطلب، وهو شهد فتح مكة، ولا صفين. كان عند عمر معداً لكشف أمره، إلا أنه لم يمت في البلاد. مات بالمدينة سنة ٤٣ هـ/٦٦٣ م.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩: ٢٢٣). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ١٥).

لا تعذليني في العطاء ويسري  
فإني لا تبكي عليّ إفالها  
فلم أر مثل الإبل مالاً لمقتن  
فأجابته فوراً:  
لكل بعير جاء طالبه حبلاً  
إذا شبت من روض أوطانها بقلأ  
ولا مثل أيام الحقوق لها سبلاً

حلفت يميناً يا ابن قحفان بالذي  
تزال جبال المحصدات أعدّها  
فأعط ولا تبخل لمن جاء طالباً  
تكفل بالأرزاق في السهل والجبل  
لها ما مشى منها على خفه جمل  
فبعندي لها خطم وقد زالت العلل

### ثبيته ابنة يعار بن زيد بن عبيد بن

### زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصارية

كانت من المهاجرات الأوائل ومن فاضلات النساء الصحابيات وهي امرأة أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة<sup>(١)</sup> وهي مولاة سالم مولى أبي حذيفة قتل سالم يوم اليمامة.

وكانت ثبيته من النساء الأدبيات العابدات الزاهدات الصابرات على العبادة مشهورة بحسن صحبتها ولها رواية مشوتة عند المحدثين.

### الثريا ابنة عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر<sup>(٢)</sup>

كانت من شهيرات نساء قريش وأبرعهن جمالاً وكمالاً، وكان عمر بن أبي ربيعة مستهماً بها وكانت تصيّف بالطائف، وكان عمر يغدو إليها كل غداة إذا كانت بالطائف على فرسه فيسائل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن أخبارها فلقى يوماً بعضهم فسأل أحدهم عن أخبارهم فقال: ما استطرفنا خبراً إلا أنني سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً على امرأة من قريش اسمها اسم نجم من السماء، وقد سقط عليّ اسمه فقال عمر: الثريا. قال: نعم، وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلة فوجه فرسه على وجهه إلى الطائف يركضه ملء فوجه

(١) هو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، ولد سنة ٤٢ ق.هـ/٥٧٨ م. صاحب، هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة. شهد بدرًا وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها، قُتل يوم اليمامة سنة ١٢ هـ/٦٣٣ م.

(٢) هو عبد الله بن الحارث، بن نوفل الهاشمي، القرشي، ولد سنة ٩ هـ/٦٣٠ م. وإل من أشرف قريش. من أهل المدينة. أمه هند أخت معاوية. كانت ترقصه وتسميه بيّة. كان ورعاً ظاهر الصلاح. ولاء ابن الزبير على البصرة. ولما قامت فتنة ابن الأشعث خرج إلى عُمان هارباً من الحجاج، فتوفي فيها سنة ٨٤ هـ/٧٠٣ م.

وسلك طريق كداء وهي أحسن الطرق وأقربها حتى انتهى إلى الثريا وقد توقعته وهي تتشوق له وتتسوّف، فوجدها سليمة ومعها أختها ررضيا وأم عثمان، فأخبرها الخبر، فضحكت وقالت: والله أنا أمرتهم لأختبر ما لي عندك في ذلك فقال هذا الشعر:

تشكي الكميت الجري لما جهده  
فقلت له أن ألق للعين قرّة  
لذلك أدني دون خيل رباطه  
عدمت إذا وفري وفارقت مهجتي  
وبين لو يستطيع أن يتكلما  
فهان عليّ أن تكلّ وتسأما  
وأوصي به أن لا يهان ويكرما  
لئن لم أقل قرناً إن الله سلّما

وسأل مسلمة بن إبراهيم أيوب بن مسلمة: أكانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة فقال: وفوق الصفة، كانت والله كما قال عبد الله بن قيس:

حبذا الحج والثريا ومن بال  
يا سليمان إن تلاقى الثريا  
درة من عقائد البحر بكر  
خيف من أجلها وملقى الرحال  
تلق عيش الخلود قبل الهلال  
لم يشنها مثاقب اللآلي

وحجت رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية فقال فيها عمر:

أصبح القلب في الحبال رهيناً  
قلت من أتم فصدت وقالت  
نحن من ساكني العراق وكنا  
قد صدقناك إذ سألت فمن أن  
وترى أننا عرفناك بالنع  
بسواد الثنيتين ونعت  
مقصداً يوم فارق الظاعنين  
أمدّي سؤالك العالمين  
قبله قاطنين مكة حين  
ت عسى أن يجرّ شأن شؤون  
ت بظن وما قبلنا يقين  
قد تراه لناظر مستبين

وبلغت الأبيات الثريا فبلغتها إياها أم نوفل فقالت: إنه لوقاح صنع بلسانه، ولئن سمعت له لأردن من شأوه ولأثنين من عنانه، ولأعرّفنه نفسه، وهجرت عمر فلما هجرت قال في ذلك:

من رسولي إلى الثريا فإني  
سلبتني مجاجة المسك عقلي  
وهي مكنونة تحير منها  
أبرزوها مثل المهة تهادي  
ثم قالوا تحبها قلت بهرا  
ضقت ذرعاً بهجها وأحسب  
فسلوها ماذا أحسن غصبي  
في أديم الخدين ماء الشيب  
بين خمس كواعب أتراب  
عدد القطر والحصا، التراب

فلما سمع ابن عتيق قوله: «من رسولي إلى الثريا فإني» قال: إياي أراد وبي نواه، لا جد.

والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص فأصلح بينهما ونهض. قال بلال مولى ابن أبي عتيق: فركب وركبت معه فسار سيراً شديداً فقلت: أبق على نفسك فإن ما تريد ليس يفوتك. فقال ويحك.

أبادر حبل الود أن يتقضباً

وما حلاوة الدنيا إن تم الصدع بين عمر والثريا، فقدما مكة ليلاً غير محرمين، فدق على عمر بابه، فخرج إليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته فقال له: اركب، أصلح بينك وبين الثريا فأنا رسولك الذي سألت عنه، فركب معه وقدموا الطائف وقد كان عمر أرضى أم نوفل، فكانت تطلب له الحيل لإصلاحها فلم يمكنها فقال ابن أبي عتيق للثريا: هذا عمر قد جشمني المسير من المدينة إليك، فجئتك به معترفاً لك بذنب لم يجنه معتذراً من إساءته إليك فدعيني من التعداد والترداد فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون، فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله، ورجعوا إلى مكة فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل وزاد عمر في أبياته فقال:

أرهقت أم نوفل إذ دعيتها مهجتي ما لقاتلي من متاب  
حين قالت لها أجيبني فقالت من دعاني قالت أبو الخطاب  
فاستجابت عند الدعاء كما لبي رجال يرجون حسن الثواب

وكانت أم نوفل دعيتها لابن أبي عتيق ولو دعيتها لعمر ما أجابت:

وأتى عمر الثريا يوماً ومعه صديق له كان يصاحبه ويتوصل بذكره في الشعر، فلما كشفت الثريا الستر وأرادت الخروج إليه رأت صاحبه فرجعت فقال لها: إنه ليس ممن أحشمه ولا أخفي عنه شيئاً واستلقى فضحك، وكان النساء إذ ذاك يتختمن في أصابعهن العشرة، فخرجت إليه فضربته بظاهر كفها فأصابت الخواتم ثنيتيه العليين وكادت أن تقلعهما، فعالجهما، فشفيتا واسودتا، وكان يفتخر بهما ويعدّه أثراً عزيزاً عنده، وواعدت الثريا عمر أن تزوره فجاءت في الوقت الذي ذكرته فصادفت أخاه الحارث قد طرقه، وأقام عنده ووجه به في حاجة له ونام مكانه وغطى وجهه بثوب فلم يشعر إلا بالثريا قد ألقته نفسها عليه تقبله فانتبه وجعل يقول: اعزبي عني فلست بالفاسق، أخزاکما الله. فلما علمت بالقصة انصرفت ورجع عمر فأخبره الحارث بخبرها فاغتم لما فاته منها وقال: أما والله لا تمسك النار أبداً وقد ألقته نفسها عليك. فقال الحارث: عليك وعليها لعنة الله.

وتزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان، وكان عمر بن أبي ربيعة أخرجه مسعدة بن عمر والي اليمن في أمر عرض له وتزوجت الثريا وهو غائب، فلما رجع وجدها نقلت في ذلك اليوم إلى الشام فأتى المنزل الذي كانت فيه وسأل عنها فأخبر أنها رحلت من يومئذ فخرج في أثرها فلحقها في مرحلتين وكانت قبل ذلك مهاجرة لأمر أنكرته عليه، فلما أدركهم نزل عن

فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى متنكراً حتى مر بالخيمة، فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته فقالت لحاضنتها: كلميه، فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه فاعتذر وبكى فبكت الثريا وقالت: ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل فحادثها إلى طلوع الفجر، ثم ودعها وبكىاً طويلاً، وقام فركب فرسه ووقف ينظر إليهم وهم يرحلون ثم أتبعهم بصره حتى غابوا وأنشأ يقول:

يا صاحبي قفا نستخبر الطللا  
فقال بالأمس لما أن وقفت به  
وخادعتك النوى لما رأيتهم  
لما وقفنا نحبيهم وقد صرخت  
صدت بعباداً وقالت للتي معها  
وحدثيه بما حدثت واستمعي  
حتى ترى أن ما قال الوشاه له  
وعرفيه به كالهزل واحتفظي  
فإن عهدي به والله يحفظه  
لو عندنا اعتيب أو نيلت نقيصته  
قلت اسمعي فلقد أبلغت في لطف  
هذا أرادت به بخلاً لأعذرها  
ما سمي القلب إلا من قلبه  
أما الحديث الذي قالت أتيت به  
ما إن أطعت بها بالغيب قد علمت  
إنني لأرجعه فيها بسخطه  
وهي قصيدة طويلة وقال فيها أيضاً:

أيها الطارق الذي قد عناني  
زار من نازح بغير دليل  
أيها المنكح الثريا سهيلاً  
هي شامية إذا ما استقلت  
وكتب إليها يوماً وقد غلبه الشوق:  
كتبت إليك من بلدي  
بعدهما نام ساماً شامياً  
يتخطى إلى حين أنني  
عمرك الله كيف ينتقيان  
وسهيل إذا استقل يمان  
كتاب منه له دم.



كئيب وأكف العينين      بالحسرات منفرد  
 يؤرقه لهيب الشو      ق بين السحر والكبد  
 فيمسك قلبه بيده      ويمسح عينه بيده

وكتبه في قوهية وشنفه وحسنه وبعث به إليها فلما قرأته بكت بكاء شديداً ثم تمثلت :  
 بنفسي من لا يستقل بنفسه      ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع  
 وكتبت إليه تقول :

أتاني كتاب لم ير الناس مثله      أمد بكافور ومسك وعنبر  
 وقرطاسة قوهية ورباطة      بغقد من الياقوت صاف وجوهر  
 وفي صدره مني إليك تحية      لقد طال تهيامي بكم وتذكري  
 وعنوانه من مستهام فؤاده      إلى هائم صب من الحزن مسعر

ولما مات عنها سهيل خرجت إلى الوليد بن عبد الملك<sup>(١)</sup> وهو خليفة بدمشق في قضاء دين عليها فبينما هي عند أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان إذ دخل عليها الوليد فقال : من هذه؟ فقالت : الثريا جاءني أطلب إليك قضاء دين عليها وحوائج لها فأقبل عليها الوليد فقال : أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً؟ قالت : نعم، يرحمه الله كان عفيفاً أروي قوله :

ما على الرسم بالبليين لوبيد      من رجع السلام أو لو أجابا  
 فإلى قصر ذي العشيرة فالطا      نف أمسى من الأنيس يابا  
 إذ فؤادي يهوى الرباب وإني ال      دهر حتى الممات أنسى الربابا  
 وبما قد أرى به حي صدق      ظاهري العيش نعمة وشبابا  
 وحساناً جواريا خفرات      حافظات عند الهوى الأحسابا  
 لا يكثرن في الحديث ولا يت      بعن يغبين بالبهام الظرابا

(١) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان، المولود سنة ٤٨ هـ/٦٦٨ م. أبو العباس من ملوك الدولة الأموية في الشام. ولي بعد وفاة أبيه سنة ٨٦ هـ، فوجه القواد لفتح البلاد وكان موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد من رجاله. امتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند، فتركستان، فأطراف الصين شرقاً، بلغت مسافتها مسيرة ستة أشهر بين الشرق والغرب والجنوب والشمال، كان ولوعاً بالبناء والعمران، كتب إلى والي المدينة بحفر الآبار، وإلى البلدان جميعاً، وأمرهم بإصلاح الطرق. منع المجذومين من الاختلاط بالناس، وأجرى لهم الأرزاق. وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام. وجعل لكل أعمى قائد يتقاضى نفقاته من بيت المال، وأقام لكل مقعد خادماً. وأقام بيوتاً ومنازل يأوي إليها الغرباء. بنى المسجد الأقصى في القدس ومسجد دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموي كانت وفاته بدير مران من غوطة دمشق. ودفن بدمشق سنة ٩٦ هـ/٧١٥ م. وكانت مدة خلافته ٩ سنوات و٨ أشهر.

ففضى حوائجها وانصرفت بما أرادت، فلما خلا الوليد بأم البنين قال لها: لله در الثريا أتدريين ما أرادت بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر؟ قالت: لا. قال: إني لما عرضت لها به عرضت لي بأن أمي أعرابية وأم الوليد وسليمان ولادة بنت العباس بن جزي بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسي، فلما ماتت الثريا أتى الغريض المغني إلى كثير بن كثير السهمي فقال له: قل لي أبيات شعر أنح بها على الثريا فقال له هذين البيتين:

ألا يا عين مالك تدمعينا      أمن رمد بكيت فتكحلينا  
أم أنت حزينه تبكين شجواً      فشجوك مثله أبكى العيوننا

### ثيودورا زوجة الملك بوستينان

هي ابنة «أكاسيوس» القبرصي، حارس الأدباب في الملعب، فلما مات أبوه باتت مع أختيها «كوميتو» و«أنسطاسيا» في حالة فقر يرثى لها وجميعهن صغيرات في السن لا يتجاوز عمر الكبرى سبع سنوات، وكانت «ثيودورا» جميلة حسنة فقيرة فلم تجد سبيلاً للكسب إلا الانخراط في سلك الممثلات، فأعجبت الناس بمهارتها واتخذت خلاناً وبدلت أحياء لتعيش في راحة وهناء.

قيل: إنها كانت في بلاد «بافلاغونيا» فحلمت أنها ستصير امرأة ملك قوي فعادت إلى القسطنطينية مسرعة وتابت واتخذت لها بيتاً عاشت به بالبر والظهارة والتقوى تشتغل بالسن والنهار بأشغال يدوية لتعيش وتساعد المساكين فعلم بها «بوستينان» ونظرها فتيمة هو هو وشغفه جمالها الباهر وأعجبه نشاطها وعفتها، فاقترن بها على رغم مضادة أمه ونسبته والشرائع القديمة التي تحظر على الشريف أن يقترن بعبيدة أو مشاة أو غريبة، أعزى حملاً «بستين» على إصدار أمر يخالف القانون ويبطله ويفتح سبيلاً لتوبة بنت اليهودي واليهودية بالارتقاء إلى أعلى الدرجات وذروة المجد والفخر.

ولما تولى «بوستينان» العرش شارك امرأته بالملك وأحسنه من عرشه مع ما كان عليه القيصري على هامته وهامة «ثيودورا» الممثلة بنت «أكاسيوس» حارسة الأدب والعلوم والملك بتوبتها من هجو العالمين، فرشقتها السنة المبعضين المصادقين سبها الاحقر والتدبير وجهدوا في تذكيرها حالتها الأولى ونكايتها بكل ما كان في هجرتها من مدينة القسطنطينية وعاشت بقصورها وجناتها الواقعة على شاطئ البوسفور، واعتزلت الناس، وانفصلت منهم ما استطاعت وكان زوجها في ابتداء ملكها مريضاً فبالت جهدها في جمع الأمة إلى ما يحبها أن تعيش بها عزيزة بعده مكرمة.

والحق يقال: إن «ثيودورا» كانت امرأة ذكية فاضلة أتت أعمالاً عظيمة مبرورة مشكورة وساعدت زوجها في السياسة أشد المساعدة بآرائها وحكمتها ولكن الشعب اليوناني أبغضها لاتباعها مذهب «أفتيس» ومضاداتها بعض الأساقفة.

وفي حزيران سنة ٥٤٨ [م] ماتت بعلة رديئة كست جسمها بثوراً فتكون مدة ملكها ٢٢ سنة.

ومن أعمالها السديدة ما كان في وقت الثورة المشهورة التي حصلت في القسطنطينية في أيام ملك «بوستينان» وقد اجتمع الملك والوزراء والعظماء حائرين مضطرين يرجون بالهرب خلاصاً فنهضت الملكة «ثيودورا».

وقالت: إنني أحتقر الفرار إلا من الراحة والسلام فإلى الموت مصير الإنسان وحياة الأمراء المالكين كالعدم بعد فقدهم العز والملك فأطلب إلى الله أن لا يجعلني يوماً واحداً عارية من التاج وأدوات الزينة الملكية بل يمتني قبل خلعي وسقوطي عن منصة الفخر والمجد، وإذا اعتمدت أيها الملك على الهرب فجميع وسائله ميسورة لك فهذه خزائنك ملاءى بالذهب والجواهر، وهذا البحر مغطى بالسفن المواخر ولكن خف من يوم تعيش به عيشة دنيئة محتقرة في المنفى.

أما أنا فناهجة منهج القدماء القائلين: إن العرش ضريح مجد، وأحيت هذه المرأة بكلامها وشجاعته شجاعة زوجها فرفض الفرار وعاد إلى التفكير والتدبير، فتيسرت له وسائل إقناع الأقوام بخطئهم فأذعنوا إليه خاضعين وبخضوعهم ذل الآخرون فتمكنت الحكومة من قهرهم وراق الوقت للملك «بوستينان» بسبب مشورة هذه الفاضلة وحسن آرائها.

## حرف الجيم

### جان دارك

وتسمى «لابوسل» وتعرف بالسيدة «أوريان» هي فتاة فرنساوية كانت نقية البشرة، مهفهفة القوام، دعجاء العينين، ذات شعر فاحم مسترسل على كتفيها، يلوح على محياها الصبيح سيما الحياء واللطف والدعة، وتبدو من مخايلها أمارات مضاء العزيمة، وتبعد الهمة، وثبات الجأش، ولطالما امتطت الفرس فسابت عليه وهو غير مسرج ولا مشكوم جراءة وفروسية، وكانت ذات كلام بالغ بين الرشد وأفعال دائرة على محور الاستقامة والصلاح.

ولدت في «دومرمي» من مقاطعة «لورس» سنة ١٤١١ للميلاد من راع يدعى «جان» وكان قد رباه الفقر وهذبه الدين، فنشأت كثيرة الهواجس الدينية، ولما بلغت الخمس سنوات أخذت ترى في هجعتها رؤيا علوية زاعمة أن الملائكة والأولياء تتجلى عليها بمظهر نوراني، فلما أنس أبوها منها ذلك أراها من القسوة والعنف ما حداها إلى الفرار والانطواء إلى أرومة من ربات الفنادق، فأقامت في خدمتها زمناً تبذل عندها من الإخلاص في السعي والإقدام في العمل والعفاف في المسلك ما تذكر به فتشكر، ثم عادت إلى أبيها زمان إذ كانت فرنسا على شفا حفرة من النار والإنكليز يذيقونها من حروبهم ضريع الويل الممزوج بالشند.

وكان قد مر بقريتها فريق من الأعداء فاكتسحوها واستافوا أموالها فقتسموها ونزلت على خاوية على عروشها يندبها لسان الخراب، ويأوي إلى أطلالها الجود والغراب، فصدم فدهم الشفاف ذل قومها وبوارهم وانكسارهم للعدو المنفذي إلى دمارهم، فعدها دنيا الأجلاد، وزعمت أنها مأمورة بالإلهام بإنقاذهم وبلادهم من الهلكة والسعادة، فاستجاب لها صوت الله الحيف والمضرة

وبعد تردد وإعمال روية سارت إلى «شارل» ملك فرنسا، وذلك في شهر شباط سنة ١٤٢٩ ميلادية وكان عليها أن تقطع مسافة ١٥٠ فرسخاً في أقطار مشحونة بدبابنة الإزديت ومحفوفة بالمكاره والأهوال حتى تبلغ مدينة «لوزين» حيث يقام الملك فتتيت يديها من

الملك الملك ١٤٢٩

وعلت جوادها بعد أن تقلدت حساماً بتاراً، واخترقت تلك المهامة حتى إذا أشرفت على مقر الملك بعثت تنبئه بقدمها وتخبره بأنها ستكون منقذة العرش ورافعة الحصار عن «أوليان» وأنها ستمهد سبيل تويجه في «رام»، فلما قدم عليه البشير بذلك النبأ ابتسم ذرياً عن قلب مشحون بالغيظ، ثم استمر مع وزرائه في شأنها ثلاثة أيام، فكان فريق يسخر منها ويضحك عليها، وفريق يذود عنها ويرى إلقاء المقاليد إليها والملك بين ذلك من حزب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء حتى أسفر الرأي عن لقائها فلبس الملك ثياب أحد أتباعه وألبسه ثوبه الملكي اختباراً لأمرها، ثم أذن لها فجاءت تخترق صفوف الحشم والحاشية حتى وقفت بإزائه فانحنت جاثية لديه قائلة له: بلسان ذرب حييت وحييت أيها الملك الحليم؟

فقال لها: أخطأت فإن الملك هو ذاك مشيراً إلى من ألبسه ثوبه فقالت: ما الملك إلا أنت وما أنت إلا الملك وإني لمأمورة أنا العذراء المسكينة من الروح الأمين بشد أزرك والدأب لأسباب نصرك وما على الرسول إلا البلاغ، فخلا بها الملك حيناً من الدهر ثم ناجى وزراءه فقال لهم: لقد أحاطت لعمر الله بما في سرائري وأدركت مما لا يدركه بعد الله إلا ضمائري وإني لا أشك أن أكون من أمرها على ثقة ولكن لا بأس من التاني ريشما تمتحن.

ثم أتتها برهط من مهرة الأطباء وأساطنة العلماء [و] <sup>(١)</sup> حاولوا أن يفقروها بمسائل مشكلات وغوامض حتى إذا أعيتهم الحيل وعادوا بالخبيثة والفشل عززها الملك بكتيبة من خواص فرسانه فبرزت أمام الجيش شاة السلاح، معتقلة بيدها رمحاً وبالأخرى راية وأخذت تعدو على جوادها متفenne في أنواع الفروسية حتى سحرت الناظرين فهتفوا ترحيباً بها واستحساناً لها وتعجباً منها.

ثم صارت بجيشها تنهب الأرض هملجة <sup>(٢)</sup> وخبيبة <sup>(٣)</sup> حتى بلغت العسكر في «أورليان» وإذا بأرواح القوم تكاد تبلغ التراقي والعدو محيط بالمدينة إحاطة الهالة بالبدر وأهلها في شدة من ضيق الخناق، فأمرت بادئ بدءاً بتطهير العسكر من عواهر النساء، وحضت الرجال على الاستمسك بالتقوى والاعتصام بالرجاء، ثم زحفت على البلد، فاستولى الرعب على قلوب الإنكليز وقالوا: ما هذه بشر إن هي إلا ملك كريم، أو ساحر أثير، وكانت ترتدي بحلة بيضاء وتركب جواداً أشهب وتنشر فوقها راية بيضاء فإذا بصر بها الإنكليز وهي في هذا الهدام فرّوا من أمامها كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة.

(١) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

(٢) الهملجة: التبخر. [القاموس المحيط، مادة: همج].

(٣) الخبب: مشي الفرس بشكل يراوح بين يديه ورجليه، أي قام على إحداها مرة وعلى الأخرى مرة.

وما برحت تصدق الحملة وتتابعها وتبلي بالعدوّ البلاء الحسن وهي تتجرّع من انحراف جيشها عنها وعدم انقياده لها أنواع الغصص وضروب الإحن حتى استتب لها الفوز فضعف الإنكليز واستكانوا وضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا فألجأوا إلى الجلاء على «أورليان» فكفوا عن حصارها في ١٨ أيار سنة ١٤٢٩ [م]، وانهزموا لا يلوون على شيء فسارت «جان دارك» إلى «بلوا» لتهنئ الملك بما أوتيه على يدها من النصر، وكان القرويون في تلك الأصقاع يتسابقون لمرآها، ويتزاحمون على لثم أقدامها ولمس ثراها، فأكرم رجال البلاد وفادتها، ودعاها الملك إلى وليمة فأبت قائلة: إن الوقت وقت جهد وثبات لا وقت قصف ولذات، وإن الروح أنبأني بأن الموت قد دنا فتدلى حتى صار على قاب قوسين، وأنه لم يبق بيني وبينه أكثر من عامين فاذهب بحقك إلى «رام» حيثما أتوجك بيدي وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء، وصارت أمامه بفصيحة من الجيش حتى إذا بلغت «جارجوا» اعترضها العدو فهاجمته، وركت سلماً نصب لها على السور فرميت من أعلاه بما جند لها من الخندق، فصرعت، ولكنها أفاقت بعد قليل، وجعلت قائد الجيش يستشير حمية العساكر بكلام أرق من السحر وأفعل في الرؤوس من نشوة الخمر، وهي تعاني آلاماً مبرحة فدبت النخوة في صدور الرجال وحملوا حملة صادقة أذاقت العدو الأزرق بلاء أسود، وأرته من بريق النصل الأبيض موتاً أحمر، فاستولت على البلد عنوة بعد أن أسرت، ولما طار الخبر إلى الأمير «تلبوت» قائد الإنكليز العدم أخلى سائر المدن وكر قافلاً إلى باريس وما برحت «جان دارك» أخذة في سيرها، وكلما عثرت بشرذمة فتكت بها حتى بلغت مدينة «رام»، وهناك تمّ تتويج «شارل» في ١٧ تموز سنة ١٤٢٩ [م]. وكانت «جان دارك» ممسكة بسيفه وعليها أثواب الكمأة.

وبعد انقضاء الحفلة جثت عند قدميه وعانقتهما باكية ثم قالت: اليوم أكملت لكم نصركم وأنجزت كل ما وعدتكم فأطلقوا سراحي فأعود إلى أبي قريرة العين حيثما رعى المشية وأغزل الصوف جرياً على سثة بيت ربيت فيه، ونشأت عليه فامتنع الملك قاتلاً حيث أغادر من بها نجات الأمة وإليها يرجع أمر استتباب راحتها، وعليها يتوقف استكمال استعدادها. ذلك لأن الناس كانوا قد ازدادوا بها اعتقاداً وعلقوا على بسالتها وإقدامها أملاً لا يلاحق حتى كان يرون حول رايتها أرواحاً من الفراش البراق، فساءها امتناع الملك وعزتها من تلك الساعة الكآبة والحزن وفارقها ذلك الرشد والنشاط، وذهبت عنها تلك الحمية والسالة، والتقطعت عنها أحلامها الروحانية حتى أصبحت أعمالها رهينة الحيرة والفشل، أقرها قريته الوهم والركاك، وكانت ترى أبداً حائرة النفس دائمة البكاء.

ولما لم يُجدها الإلحاح نفعاً استعادت من معبد «رام» سلاحها وبنات شابة في ربي

الأبطال غير أن كبراء القادة وأمراء الجيش كانوا قد أشربوا بغضها وأضمروا لها الحسد والضغينة فصاروا يشنعون عليها ويسئون معاملتها، ويغرون العساكر على نبد طاعتها، ويلقبونها بالألقاب المستهجنة، ويتهمونها بهتك حجابها، ويفضحونها أمام العموم، فكانت تردّهم أقبح الرد ولا تجالس إلا حرائر النساء ومصونات الأبقار، ولا تنام إلا مع امرأة تخفّرها، فلم يجد أحد فيها محلاً للوم والقذف، ومع أنها جرحت جراحات لم يثبت كونها سفكت بيدها دم أحد، ثم أشارت على الملك بالشخص إلى باريس ليستخلصها من يد الإنكليز فساروا و«جان دارك» سائرة في ركابه حتى إذا بلغها بعد شق الأنفس أمرها بالهجوم على «قويورسنت» أو ترى حيث يقيم الأعداء فأثخنّت في تلك الواقعة جراحاً، وصرعت صرعات، ولما استعادت رشدها قامت فعلمت درعها وسألت الملك الانصراف فأبى ووعدها بإعفاء قريتها من الضرائب ومنحها رتبة جلييلة، فعاودت الخدمة مرغمة.

وفي سنة ١٤٣٠ [م] انتدبها الملك إلى إجلاء الإنكليز عن «كوبيين» فسارت متدرّعة بالإقدام بيد أنها لما أرادت الإيقاع بالحاضرين خذلها أتباعها فرميت بسهم، فصرعت واستسلمت إلى الأمير «فندوم». وذلك في ٢٤ أيار سنة ١٤٣٠ [م]، فذاع خبر أسرها في تلك الأصقاع، وأقبل الناس لرؤيتها ثم بويعت للإنكليز وخذلها الملك «شارل» جاحداً جميلها، كافراً نعمتها، لؤماً منه وخسة أصل، وخاض الناس في حديثها، وكان أهل باريس يشدون عليها النكير، ويغرون الإنكليز على إتلافها، فلبثت مسجونة في قلعة «جان دولكسبرغ» حتى أقيمت عليها الدعوى في ١٣ شباط سنة ١٤٣١ [م] تحت رياسة «كوشون مترنه بوفه» من صنائع «هنري السادس»<sup>(١)</sup> عامل الإنكليز فسيقت إلى المحكمة ست عشرة مرة أبدت في خلالها ثباتاً عجيباً، ودفاعاً مفحماً على أنهم حكموا أخيراً بأنها مبتدعة ساحرة وبأن تجازى بالحبس الأبدي مقصوراً قوتها على الخبز والماء، ثم أرغموها على الحلف بأن لا ترتدي بعد ذلك بلباس الرجال، ثم نصبوا لها شركاً بأن بدلوا ثيابها ليلاً بثياب رجل.

فلما أرادت ترك فراشها لم تجد سوى تلك الثياب، فلبستها مضطرة، فهوجمت وسيقت إلى الحاكم بهذا الزي فحكم بأنها حائثة تستحق الإحراق فقالت بثبات وجلال: إنني أستأنف حكمك إلى عرش الحكيم العظيم، ولكنها لما أخرجت إلى حيث استوقدت النار خارت قواها فأتت متأوّهة، ولما حمى الوطيس ولعلع لسان اللهب فيه جعلت تدعو وتبتهل بلسان أبكى أعداءها، وحير الكردينال «بوفور» فحوّل وجهه عنها تألماً والدموع تنحدر من مآقيه كالسواقي

(١) هنري السادس: ملك من ملوك إنكلترا ولد سنة ١٤٢١ م. مُلِّك العرش سنة ١٤٢٢ م. في عهده اشتعلت حرب الوردتين. مات سنة ١٤٧١ م.

وقد تم هذا المشهد الأثيم في ٢١ أيار ١٤٣٠ [م] في ساحة تسمى «موضع البكر»، وذرى رمادها بالهواء فوق نهر السين، ثم بعد عشرين عاماً نقض مطران باريس ومطران «رام» هذا الحكم وأثبتا براءتها.

وفي سنة ١٨٢٠ [م] أقيم لها تمثال في موطنها «دومرمي» وآخر في محل إحراقها «دون» ثم آخر في باريس وهو أجمل تماثيلها.

وفي سنة ١٨٥١ [م] نصب لها أهل «أورليان» تمثلاً في مدينتهم وهم يعيدون تذكارتها في ٨ أيار في كل عام وقد عاب الرأي العام «فوليث» بقصيدته التي أودعها ذم «جان دارك» وتسويد صحيفتها بأنواع السب الظالم والقذف الغادر، ولكنه لا يستغرب ذلك ممن أوقف حياته على تقويض عمدة الديانات، وتزييف أوليائها، وقد ألف كتبة الإفرنج بموضوع قصتها عدّة روايات محزنة من النوع المعروف بـ «التراجيدي» أي الفاجعة وهي مما يذيب تماثيلها القلوب ويشق المرأثر فيا قاتل الله الإنسان إنه لكافر.

ليت السباع لنا كانت مجاورة      وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا  
إن السباع لتهدا عن فرائسها      والناس ليس بهاد شرهم أبدا

### جليلة بنت مُرّة الشيباني

هي أخت «جساس»<sup>(١)</sup> قاتل كليب بن ربيعة<sup>(٢)</sup> أخي المهلهل<sup>(٣)</sup>. وكانت جليلة تزوجت

(١) هو جساس بن مُرّة بن ذهل بن شيبان، من بني بكر بن وائل، شجاع، شاعر، من أمه العرب في الجاهلية. شعره قليل. وهو الذي قتل كليب وائل، فكان سبب نشوء حرب طاحنة بين بني البسوس وبين بكر وتغلب دامت أربعين سنة. قتل جساس في أو حده سنة ١٥ في هـ ٥٣٥ م.  
(٢) هو كليب بن ربيعة بن الحارث بن مُرّة التغلبي الموالي ولد سنة ١١٥ في هـ ٥٤٣ م. قاتل جساس في نجران وتغلب في الجاهلية. من الشجعان، الأبطال، وأحد من تشبهه بالسهل في مبدئ السيف في نجد وأطرافها. بلغ من هيئته أنه كان يحمي مواقع السحبات، فيقول: «أفدنا جليلة في حماي. فلا يرعى أحد ما تظله. وكان يقول: وحش كذا في جمالي، فلا تصدقوا ولا تفرقوا مع إبله، ولا توقد نار مع ناره، ولا يضر أحد بين بيوتنا. ولا تحبب أحد من بني كليب». «هو في حمى كليب»، يقال لمن كان أمناً. هم أعمق مهبط من نجران وحولها من بني كليب الكندي. قتله جساس بن مُرّة اليكبي الموالي سنة ١٣٥ في هـ ٥٩٢ م. قتلت جليلة سنة ٥٩٢ م. أطول حرب عُرفت في الجاهلية، بين بكر وتغلب، ودمت أربعين سنة. يقال: «جساس بن مُرّة» لقب له.

(٣) هو عدي بن ربيعة بن مُرّة بن هيبة من بني بكر بن وائل، شاعر، من نسل بني كليب بن ذهل بن شيبان، من العرب في الجاهلية. من أهل نجد. وهو جد أمير القيسية المشهور في الجاهلية والاسم «المهلهل» من أهل نجران نسج الشعر، أي رققه. كان من أوسع الناس بهيمة، ومن أوسعهم في الجاهلية. وكان من أوسعهم في الجاهلية.



بـ «كليب»، فلما قتل «جساس» أخوها «كليياً» زوجها، اجتمع نساء الحي للمأتم فقلن لأخت «كليب»: أخرجي جلييلة عن مأتمك فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب. فقالت لها: يا هذه، أخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا، وشقيقة قاتلنا، فخرجت وهي تجر أعطافها فلقيتها أبوها مُرّة فقال لها: ما وراءك يا جلييلة، فقالت: ثكل العدد، وحزن الأبد، وفقد حليل وقتل أخي عن قليل، وبين ذلك غرس الأحقاد، وتفتت الأكباد فقال لها: أويكف ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات؟ فقالت جلييلة: أمنية مخدوع ورب الكعبة أبالبدن تدع لك تغلب<sup>(١)</sup> دم ربها! قال: ولما رحلت جلييلة قالت أخت «كليب»: رحلة المعتدي وفراق الشامت، ويلٌ غداً لآل مُرّة من الكرّة بعد الكرّة، فبلغ جلييلة قولها فقالت: وكيف تشمت الحرة بهتك سترها، وترقب وترها أسعد الله خيراً أختي أفلا قالت نفرة الحياة وخوف الاعتداء، ثم أنشدت تقول:

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا	تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبينت الذي	يوجب اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أخت امرئ ليمت على	شغف منها عليه فافعلي
جلّ عندي فعل جساس فيا	حسرتي عما انجلي أو ينجلي
فعل جساس على وجددي به	قاطع ظهري ومدن أجلي
لو بعين فدّيت عيناً سوى	أختها فأنفقات لم أحفل
تحمل العين أذى العين كما	تحمل الأم أذى ما تفتلي
يا قتيلاً قوض الدهر به	سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثه	وانثنى في هدم بيتي الأوّل
ورماني قتله من كذب	رمية المصمى به المستأصل
يا نسائي دونكنّ اليوم قد	خصني الدهر برزء <sup>(٢)</sup> معضل
خصني قتل كليب بلظي	وأراني ولظي من أسفل
ليس من يبكي ليومين كمن	دائماً يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدرك بالشار وفي	دركي الثار لثكل المثكل
ليته كان رمى فاحتلبوا	دراً منه برمي بالحلي

اللهو والتشبيب بالنساء، فسماه أخوه كليب «زير النساء» أي جليسهن. ولما قتل جساس بن مُرّة كليياً ثار المهلهل فانقطع عن الشرب واللهو، وآلى أن يثار لأخيه، فكانت وقائع بكر وتغلب التي دامت أربعين سنة، وكانت للمهلهل فيها العجائب والأخبار الكثيرة. أما شعره فعالي الطبقة.

(١) بنو تغلب: حي من وائل من ربيع من العدنانية، والنسبة إليهم تغلبي، وهم بنو تغلب بن وائل.

(٢) الرزء: المصيبة. [القاموس المحيط، مادة: رزأ].

إنني قاتلة مقتولة ولعلّ الله أن يرتاح لي

### جميلة الخزرجية

هي مولاة بني سليم التي قيل فيها:

إن الدلال وحسن الغنا ء وسط بيوت بني الخزرج<sup>(۱)</sup>  
وتلك جميلة زين النسا ء إذا هي تزدان للمخرج

كانت جامعة بين أجل طبقات الغناء والجمال وأسمى مراتب العفاف والكمال، وقورة السمات، رخيمة الصوت، بهية الشارة، فتانة الملامح، رزينة الحفاة، عذبة الكلام، وجيزة العبارة. أجمع مجيدو عصرها - مثل: الغريض<sup>(۲)</sup> وابن سريج<sup>(۳)</sup> وابن محرز، ومعبد بن جامع<sup>(۴)</sup>، وحيابة، وابن عائشة، وسلامة<sup>(۵)</sup> وزمين، وخليدة، وعقيلة العقيقية - على كونها إمام هذا الفن ومجلي مضمار السبق فيه شرقاً وغرباً بين الإنس والجن.

وكان معبد يقول: لو لم تكن جميلة لم تكن نحن مغنين، ولطالما تحاكم لديها أولو الفن المجيدون من مكين ومدنين وبصريين، فقضت بينهم قضاءً أخذاً بناصية الأنصاف مأموراً به جانب الحيف والإجحاف. قيل: حجت ذات سنة فخرج إلى لقائها كبراء مكة وساداتها، ومشاهير مغنيها وقيناتها فكثر الزحام وازدحمت في أرجاء الحرم الأقدام، والتفت الساق على الساق، حتى كأنه يوم التلاق، ولما انقضى الحج اقترح عليها الأمراء وعقد مجلس لسماعها فقالت: ما كنت يا ذوي الفضل لأخلط الجذ بالهزل.

ثم عادت إلى يثرب<sup>(۶)</sup> مدينة النبي ﷺ فاستقبلها سرايتها وأشرافها يتقدمهم لأفضل

- (۱) بنو الخزرج: بطن من مزيتيا من الأزدي غلب عليهم اسم أبيهم، فقبل لهم الخزرج الأندلسي حاشية ثعلبة بن عمرو بن عامر بن مزيتيا. هو إحدى قبيلتي الأنصاف أخوة الأوس، ويقال لحصن بن عمرو كان للخزرج هذا من الولد عمرو، وعوف، وجشم، وكعب، والحادث، وكان لهم بيت في مكة بعد الإسلام مع إخوانهم الأوس، نزلوها عند خروج الأزدي إلى اليمن.
- (۲) الغريض: لقب عبد الملك المغني المكي، أحد الخمسة المعيين بعدد بني أمية سنة ۷۱۶ م.
- (۳) ابن سريج: هو عبيد الله بن سريج، مغن من أهل مكة، الشهير بالقبضات وغيره، وكان له بيت في مكة.
- (۴) معبد بن جامع: المعروف بـ"معبد المغني" من أخصم الشعراء في العصر الأموي، نشأ في مكة ورحل إلى الشام حيث اتصل بأمرائها وكان شهرة واسعة، توفي سنة ۱۵۳ م.
- (۵) سلامة: شاعرة، مغنية، من جوارح يزيد بن عبد الملك. توفيت سنة ۷۵۸ م.
- (۶) يثرب: مدينة رسول الله ﷺ، سميت بهذا الاسم لأن أول من سكنها بعد التفريق بين بني قريظة ومهلائيل بن إرم بن عييل بن عوف بن إرم بن ستم بن نوح - عليه السلام - لما نزل فيها من مكة.

والنساء، وكان قد صحبها قوم من غرر مكة وأعيانها، فلما حلت دارها أتاها الجميع مهئين باللطف والإيناس فغصت الساحات والسطوح بتخليط الناس، واصطف المغنون طبقتين متناوحتين، فكان كلما دمدمت وشدت علا من الخلق ضجيج ينطح عنان السماء، وأذن السمع صماء الكل يقول: ما رأينا ولا سمعنا بمثل هذا، ثم اقترحت على المغنين أن يهذبوا شفعاً ووترأ، ففعلوا، فكانت تصلح لكل أغلاطه وتريه وجه الإصابة من الطرب طريقاً حتى أبهتت الناس عجباً، وحيرتهم وأبكتهم طرباً وصبابة، فانصرفوا يقولون: اللهم غفراً، فسبحان من جعلها في كل معنى غاية إنه ولي التوفيق.

### جميلة بنت ثابت بن أبي [الأقبح] <sup>(١)</sup> الأنصارية

هي أخت عاصم بن ثابت <sup>(٢)</sup> امرأة عمر بن الخطاب <sup>(٣)</sup> تكنى أم عاصم بابنها عاصم بن عمر بن الخطاب سمته باسم أخيها وكان اسمها عاصية، فلما أسلمت سماها رسول الله ﷺ جميلة، تزوجها عمر سنة ٧ من الهجرة فولدت عاصماً، ثم طلقها عمر فتزوجها يزيد بن حارثة، فولدت له عبد الرحمن بن يزيد فهو أخو عاصم لأمه.

وقيل: إن عمر ركب إلى قبيلتها فوجد ابنه عاصماً يلعب مع الصبيان فحمله بين يديه، فأدركته جدته الشموس <sup>(٤)</sup> بنت أبي عامر فنازعته إياه حتى انتهى إلى أبي بكر الصديق فقال له أبو بكر: خل بينه وبينها فما راجعه وسلمه إليها لكونها حاضنته وكانت جميلة إذ ذاك متزوجة بيزيد بن حارثة.

### جنان جارية عبد الوهاب الثقفي

كانت بمنزلة عظيمة من الحب عند أبي نواس ويقال: إنه لم يصدق بحب امرأة غيرها

سماها طيبة وطابة كراهية للتشريب (وهو قُبْح الفعل). وسميت مدينة الرسول لنزوله بها. معجم البلدان، ج ٥/ص ٤٩٣.

(١) وردت في الأصل: «الأقبح»، لكننا في ترجمة عاصم بن ثابت، وجدنا أن اسمه الأقبح قيس بن عصمة الأنصاري، فأثبتناها استناداً إلى ترجمة عاصم، الإصابة (الترجمة. ٤٣٤).

(٢) هو عاصم بن ثابت بن أبي الأقبح قيس بن عصمة الأنصاري الأوسي، أبو سليمان، صحابي، من السابقين الأولين من الأنصار شهد بدرأ، وأحدأ مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم الرجيع سنة ٤ هـ/٦٢٥ م، رثاه حسان بن ثابت.

(٣) هو عاصم بن عمر بن الخطاب، القرشي، العدوي، ولد سنة ٦ هـ/٦٢٧، شاعر، كان من أحسن الناس خلقاً، كان طويلاً جسيماً، وهو جد عمر بن العزيز لأمه. مات بالربذة سنة ٧٠ هـ/٦٩٠ م.

(٤) الشموس: عفيرة بن عباد، من بني جديس، شاعرة جاهلية من هل اليمامة بنجد، لها خبر وشعر في تحريض قومها على قتال طسم.

وكانت حسناء أديبة عاقلة ظريفة تعرف الأخبار وتروي الأشعار. رآها أبو نواس بالبصرة عند مولانا المذكور فاستحلاها وقال فيها أشعاراً كثيرة، وقيل له يوماً: إن جنان عزمت على الحج فقال: إني سأحج على هذا إن أقامت على عزيمتها فلما علم أنها خارجة سبقها، وما كان نوى الحج ولا أحدث عزمه إلا خروجها وقال لما عاد من حجه:

ألم ترَ أنني أفنيت عمري بمطلبها ومطلبها عسير  
فلما لم أجد سبباً إليها يقربني وأعيتني الأمور  
حججت وقلت قد حججت جنان فيجمعني وإياها المسير

وقد أرسل إليها أبو نواس حين عاد من حجه بهذه الأبيات:

إلهننا ما أعدلك مليك كل من ملك  
لييك قد لييت لك لبيك إن الحمد لك  
والملك لا شريك لك والليل لما أن حلتك  
والساحبات في الفلك على مجاري المنسك  
ما خاب عبد أملك أنت له حيث سلك  
لولاك يا رب هللك كل نبي وملك  
وكل من أهل لك سبح أو لبي فلك  
يا مخطئاً ما أغفلك عجل وبادر أجلك  
واختتم بخير عملك لبيك إن المنك لك  
والحمد والنعمة لك والعز لا شريك لك

وقيل: كانت جنان قد شهدت عرساً في جوار أبي نواس فأنصرفت منه وهو جالس، فنسأ رآها أنشد بديهاً:

شهدت جلوة العروس جنان فاستمالت بحسنتها النظرة  
حسبوها العروس حين رأوها فإليها دون العروس الأنترة

وغضبت يوماً جنان من كلام كلمها به، فأرسل يعتذر إليها، فقالت له: ما كان مني إلا برح الهجران ربك ولا بلغت أملك من أحبتك، فراجع الرسول إليه فسأله عن وجهها، فخبره فقال:

فديتك فيم عتبك من كلام نطقت به على وجه جميل  
وقولك للرسول عليك غيري فليس إلى التواصل من سبيل  
فقد جاء الرسول له انكسار وحوال ما عليه من قبيل

ولو ردت جنان مردّ خير تبين ذاك في وجه الرسول  
 قيل: ولم تكن جنان تحبه أولاً، فما عاتبها به حتى استمالها بصحة حبه لها فصارت  
 تحبه بعد بغضها له قوله:

جنان إن جدت يا مناي بما أمل لم تقطر السماء دما  
 وإن تمادى ولا تماديت في منعك أصبح في قفرة رمما  
 علقت من لو أتى على أنفـس الـ ماضين والغابرين ما ندما  
 لو نظرت عينه إلى حجر ولد فيه فتوره سقمما

وقال الجماز<sup>(١)</sup>: كنت عند أبي نواس جالسا إذ مرّت بنا امرأة ممن يداخل الثقفين  
 فسألها عن جنان وألحف<sup>(٢)</sup> في المسألة فاستقصى، فأخبرته خبرها وقالت: قد سمعتها تقول  
 لصاحبة لها من غير أن تعلم أنني أسمع، ويحك قد آذاني هذا الفتى وأبرمني، وأخرج صدري  
 وضيق عليّ الطرق بحدّة نظره وتهتكه فقد لهج قلبي بذكره والفكر فيه من كثرة فعله لذلك حتى  
 رحمته، ثم التفتت فأمسكت عن الكلام ففرح أبو نواس بذلك فلما قامت المرأة أنشأ يقول:

يا ذا الذي عن جنان ظل يخبرنا بالله قل وأعد يا طيب الخبر  
 قال اشتكتك وقالت ما ابتليت به أراه من حيثما أقبلت في إثري  
 ويعمل الطرف نحوي إن مررت به حتى ليخجلني من حدّة النظر  
 وإن وقفت له كيما يكلمني في الموضوع الخلو لم ينطق من الحصر  
 ما زال يفعل بي هذا ويدمنه حتى لقد صار من همي ومن وطري

وقيل: أرسلت جنان تقول لأبي نواس: قد شهرتني فاقطع زيارتك عني أياماً لينقطع  
 بعض القالة، ففعل وكتب إليها:

إننا اهتجرنا للناس إذ فطنوا وبيننا حين نلتقي حسن  
 ندافع الأمر وهو مقتبل فشب حتى عليه قد مرنا  
 فليس يقذى عيناً معاينة له وما إن تمجّه أذن  
 ويسح ثقيف ماذا يضرهم لو كان لي في ديارهم سكن

(١) هو الجماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسيني، أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة في عهد ولاية  
 السلطان برقوق بمصر. جاءت المراسيم منه. ساءت سيرته فامتدت يده إلى قبة الحرم النبوي، وأخذ  
 بعض قناديلها، واستولى على حاصل المدينة ورحل عنها، فاغتاله بعض عربان مطير، فكان عبرة  
 للناس. قتلوه وهو نائم سنة ٨١٢ هـ/١٤٠٩ م.

(٢) ألحف: ألحف الرجل السؤال، ألح ومعنى الإلحاف الشمول بالمسألة. [القاموس المحيط، مادة:  
 لحف].

أريب ما بيننا الحديث فإن زدنا فزيدوا فما لذا ثمنٌ  
وقيل: كتب إليها من بغداد:

كفى حزناً أن لا أرى وجه حيلة أزور بها الأحباب في حكرمان  
وأقسم لولا أن تنال معاشر جناناً بما لا أشتهي لجنان  
لأصبحت منها داني الدار لاصقاً ولكن ما أخشى فديت عداني  
فوا حزناً حزناً يؤدي إلى الردى فأصبح مأسوراً بكل لسان  
أراني انقضت أيام وصلي منكم وأذن فيكم بالوداع زماني

وقيل: بلغه أن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها، فشمته جنان وتنقصته وذكرته أقبح الذكر، فقال في ذلك:

وا بأبي من إذا ذكرت له وطول وجدي به تنقصني  
لو سألوه عن وجه حجته في سبه لي لقال يعشقني  
نعم إلى الحشر والتنادي نعم أعشقه أو ألف في كفني  
أصيح جهراً لا استسر به عنفني فيه من يعنفني  
يا معشر الناس فاسمعوه وعوا إن جناناً صديقة الحسن

فبلغها ذلك فهجرته وأطالت هجره، فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالحته فكتب إليها:  
إذا التقى في النوم طيفانا عاد لنا الوصل كما كان  
يا قرّة العين فما بالنا نشقى ويلتذ خيالنا  
لو شئت إذا أحسنت لي في الكرى<sup>(١)</sup> أتممت إحسانك يقظانا  
يا عاشقين اصطلحا في الكرى وأصبحا غضباناً  
كذلك الأحلام غدارة وربما تصدق أحباناً

وقيل: رآها يوماً في ديار ثقيف فقابلته بما كرهه، فغضب وهجرها مدة فأسلمت إليه  
تصالحه، فرده ولم يصالحها، فرآها في النوم تطلب صلحه فقال:

دست له طيفها كما تصالحه في النوم حين تأبى الصلح يفقدان  
فلم يجد عند طيفي طيفها فرجاً ولا رثى لشكيبه ولا لانا  
حسبت أن خيالي لا يكون لما أكون من أجله غضباناً غضباناً  
جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا فلم يكن هيناً منك الذي كانا

(١) الكرى: النوم. [القاموس المحيط، مادة: الكرى].

ومن قوله فيها :

أما يغني حديثك عن جنان  
أكل الدهر قلت لها وقالت  
جعلت الناس كلهم سواء  
عدوك كالصديق وذا كهذا  
إذا حدثت عن شأن تواليت  
فلو موّعت عنها باسم أخرى  
ومن ظريف ما كتبه إليها قوله :

أكثرني المحو في كتابك وامحي  
وامرري بالمحاء بين ثنايا  
إنني كلما مررت بسطر  
تلك تقيلة لكم من بعيد  
ورآها يوماً في مآتم سيدها تندبه باكية وهي مخضبة فقال مرتجلاً :

يا قمرأ أبرزه مآتم  
بيكي فيذرى الدرّ من نرجس  
لا تبكي ميتاً حلّ في حفرة  
أبرزه المآتم لي كارهاً  
لا زال موتاً دأب أحبابه  
بنذب شجواً بين أتراب  
ويلطم السورد بعناب  
وابكي قتيلاً لك بالباب  
برغم دايات وحجاب  
ولا تنزل رؤيته دأبي

ودخل على أبي نواس بعض أصحابه يعودونه وهو مريض، فوجدوا به خفة قالوا:  
فانبسط معنا فقال: من أين جئتم؟ فقلنا من عند جنان. فقال: أو كانت عليلة؟ قلنا نعم، وقد  
عوفيت الآن. فقال: والله أنكرت علتي هذه ولم أعرف لها سبباً غير أنني توهمت أن ذلك لعله  
نالت بعض من أحب ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعاً أن يكون الله عافاه منها  
قبلي ثم دعا بدواة وكتب إلى جنان:

إنني حممت ولم أشعر بحماك  
فقلت ما كانت الحمى لتطرقني  
وخصلة قمت فيها غير متهم  
حتى إذا ما انقضت نفسي ونفسك في  
حتى تحدث عوادي بشكواك  
من غير ما سبب إلا بحماك  
عافاني الله منها حين عافاك  
هذا وذاك وفي هذي وفي ذاك

وقيل: إن أبا نواس حاول مراراً أن يتزوج بها ولم ينل ذلك، وتوفي قبلها وبقيت هي في





الفرح أهداب أماقيه<sup>(١)</sup>، فأسبلت الدموع وضم محبوبته وابنها إلى صدره ضمة كادت تستفرشهما الفؤاد لو لم تحل دونه حنايا الضلوع، وذهب بهما إلى قصره الجميل القائم بين مرج أفيح وماء سلسبيل وقال لهما: كلا منها رغداً حيث شئتما لا جناح بعد اليوم عليكم، فبنت «جنفياف» حيث كانت في الغاب معبداً حمداً لله على حياتها وشكراً وهو لا يزال حتى اليوم عبرة للمارين وذكرى.

قد شيد فيه أخيراً مذبح نقش عليه خلاصة ما كان وضريح دفن به بعد ذلك العروسان، وقد نظم بلغاء الإفرنج المهم من حوادث «جنفياف» المجيدة شعراً، وألف كتبهم في أنبائها روايات تترى، عرب إحداهما وطبعت ونشرت للعالم وهي على علاقتها تثير الأشجان، وتهيج الأحزان، وتتلو على قارئها ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

### جنفياف القديسة

سميت محامية لباريس ولدت في بلدة «تنشر» نحو سنة ٤٢٢ ميلادية، وتوفيت في باريس سنة ٥١٢ م] حسب أشهر التقاليد كان أبواها «سفيروس» و«جروننتيا» فقيرين جداً، وكان عملها وهي صغيرة أن ترعى الماشية على قمة جبل «فالريان» حقل يدعى باسمها، وكذلك نبع ومغارة عند حضيضه، ولما كان عمرها ١٥ سنة أقامها للخدمة الدينية القديس «جرمانوس الأوستري»<sup>(٢)</sup>.

وقد نبات سنة ٤٤٩ م] بمهاجمة الهونة تحت قيادة «أطيلا»<sup>(٣)</sup>، ولما تهدد هذا القائد سنة ٤٥١ م] أن يهاجم باريس يقال: إن شجاعته وبراعتها خلصت المدينة وكذلك في أثناء حصار الفرنكة لباريس تحت قيادة «كلوفيس» كانت تقوي الأهالي وتشجعهم، واتخذت طريقة لإدخال المؤنة إلى المدينة، ولما أخذت باريس خلصتها شفاعة «جنفياف» من الأعمال القاسية، وكان «كلوفيس» يعتبرها وقد دفنت بالقرب منه في كنيسة القديسين «بطرس»<sup>(٤)</sup>.

(١) الأماق: مجرى الدمع من العين. [القاموس المحيط، مادة: موق].

(٢) جرمانوس: القديس بطريك القسطنطينية ٧١٥ م - ٧٣٠ م. دافع عن تكريم الأيقونات فعزل. توفي سنة ٧٣٣ م.

(٣) أطيلا: أو أتिला (Attila)، ملك الهون ٤٣٢ م - ٤٥٣ م، اشتهر بغزواته البربرية. اجتاح بيزنطية والإمبراطورية الرومانية. دحره آيتيوس في الحقول القاتالونية سنة ٤٥١ م. نهب إيطاليا وعفا عن روما. انهارت مملكته بموته.

(٤) كنيسة بطرس: أو القديس بطرس، شادها في روما الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٢٤ م أعيد بناؤها في القرن السادس عشر على يد كبار الفنانين مثل: برامانته، رافائيل، ميكالانجلو، وبرنيني. ارتفاع قبتها ١٣٣ م.

و«بولس» التي بناها، وقد سميت تلك الكنيسة مع الدير المجاور لها باسمها، وتابوتها الذي يقال: إنه من عمل «سان ألد» جعل مكانه في القرن الثالث عشر تابوت أكبر وأثمن وكان يحسب زماناً طويلاً ملجأً أهل باريس، وقد أرسل إلى دار الضرب سنة ١٣٩١ [م]، وأحرقت الذخائر التي كانت فيه.

## جنوب أخت عمرو ذي الكلب النهدي

كانت شاعرة أديبة فصيحة لبيبة بليغة المعاني ذات ألفاظ رائعة، ومعان فائقة، لها في أخيها مرات قالتها لما قتله بنو كاهل<sup>(١)</sup> منها ما رواه الجوهري:

أبلغ بني كاهل عني مغلغلة  
والقوم من دونهم أين ومسغبة  
أبلغ هذيلاً<sup>(٢)</sup> وأبلغ من يبلغها  
بأن ذا الكلب عمراً خيرهم حسباً  
وقالت تمدحه في خلال رثائها:

فأقسم يا عمرو لو نبهاك  
إذا نبها منك ليث عرين  
وخرق تجوزت مجهولة  
فكنت النهار به شمسه  
لقد علم الضيف والمرملون  
تخلت عن أولادها المرضعات  
بأنك ربيع وغيث مريع  
وحرب رددت وثغر سدوت  
ومال حويت وخيل حميت  
إذا نبها منك داء عضلاً  
مغيثاً مفيداً نفوساً ومالاً  
بوجناء حرف تشكي الكلالا  
وكنت دجى الليل فيه الهلالا  
إذا أغبر أفق وهبت شملاً  
ولم تر عين لمزن بلالاً  
وأنتك هناك تكون الثمالا  
وعلج شدت عليه الحبالا  
وضيف قربت يخاف الودالاً

## جهان

والدة السلطان شمس الدين ملك «دهلي» في بلاد الهند، أم السلطان، تدعى المخدومة «جهان» وهي من أفضل النساء، كثيرة الصدقات، عمدت زوايا كثيرة، وجعلت فيها القطع.

(١) بنو كاهل: بطن من أسد من خزيمة من العدنانية، وهم بنو كاهل بن أسد، منهم علماء الحجاز.

(٢) بنو هذيل: بطن من خندف من مضر، وهم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس، وهما بني خندف من مضر. كان له من الولد سعد وجناب بطن، عميرة، هرمة بطن.

للوارد والصادر وهي مكفوفة البصر وسبب ذلك أنه لما ملك ابنها جاء إليها جميع الخواتين وبنات الملوك والأمراء في أحسن زي وهي على سرير الذهب المرصع بالجواهر، فخدمن بين يديها جميعاً، ومن شدة فرحها بولدها ذهب بصرها للحين، وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع وولدها أشد الناس برّاً بها، ومن بره أنها سافرت معه مرة فقدم السلطان قبلها بمدة، فلما قدمت خرج لاستقبالها وترجل عن فرسه وقبل رجلها وهي في المحفة بمرأى من الناس أجمعين.

قال ابن بطوطة في «رحلته»: «إننا لما انصرفنا من عند السلطان شمس الدين المذكور خرج الوزير ونحن معه إلى باب الصرف وهم يسمونه باب الحرم، وهناك سكنى المخدمومة «جهان»، فلما وصلنا بابها نزلنا عن الدواب وكل واحد منا قد أتى بهدية على قدر حاله ودخل معنا قاضي قضاة الممالك، كمال الدين بن البرهان فخدم الوزير والقاضي عند بابها وخدمنا كخدمتهم، وكتب كاتب بابها هدايانا، ثم خرج من الفتیان جماعة وتقدم كبارهم إلى الوزير فكلموه سرّاً ثم عادوا إلى القصر.

ثم رجعوا إلى الوزير، ثم عادوا إلى القصر ونحن وقوف، ثم أمرنا بالجلوس في سقيف هنالك، ثم أتوا بالطعام وأتوا بقلال من الذهب يسمونها السُّبني (بضم السين والياء آخر الحروف) وهي مثل قدور ولها مرافع من الذهب تجلس عليها يسمونها السُّبُّك (بضم السين والياء الموحدة)، وأتوا بأقداح وطسوت وأباريق كلها ذهب، وجعلوا الطعام سماطين وعلى كل سماط صفان ويكون في رأس الصف كبير القوم الواردين، ولما تقدمنا للطعام خدم الحجاب والنقباء وخدمنا لخدمتهم.

ثم أتوا بالشربة فشربنا. وقال الحجاب: باسم الله ووقف الوزير ووقفنا معه، ثم أخرجوا من داخل القصر ثياباً غير مخيطة من حرير وكتان وقطن فأعطي كل واحد منا نصيبه منها، ثم أتوا بتيفور ذهب فيه الفاكهة اليابسة، وتيفور مثله فيه الجلاب، وتيفور ثالث فيه التبنول، ومن عادتهم أن الذي يخرج له ذلك يأخذ التيفور بيده ويجعله على كاهله، ثم يخدم بيده الأخرى إلى الأرض فأخذ الوزير التيفور بيده قصد أن يعلمني كيف أفعل إيناساً منه وتواضعاً ومبرّة جزاء الله خيراً ففعلت كفعله.

ثم انصرفنا إلى الدار المعدة لنزولنا بمدينة «دهلي» وبمقربة من «دروازة» وبعد وصولنا بعثت لنا الضيافة وهي مع جزار وطحان، وأمرتهما أن يعطونا مقداراً معيناً كل يوم، وذلك مدة إقامتنا في بلادها، وكان وزن اللحم بمقدار وزن الدقيق، ومكثنا نستلم ضيافتها إلى أن انصرفنا من بلادها ولم أر مثلها في نساء الملوك لما حوته من العز والجاه والكرم العديم المثال.

## جورج سند دوفان

كانت صاحبة روايات فرنساوية، سمت نفسها «جورج سند» ولدت في باريس سنة ١٨٠٤ ميلادية، وتوفي أبوها «موريس دوين» ولم يكن لها من العمر سوى أربع سنوات فربتها جدتها الكونتس «دوهدن»، وبعد أن صرفت نحو سنتين في مدرسة يومية في باريس رجعت إلى «توهان» سنة ١٨٢٠ [م]. وعند وفاة جدتها بعد ذلك بأشهر قليلة سكنت مع أصحاب عائلتها في «ملون» حيث تعرّفت بـ«كزمير دوفان» فتزوجت به سنة ١٨٢٢ [م] وسكنت في «توهان» ولم يمض إلا قليل حتى ظهر لهما ما بينهما من الاختلاف في الطباع والأخلاق والذوق وزاد النفور بينهما الارتباك المالي الذي وقع في سنة ١٨٣١ [م]. ولما كانت هي راغبة في امتحان حظها في التأليف حصلت رخصة من زوجها بأن تصرف ثلاثة أشهر من كل ستة أشهر في باريس، فنشرت بضع نبذ في جرنال «الفيقارو» فظهر لها أنها غير قادرة على الكتابة في الجرائد لما يلزم لذلك من سرعة الخاطر والعمل، وكان زوجها قد عين لها ١٥٠٠ فرنك راتباً سنوياً، فطلبت الاقتصاد، ورغبة في الدخول إلى المكاتب والملاعب العمومية دون ملاحظة لبست لبس رجل.

وفي تلك الأثناء كتبت بمساعدة صديقها «جول سند» رواية عنوانها «روزه وبلانش» تحت اسم «جول سند» فصادفت قبولاً، فقوى ذلك عزمها على نشر رواية أخرى من القلم نفسه، ولكن لم تجد عند «جول» - المذكور - رواية مجهزة إلا أنها كانت قد أكملت رواية عنوانها «أن بانا» نشرت في أيار سنة ١٨٣٢ [م] تحت اسم «جورج سند» فصادفت قبولاً تاماً، ومما زادها قبولاً ما شاع من أنها من قلم امرأة، ثم أردفتها بعد قليل برواية عنوانها «الفتيات» وهي أحسن من الأولى وصادفت قبولاً، ثم صارت بعد ذلك كاتبة روايات الجريدة «الشيوندي ردموند».

وسنة ١٨٣٣ [م] نشرت رواية عنوانها «ليليا» أثرت في العامة وتأثيرها لم يحد منها من مبادئ الكفر والخلل في الهيئة الاجتماعية، ومن ذلك الوقت أخذ يشهد لها من الذين كانوا يعتبرون مؤلفاتها ينظرون إليها بعين استخفاف فذهبت حينئذ إلى إيطاليا طلباً لتبديل نهجها ورافقتها «أكفرت دومست» الشاعر، ولكنهما افتراقا في البندقية فجع إلى فرنسا وبقيت هي وكتبت هناك عدة كتابات، وعند رجوعها إلى فرنسا في أوائل سنة ١٨٣٥ [م] التقت بالمشيخ الفصيح «ميشال دوبرج» فساقها إلى الأمور السياسية ومع «لامني» الذي وقع جدال بينه وبينه في أمور دينية ومع «بيرلورو» الذي علمها المبادئ الاشتراكية، وظهر تأثرهم فيها في كثير من مؤلفاتها وكان حينئذ قد ازداد النفور بينها وبين زوجها فحصلت على أمر بإذن لها من

ويولجها إدارة أمورها بنفسها وتربية أولادها وبعد ذلك جعلت «توهان» مكاناً لاجتماع أصدقائها، واعتنت بتربية أولادها.

وسنة ١٨٣٨ [م] صرفت الشتاء في جزيرة «ميورقة» حيث رافقها «شوپن»<sup>(١)</sup> معلم البيانو فبقيت فيها إلى سنة ١٨٤٧ [م] حين اضطرتها ثورة سنة ١٨٤٨ [م] أن تعود ثانياً إلى ميدان السياسة ويقال: إنها عضدت بكتاباتهما كثيراً من الأعمال التي اتخذها «لدورولن» وكان حينئذ عضواً للحكومة المؤقتة ثم رجعت إلى «توهان».

وسنة ١٨٥٤ [م] نشرت في جريدة «جرس» ترجمة حياتها محتوية على بعض الحوادث التي تخللتها وهي تاريخ لأفكارها وحاسياتها ونشرت نحو ٦٠ رواية منها كتب ومنها نبذ في الجرائد ولها تأليف أخرى كثيرة مطبوعة باللغات الإفرنجية.

### جوزفين ابنة الكونت تشاوي لاباجرى الفرنسي

من مقاطعة بالقرب من «بلو»، وأمها فرنسوية الأصل أيضاً من مستعمرات جزيرة القديس «رومينيكو» التابعة لفرنسا عرفها الكونت «تشاوي» لما هاجر إلى تلك الجزيرة سنة ١٧٦٠ [م] ليكون مأموراً بحراً تحت قيادة المركز «بواهربي»، وإلى الجزيرة وقتئذ، فتزوج بها ورزق منها «جوزفين» المذكورة آنفاً. وتوفي والدها بعيد ولادتها ثم ماتت زوجته وتركا «جوزفين» طفلة يتيمة الوالدين فاعتنت بها عمتها القاطنة في تلك الجزيرة وكانت هي وزوجها من أصحاب الأملاك الكثيرة والثروة الطائلة وعلى جانب عظيم من اللطف والدعة حتى أكرمهما أهالي الجزيرة واشتهرا بكل منقبة ومحمدة حتى كان خدماهما ينظرون إليهما نظر الآلهة وأحبهما جميع معارفهما حباً عظيماً.

فهذان اعتنيا بـ«جوزفين» وربياها على المبادئ الأدبية منذ الصغر وغرسا في قلبها الحنو واللطف فكانت تعامل بمثل ذلك العبيد القاطنين في ذلك المكان فأحبوها كثيراً وكانوا يعدونها كملكة عليهم ولم يكن لها في تلك الجزيرة من تلعب معه من الأولاد سوى أولاد العبيد فهؤلاء كانوا أصدقاءها في الصغر أما أصحاب عمتها وزوجها فكانوا من خاصة الفرنسيين القاطنين في تلك الجزيرة وهم جماعة من المهذبين العارفين بالآداب والفنون المتمسكين بعوائد بلادهم واصطلاحاتها الحسنة، ومن السياح الأوروبيين الذين يأتون الجزيرة ويجولون في أقطار العالم وكانت «جوزفين» تسمع أحاديثهم وتستوعبها في عقلها النير وتحفظ منها أموراً كثيرة لمستقبل

(١) وردت في الأصل: «شوپن»، ولعل الصحيح ما أثبتناه وهو شوپن، فردريك شوپان (Chopin) مؤلف موسيقى بولوني ١٨١٠ - ١٨٤٩ م، نزع في فنه إلى الرومنطيقية. جدد موسيقى البيانو.

الأيام، ولذلك ظن الناس بعد اقترانها بـ «نابليون» ومطالعة رسائلها الأنيقة أنها تعلمت في أحسن المدارس ودرست كل الفنون على أنها لم تدرس شيئاً منها درساً قانونياً ما عدا الموسيقى والتصوير والرقص، وأما ما بقي فاكتسبته اكتساباً بجدها واجتهادها وتوقد ذهنها وشدة ميلها إلى الدراسة.

وكانت تضرب الغيثار بحداقة غريبة وتغني بصوت رخيم يأخذ بمجامع القلوب، وإذا قرأت أثرت في عقول السامعين وسحرتهم بحسن بيانها ورقة كلامها.

وقد اشتهرت بمحبة الأزهار ودرس علم النبات والرقص وبرعت في الخياطة وسائر فنون النساء غير أنها لم تكن تهتم بأمر الملبس اهتماماً خاصاً، ولا كانت تباهي بحسن قوامها وجمال محياها شأن كثيرات من النساء وكانت صديقتها الحميمة في الصغر إحدى البنات الحبشيات اللون. ويقال: إنها ابنة الكونت «تشاوي» والد «جوزفين» قبل اقترانه الشرعي وهي أكبر منها بستين ولم تفارقها لفرط محبتها لها وتعلقها بها.

وبينما هما ذاهبتان للنزهة ذات يوم وجدتا عدداً من العبيد حول امرأة سوداء طاعنة في السن تزعم أنها من أهل الكرامات الذين ينثون بالغيب فوقفت «جوزفين» مع البنت، ودنت إلى المرأة وسألتهما أن تنبئها بمستقبل أمرها، فقبضت المرأة على يدها وهزتها فقالت «جوزفين»: أظنك اطلعت على شيء من مستقبلي. فقالت المرأة لها: نعم. قالت «جوزفين» متبسمة: هل تصيبي السعادة أو التعاسة؟ فأجابته المرأة: التعاسة، ثم سكنت وقالت: ثم تتلوها السعادة. فقالت «جوزفين»: أظنك غلظت فانظري ثانية فرفعت المرأة نظرها إلى السماء وعلامات الكدر تلوح على وجهها وقالت: لا يسوغ لي أن أقول أكثر من ذلك، فسألتها «جوزفين» بالحاح أن تنبئها بمستقبلها فأجابته المرأة: أخاف أن لا تصدقيني فألحت عينيها، فقالت: إنك تتزوجين عن قريب ثم لا يمضي إلا القليل حتى يموت زوجك ولكنك ستصيرين ملكة فرنسا عدة سنين، ثم تموتين في مستشفى وسط اضطرابات أهلية.

وفي تلك الأثناء هاجر إلى تلك الجزيرة عائلة إنكليزية وسكنت بالقرب من بيت عمه «جوزفين». وبين أفراد هذه العائلة شاب اسمه «وليم» يقارب عمر «جوزفين» فأحب كل منهما الآخر حتى صار أهلها يلتمحون إلى ذلك وظنوا أنهما سيتزوجان عند بلوغهما سن الرشد إلا أن الفتى عاد إلى بلاده مع عائلته لأسباب قصت بذلك فشق عليه فراق «جوزفين» وشعر أن حياته منغصة فتعاهد معها على المحبة والثبات على المودة إلى حين اللقاء.

وكان عمر «جوزفين» وقتئذ أربع عشرة سنة وهي في معظم البهاء والجمال أسيلة الخلد معتدلة القد واتفق في ذلك الحين أن رجلاً فرنسواً يلقب بـ «الكونت فيس إسكندر» وهو «الملك»

عم «جوزفين» لأشغال له وهذا الرجل مولود في جزيرة «دومينيكو»، وقد نال الوسامات وألقاب الشرف على شجاعته في الحرب التي نشبت بين المستعمرات والممالك الأصلية، وهو من المشهورين بالبسالة والنخوة ومساعدة المستعمرات فصيح اللسان ثابت الجنان، أنيس المعشر، لطيف المحضر وقد حضر وقتئذٍ إلى الجزيرة لإثبات حق له على أملاك من جملتها قسم في حوزة عم «جوزفين» واضطر إلى البقاء عدة أيام في بيت عم «جوزفين» لإنجاز أشغاله، وهناك علق قلبه بـ«جوزفين» وسحرت عقله بلطفها وكمالها حتى لم يعد يستطيع فراقها، ولما رأت عمته وزوجها ميل هذا الشاب إليها ورغبته فيها وهما يعلمان عظم منزلته وغناه سرًا من ذلك وصارا يمسكان عنها كل الرسائل الواردة عليها من خطيبها الأول والمرسلة منها إليه مدة سنة من الزمان.

أما «جوزفين» فحارت في عدم وصول رسائل خطيبها، ولم تتثن عن محبته وولائه مع ما أظهره لها الكونت «بواهرني» من شديد المحبة، وكانت تنظر إليه كضيف كريم في بيت عمته.

وفي بعض الأيام كلمها عمها في أمر زواجها بـ«بواهرني»، ولما كانت تعلم أنه لا قبل لها برفض ذلك وليس لها إلا إبداء رأيها في الأمر حسب عادة تلك الأيام قالت: وكيف ذلك وقد وعدت «وليم» بأن تزوجه بي؟ فأجابها بأن «وليم» نسيك و«بواهرني» أفضل منه، ثم ذكر لها بعض مناقبه، فاضطرت إلى الصمت والتسليم.

وبعد أيام رجع «بواهرني» إلى «رايس» ثم بعد أشهر قليلة عزم «جوزفين» أيضاً على الذهاب إلى فرنسا، وكانت في تلك المدة تفتكر بـ«وليم» وتؤمل أن تسمع عنه شيئاً، ولكنها قطعت آمالها منه قبل وصولها إلى باريس ولما وصلت إلى باريس وجدت «بواهرني» في انتظارها مع بعض رفقاءه ومعارفها فذهبت برفقتهم وعلمت وقتئذٍ أن «وليم» وأباه في ذلك المكان ثم أتيا بعد وصولها بقليل لزيارتها. وفي اليوم التالي أتى «وليم» وحده لزيارتها فرفضت مقابلته فأرسل إليها رسالة يلومها على عدم محافظتها على العهد ويذكر لها الرسائل العديدة التي أرسلها إليها وعدم إجابتها عن شيء منها ويطلب الإفادة عن كل ذلك، فلما قرأت الرسالة ساءها ذلك كثيراً وتأكدت أنه لا يزال يحبها كما كان، وأن عمته وزوجها خدعاها ليزوجاها بـ«بواهرني»، وقد أخذ منها الغيظ كل مأخذ فطلبت إلى أصحابها أن يسمحوا لها بالذهاب إلى دير تقضي فيه مدة من الزمن فأجابوا طلبها، وتوجهت إلى دير قضت فيه بضعة أشهر بالحزن والقلق.

وكان «وليم» في تلك المدة يترقب الفرص ليراها ولو مرة فلم ينل مرامه فيئس منها وقطع

الرجاء من الاقتران بها، فتزوج بفتاة غنية قضى وإياها حياة تعيسة.

أما «بواهرني» فقصدها إلى الدير وسمح له أن يكلمها من نوافذ غرفتها، ولما رأت أنه لا سبيل لها إلا الاقتران به حسب رغبة عمتها وزوجها وأن «وليم» تزوج بغيرها طلبت الرجوع من الدير، واقتربت بالقسيس كونت «إسكندر بواهرني» المذكور ولها من العمر ست عشرة سنة، وكانت الهيئة التي تجتمع بها بعد زواجها مؤلفة من أعلى طبقة من الأمراء والأشراف وكانت ترضي جميع الناظرين إليها بركة حديثها وجودة أخلاقها.

أما زوجها فكان معجباً بجمالها وقد عرفها بالبلاط الملكي وبالملكة «ماري أنتوانت» هناك في قصر «فرسالية». وقضت «ماري أنتوانت» و«جوزفين الأولى» ابنة «ماريا تريزا» إمبراطورة النمسا من سلالة قياصرة «أستوريا» وقد أتت من وسط البلاط النمساوي لتكون ملكة فرنسا وزينة البلاط الفرنسي، والثانية «جوزفين» ابنة رجل مزارع مولودة في جزيرة بعيدة عن العالم وقد ربيت بين الزوج ومن كان يظن أو يخطر له ببال أن «ماري أنتوانت» تنحط إلى أسفل دركات الذل وتقتل بالسيف و«جوزفين» تستوي على عرش لم يجلس عليه القياصرة في أيامهم.

وفي تلك الأيام بدأت الثورة وعمّ الكفر والإلحاد بلاد فرنسا، واستخفوا بالديانة المسيحية، فكثر الفساد وزاد البلاء، ولم يعد للزواج الشرعي أقل احترام بل شاع الطلاق إلى درجة مستهجنة، ولما رأت «جوزفين» أن زوجها «بواهرني» لا يعتقد بالدين ولا يراعي حرمة الآداب، وقد تلطخ بالمفاسد على أنواعها بخلاف ما كانت تعتقده فيه، كبر عليها الأمر وأظهرت له كدرها بلطف العبارة خوفاً من غيظه منها.

وفي سنة ١٧٨٠ [م] ولدت ابنة وسمتها «هورتنس» فحييت ولادتها «جوزفين» إلى زوجها، ولما كان «بواهرني» على ما تقدم من الأوصاف لا يعرف من الإنصاف والظنيرة إلا اسمهما كان يلوم «جوزفين» لإنكارها عليه سوء تصرفه حاسباً إنه ليس لها حق في الكلام في هذا الشأن ما دام يعاملها باللطف والمعروف، ومن ثم لم تعد «جوزفين» ترضى له ما سعيده وزادت تعاستها يوماً بعد يوم ولم تجد لها سلواً سوى ابنتها الصغيرة.

وفي سنة ١٧٨٣ [م] ولدت ابناً وسمته «أيوجين» فصار لها ولدان تعزت بهما عن جفاء والدهما الذي لم يزل عاكفاً على المنكرات، إو مما زاد «جوزفين» غيظاً فسد المرأة التي يعيب إليها «بواهرني»<sup>(١)</sup> فإنها جاءت مرة إلى «جوزفين» وهي غير عالمة أنها عشيقته وأرتها أنه لا

(١) جملة وردت في الأصل بصياغة رديئة، وفي النص عبارات والفواصل، هذه أحسن ما يمكن أن يكون.



يستحق محبتها، ثم ذكّرتها بمحبة «وليم» لها، وما زالت تكلمها بمثل ذلك حتى اضطرتها لكتابة رسالة إلى عمها وعمتها ذكرت فيها لولا الأولاد لتركت فرنسا إلى الأبد، وأن واجباتها تقضي عليها بأن تسلو «وليم»، ولكنهما لما زوّجاها به لم تكن تعيسة كما هي الآن إلى غير ذلك من مثل هذا الكلام، فاختلست تلك المحتملة الكتاب وارتدت لـ «بواهرني» مبرهنة له أن بين «وليم» و«جوزفين» مثل ما بينه وبينها فكره «جوزفين» من أجل ذلك كرهاً عظيماً، وحاولت أن تبرئ نفسها مما اتهمها به ظلماً وعدواناً فلم يصغ إليها بل طردها وأخذ ابنها منها، وطلب من المجلس طلاقها فأخذت ابنتها وذهبت إلى دير هناك لتقضي مدة من الزمان ريثما تنتهي محاكمتها ويا لها من مدة قضتها بالعزلة، ومرارة العيش والقلق الذي ما عليه من مزيد على أن المجلس برأها من كل ما اتهمت به بعد محاكمة طالت سنة من الزمان وحكم على «بواهرني» أن يقوم بنفقتها ونفقة ابنتها وأن تنفصل عنه انفصلاً.

وحدث في ذلك الوقت أنها تلقت رسالة من عمها وعمتها من «مرتنيكو» يسألانها فيها الذهاب إليهما فأخذت ابنتها معها وتوجهت إلى هناك فقابلها بالمحبة والإعزاز، وقضت ثلاث سنين في «مرتنيكو» مغمومة حزينة لا سلوى لها سوى المطالعة وتعليم ابنتها، والتصدق على من حولها، وكان يغلب عليها الافتكار بولدها وما جرى لها مع زوجها فتذهب إلى الأماكن المنفردة وتبكي بكاء مرأ نادبة تعس حظها وسوء حالها.

أما «بواهرني» فانغمس في السرور، وانهمك في الشهوات محاولاً نسيان امرأته وابنته فجلب ذلك له عاراً وكثر تحدّث الناس بأمره حتى صار مضغة في الأفواه، ولم ير من يمدحه على أعماله فتذكر زوجته الأمانة وحنوّها وكمالها وجمالها فندم على قسوته وسوء معاملته لها، وأحب أن ترجع إليه ثانياً، فكتب لها مظهراً أسفه على ما فرط منه في الماضي واعدأ أن يسلك معها بالمحبة والأمانة، ولا يعود في المستقبل إلى ما كان عليه مؤكداً لها احترامه لصفاتها الشريفة راجياً أن ترجع إليه مع ابنتها لتجمع شمل تلك العائلة المشتتة.

فلما اطلعت «جوزفين» على رسالة زوجها جذبها الوجد والشوق إلى ابنها البعيد عنها وتصوّرت أنها ستضمه إليها فابتهجت بمجرد التصوّر والفكر ولكنها لم تكن قد نسيت الأتعاب والأحزان التي قاستها فذكرت أمرها لأصدقائها وأظهرت لهم أنه لولا شوقها إلى ولدها ما كانت تترك الجزيرة طول عمرها فألح عليها أصدقاؤها بالبقاء فلم ترض، بل ودعتهم ورجعت إلى فرنسا، ولما وصلت إليها قابلها زوجها بالترحاب وكان قد اختبر قيمة العيشة الأهلية، والمحبة الطاهرة النقية، وفرحت «جوزفين» بزوجها وابنها وسر زوجها من اجتماع الشمل بعد

= تلك التي نحن بصدد تصحيحها: «ومما زاد غيظاً «جوزفين» فساد المرأة التي «بواهرني» يميل إليها».

التفرق وتناسيا الأيام التعيسة الماضية وصمما على المعيشة بالصفاء والسعادة، ولكن الدهر في الناس قلب فإن صفاءهما لم يظل لما حدث من الاضطرابات عند شوب نار الثورة الفرنسية فإن البلاد كانت وقتئذ قائمة قاعدة، والملك والملكة كانا في السجن، وكان «بواهرني» في ابتداء الثورة من أشد أنصار حزب الحرية وانتخب معتمداً للجمعية التي أقامها ذلك الحزب فكان له إمام بكل متعلقاتها، ثم انحل عقد الجمعية فرجع إلى الجيش، ولما انتظمت جمعية اتفاق الأمة انضم إلى عضوية هذه الجمعية وانتخب رئيساً لها مرتين.

وانقسمت فرنسا في ذلك الوقت إلى حزبين، حزب مؤلف من العوام وآخر من الأشراف، وقوي حزب العوام على حزب الأشراف وكان قائده رجلاً قاسياً يدعى «دوبس بير» فقبضوا على جمهور غفير من حزب الأشراف وأودعوه السجن ليقتلوه بعد المحاكمة، وكان في الجملة «جوزفين» وزوجها فإنهم قبضوا عليهما بعنف وساقوهما إلى السجن ووضعوا كلاً منهما في مكان مظلم بعيداً عن الآخر، ولم يرثوا لحالة ولديهما الصغيرين وكانا في صباح اليوم الذي سجن «جوزفين» فيه أتتها رسالة من بعض الأصدقاء يخبرونها بما سيجري عليها ويحضونها على الهرب وطلب النجاة، فلما اطلعت «جوزفين» على الرسالة جعلت تتأمل في أمر نجاتها ونجاة أولادها أيضاً ولكنها لم تر باباً للهرب حتى سمعت قرع الباب الخارجي والضوضاء أمامه ففهمت سبب ذلك وأسرعت إلى الغرفة التي كان الولدان نائمين فيها ودنت منهما وهما نائمان والدموع تتساقط على وجنتيهما، ثم أكبت عليهما وقبيلتهما قبلة الودع وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب لئلا يستيقظا ودخلت غرفة الاستقبال، فرأت فيها عصابة من العساكر المسلحة، فأغلظوا لها الكلام، ثم سلبوا ما في بيتها وساقوها إلى السجن الذي قتل فيه ثمانية آلاف شخص منذ أشهر قليلة.

أما الولدان، فلما استيقظا ووجدا أنفسهما منفردين في البيت مع الخدم سألا عن أمهات فأجابهما واحد أنه قد قبض عليها وأخذت إلى السجن فبكيا وانتحبا، وطلبيا أن يذهب إليهن السجن ويقيما مع أبيهما وأمهما وكان لهما عمة فلما علمت بسجن «جوزفين» أخذت عليهما.

أما «بواهرني» و«جوزفين» فكان كل منهما في سجن مظلم من سجون القتل، وقد قطع كل منهما بأثار الذين قتلوا في تلك السجون وكانا لا ينفكان عن الافتكار والبكاء بسبب ما جرى لهما وما سيؤول إليه أمرهما وما آل إليه بيتهما من الخراب ويتشوقان إلى استماع شيء عن ولديهما وأحوالهما وبينما هما في السجن إذ وصلت الأخبار إلى «جوزفين» عن أمر سلامتهما ففرح قلبها بتلك الأخبار السارة.

وأما «بواهرني» فلم يمكنه أن يسمع شيئاً، كان هذا الحادث الهائل هم العامد الذي

الذي لاقته «جوزفين» في بحر هذه الحياة العجاج. أما السجن الذي كانت «جوزفين» مسجونة فيه فكان دير «الكرملين» وقد اشتهر في تلك الأيام بكونه مصرح<sup>(١)</sup> الظلم والعدوان وكان متسعاً وفيه عدة غرف وله أسراب مظلمة حتى لقد وجد داخل جدرانه عشرة آلاف مسجون في وقت واحد وكان كل قسم من هذا البناء العظيم ملطخاً بدماء القتلى الذين قتلوا في تلك الأثناء وكانت الرجال والنساء الهائجون يجرون الناس إلى السجون بالمشات والألوف، وكان كثير منهم من الكهنة الذين ساقوهم أمام مذبح الكنيسة للاستهزاء برسوم الدين وهناك قتلوهم.

وكان في سجون فرنسا حينئذٍ نحو ثلثمائة ألف مسجون وكلهم من الأبرياء ينتظرون ساعة قتلهم، ولم يكن فيهم أحد من سوقة الناس وجهالهم بل كانوا جميعاً من أشرف فرنسا ومهذبيها، أما سجن «جوزفين» فكان في كنيسة هذا الدير مع مائة وستين نفساً من الرجال والنساء وكانت تظهر البشاشة بقدر الإمكان بين هؤلاء الرفاق وهي موقنة أنه لا ينال زوجها سوء، وراجية أنهما سيخرجان قريباً ويرجعان إلى بيتهما وكانت تكتب إلى زوجها وأولادها تشجعهم وتشدد عزائمهم وتجذب جميع من في السجن إليها بحسن أخلاقها، ورقة شمائلها حتى امتلكت قلوب المسجونين في زمن قصير فاخثاروها لتقرأ لهم الجريدة اليومية لمهارتها في القراءة وكونها ذات صوت رخيم يأخذ بمجامع القلوب، وكانوا يرون العجلات من نوافذ السجن مشحونة بالمسجونين المسوقين إلى الذبح كل يوم فالبعض يرين رجالهنّ والبعض أولادهن وغيرهم من الأعداء عندهم فيقعون على الأرض فاقدى الشعور.

وفي صباح يوم من الأيام حلمت «جوزفين» أنها خرجت من السجن وجلست مع زوجها وأولادها، فسمعت منادياً يناديها للحضور أمام المحاكم فتأكدت من ثمّ قرب أجلها لأنها علمت أن لا رادّ للعدو في تلك الشدة العديمة الشفقة والرحمة، وأن خداع هذه المحاكمة ليس إلا الخطوة الأولى لإعدام حياتها وليس بعدها إلا التذبحة فسقطت آمالها في الخلاص من قمة الرجاء إلى الحضيض واليأس وجذبها الوجد إلى زوجها وأولادها وغلب إلى هنيهة نحو المرأة على شجاعتها، ولكنها رجعت إلى نفسها واستعدت إلى المحاكمة بقدر ما يمكن من الهدوء<sup>(٢)</sup> والسكينة، ثم سيقت من سجنها إلى دار المحكمة المملوطة بدماء القتلى وأدخلت إحدى غرفها هي وآخرون أيضاً لكي ينتظروا نوبتهم للمحاكمة التي نتيجتها إما الحياة وإما الموت العاجل.

وبينما كانت «جوزفين» جالسة في هذه الغرفة تنتظر نوبتها إذ فتح باب من الجهة المقابلة ودخل منه فرقة من العساكر المتسلحة ومعهم عدد من الأسرى، وكانوا قد أتوا بهم من سجن

(١) مصرح: مكان واسع، أو كل بناء عالٍ. [القاموس المحيط، مادة: صرح].

(٢) هكذا في الأصل، ولعلها: «الهدوء».

آخر، وكانت عيون الجميع محدقة بهم وهم داخلون واحداً بعد آخر ونظرت «جوزفين» فرأت رجلاً مهزولاً ذكراً بزوجها فأعادت النظر إليه والتقت العين بالعين فعرف كل منهما الآخر فركضت وركضت مسرعين وتذكر «بواهرني» عند ذلك عدم أهليته لكرم أخلاق «جوزفين» ومحبتها له فحنى رأسه المنصدع على كتفها وبكى بكاء الندامة والتوبة فبعد أن قضيا بضع دقائق على تلك الحالة أتى الجنود وجروا «بواهرني» إلى المحكمة، وكانت هذه المرة الأخيرة التي رأى فيها «جوزفين» ورأته ثم أرجعوه إلى السجن ولم يثبت عليه شيء إلا أنه كان من الأشراف والأكابر وعلى ذلك استحق الموت.

ثم أدخلت «جوزفين» في نوبتها ولم يثبت عليها شيء أيضاً سوى أنها كانت امرأة رجل من الأشراف وصاحبة «ماري أنتوانت»، وكانت ذات امتيازات خاصة بها في القصر الملكي وعلى ذلك استحققت الذبح هي أيضاً فردت إلى السجن، ولكنها لم تعلم بشيء من الحكم الذي صدر عليها ولا على زوجها، وكانت واثقة أنهما سيخرجان قريباً إذ لم يدر في خلدها أنه يحكم عليهما بالموت من غير أن يثبت عليهما ارتكاب جريمة، وكانوا يأتون إلى السجن في كل مساء بجريدة أسماء الذين نصيبهم الذبح في الصباح التالي وحدث بعد محاكمة «جوزفين» وزوجها بأيام قليلة في مساء أربعة وعشرين يوليو سنة ١٧٩٤ [م] أن «بواهرني» رأى اسمه بين أسماء الذين سيساقون إلى الذبح عند الصباح.

فلما علم ذلك وتذكر «جوزفين» وأولاده حزن وعزت عليه الحياة، ولكنه تجلّد واستعد للذبح، ثم أخذ وكتب رسالة طويلة إلى «جوزفين» مفعمة بعواطف المحبة، وأكد لها اعتقاده القلبي بطهارتها وسمو صفاتها وشكرها مراراً لأجل مسامحتها بياه القلبية عن كل ما صدر منه عندما كان مذنباً حيث رجع وطلب محبتها، وطلب منها أيضاً أن تربي ولديها وتعلمهم محبة أبيهما حتى يبقى ذكره بينهما ومحبه في قلوبهما بعد الممات، وبينما كان يكتب الرسالة التي الجلادون وقصوا شعره لكيلا يبقى شيء معارض للسيف عن قطع رأسه فالتقط شخصاً من بينه منه لكي يرسلها إلى «جوزفين» تذكيراً أخيراً فمنعه الجلادون القساة، ولم يسمحوا بذلك ولكنه اشترى منهم بضع شعرات وأرسلها ضمن الرسالة. وفي الغداة كانت عجلات المذنبين واقفة على باب السجن وكان قد حكم في ذلك اليوم بإعدام عدد كبير من المسجونين، وكانت العجلات مارة في أسواق باريس مشحونة بالأبرياء المحكوم عليهم كانت عيون الشعب شاخصة إليهم وقد اشمازت من هذه المظالم، ولما وصلوا إلى المكان المعين لمناجاة الله جميعاً بلا شفقة حتى إذا أفضت النوبة إلى «بواهرني» سعد إلى المذبح، وهو يبط الحمار ثابت الجنان، فضربوه بالسيف ضربة كانت القاضية.

أما جوزفين فلم تكن موقنة بما سيقع على بعلمها ولا عارفة بشيء من ذلك، ولما أتت جريدة الأخبار اليومية إلى السجن اجتهد بعض السيدات العالمات بذلك أن يخفينها عنها، أما هي فلم تنفك عن طلب الجريدة حتى استلمتها وأول شيء حوّل نظرها إليه أسماء الذين قتلوا فلما وجدت اسم زوجها بينهم سقطت إلى الأرض كميته وبقيت مدة فاقدة الحواس، ولما استفاقت صرخت في وسط حزنها: آه. يا إلهي، أمتني أمتني لأنه لا سلام إلا في القبر، فاجتمع أصدقاءها حولها وجعلوا يعزونها ويسألونها الحرص على حياتها إكراماً لولديها، ولكنها لم تجد للسلوى سبيلاً، ولا غمض لها جفن في تلك الليلة، ولما بزغ الفجر أتى عصابة من الثائرين القساء العديمي الشفقة إلى السجن بالأخبار التي كانت تفرح «جوزفين» لولا محبتها لولديها وتعلقها بهما وكان مآل تلك الأخبار أنهم استاقوها هي أيضاً إلى القتل فجاء الجلادون وقصوا شعرها استعداداً للقضاء المبرم كما كانوا يفعلونه بالمحكوم عليهم وقالوا لها: إنك لا تحتاجين إلى هذا الشعر فيما بعد فاجتمع أصدقاءها حولها وطفقوا يبكون وينوحون.

أما هي فكانت رابطة الجأش ليس عليها شيء من ملامح الحزن والخوف والرعب، ولما رأت أصدقاءها وما هم عليه من الحزن والغم التفتت إليهم وقالت لهم: ما بالكم تنوحون وتبكون فأنا لم أقتل كما تظنون بل إنني سأصير ملكة فرنسا لأن ذلك مكتوب لي في صحف الحوادث، فلما سمع أصحابها ذلك ازدادوا بكاءً وعويلًا ظانين أنها أصيبت بالجنون ونظرت إليها إحدى السيدات. وقالت: إذا لماذا لا تهيين الحواشي والحشم لقصرك؟ فقالت لها «جوزفين»: صدقت فإنك أنت تكونين وصيفتي في القصر، وكان كذلك بعد إذ، ولما أرخى الليل سدوله على ذلك السجن شمل الهدوء والسكون داخله، ثم بزغت شمس الظهيرة في وسط قتام الليل وعلا هتاف الفرحة والسرور بين المسجونين من كل جانب، ووقع كثيرون على الأرض فاقدى الشعور غير مصدقين بما سمعوه من البشرى وذلك أن «دوبسير» القاسي القلب كان قد أمسك وقتل وقام حكام آخرون وفتحوا أبواب السجن التي كانت مفعمة بالأسرى وأطلقوا سبيل الجميع.

أما سبب إمساك «دوبسير» وقتله، فهو أن رجلاً يقال له «تاليان» من المقتدرين مع ذوي الجاه والسطوة كان يحب مدام «فانشاي» وهي سيدة بارعة الجمال وكانت مسجونة مع «جوزفين» وكان يذهب كل يوم إلى السجن ليراها فحدث ذات يوم أنه اتصل بها سرّاً وأنه قد قربت محاكمتها، فلما علمت ذلك انتظرت وقت حضور «تاليان» إلى دار السجن ولما حضر اقتربت هي و«جوزفين» من نافذة السجن المشبكة بالحديد ورمت ورقة ملفوفة (كرب) كتبت

عليها قد دنت محاكمتي والموت مؤكد فإذا كنت تحبني كما تقول فابذل كل ما تستطيعه لإنقاذي وإنقاذ فرنسا، ثم جعلتا تشيران إليه حتى فهم قصدهما والتقط الورقة الملفوفة من الأرض ولما قرأها ثار ثائره ونبض نابضه وذهب حالاً إلى أصدقائه وجعل يهيجهم ضد «دوبسير» وأتباعه، وكان الشعب قد ملّ من مظالم «دوبسير» فوافقه على ذلك حزب كبير منهم وأثاروا ثورة عظيمة في باريس على «دوبسير» فدارت الدائرة عليه وعلى أتباعه فقبضوا عليهم وقتلوهم وخلصوا البلاد من ظلمهم وعدوانهم ثم فتحوا أبواب السجون، وأخرجوا جميع الذين كانوا فيها وعددهم نحو خمسمائة ألف مسجون فأبى قلم أو أي لسان يستطيع أن يعبر عما شمل الفرنسيين من الفرح والابتهاج لما انتشرت الأخبار في البلاد بإعدام ذلك الظالم الغشوم وإنقاذ أحبائهم من يده، وتخلصت «جوزفين» بهذه الوساطة من سجنها مثل كثيرين، ولكنها لم تخرج من ظلام السجن إلا إلى عالم أشد ظلاماً وأكثر غماماً فإن زوجها كان قد قتل، وبيتها قد نهب، وأملاكها اغتالها الناس، وكثيرون من أصدقائها قد هلكوا، فأمست وهي أرملة فقيرة ليس عندها شيء ولا لها من تذهب إليه وتطلب معونته، ولم تستطع أن تنعاضى عملاً من الأعمال يمكنها به القيام بمعاشها ومعاش ولديها السبب توقف الحال بالاضطرابات الكثيرة فلم تبدأ هي وولداها من بسط كف السؤال وكان ما تجشمت في هذه المدة من أمراب ذقت وأصعب ما لاقت في كل أيام حياتها فمن هذه الدرجة ترقى «جوزفين» إلى أسمى درجة لا يمكن أحداً من الناس أن يتصورها ولا في منامه.

قلنا: إن «دوبسير» قتل وقام مكانه حكام آخرون وفتحوا أبواب السجون للأسرى لأن دم القتلى لم يزل جارياً كما كان لأن هؤلاء الحكام قصدوا قطع شأفة الأشراف من البلاد، فكانوا يجزّون الناس للقتل ذكوراً وإناثاً، كباراً وصغاراً حتى إنهم كانوا يذهبون إلى المدارس ويجزّون تلامذتها صبياناً وبنات ويقتلونهم. فلما رأت «جوزفين» ذلك ارتعدت فرانصها جزعاً على ابنها وحاولت إخفائه فأرسلته إلى أحد النجارين وظل يعمل عنده بمهنة عدّة أشهر، ثم فرح بذلك.

أما «جوزفين» فلم تبق على هذه الحالة وحاشا لسيدة كبيرة العسر، واليسيرة الأخلاق، حميدة السجايا مثل «جوزفين» أن تترك بين جماعات البشر، ولا يلتفت إليها، بل تفتح ممدى المنازل وتعطى كل ما تحتاج إليه فإن كل أحد كان يشعر أن ينال شرفاً عظيماً بمصاحبتها، وكانت امرأة تدعى «دوميلين» وهي سيدة عظيمة ذات ميراث عظيم وقد اتفق خدامها وخلاص أموالها من جور فرنسا فهذه دعت «جوزفين» إلى بيتها وبذلت لها كل ما تحتاج إليه، وكذلك مدام «فانشاي» وهي السيدة التي خلصت نفسها وعدداً كبيراً معها بكتابتها إلى «تاليران» على

ورقة الملفوف، وكان بعد خلاصها من السجن أنها اقترنت بـ «تاليان» وهي أيضاً كانت من أعز صديقات «جوزفين»، وكانت تبذل لها ما تحتاج إليه مع كثير من غيرها.

ثم إن جوزفين قامت تطالب بحقوقها مع جميعة اتفاق الأمة وهي استرجاع أملاكها المحجوزة وذلك على يد «تاليان» فنجح مسعاها بعد مدة طويلة وأتعاب جسيمة واسترجعت جانباً من أملاكها التي استولوا عليها، فرجعت بذلك ثانية إلى بيتها الخاص وجمعت إليها ولديها «هورتنس» و«أيوجين» وكانت محاطة بأصدقائها المخلصين، وصفت لها الأيام وسالمتها الليالي رويداً، وحدث ذات يوم أنها دعت ابنها إلى غرفتها وأعطته صورة أبيه المقتول وقالت له: خذ هذه يا ولدي إلى غرفتك واجعلها غاية تأملك، ونموذج حياتك الدائم فإن صاحبها كان أول محبوب بين الناس، ولو بقي حياً لكان أحسن والد، فأخذ «أيوجين» الصورة من أمه وخرج وهو يقبلها والدموع تتساقط من عينيه، ثم عاد في المساء إلى والدته وبصحبه ستة من أصدقائه وقد وضعوا على أعناقهم شرائط بيضاً وسوداً على مثال صورة «بواهرني» فنظر «أيوجين» إلى أمه وقال: انظري يا أماه، إلى مؤسسي نظام جديد في الفراسة وهذا قدسنا الحافظ لنا وأشار إلى صورة والده وهؤلاء هم أعضاؤها الأولون.

ثم عرفها بكل منهم وقال: إن اسم هذا النظام نظام المحبة البنوية فإذا كنت تحبين أن تكوني شاهدة على افتتاحها فادخلي المجلس الصغير مع هؤلاء الشبان، فدخلت «جوزفين» معهم وإذا جدران الغرفة مزينة تزييناً جميلاً بأكاليل الورد والغار وكانوا قد أخذوا نسق ذلك من مقالات لـ «بواهرني» كانت قد طبعت قبلاً، وكانت الغرفة مستنيرة أيضاً بالشموع المضيئة. وفي أحد حيطانها مذبح كبير وعليه صورة «بواهرني» التي كانت بقدر جسمه تماماً، وقد زين بالأزهار الجميلة، وعلق بإطار الصورة ثلاثة أكاليل معقودة من الورد الأبيض والأحمر وأمامها حنجوران من الطيوب.

ثم رتبوا أنفسهم حول المذبح بكل هدوء واستلوا سيوفهم من أغمادها عند إبداء شارة معينة ثم تعاهدوا على محبة والديهم ومساعدة بعضهم بعضاً، والمحاماة عن بلادهم. ولما فرغوا من معاهدة بعضهم بعضاً تقدمت «جوزفين» إليهم ودموع الفرحة من صنيعهم ممزوجة بالتبسمات الوالدية. ثم أخذت يد كل منهم وأظهرت فرحها بتأسيس هذه الجمعية.

وكانت «جوزفين» مع كل ما أصابها لا تزال على ما كانت عليه من اللطف والبشاشة، والنزاهة والفكاهة وذلك ما جذب كثيرين من الأصدقاء إليها، وكانت هيئات باريس الاجتماعية قد انقلبت من التقلبات السياسية وقد ابتدأ الشعب إذ ذاك في إقالتها من عثرتها، ولكنها انقسمت إلى دائرتين عظيمتين:

الواحدة: مؤلفة من بقايا الأشراف الذين رجعوا إلى باريس وجمعوا بقايا عيالهم وأموالهم وعاشوا بالاقتصاد. والثانية: من التجار والصيارفة الذين حصلوا ثروة عظيمة في وسط زوابع الثورة.

وكانت نيران الحرب قد استعرت وقتئذٍ بين فرنسا وبقية دول أوروبا إذ تحالفت جميع دول أوروبا على محاربة فرنسا واقتسامها فيما بينهم وذلك على تلك الحرب الأهلية التي أثارها الأهالي بسبب سوء سياسة جمعية اتفاق الأمة فحار رئيس الجمعية في أمره، ولكنه قال: أنا أعرف من القادر على المحاماة فهو ذلك الشاب الكورسيكي «نابوليون بوناپرت» الذي طرد جيوش الإنكليز من «طولون»<sup>(١)</sup> واسترجع المدينة.

فدعوا «نابوليون» إلى مواجهة الجمعية وكان بمدينة «فالنس» في بداية الثورة في رتبة قائم مقام. وكان حاد الطبع، قليل الكلام والحركة، كثير التفكير، شديد الميل إلى المطالعة. فلما دعت جمعية اتفاق الأمة أجاب الدعوة ومثل لديها. فسأله الرئيس إذا كان يقبل أن يأخذ على نفسه المحاماة عن البلاد فقال: نعم. ثم سأله أنه كان يعلم عظم هذه الشيعة. فأجاب: إنه يعلم ذلك حق العلم فذاعت أخبار ذلك على الأثر وشعر هو بالتبعية التي أقيت عليه، وأرسل فاستدعى كل قواد الجمعية من جهات البلاد إلى داخل باريس، وشهر الحرب على العصاة وأرجعهم إلى الطاعة، فذاع اسم «نابوليون بوناپرت» في أطراف باريس وتحدثوا به وبأعماله في كل قصر، وبيت، وحنوت، وفي الأزقة، وعلى الطرقات. ولقبه البعض بمخلص «الكونفانيسيون» أي اتفاق الأمة، والبعض بعفريت الحرب.

وفي مساء يوم من الأيام كانت «جوزفين» في بيت أحد أصدقائها وبينما هي تنظر من نافذة إلى بعض أزهار البنفسج إذ دخل «نابوليون» ولم تكن تعرفه ولكن كانت قد سمعت عنه إذ كانت شهرته قد ملأت الحاضرة، ولما دخل سر الجميع به وأحدقت العيون إليه فسأله عن الجميع، ثم تقدم وأخذ مكاناً بالقرب من «جوزفين» وجعلا يتحدثان في أمر المعركة الجديدة التي جرت في أسواق باريس، وهذه كانت أول مواجهة بينهما، ولم يمض على ذلك مدة قصيرة حتى أمر «نابوليون» بجمع كل الأسلحة من الأهالي وأخذ بالجملة سيفاً له من بين أسلحة «أيوجين» بذلك ذهب من الغد إلى «نابوليون» وكان له من العمد حينئذٍ ثلث عشرة مئة وفضل منه استرجاع سيف والده فسر «نابوليون» من جراءة الولد، حماسه، وسمح له به في الحال، وأرادت «جوزفين» إظهار شكرها «لنابوليون» فذهبت إليه بنفسها وشكرته على ذلك فسر.

(١) طولون (Toulon): مدينة في جنوب فرنسا على المتوسط، قاعدة محافظة فرنسية وهي اليوم لأحد أهم الموانئ الفرنسية. وقع في يد الألمان سنة ١٩٤٢ م.



أضعاف سروره من الولد. ومن ثمَّ صارا يلتقيان كثيراً ولم يخف عن «جوزفين» ميله إليها وحدثته نفسه من ذلك الوقت بالاقتران بها وأحبها حباً عظيماً، وكانت هي المرأة الوحيدة التي أحبها في حياته، ولم يحل عن حبها مع كثرة ما طرأ عليه من الحوادث والغير.

أما «جوزفين» فكانت في ريب من أمر اقترانها به وقد قالت ذات مرة لبعض أصدقائها: إنها لم تر في زمانها إنساناً محبوباً مثله، وإنها شغفة بشجاعته وسعة اختياره، ولكنها لم تكن تحبه مقدار ما كان يحبها، بل كانت ترهبه وترتعد من نظره إليها، وقد قالت مرة لإحدى صديقاتها: ألا تخاف امرأة جعلها «نابوليون» السرية الخفية التي لا يفهمها حتى مديرونا وكتبت مرة إلى أخرى تقول: قد تقضى شرح شبابي وهل يوجد رجاء بعد في المطل لكثرة رغبة «نابوليون» فيّ على غير استحقاق مني لها أولاً يعيرني بما يكون قد احتمله من أجلي إذا كان يترك محبتي بعد اقتراننا، ماذا أصنع؟ وبماذا أجيب؟ اكتبني إليّ حالاً ولا تخافي أن توبخيني إذا وجدت أنني مخطئة وأنت تعرفين أن كل ما يخطه يراعك مقبول إن «باراس» أكد أنني إذا اقترنت بـ «نابوليون» يوليه على إيطاليا فماذا تقولين عن هذا النجاح؟ انتهى.

وكانت عواصف الثورة قد خمدت وقتئذٍ ولكن أوروبا كلها كانت لم تزال شاهرة السلاح على فرنسا، وكان الحكم غير ثابت والشرائع غير محترمة فوقف هذا القائد الحديث السن كل أيامه لمصلحة الجمهور، ولكنه كان يخصص كل مساء لـ «جوزفين»، ولم يذق في أيامه شيئاً من أفراح الشبان ومسراتها، لأن رغبته في حب الارتقاء غلبت على كل شيء ولكن لم يكن عنده مع كل ذلك شيء أسعد وأبهج من الساعات التي كان يقضيها وحده مع «جوزفين» إما بالأحاديث المفيدة، وإما بالمطالعة النافعة وكانت محبته لها ورغبته فيها تزداد يوماً فيوماً، ولم تكن صفات النساء في فرنسا وقتئذٍ تعدّ في منزلة عالية، وكان «نابوليون» قلماً يحترم هذا الجنس ويقول: «إن كل النساء لا يقسن بجوزفين». وقد كان معتاداً أن يرى في بيت «جوزفين» بعضاً من الأصدقاء المخلصين الذين كانوا يحبونها محبة خالصة، ويرغبون في ترقية «نابوليون» إكراماً لها.

أما «نابوليون» فكان ذا عواطف قوية ولكن حبه للارتقاء والارتفاع كان أقوى. وأما «جوزفين» فكانت قانعة بخلوص محبته لها وشدة غرامه بها وما زالا يظهران الحب والتودد لبعضهما حتى كان التاسع من آذار (مارس) سنة ١٧٩٦ للميلاد فاقترا «نابوليون» بـ «جوزفين».

وفي تلك الأثناء تولى «نابوليون» قيادة العساكر الفرنسية في إيطاليا فترك عروسه بعد زفافه باثني عشر يوماً، وأسرع إلى الجيش وكان كأنه لم يشعر بتعب ولا بجوع ولا نعاس وهو

على ظهر جواده نهاراً وليلاً ولم يمضِ على توليته قيادة الجيش خمسة عشر يوماً حتى أحرز الغلبة في ست وقائع وغنم إحدى وعشرين راية وخمسة وخمسين مدفعاً، وعدة أماكن حصينة، وأغنى جهات أرض «بيارمونت»، وأسر خمسة عشر ألف أسير وقتل وجرح عشرة آلاف جندي، وطرد النمساويين من إيطاليا وأرجعهم إلى بلادهم فإن إيطاليا كانت في تلك الأيام مقسومة إلى عدة ممالك وولايات صغيرة مستقلة، أكثرها خاضع للنمسا ولما علمت «جوزفين» بانتصار زوجها أتت إليه لكي تشاركه في أفراحه فأخذ قصر «متبلو» في «ميلان» مسكناً لهما فقضت «جوزفين» هناك عدة من الشهور في سعادة ورخاء، فكان لها كل معدات الثروة والغنى بعدما كانت أرملة فقيرة أصبحت زوجة قائد ظافر قد طبقت شهرته آفاق أوروبا وبعدها كانت أسيرة محكوماً عليها بالموت وجدت نفسها محاطة بالأشراف والأمراء، وكان لها منزلة عالية في قلب كل ميلاني وقد قال «نابوليون» ذات مرة مشيراً إلى ذلك: «إنني تسلطت على الممالك وأما جوزفين فقد تسلطت على القلوب».

ولما أخضع «نابوليون» كل إيطاليا ضرب عليها الضرائب، ووضع لها النظمات الجمهورية وعقد العهود مع دولها وتقدم إلى محاربة النمسا في أراضيها فانتصر هناك أيضاً انتصاراً عظيماً، وفتح أكثر مدنها، ثم طلبت دولة النمسا الصلح فعقد «نابوليون» معها صلح عاد على فرنسا بالفوائد العميمة ثم قفل راجعاً إلى باريس تاركاً «جوزفين» وأولادها في «ميلان» لكي تحفظ له انقيادهم إليه بأنسها وبشاشتها، وحسن معاملتها. فكانت تدعوهم غداً إلى بيتها وتفتح أندية لهم فعدها أهل «ميلان» ملكة بينهم وكثيراً ما كانت تتعب من أجنابها، ولكنها لم تكن تعاب بالتعب إكراماً لزوجها وحباً له، وكان «نابوليون» يكتب إليها يومياً وهي كذلك وقد قال في نهاية حياته: «إنه مديون لها في كل دقيقة سعيدة حصل عليها من وجهته البسيطة».

وكانت «جوزفين» في أثناء إقامة «نابوليون» بباريس تسهر على مصالح الجمهوريين والفرنسيين أيضاً في المحافظة على مصلحة «نابوليون» وتؤيد سطوته، وكانت معجبة بذكائه وقوته في ازدياد شوكرته ومع أن حاشيتها كانت من الأمراء والأشراف، فإن العدم لم يسعها أبداً لأنها عدت عدو ولا الفقير أنها لا تلتفت إليه، بل شعروا جميعاً بقدرتها منهم والمساكين منهم الفقير منهم والصعلوك كالأمير، وكانت إذا صادفت صديقاً أقدم على صداقتها من أي العدم، والذين ساعدوا من ذلك قواها العقلية وخلوص محبتها وسهولة الاقتداء بها، ولم لا مساعدتها ل«نابوليون» ما أوصلته بسالته إلى الدرجة التي وصل إليها فإنه لما كانت «جوزفين» رفيقته ومعنته كان ظافراً منصوراً، ولما تركها كسر وخذل.

وأقامت «جوزفين» سنة ونصفاً في «ميلان»، ثم رجعت إلى فرنسا حيث «نابوليون» كانت حكومة «الديكرونوا» خائفة منه فأرادت أن تبعده عنها، فعرضت عليه أن يتقلد قيادة الأسطول المعين بغزو الأساكل<sup>(١)</sup> الإنكليزية، فذهب «نابوليون» يتعهد أحوال تلك الأساكل، وقضى عشرة أيام ثم رجع إلى باريس وقال: «إن النجاح غير مؤكد».

ولكنه أبدى لهم رأياً بفتح الديار المصرية والسورية لتكون باباً للهند ثم يتقدم إلى فتح الهند وطرده الإنكليز منها وتجنيد عساكر من الأهالي وجعل ضباطاً من الأوروبيين عليهم، ففرحت الحكومة بهذا الرأي وأجابت طلبه حالاً لا رغبة في فتح البلدان، بل في إبعاد «نابوليون» عن فرنسا متوقعين أن يهلك ويتخلصوا منه لأنهم أمسوا جميعاً خائفين سطوته، فجهزت الحكومة له ثمانية وعشرين بارجة وأربعمئة سفينة لنقل مهمات الحرب وأربعين ألف جندي.

وفي صباح التاسع عشر من أيار (ماي) سنة ١٧٩٨ [م] كان في ميناء «طولون» طالباً الديار الشرقية، وكانت «جوزفين» قد رافقته إلى «طولون» وقد رغبت كل الرغبة في الذهاب معه إلى مصر، ولكنه لم يسمح لها ووعدّها إنه إذا نجح يبعث ليأخذها، ولما أقلعوا كانت «جوزفين» واقفة في شرفة البيت وعيناها مغرورقتان بالدموع محدقتان بذلك المنظر البهيج المحزن، ثم حوّلت عينها وتفرست في المركب الكبير الذي كان ينقل زوجها وابنها سائراً بهما وسط المخاطر، وصار المركب يبعد عنها ويصغر أكثر فأكثر حتى اختفى أخيراً بين مياه البحر المتوسط فدخلت غرفتها وشعرت بانفرادها ووحدتها وكان «نابوليون» قبل ذهابه إلى مصر قد عين «بلومبيا» مسكناً لـ «جوزفين» ريثما يرسل في طلبها.

ولما رأت «جوزفين» أنها منفردة أرسلت فطلبت ابنتها من المدرسة لتقيم معها مدة بعدها عن زوجها وابنها، وكانت تأمل أنه حالما يفتح بلاد مصر ينجز وعده لها وينقلها إلى وادي النيل ولم يمضِ زمان طويل حتى كتب إليها بأن تتأهب للسفر فعمّا قريب تصل إليها البارجة المسماة «بومونا» لتعبر بها البحر المتوسط إلى مصر ولكن اتفق في صباح يوم من الأيام أنها كانت جالسة وإبرتها في يدها، وحولها عدد من السيدات صديقاتها وابنتها «هورتنس» فخرجت إحدى السيدات إلى الشرفة خارجاً فأبصرت كلباً قريباً ماراً في الزقاق ودعتهن ليرينه فتراكضن إلى الشرفة، ولما وصلن إليها هبطت بهن إلى الأرض وألقتهن جميعاً، فاضطر كثير منهن إلى ملازمة الفراش مدة طويلة وفي جملتهن «جوزفين» فإنه مضى

(١) الأساكل: مفردتها إشكلة، وهو الميناء في بحر الروم. وهي لفظة إيطالية الأصل، مقترضة. [المنجد في اللغة والأعلام، مادة: إسكل].

عليها مدة أشهر ما أمكنها الخروج من البيت ولكن هذه الحادثة من عظمها كانت قد نجتها من أخرى أعظم منها فإن البارجة التي كان قد أرسلها «نابوليون» لتأخذها إلى مصر كانت قد أخذت في البحر وأرسلت إلى لندن.

فلما علم «نابوليون» بما وقع لـ «جوزفين» وإنه لا يمكنها الحضور بعد إلى مصر كتب إليها بأن تشتري مسكناً خارجاً عن باريس وتنتقل إليه وإنه إذا لم يعقه عائق يصل إليها قريباً، فاشترت «جوزفين» قصرًا جميلاً يبعد عشرة أميال عن باريس وخمسة أميال عن «فارساليا» اسمه «ملمازون» بمائة ألف ريال وأضافت إليه أراضي واسعة من كل الجهات وكانت مولعة به لكثرة ما يشرف عليه من المناظر الطبيعية ولما حضر «نابوليون» سر به هو أيضاً وكان من أحب المساكن إليهما.

وفي أول فصل الخريف أخذت «جوزفين» تتعافى مما أصابها فتركت «بلوم بيار» وأتت إلى «ملمازون» مع ابنتها وعدد من السيدات، وكان بيتها غاصاً بالأشراف والأدباء، وكانت تكتب إلى «نابوليون» بكل ما يجري في القصر حتى الأحاديث التي تدور بينها وبين زوارها فيسر بأخبارها ويطلب منها أن تجتهد في توثيق رباطات المحبة والمودة بينه وبين أصدقائه القدماء، وأن تبذل جهدها في مصادقة آخرين غيرهم، وكان لـ «جوزفين» تأثير عظيم في أعضاء «الديركتوار» وقد خلصت كثيرين من الضيق وردت إلى كثيرين آخرين الأملاك التي أخذت منهم، ولما رأى البعض تأثير «جوزفين» في «نابوليون» أرادوا أن يحولوا بينهما لغيات سياسية فاستعملوا لذلك نفس الأسباب التي كانت هي تستعملها لكي تكتسب له أصدقاء ونسبوا إليها الخفة والطيش، وكان لهؤلاء الأعداء تأثير عظيم في «نابوليون» فجعلوا يوسوسون في صدره ويهيجونه عليها فأثر كلامهم فيه لحدة مزاجه وقام من فوره فكتب إليها رسالة ضمنتها قوارص الكلم فلما اطلمت «جوزفين» عليها تأثرت تأثراً عظيماً، وقامت فكتبت إليه كتاب لطيف رقيقاً لم يسبق له نظير في الخلوص والرقّة، وكانت محبتها وصفاء قلبها يظهران في خلال كل سطر من سطوره، ولكن حجزت هذه الرسالة بمساعي المحتالين فلم تصل إلى «نابوليون» وكانت المراكب الإنكليزية وقتئذٍ مراقبة لفرنسا وقد منعت كل مراسلة بينها وبين الآخرين في مصر.

وكانت كل يوم تصل إلى «جوزفين» أخبار سيئة عن أحوال الجيوش في مصر، ووصل إليها خبر أن زوجها مات فاشتغل بالها وأمست في قلق ولبال، وقد كانت تخاف دائماً أن زوجها ربما يترك محبتها بعد رجوعه محمولاً على ذلك بسعي المفسدين والشاة، ولكنها لم تنزل تبذل غاية جهدها في كل ما يؤل إلى خيره ونجاحه ومع أن قلبها كان تعباً وخاطبها مكسوراً.

كانت تفعل كل ما تقدر عليه لكي تظهر البشاشة للجميع حسب عاداتها، وكانت تسلي نفسها بالأزهار والرياحين فتقضي جانباً من وقتها مع ابنتها «هورتنس» في الحديقة ومعولها ومرشتها في يدها، ثم كانت تقضي جانباً كبيراً من وقتها في زيارة بيوت الفلاحين حواليتها، وكان كفها دائماً مفتوحاً لسدّ عوز المحتاجين، فتصدق عليهم وتفرح لأفراحهم، وتحزن لأحزانهم.

ولما توّجت إمبراطورة على فرنسا ابتهج هؤلاء الفلاحون ابتهاجاً عظيماً ودعوا لها بطول البقاء، وحسبوها من أجدر النساء بهذا المقام وهكذا قضت «جوزفين» عدة أشهر بعضها في الجولان بين هؤلاء الفلاحين وبعضها في القصر بين الأشراف والأمراء في انتظار استماع الأخبار من «نابوليون».

وفي ذلك الوقت ابتدأت سنة ١٧٩٩ ميلادية فلاح أنها من بدأتها سنة شوّم على فرنسا فإن الفرنسيين كانوا قد تعبوا من مظالم الثورة وكانت حركة الأشغال واقفة، والجوع عاماً في البلاد، وكان النمساويون قد دخلوا إيطاليا ثانية، وأوقعوا بالفرنساويين من كل جانب، وكانت الصلات بين الجيوش في مصر وبين فرنسا مقطوعة وأخبار موت «نابوليون» ذائعة في كل البلاد، وأما حكومة «الديركتوار» فكانت مؤلفة وقتئذٍ من خمسة قد نشأوا في غضون الثورة من بين عامة الناس واستلموا زمام الحكم وكانوا قساة ظالمين لا يعرفون شيئاً من العدل والإنصاف، وكان الشعب قد سئم منهم وكره الاستمرار على هذه الحالة وتمنى مدّ يد قوية لإصلاح الأحوال السياسية وإرجاع الحكم والنظام إلى البلاد.

وفي مساء التاسع من تشرين الثاني (أكتوبر) من تلك السنة دعا رئيس «الديركتوار» إلى بيته أكابر باريس ووجهاءها، وكانت «جوزفين» في جملة المدعوين وبينما هم جالسون على المائدة عند نصف الليل إذ وصلت رسالة برقية إلى الرئيس حاوية أخبار وصول «نابوليون» إلى «فريجى» (وهي مدينة صغيرة على شاطئ البحر المتوسط) فلما سمعت «جوزفين» ذلك أسرعت إلى بيتها وركبت مركبها وسارت مسرعة لملاقاة زوجها، وكانت راغبة في الوصول إليه قبل أن يصل إليه الأعداء ويسمعوه التهم والشايات الباطلة، فسارت نهراً وليلاً بلا أكل ولا نوم حتى إذا وصلت إلى «ليون» أخبرت أن «نابوليون» ترك المدينة إلى باريس منذ يومين فساءها ذلك كثيراً، وجعلت تضرب أحماساً لأسداس وتقول: «ما عسى أن يقول الأعداء عني إذا وصل «نابوليون» إلى باريس ولم يجدني في البيت».

وكان من أخص هؤلاء الأعداء إخوة «نابوليون» ونسأؤهم وذلك أنهم لما رأوا النجاح الذي وصل إليه «نابوليون» بتأثير «جوزفين» فيه وأن زمام الأمور سيصبح في قبضة يده عما

قريب ويكون هو الحاكم المطلق حسدوه وحاولوا أن يقفوا في سبيله فلم يجدوا سوى إلقاء البغض والفساد بينه وبين «جوزفين»، ولما وصل إلى باريس في العاشر من تشرين الثاني (أكتوبر) اجتمعوا حواليه وصاروا يشكون إليه أعمال «جوزفين» وينسبون إليها الخفة والطيش والإسراف وعدم الافتكار به وغير ذلك.

فلما سمع «نابوليون» ذلك هاج غضبه وقال بصوت عالٍ: «إنني لأطلقنها». فالتفت إليه أحد الحضور وقال له: الآن تأتيك معذرة بلسانها الفصيح وكلامها العذب فتصفح عنها وتعودان إلى ما كنتما عليه. فأجاب «نابوليون» وهو يتمشى في الغرفة ذهاباً وإياباً: «لن أصفح عنها وأنت تعرفني ولولا خوف العاقبة لنزعت هذا القلب وألقيته في النار». وبمثل ذلك عزم «نابوليون» أن يلاقي «جوزفين» بعد غيابه عنها زهاء سنة ونصف من الزمان.

ولما كان اليوم الثالث من وصوله عند منتصف الليل وصلت «جوزفين» وكان «أيوجين» ينتظر وصولها بإفراغ صبر، ولما علم بذلك لاقاها إلى الدار السفلى، ثم صعد بها إلى القسم العلوي حيث كان مجتمع أهل البيت وكان «نابوليون» جالساً هناك مع أخيه يوسف فأخذت «جوزفين» ترتجف وهي صاعدة على السلم خوفاً من «نابوليون»، ولما وصلت إلى الباب رآها «نابوليون» قبل أن تدخل الغرفة فالتفت إليها مغضباً وقال لها: «ارجعي حالاً إلى ملماتون».

فلما سمعت «جوزفين» ذلك غابت عن الرشد وأوشكت أن تسقط إلى الأرض فأمسكها ابنها وذهب بها إلى غرفتها وهو في حال الكدر الشديد، ولم يمض ربع ساعة حتى سمع صوت «أيوجين» وأمه وأخته نازلين على السلم قاصدين الذهاب جميعاً إلى «ملماتون» فلما شعر «نابوليون» بنزولهم أسرع من غرفته وصار يكلم «أيوجين» ويلح عليه بالرجوع وهو لم يكن متوقفاً هذه الطاعة الغريبة في «جوزفين» وكان قلبه لم يزل يحبها وطلب رجوعها. ولما وجدها تاركة البيت وذهابة أراد إرجاعها، ولكن أنفته منعه من أن يدعوها صريحا ويرجعها، فصار يكلم «أيوجين» ويلح عليه بالرجوع حتى اضطر أن يرجع بأمه وأخته، ولما رجعا، يكلم أحد منهم الآخر بل دخلت «جوزفين» غرفتها وطرحت نفسها على مقعد كان قائماً في «نابوليون» غرفته أيضاً وبقياً يومين لم ير أحدهما الآخر وأخذت محبة «نابوليون» لها تزداد وترجع تدريجاً في هذه المدة، ولم يأت اليوم الثالث حتى غلب حبه على حبه بانه فقد ودخلت غرفتها فراها جالسة بالقرب من مائدة ورسائل «نابوليون» المرسلات إليها مفتوحة أمامها على المائدة، فلما دخل «نابوليون» وقف هنيهة ثم نادى بصوت خفيف: «يا جوزفين». فوقعت «جوزفين» رأسها وقد غسل الدمع وجهها وأجابت بصوت كئيب، ونعمة حنونة جرحت قلبه ولم ينسها كل أيام حياته فمد يده إليها ومدت يدها إليه ثم حنت رأسها عليه وبكت بكاء شديداً.

وقضيا بضعة ساعات في إيضاح الأمور وإزالة الشكوك، ومن ثمّ عادت ثقة «نابوليون» الأولى بـ«جوزفين» ولم يعد شيء يغيره عنها.

وكان «نابوليون» و«جوزفين» مقيمين وقتئذٍ في «دي شتراين»، وكانت أُنديتهما دائماً غاصة بالقواد والأدباء والأشراف - شأن أُنديّة الملوك والعظماء - وهم يتباحثون في أحوال البلاد وكيفية إصلاحها ويقولون: إنه لا رجاء لفرنسا إلا إذا مدّ «نابوليون» يده.

ولم يمضِ شهر على رجوعه إلى باريس حتى انقلبت سياسة فرنسا وأبدلت الحكومة المديرية بالقنصلية وكانت الحكومة القنصلية مؤلفة من ثلاثة قناصل وخمسة وعشرين عضواً و«نابوليون» أحد هؤلاء الثلاثة قناصل ورئيسهم أيضاً، ولما أخذ «نابوليون» على نفسه عهد هذه الخدمة التي دعي إليها لم يفه لأحد ألبتة بذلك حتى ذهب أولاً إلى «جوزفين» وأخبرها عن ذلك وسمع من فمها أولاً كلمات التهاني. وحينئذٍ أخبر الآخرين.

وفي الغد اجتمع الثلاثة قناصل وجمهور كبير من وجهاء باريس وأكابرها وأعلن أن «نابوليون» سيكون الحاكم الأول في البلاد فقبل الجميع ذلك ودعوا له بالنصر ولم يسفك نقطة واحدة من الدماء في هذا التغير، وكان السبب الأعظم في ذلك تأثير «جوزفين» القوي في أهالي باريس مدة غياب «نابوليون» في مصر، وقد شعر «نابوليون» نفسه بعظم مساعدة «جوزفين» له في هذا الأمر فشكرها على ذلك.

وفي غد ذلك نقل «نابوليون» و«جوزفين» من «دي شتراين» إلى «لوكزمبرج» وكان هذا القصر عتبة «التوبلمري». وفي صباح التاسع عشر من شباط (فبراير) سنة ١٨٠٠ [م] انتقل «نابوليون» إلى «التوبلمري» بموكب عظيم كان انتقاله إليه تبوّأه تخت ملك فرنسا. وفي مساء ذلك اليوم نفسه انتقلت «جوزفين» أيضاً في مركب خاص بها، ولما وصلت إلى «التوبلمري» وجدت زوجها بين سفراء الدول وعظماء المملكة وأشرافها فدخلت عليهم، وعرفها بهم فتلقاها الجميع بإجلال واحترام يليقان بملكة عظيمة الشأن، وكان لـ«جوزفين» في ذلك الوقت نحو ثلاث وثلاثين سنة من العمر وقد زادت هذه السنون حسناً وجمالاً عوضاً عن أن تذهب بنضارة صباها فإنها كانت معتدلة القوام، وضّاحة الحسن، ذات عينين زرقاوين، ومحيا تقرأ عليه آيات اللطف والكمال وكأن ما جرى لها في حياتها من الأتعاب والأحزان قد زاد اختبارها لهذه الدنيا ووسع نطاق معارفها وثقف عقلها، وكانت قد بلغت أوج عزها وإيناع مجدها، وطارت شهرتها في أنحاء البلاد كما طارت شهرة «نابوليون» في ذلك الحين.

وكان رجال الثورة وقتئذٍ قد غيروا تقسيم الوقت إلى أسابيع، وأبطلوا حفظ الأحاد إلا أنهم جعلوا يوماً واحداً من كل عشرة أيام للراحة من عناء الأعمال وكان «نابوليون» يقضي هذا

اليوم هو و«جوزفين» في «ملمازون»، وقد كان من أسعد أيامهما لأنهما سئما من عيشة البلاط وازدحامه وكثرة تكلفاته ورسمياته، فإذا أتت ساعة رجوعهما إلى «التوبلمري» ذكر «نابوليون» ذلك لـ «جوزفين» فتنهدا وكان النمساويون مدة غياب «نابوليون» في مصر قد رجعوا إلى إيطاليا وطردها الفرنسيون من كل الأملاك التي كان «نابوليون» قد رفع فيها راية الجمهورية.

فلما حسن «نابوليون» أحوال البلاد الداخلية وجّه أفكاره إلى الجيوش المهزومة التي كان قد أوصلها النمساويون إلى الألب فأخبر «جوزفين» بأفكاره وقال لها: إن ذهابه ضروري ولكنه لا يغيب طويلاً فودّعها في السابع من أيار (ماي) سنة ١٨٠٠ [م] في «التوبلمري» وفي الثاني من تموز (يوليو) عاد إليها ظافراً منصوراً، فإنه كان في هذه المدة الوجيزة التي لم تزد على الشهرين قد طرد النمساويين وزينوا المدينة ليلة بعد أخرى وإظهاراً لفرحهم وحبهم له كانوا حيثما يجدونه يتجمعون ويدعون له بالنصر.

وكانت «جوزفين» قد قضت هذه المدة من غياب «نابوليون» في «ملمازون»، وكانت تكتبه يومياً، وهو كذلك وكان كثيراً ما يكتب إليها وهو على ظهر جواده، وأحياناً وهو في ساحة القتال، وأحياناً كان يملي على كاتبه من وسط المعركة وطبول الحرب تفرع وجثث القتلى تتساقط فكان يكتب الكاتب الجمل الوجيزة التي يلقيه إياها، ويرسلها إلى «جوزفين».

فهذه الالتفاتات من «نابوليون» إلى «جوزفين» في مثل هذه الأوقات الحرجة تمثل أبهج صورة من حسن معاملته إياها وتؤكد سمو أخلاق «جوزفين» وآدابها وإلا لم يكن رجل نظير «نابوليون» يحسب الكتابة إليها يومياً فرضاً واجباً عليه، وخصوصاً في أخرج أوقاته، وقضت «جوزفين» أكثر مدة غياب «نابوليون» في إصلاح الأشياء التي كانت تظن أن «نابوليون» سير بإصلاحها، ولما رجع من الحرب صارا يقضيان جانباً من الوقت في «ملمازون» أثناء مسير يقضيان فيه قبلاً وفتحاً الأندية للزوار كما في «التوبلمري»، وكان لهذه الأوقات التي تقضيها في شهرة عظيمة، وكانت من أبهج أوقاتها وقد كانا يقضيان جانباً منها في بعض الأوقات والألعاب اللطيفة ويشاركنهما في ذلك ولداً «جوزفين» وبعض الأصدقاء الخصص من الملوك وملكات وأمراء وأشرف وغيرهم من القواد المشهورين والضباط السعيدين والذين لم تغفل في وسط هذه الأفراح واللذات عن مساعدة الذين كانوا يحتاجون إلى مساعدتها، كانت تساعد كل من كان في طاقتها مساعدته، وخصصت جانباً معيماً من دخلها لتساعده المهاجرين وكانت أحياناً تتهم بالإسراف، وبعد تيم «نابوليون» القاصد في بعض الأحيان المهاجرين إلى أوطانهم وبذل غاية جهده في إرجاع ملائمتهم المحجوزة، ولا شك في هذه صعوبات كثيرة من جهات بعض الأراذل والأيتام الذين كان لهم ما يحزنهم من أحوالهم.



فقراء مساكين ليس لهم شيء فكانوا يأتون إلى «جوزفين» ويقصون عليها قصصهم المحزنة فتسعى إليهم وترثي لأحوالهم، وتمدهم بالمساعدة التي تمكنها، وكانت دائماً تفي بوعدها معهم شأن الكريم.

وكان عمر «هورتنس» وقتئذٍ نحو ثمان عشرة سنة وعمر «لويس» أحد إخوة «نابوليون» أربعاً وعشرين سنة فاتفق «نابوليون» و«جوزفين» على أن يزوجا «هورتنس» بـ«لويس». وكان «لويس» شاباً عالماً كثير التأمل، قليل الكلام مثل أخيه «نابوليون»، وكان في كل شيء أشبه سائر إخوته به، ولما كان «نابوليون» في إيطاليا يحارب النمساويين تعرف «لويس» بفتاة من سلالة أحد الملوك القدماء فأحبها وتعلق قلبه بها، ولكن لما رجع «نابوليون» وعلم بذلك لم يسر به لأنه خاف أن اقترانهما ربما يضر به فأبعد «لويس» مع العساكر عن باريس ولم يسمح برجوعه حتى تزوجت الفتاة.

فلما رجع «لويس» وعلم أنها تزوجت تكدر كدراً عظيماً ومن ثمّ تكدر صفو أوقاته ولم تعد الحياة تطيب له. أما «نابوليون» فشعر بهذا الجرح البالغ في قلب أخيه وكان دائماً يجتهد في مرضاته، وأراد أن ينسيه تلك الفتاة، فعزم أن يزوجه بـ«هورتنس» ولكن «لويس» لم يقبل ذلك - أولاً - غير أنه قبل أخيراً، وكذا «هورتنس» لم ترغب من أول الأمر لأنها كانت تحب أحد القواد وكان من [أصدقائها]<sup>(١)</sup> المقربين، وكان يتكل عليه أكثر من سائر القواد، ولكنها اغترت أخيراً بمواعيد رابها وقبلت أن يكون «لويس» بعلاقتها، ولكنها قضيا بعد اقترانهما حياة تعيسة إذ لم يكن أحدهما يحب الآخر وفي ساعة زفافهما لاحظ كل من الحاضرين أثر الغم على وجه كل من العروسين ولم تخف [بعدئذٍ]<sup>(٢)</sup> تعاستهما التي أدت إلى انفصال أحدهما عن الآخر.

أما «جوزفين» فرافقت «نابوليون» في سنة ١٨٠٢ [م] عند طوافه ببعض جهات المملكة ورافقته أيضاً في ذهابه إلى «ليون» لأجل ملاقة نواب إيطاليا، وكانت حينما ذهبت تدهش الجميع بمزاياها الطبيعية وتأثيرها في زوجها وفي كل من عرفها، ومن ثمّ رجعت هي و«نابوليون» إلى قصرهما المحبوب في «ملمازون» وقضيا هناك عدة أسابيع في أفراح وسرور لا يوصف، ثم عاد إلى الجولان في أطراف المملكة الشمالية لاستطلاع أحوال تلك القطائع، وكان الشعب يستقبلهما بالفرح والترحاب في كل مكان، ويشنون على «نابوليون» مزيد الشناء

(١) وردت في الأصل: «أصدقاء رابها»، لكننا لم نقف على معنى «رابها» بما يخدم سياق النص، فأثبتناه «أصدقائها» ولعلنا أصبنا.

(٢) وردت في الأصل: «بعد إذ»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

لإخماد نيران الثورة، وإرجاع النظام إلى المملكة، وتوطيد السلام فيها. وكان حينما توجه يشعر باستعداد الشعب لتسليمه صولجان فرنسا في أقرب وقت، ولما رجع من سفره استلم قصر القديس «كلود» وكانت هذه خطوة أخرى إلى عرش «البوربون» فإن الشعب كان قد ملّ من سكينه الجمهورية، وأحب العودة إلى البهجة والأبهة الملكية فجدد هذا القصر وجعل «جوزفين» وأربع سيدات معها للقيام بواجباته، وحينئذ سمي «نابوليون» قنصل كل حياته.

وكانت «جوزفين» في ذلك الوقت باذلة غاية جهدها لتقنع «نابوليون» بوجود الله وبإرجاع الديانة المسيحية إلى البلاد لأن الكفر كان قد مد أعراقه في فرنسا و«جوزفين» نفسها لم تكن تعرف كثيراً من التعاليم الدينية، ولا كانت من ذوات التقى إلا أنها كانت قد رأت الكفر وتعاसे البلاد الناشئة عن رفض الديانة المسيحية والأتعاب الأهلية المسيية عن عدم اعتبار الزواج اعتباراً دينياً، وكانت تميز فضائل الدين المسيحي واقتداره على ردع الشعب عن عمل الشر وحملهم على عمل الخير، فاقنعت «نابوليون» بكلامها وأعلن إرجاع الديانة المسيحية إلى البلاد، وفي غد صدور الإعلانات أقيمت الاحتفالات الدينية المرة الأولى في كنيسة «نوتردام» وأرجعت الديانة المسيحية إلى المملكة، ولم يمض بعد ذلك مدة طويلة حتى كثرت الإشاعات في شأن تتويج «نابوليون» ملكاً على فرنسا، وكان كثيرون راغبين في ذلك.

أما «جوزفين» فكانت ترتعد كلما سمعت ذلك، لأنها رأت احتياج «نابوليون» إلى ولد يخلفه إذا توج ملكاً وكانت تسمع البعض يلحون عليه بأن يطلقها ويتزوج بغيرها من الأسرة الملكية قائلين: إن مصالح فرنسا تستلزم أن يكون له ابن يخلفه في الملك، وقد كانت متأكدة شدة محبة «نابوليون» لها إلا أنها كانت خائفة من إنفاذ هذا الأمر لأنها كانت قد عرفت أنه ليس لدى «نابوليون» تقدمة لا يمكنه تضحيتها لأجل مجده وتقدمه في هذه الدنيا.

وفي يوم من الأيام دخلت «جوزفين» غرفة زوجها فوجدته جالساً مع رجل آخر من أصحاب السياسة يتحدث معه في الأمور السياسية، فلما دخلت جلست قليلاً، ثم قالت: «أنا لا ترغب ألبتة في تتويج «نابوليون» ملكاً بل تفضل بقاءه قنصلاً كما هو». فضحك «نابوليون» وقال: «لماذا هذا الجنون يا جوزفين إلى متى تصدقين كلام هؤلاء العجائز».

وكان كلما قال أحد أمام «جوزفين» إنها ستكون إمبراطورة فرنسا عما قريب تجيب أنها مكتفية أن تكون امرأة القنصل «نابوليون» فقط.

وفي الثاني من (ماي) سنة ١٨٠٤م | قرر المجلس القضائي أن «نابوليون» سيخون إمبراطور فرنسا وأرسل التقرير إلى كل جهات فرنسا، فوافق عليه أكثر من ثلاثة ملايين ونصف من الشعب ولم يزد عدد المضادين على ألفين وخمسمائة.

وفي غد تبوء «نابوليون» تخت إمبراطورية فرنسا صنع احتفالاً عظيماً في «التوبلمري» لكل العظماء والأشراف، وبرزت بينهم «جوزفين» في ذلك الاحتفال إمبراطورة لفرنسا، ولكن مخاوف بعض المتوحيات نزعت كل أفراح تلك الساعة منها، ولم تكذ تتمالك إظهار غمها وحزنها، وذلك لأن المجلس قرر أيضاً أن الإمبراطورية ستدوم في أسرة «نابوليون»، وقد حضر ذلك الاحتفال عدد عظيم من أكابر أوروبا وعظماؤها فوجدت «جوزفين» نفسها حينئذ في درجة لم يصل إليها أعظم ملكات أوروبا، وكانت شهرة زوجها قد عمت كل أوروبا، وقوته قد فاقت أعظم ممالكها.

وفي الثاني من تشرين الثاني (أكتوبر) من السنة المذكورة حضر البابا من رومية لكي يتوجهما إمبراطوراً وإمبراطورة على فرنسا في كنيسة «نوتردام» ولم يحصل على هذا الشرف أحد من ملوك أوروبا قبل «نابوليون» منذ عشرة قرون وكان الهواء في ذلك اليوم رائقاً، والكنيسة مزينة بأفخر الزين والعجلات أمامها تلمع بعدد خيولها الذهبية والأرجوانية، والقواد والأبطال في ثيابهم الرسمية الموشاة بالذهب.

ولما كان وقت التتويج دخلت «جوزفين» في حلة من الأطلس الأبيض موشاة بالذهب، وموشحة بالخرز الذهبي، ومزينة بالحجارة الكريمة، ومشمل من المخمل القرمزي مبطن بالأطلس الأبيض، وفرو القاقم على أكتافها وكانت حلي التتويج، تاجين، الواحد لأجل التتويج ولتضعه على رأسها في احتفالات المملكة المخصصة فقط والآخر لأجل باقي الأوقات الرسمية، ومنطقة أيضاً.

أما التاج الأول فكان له ثمانية فروع ذهبية، أربعة منها على شكل النخل، والأربعة الأخرى على شكل ورق الريحان وكانت حجارة الألماس البرلنتية منشورة عليها كنقط الندى وقد أحاطت بها حلق ذهبية مرصعة بحجارة من الزمرد والجمشت والتاج الثاني كان مصنوعاً من أربعة صفوف من اللؤلؤ ومفصلاً بحجارة ألماس ومن الأمام عدة حجارة من ألماس بلغ وزن واحدة منها مائة وتسعة وأربعين قمحة، وكانت المنطقة من الذهب الأبريز وقد رصعت بتسعة وثلاثين حجراً من ألماس الفلمنكي الملون.

أما «نابوليون» فدخل في حلة من المخمل الأبيض موشاة بالذهب ومزورة بحجارة ألماس وجبة ومشمل من المخمل القرمزي موشيين بالذهب ومرصعين بحجارة ألماس أيضاً، وكانت المركبة الملكية على غاية ما يكون من الإتقان والجمال فإن ألواحها كانت من الزجاج النقي ويجرّها ثمانية رؤوس خيل حمر الألوان. وكانت المسافة بين «التوبلمري» و«نوتردام» نحو ميل ونصف، وكان عشرة آلاف خيال في ثيابهم الرسمية ملازمين العجلات، وبلغ عدد

الناظرين نصف مليون، إذ كانت النوافذ والسطوح وشرف البيوت المطلة على الطريق التي مر عليها الموكب غاصة بالوقوف، وكانت الموسيقى تصدح بألحانها المطربة، والمدافع تضرب في الهواء وعشرات الألوف من العساكر تهتف معاً، وكانت تلك الساعة مما لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم، وكان العرش في كنيسة «نوتردام» مغطى بأغطية من المخمل القرمزي وعليه مقعد من المخمل أيضاً يرقى إليه باثنتين وعشرين درجة مستديرة، وكانت مغطاة بالجوخ الأزرق ومحلاة بالخرز الذهبي، فجلس «نابوليون» بجانب «جوزفين» على العرش وه قف كبار القواد على الدرج ثم ابتداءً التتويج وطالت مدته أربع ساعات وكانت تتخلله الموسيقى العسكرية ولما أزف الوقت لأن يضع البابا التاج على رأس «نابوليون» أخذه بيده واقترب إلى «نابوليون»، وقبل أن يضعه على رأسه أخذه «نابوليون» من يده ووضعته هو نفسه على رأسه ثم نزعه عن رأسه ووضعته على رأس «جوزفين»، ثم نزعه عن رأسها حالاً لثقله ووضعته على مسند بجانبه وتوجّها بأخر أصغر منه ثم جثت «جوزفين» والتاج على رأسها ويدها مكتوفتان وصنّت لله والتفتت إلى زوجها التفاتة عبّرت عن شكرها ومحبتها له، وبقي «نابوليون» يتذكر هذه الالتفاتة كل أيامه.

ولما تمّ التتويج وأزف وقت الانصراف ارتجل «نابوليون» خطبة تناسب المقام ذكر فيها أن نسله سيجلس على هذا العرش من بعده فأثر هذا الكلام تأثيراً عظيماً في «جوزفين» ونشبت كحربة في قلبها خصوصاً لما تعهده في «نابوليون» والشعب الفرنسي أيضاً من الرغبة في أن يكون له ولد ولما عادت إلى «التوبلمري» كان الليل قد أرخى سدوله وأسواق المدينة مزينة بالأنوار و«التوبلمري» يتلأأ بها أيضاً، ودخلت «جوزفين» مخدعها وجثت على ركبتيها وطلبت الإرشاد من ملك الملوك والدموع منسجمة على خديها.

أما أهالي باريس فخصصوا الشهر الأول من تتويج «نابوليون» و«جوزفين» لاحتفال الأفرح والملاهي العمومية وكانت المدينة تزين كل ليلة بالأنوار، وفي صباح يوم الاثنين دخلت «جوزفين» إحدى غرفها فوجدت ناصلة ذهبية مع كل أدواتها كانت من الذهب والفضة وقد أهداها إليها مجلس بلدية باريس.

وفي مساء تتويجهما أطلق الشعب منطاداً كبيراً في الجهة التي مصنوعه على هيئة الأفعى الملكي، فبقي مدة ظاهراً فوق باريس ثم سار نحو الجنوب.

وفي مساء اليوم التالي وقع في مدينة رومية - وهي تبعد مسافة تسعمائة ميل عن باريس - ثم حدث على أثر تتويج «نابوليون» أن مديري جمهورية إيطاليا كتبوا إلى «نابوليون» وطلبوا وقتئذٍ رئيسهم - يطلبون إليه أن يرافقهم إلى «ميلانو» ويتوج ملكاً عليهم إذ كان هو الملك منهم.

من أيدي أعدائهم النمسويين، وكان من عوائد «نابوليون» السفر بغير أن يعلم أحداً من قبل، ففي مساء يوم من الأيام بعد عماد الابن الثاني لأخيه «لويس» أمر بإعداد الخيل للسفر إلى إيطاليا الساعة السادسة من الصباح فرافقته «جوزفين» في هذا السفر، وكانا حيثما يصلان يستقبلهما الشعب بالترحاب ويزين لهما المدن ويدعو لهما بالنصر، وكانت «جوزفين» حاصلة حينئذ على كل ما من شأنه أن يجعلها أسعد البشر لولا أمر واحد وهو عدم وجود ولد لـ «نابوليون»، ولكنها لما وصلت إلى إيطاليا نسيت غمها وقضت هنالك عدة أيام بغبطة وهناء، وكان بينها وبين البابا «بيوس السابع»<sup>(١)</sup> صداقة قوية وقد رافقهما بنفسه إلى «تورين»، ولما افترق عنها أهدت إليه كأساً من فخار (سافراس) ومن «تورين» أخذها «نابوليون» إلى ساحة «مارنفو» حيث نشبت أعظم وقائعه وهناك لبس ثيابه الحربية ووقف في وسط ثلاثين ألف جندي ومثل لها واقعة القتال.

وفي الثامن من (ماي) سنة ١٨٠٥ [م] دخلا ميلانو، وكانت المدينة مزينة والفرح والطرب قائمين فيها. وفي السادس والعشرين من الشهر نفسه توج «نابوليون» ملكاً على إيطاليا في كنيسة «ميلان» ولم يكن هذا الاحتفال أقل من الاحتفال في كنيسة «نوتردام» والذي زاد هذه الحفلة عظمة وأبهة أنه حضر لـ «نابوليون» - سوى التاج المعد لتتويجه - تاج «شارلمان» الحديدي ولم يكن هذا التاج قد علا رأس الملوك منذ أيام «شارلمان» من ألف سنة، وهنا أيضاً كما في «نوتردام» لم يدع أحداً يضعه على رأسه بل وضعه هو بنفسه ثم توج «جوزفين» هو أيضاً وأقاماً مدة شهر في «ميلانو» وذهبا منها إلى «جنوى» ثم رجعا إلى باريس، وكان «نابوليون» قد أعطى «جوزفين» لائحة عن سفرهما وعن جميع الأماكن التي سيقفان فيها والخطب والأجوبة التي سيخطبها ويجيب بها، والهدايا التي كان يجب عليها تقديمها، والمبالغ التي يمكنها أن تنفقها، فكانت «جوزفين» تقضي قسماً من كل صباح في درس هذه المثالات وقد أظهر «نابوليون» لـ «جوزفين» في هذا السفر ما لا مزيد عليه من البشاشة والأنس، وكانا دائماً مسرورين.

وذكرت «جوزفين» فيما بعد أن هذا السفر من أسر أسفارها مع «نابوليون»، وكانا حيثما يصلان يتلقاهما الشعب بالترحاب، ويقدم لهما الأفراح، ويولم الولايم. وبعد وصولهما إلى باريس بمدة وجيزة سمعا أن قصد «أيوجين» ابن «جوزفين» الاقتران بابتنة ملك «بافاريا»<sup>(٢)</sup>

(١) بيوس السابع: وقع الكونكورد مع فرنسا، سجنه نابليون. شغل الكرسي البابوي من ١٨٠٠ - ١٨٢٣ م.

(٢) بافاريا: أو بايرن (Bayern)، أكبر مقاطعة في ألمانيا.

فذهبا إلى «ميونخ» ليحضرا الزفاف فاجتمعت «جوزفين» بابنها وفرحت له بعروسه خصوصاً لأنها كانت في كل شيء كما تشتهي، ثم رجعا من هناك إلى باريس مشيعين بجمهور كبير من أمراء «جرمانيا» وأميراتها، وكانت «جوزفين» وقتئذ في ذروة من المجد التي لا يمكن هذا العالم أن يمنحها لأحد البشر فإن كل أوروبا كانت عند قدمي زوجها، وابنتها «هورتنس» كانت ملكة «هولاندا» وابنها «أيوجين» كان نائب ملك إيطاليا، وصهر ملك «بافاريا». وكان نابوليون قد نزع من فكره طلاقها وقرّر أن ابن أخيه «لويس نابوليون الأكبر» [س] <sup>(١)</sup> يكون وارث ملكه فزالت كل الارتباكات في ذلك الوقت من هذا القبيل، وكان «نابوليون» دائماً معجباً بـ«جوزفين» حتى كان يقول في غالب الأوقات «إنه لا نظير لها بين نساء العالم».

أما هي فلم تكن تنسى المحتاجين والحزاني مع ما وصلت إليه من السلطنة والسؤدد، بل كانت دائماً مستعدة لمساعدة كل من طلب مساعدتها سواء كان بمالها أو بكلامها حتى كانت تتهم أحياناً بالتبذير والإسراف، وكانت تحب مرافقة «نابوليون» في أسفاره، وهو أيضاً كان يرغب مرافقتها لأنها كانت الشخص الوحيد الذي يوثق به، ومرة وعدها بمرافقته في إحدى سفراته ولكن الأحوال أحوجته إلى الذهاب سراً فأمر بإعداد لوازم السفر.

وفي الساعة الأولى بعد نصف الليل وهو الوقت الذي ظن أن «جوزفين» تكون فيه مستغرقة في النوم قصد الذهاب، ولكنه لم يصل إلى العجلة حتى كانت «جوزفين» بين يديه، فأمر بإعداد لوازمها في الحال وذهبا معاً إلى إسبانيا، فأخضع «نابوليون» إسبانيا تحت طاعته وملاها من العساكر الفرنسية وولى أخاه «لويس» عليها، ثم قفل راجعاً إلى فرنسا، ولكن لم يلبث طويلاً حتى أتته الأخبار أن الإسبانيين طردوا أخاه من العاصمة بمساعي الإنكليز وقتلوا كثيرين من الفرنسيين القاطنين هناك. فرجع مسرعاً إلى إسبانيا وفي هذا الوقت أيضاً طلبت «جوزفين» الإتيان معه، ولكنه لم يسمح لها بذلك بل دخل مدريد عاصمة البلاد وأرجع أخاه إلى مقامه وثبت حكمه فيها ورجع ثانياً إلى فرنسا.

وكانت آمال «نابوليون» و«جوزفين» في ذلك الوقت معلقة بالأمير الصغير ابن «لويس» و«هورتنس»، وشاع في كل فرنسا وهولندا أنه سيكون صاحب الملك من بعد عمه.

ولكن في ربيع سنة ١٨٠٧ [م] بينما كان «نابوليون» يحارب «بروسيا» وهو منتصر عليها انتصاراً عظيماً أصاب الولد داء الخناق ومات في ساعات قليلة وكان له من العمر خمس سنوات فحزنت «جوزفين» لفقده حزناً عظيماً ورجعت إلى مخاوفها القديمة لأنها كانت تعرف

(١) زيادة اثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

«نابوليون» وتعرف رغبته في أن يكون له وارث يترك الملك له وكانت فرائصها ترتعد كلما افتكرت مرارة تلك الكأس التي كان لا بد لها من تجرعها، وقد بقيت مدة ثلاثة أيام منفردة في غرفتها بلا أكل ولا نوم، تسكب الدموع على عظم مصيبتها.

أما «نابوليون» فلما وصلت إليه هذه الأخبار المحزنة كان في أوج انتصاره إذ كان قد قهر جميع أعدائه وأخضع «بروسيا» تحت طاعته وكان جميع ملوك أوروبا مستعدين لإتمام أوامره، فلما سمع هذه الأخبار جلس ساكناً وارتفق بيده على وجهه، وسمع وهو في حزنه الشديد يقول لنفسه المرة بعد الأخرى: «لمن أترك كل هذا؟» وكان يتنازع أفكاره عاملان قويان محبة «جوزفين» من جانب ومحبة المجد واشتهاء أن يكون له ولد يرث اسمه وشهرته من جانب آخر. وبقي مدة على هذه الحال وهو لا يذوق طعاماً ولا يغمض له جفن، ولكن رغبته في كسب المجد واعتقاده أنه أوصل فرنسا إلى درجة لم تصل إليها مملكة على وجه الأرض فينبغي أن يخلف من يرثها من نسله جعلاه يضحى [ب<sup>(١)</sup>] كل سعادته وراحته ويفقد سلامة الذوق، ويحل قوى ربط المحبة وكانت «جوزفين» تعرف زوجها جيداً، فكانت بالخوف والرعب تنتظر قدومه وكانت تقضي أكثر أوقاتها بالنوح والبكاء، وكان أحياناً كثيرة يصدر في الجرائد كلام في شأن طلاقها واقتران «نابوليون» بإحدى بنات الأسرة الملكية.

وفي تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٠٧ [م] رجع «نابوليون» من «فيينا» فسلم على «جوزفين» بمزيد اللطافة.

أما هي فلاحظت في الحال أنه كان قلقاً في فكره، وأنه كان حينئذ يشتغل بهذه المسألة وكثيراً كان يجتمع بوزرائه سراً، فلاحظ رجال البلاط ذلك وكانوا قليلي الكلام، وكان «نابوليون» لا يكثر أن يلتفت إلى امرأته لأنه خاف أنه إذا التفت إلى التي أحبها هذا الحب العظيم يتغير فكره، وكانت «جوزفين» قلقة جداً من هذا القبيل، ولكنها اجتهدت في إخفاء عواطفها، وكانت تلاحظ حركات «نابوليون» وسكناته، فترى في كل يوم أمراً جديداً يؤكد لها ما كانت تخافه.

أما هو فكان يتجنبها ويتعد عنها وقد قفل الباب الذي بين غرفته وغرفتها، وكان قليلاً ما يدخل مخدعها، وإذا أراد ذلك قرع الباب كل ذلك ولم تكن جرت كلمة واحدة بينهما في هذا الشأن، وكانت «جوزفين» عندما تسمع وقع أقدام «نابوليون» ترتجف وتظن أنه آت إليها بالأخبار المخيفة، ولم تعد تقدر أن تصل من مكانها إلى الباب بغير أن تتمسك بالحائط أو

(١) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

بشيء آخر، ولكنه مضى كلا شهري تشرين الأول والثاني (أكتوبر ونوفمبر) ولم يكلم «نابوليون» «جوزفين» بشيء من هذا القبيل مع أنه كان في المذاكرة مع وزرائه في أمر الزواج الجديد والأسرة التي يصاهاها فإنه كان يستصعب مفاتها بهذا الشأن، غير أن هذه الصعوبة لم تغير مقاصده الثانية ألبتة، وكانت شهرته وسلطته عظيمتين إلى حد أنه لم يوجد أسرة في أوروبا لم تكن تحسب شرفاً لها أن تعطي من بناتها زوجة لـ «نابوليون»، فأشار عليه وزراؤه أولاً أن يأخذ زوجة من أسرة «البربون» لأنهم افكروا أنه إذا فعل ذلك يرضي حزب الملكية في فرنسا ويكون ملكه أثبت بهذه الوساطة.

ثم أشاروا عليه أن يأخذ سيدة سكسونية، ولكنهم ظنوا بعد طول التأمل أن يكون الأنسب أن يصاها جلالة ملك «روسيا» ولكن بعد أن جرى كلام بين البلاطين في ذلك قر الرأي أن يأخذ «ماريا لويزا»<sup>(١)</sup> ابنة إمبراطورة النمسا وكان في ذلك الوقت قد آن لـ «نابوليون» أن يخبر «جوزفين» بما كان قاصداً أن يفعله، وكان في اليوم الأخير من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٠٩ [م] دخل الإمبراطور والإمبراطورة لكي يتعشياً ولم يدخل معهما أحد، وكانت «جوزفين» كل ذلك النهار في غرفتها تسكب الدموع بغزارة كأنها عرفت أن ذلك اليوم كان يومها المحزن، ولكنها لما أتت ساعة العشاء غسلت عينيها ودخلت غرفة المائدة وبذلت غاية جهدها لكي تضبط نفسها عن البكاء، ولذلك لم تتجاسر أن تفتح فمها بكلمة واحدة.

أما «نابوليون» فكان تائهاً في بحر الأفكار ولم يكلمها بكلمة واحدة فكان حول تلك المائدة حينئذٍ سكوت تام ولم يذق أحدهما شيئاً بل كانت أنواع الطعام تتبدل بغير أن تمس، وكان اصفرار الموت على وجه كل منهما، ولما انتهى تقديم العشاء صرف «نابوليون» الخدم، ثم نهض وأغلق الباب بيده على نفسه و«جوزفين» وحينئذٍ أتت تلك الدقيقة التي كان كل منهما هالماً منها، فاقترب «نابوليون» إلى «جوزفين» وأخذ يدها وقال لها بصوت منقطع:

«يا جوزفين، يا عزيزتي جوزفين أنت تعلمين كيف أحببتك وإني لك وحدثك شك من الدقائق القليلة التي بك عرفت فيها السعادة على الأرض، والآن أخبرك أن حياتي كلها من إرادتي، وأن عواطفني القوية نحوك يجب أن تخضع لمصلحة فرنسا».

فلما سمعت «جوزفين» ذلك خفق قلبها ونضب الدم في عروقها، وفعلت حينئذٍ ما لم يكن مغشياً عليها، فلما رأى «نابوليون» ذلك فتح حلالاً الباب ونادى من يساعده، فأتى إليه حلالاً عدد من الخدم من الغرفة المجاورة وكان هناك أيضاً الكونت «بومون» فأهمل «نابوليون»

(١) ماريا لويزا: أو ماري لويزا ابنة الإمبراطور فرنسا الثاني ولدت سنة ١٧٩١ م. وهي زوجة الإمبراطور نابليون بونابرت الثانية، رزق منها ابنه ملك روما.



وهو مرتجف، ووجهه ممتقع بأن يأخذها على يده إلى غرفتها وأخذ هو مصباحاً بيده وذهب أمامه، ولكن لما وصل إلى السلم سلم المصباح إلى أحد الخدم وساعد الكونت في حملها وكانت تقول في غشيها: «آه لا يمكنك أن تفعل ذلك لأنك لا تحب قتلي».

ولما وصلا بها ووضعها على فراشها صرف «نابوليون» الكونت وقرع الجرس في طلب خادمتها الخصوصية وقضى الوقت بجانبها حتى أخذت تستفيق، ولما ظهر له أنها ابتدأت ترجع إلى نفسها تركها ومضى إلا أنه لم ينم طول ذلك الليل، بل كان يتمشى في غرفته ويأتي إلى باب غرفة «جوزفين» ويسأل الطبيب عن أحوالها، أما الطبيب فلم يفارقها كل ذلك الليل.

وفي مدة الأسبوعين الأولين بعد ذلك لم ير الواحد منهما إلا قليلاً مما يتعلق بالآخر، واتفق أنه في تلك المدة كان عيد التتويج ونصرة «أوسترليتز» الشهيرة فكانت المدينة في ذلك الوقت مشتعلة بالألوان وصوت قرع الأجراس ملاً الفضاء وفي هذين الاحتفالين كانت «جوزفين» مضطرة أن تحضر أمام الشعب وكانت مؤكدة أن كل الملوك والأمراء الذين كانوا حينئذ في باريس عالمون بالإهانة المقابلة عليها، وكانت كل أصوات الطرب والابتهاج في مسامعها قرع أجراس حزن مؤذنة بمصيبتها، ومع ذلك فإنها بذلت جهدها في تسليتها لكي تظهر أمام الناس كعادتها غير أن اصفرار وجهها واغريراق عينيها بالدموع كانا ينبئان عما تحاول إخفائه، وكانت ابنتها «هورتنس» دائماً معها باذلة غاية جهدها في تسليتها وابنها «أيوجين» ترك إيطاليا وأتى باريس إليها، وبعد مواجعتها ذهب إلى «نابوليون» وطلب الاستعفاء من خدمته قائلاً له: إن ابن التي لست بعد إمبراطورة لا يقدر أن يكون نائب الملك وأنا قصدي أن أتبع أمي في انحطاطها لأنه يجب أن تجد الآن تعزية في أولادها.

أما «نابوليون» فلم يكن خلواً من العواطف بل تساقطت العبرات من عينيه وصار يكلم «أيوجين» بصوت مرتعش ويبين لزوم ذلك ويوضح له الأمور فتأثر «أيوجين» من كلامه، وأما أمه فطلبت منه أن يبقى في خدمة «نابوليون» ويبقى من أصدقائه المخلصين كما كان أولاً.

وفي الخامس عشر من كانون الأول سنة ١٨٠٩ [م] جمع «نابوليون» جميع الملوك والأمراء من أسرة الإمبراطورية وأكثر القواد المشهورين في منتدى «التوبلمري» العظيم حتى يقص عليهم خبر انفصاله من «جوزفين» وكان كل واحد من الحاضرين مندهلاً من غرابة هذا الاجتماع فنهض «نابوليون» في أثناء ذلك وخاطبهم قائلاً:

«إن مصالحي السياسية ورغبة شعبي الذي كان دائماً يدرّب أعمالي تستدعي أن يكون لي وارث يرث محبتي للشعب والعرش الذي وضعتني العناية عليه. وقد مضى عليّ عدة سنوات مع الإمبراطورة «جوزفين» حتى قطعت الأمل من أن يكون لي أولاد منها، وهذا هو الداعي

الذي حملني على [ال] <sup>(١)</sup>تضحية [ب] <sup>(٢)</sup>أشدّ عواطف قلبي ومراعاة مصالح رعيتي وطلب انفصالنا. وقد بلغت الآن الأربعين من العمر وآمل أن أعيش طويلاً بعد وأن أحتضن في أفكاري الأولاد الذين تسر العناية بأن تباركني بهم، والله وحده يعلم كم كلفت قلبي هذا المقصد ولكن ليس من أمر مهما كان عزيزاً علي إلا وأنا أضحية طائعاً مختاراً لمصلحة فرنسا، وليس لي سبب أشكو منه ولا شيء أقوله سوى مدح محبة امرأتي المحبوبة وحنوّها، فإنها زينت خمس عشرة سنة من حياتي فيبقى ذكرها منقوشاً على صفحات قلبي إلى الأبد وأنا بيدي توجتها إمبراطورة ستبقى إمبراطورة في القلب والرتبة وأحب فوق كل ذلك أن لا تشك مطلقاً بعواطفني من نحوها ولا تعتبرني إلا أعز صديق لها.

فأجابت «جوزفين» بصوت منقطع وعينين مغرورتين بالدموع: «إني أجيب على مآل كلام الإمبراطور من جهة انفصالنا بالقبول لأن اجتماعنا كان حائلاً دون [مسيرة] <sup>(٣)</sup> فرنسا بسبب عدم وجود من يسوس يوماً ما هذا الشعب من نسل هذا الإنسان العظيم الذي أقامته العناية لكي يطفى شرر الثورة المخيفة، ويرجع المذبح والعرش والهيئة الاجتماعية، ولكن هد الانفصال لا يغيّر عواطف قلبي بل سيجد الإمبراطور في أحسن صديقة له، وأنا أعلم ماذا كنت هذا العمل السياسي قلب الإمبراطور، ولكن نحن الاثنان نفتخر بهذه [التضحية] <sup>(٤)</sup> التي ضحيناها لأجل خير المملكة، وأشعر أنين التعظيم والمجد بإيرادي بإعطائي أعظم برهان على محبتي».

هذا ما أظهرته «جوزفين» جهاراً، وأما في الخفاء فإنها استسلمت للحزن والكربة وقضت ستة أشهر بالبكاء والنحيب حتى قاربت العمى من شدة الحزن.

وفي اليوم المعين لإنهاء نظام الانفصال اجتمع المحفل ثانية في زادي الإمبراطور العظيم ليشهدوا تمام نظام الانفصال، فدخل الإمبراطور بحلته الرسمية واصفراً الموت على وجهه، وعلامات اليأس والقنوط تلوح عليه واستند إلى أحد الأعمدة مكتوف اليدين لا يفقه ما يحدث وبقي برهة غائصاً في بحور الافتكار كالصنم لا يبدي حراكاً، وكان في وسط سادتي مائدة جميلة وعليها كل أدوات الكتابة من الذهب الإبريز، أمامها كرسى أحد «جوزفين» وكان جميع الحاضرين صامتين لا يفوهون بكلمة وكلهم شاخص إلى المائدة وما عليها كأنهم

(١) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام

(٢) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام

(٣) وردت في الأصل: «سيرة»، ولعل الصحيح ما أثبتناه

(٤) وردت في الأصل: «الضحية»، ولعل الصحيح ما أثبتناه

ينظرون إلى مذبحه أو مشنقة معلقة، ففي وسط هذا فتح باب من جانب المنتدى، ودخلت منه «جوزفين» مستندة إلى يد ابنتها «هورتنس» واصفرار الموت يلوح على وجه كل منهما ولما دخلا غلب البكاء على «هورتنس» ولم تنفك عن ذلك كل مدة الاجتماع.

ولما دخلت «جوزفين» نهض الجميع إجلالاً لها وتساقت العبرات من عيونهم لشدة تأثرهم من منظرها. أما هي فتقدمت بحركاتها اللطيفة إلى المكان المعد لها، وارتفعت بيدها على وجهها وأصغت إلى قراءة نظام الانفصال والدموع تسكب من عينيها، وكان ابنها «أيوجين» جالساً على مقربة منها وبعد نهاية قراءة النظام حسمت «جوزفين» دموعها وانتصبت واقفة وأخذت على نفسها عهد الانفصال بصوتها الرائق العذب الاعتيادي، ثم جلست وأخذت قلماً ووقعت اسمها بفك أمتن رُبط المحبة والوداد التي لا يمكن للعقل البشري أن يتصورها، أو للقلب الإنساني أن يشعر بها، ثم استندت ثانية إلى يد ابنتها وخرجت من المكان أما «أيوجين» فوقع على الأرض مغمى عليه.

أما شدة ذلك اليوم وآلامه فلم تكن قد انتهت، بل كان على «جوزفين» وهي في وسط توهانها في بحور الأحزان ما كان ألم وأشدّ عذاباً من الأول وهو وداع من كان زوجها الوداع الأخير، فانتظرت في غرفتها وهي حزينة القلب مكسورة الخاطر لا تفوه بكلمة، فلما حان الوقت أتى «نابوليون» إلى غرفته قلقاً كثيراً بسبب ما جرى ورُمى بنفسه على فراشه.

وفي الساعة نفسها فتح الباب الذي بين غرفته وغرفة «جوزفين» ودخلت هي منه وهي ترتجف وعيناها وارمتان من البكاء وشعرها مسدول على أكتافها وعلامات الحزن والغم الشديدين تلوح على وجهها فتقدمت إلى وسط الغرفة ودنت من سرير «نابوليون»، ثم وقفت بغتة وغطت وجهها بيديها وصارت تبكي بكاء شديداً، وكان ذلك لأنها افترقت حينئذ أنه لا حق لها بعد في الدخول إلى غرفة «نابوليون» ولكن محبتها الشديدة له حالاً تهيجت وأنستها كل ذلك، فتقدمت إليه وطرحت نفسها بجانبه وغمرته بيدها وصارت تدعوه باكية منتحبة، فتهيجت عواطف «نابوليون» وجعل يؤكد لها محبته الصحيحة الصادقة وهو يبكي وينتحب ويثبت لها أنه سيبقى كذلك إلى يوم موته واجتهد لكي يسليها ويعزي قلبها وبقياً على ذلك برهة من الوقت، ثم قامت «جوزفين» وودعت زوجها الذي أحبته كل هذه السنين الوداع الأخير وافترقت عنه إلى الأبد.

وفي اليوم الثاني ودّعت «جوزفين» البلاط وأهله وفي الساعة الحادية عشرة اجتمع كل حاشية «التوبلمري» على أعلى السلالم وفي الشبايك والمماشي ليروا افتراق سيدتهم المحبوبة التي كانت زينة ذلك القصر وبهجته، فنزلت على السلالم مغطاة بمنديل من قمة رأسها إلى

قدمها والدموع ملء عينيها فصارت تلوح بمنديلها علامة الوداع للأصدقاء الباكين حولها إلى أن وصلت إلى الباب، وهناك وجدت عجلة مطبقة باستنظارها يجرها ستة من الخيول الجياد فدخلتها وسارت بها وتركت وراءها «التوبلمري» إلى الأبد.

أما محل إقامتها الجديد فكان قصر «ملمازون» الذي كانت تفضله على سائر قصور الإمبراطور، وكانت قد قضت فيه هي و«نابوليون» أسعد أوقاتها فإن «نابوليون» كان يعرف محبتها لهذا القصر وقد أعطاها إياه لكي تقضي فيه باقي حياتها، وكان قد أجرى عليها راتباً سنوياً قدره ستة آلاف ريال وأبقى لها اسمها ومقامها هناك، ومكثت «جوزفين» عائشة كما يعيش الملوك وكانت محبوبة عند كل شعب فرنسا ومعتبرة ومكرمة عند كل أهالي أوروبا وكان «نابوليون» يزورها غالباً ويستشيرها في أعماله، وقد أدرك الناس أن الذي يريد أن يرضي الإمبراطور ويكون من المقربين إليه هو الذي يلتفت إلى «جوزفين» ويحسن معاملتها وإكرامها ومن ثم أصبح قصر «ملمازون» محل اجتماع كل أعضاء بلاط «نابوليون» يأتون إليه دائماً بحللهم الرسمية الملوكية، وكانت تدعو منهم كل يوم عشرة أو اثني عشر نفساً لينظروا معها صباحاً.

وفي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر كانت تمر أمام الجميع إلى غرفة المائدة يتبعها المدعون حسب رتبهم ومقامهم، وكانت تفرز اثنتين منهم للجلوس عن يمينها وعن يسارها، ويقف وقت الطعام خمسة من الخدم وراءها وخادم واحد وراء كل من المدعوين، وسبعة أفواج من رتب مختلفة كانوا يخدمون على المائدة. أما مدة الفطور فلم تكن تزيد عن ثلاث أرباع الساعة إلا فيما ندر وكانت تذهب بعد الفطور مع سيداتها وضيوفهن إلى قاعة التحف.

أما أوقات «جوزفين» فكانت تقضي في أعمال الرحمة مع المساكين حولها، والمطالعة واستقبال أعضاء بلاط «نابوليون» فإن منتداهما كان دائماً غاصاً بهم، وكان «نابوليون» دائماً يزورها ويقضي عندها ساعات كثيرة يتمشى بها معها في الجنة أو في محل الخمر، وكان يفعل كل ما في وسعه كي يعوض لها عن معاملته السائفة، وعن الحزن والغم اللذين سببهما لها، وكان قلبه باقياً متعلقاً بها ويحبها محبة شديدة، ومحبة عبيد لها باذنان بهيمة فيوماً، وكانت «جوزفين» تقضي أوقاتها يومياً على تيرة واحدة فتناول في كل يوم الساعة العاشرة صباحاً إلى قاعة الاستقبال وتستقبل زوارها الذين كانوا من أعيان باريس، وسرعان ما يشتغلون ببعض الأمور المسلية مثل الصور الجميلة والنقوش البديعة والتحف الغريبة، التي كان لا يرغب في ذلك، يذهب مع «جوزفين» لاستماع تلاوة بعض الكتب المفيدة من العهد على بيتها وكانوا يقضون الوقت في ذلك إلى الساعة الثانية بعد الظهر، فتأتي إذ ذلك ثلاث

عجلات يجر كلاً منها أربعة من جياد الخيل فتركب «جوزفين» واحدة منها وتذهب مع اثنين من خادوماتها الخصوصيات وبعض الأصدقاء وتقضي مقدار ساعتين من الزمان: أحياناً في التنزه، وأحياناً في الجولان بين سكان القرية والتحدث معهم، ثم ترجع في الساعة الرابعة إلى القصر ويذهب كل في طريقه ويفعل ما يشاء إلى الساعة السادسة بعد الظهر ساعة العشاء، وكان يتعشى على المائدة ما بين اثني عشر وخمسة عشر ضيفاً، ثم يقضون الوقت بعد العشاء بالمؤانسة والألعاب المختلفة إلى الساعة الحادية عشرة وحينئذ كانت تقدم الحلواء والشاي، وبعد ذلك الانصراف.

وفي شهر آذار (مارس) سنة ١٨١٠ [م] وصلت «ماريا لويزا» إلى باريس وجرى احتفال إكليلها على «نابوليون» في «سنت كلود»، وكان حافلاً جداً، وبعد الإكليل دوت باريس بأصوات الطرب فأخذ «نابوليون» عروسه إلى «التوبلمري» من حيث خرجت «جوزفين» منذ ثلاثة أشهر وكانت أصوات المدافع وقرع الأجراس وابتهالات الشعب ثقيلة جداً على قلب «جوزفين» واجتهدت في إخفاء حزنها وغمها، ولكن عبثاً كانت تفعل ذلك فإن اصفرار وجهها واغريراق عينيها لم يخفيا أمرها.

أما «نابوليون» فبقي يكاتبها ولم تمنع غيره «ماريا لويزا» زيارته لها وبعد اقترانهما بأكثر من سنة ولد ملك لرومية. وفي نفس المساء الذي وصل به هذا الخبر إلى «جوزفين» كتبت رسالة لطيفة إلى «نابوليون» تهنته بالمولود وهذه خلاصتها:

«سيدي، هل يمكن صوت امرأة ضعيفة أن يصل أذنك في وسط التهاني الكثيرة الآتية إليك من كل جهات أوروبا ومدن فرنسا وأفراد جيشك، وهل تتنازل للإصغاء إلى التي طالما سلت أحزانك وخففت أوجاعك فتتكلم معك عن الفرح العظيم الذي به تحققت كل أمانيك أو تتجاسر التي ليست بعدُ امرأتك أن تهنتك بأنك صرت والدأ. نعم سيدي، لا شك أن من القلب إلى القلب دليلاً وأنا أعرف قلبك ولا أظلمك كما أنك أنت أيضاً تعرف قلبي وأني أقدر أن أحس معك كما أنك أنت الآن تحس معي ونحن الآن مشتركان بتلك المعاطفة التي تفوق كل شيء وإن كنا مفترقين.

كنت أشتهي أن أسمع منك أنت ميلاد ملك رومية، وليس من أصوات المدافع أو والي المقاطعة غير أني أعلم أن واجباتك الأولى هي للمملكة ولسفراء الدول الأجانب ولعائلتك، وعلى الخصوص للأميرة السعيدة التي بلغتك أعظم أمانيك. نعم، إنها لا تقدر أن تكون محبة لك أكثر مني ولكنها تمكنت من إتمام سعادتك أكثر مني إذ ولدت هذا الولد لفرنسا، ولذلك كان لها الحق الأول لعواطفك الأولى ولكل اعتنائك. وأما أنا فلم أكن إلا رفيقة لك في أيام

الصعوبات، ولذلك فلا أطلب من فؤادك إلا مكاناً بعيداً جداً عن المكان الذي تحله الإمبراطورة «لويزا» وغاية ما أؤمله الآن أن تأخذ قلمك وتتحدث قليلاً مع أعز صديقة لك، ولكن ليس قبلما ينتهي سهرك بجانب سرير امرأتك، ولا قبلما تتعب من معانقة ولدك وها أناذا بالانتظار.

أما أنا فيتعذر عليّ الإبطاء في إخبارك بأني أفرح لفرحك أكثر من كل إنسان في العالم وأنت لا تشك في خلوص محبتي وصدق كلامي وأنا آسفة على شيء واحد وهو أنني لم أفعل حتى الآن ما به الكفاية لأبين لك مقدار حبي لك، وأني لم أسمع شيئاً عن صحة الإمبراطورة سأتجاسر أن أتكلم عليك يا سيدي بقدر أملي بك أن أسمع منك عن هذه الحادثة العظيمة التي حصلت دوام الاسم الشريف الذي أنت تمثله وأن «أيوجين» و«هورتنس» سيكتبان لي مفصلاً عن ذلك، ولكنني منك أشتهي أن أسمع إذا كان ابنك حسناً أو إذا كان يشبهك أو إذا كان يؤذن لي في رؤيته يوماً ما، وبالاختصار إنني انتظر منك ثقة غير محدودة وعلى ذلك سيدي لي حقوق بالنظر إلى محبتي غير المحدودة التي لا تتغير ما دمت حية.

فلما انتهت جوزفين من كتابة هذه الرسالة أرسلتها إلى «نابوليون» ولكنها لم تفتح الباب لترسل رسالتها حتى وقف أمامها رسول «نابوليون» ويده رسالة منه يبشرها فيها بالسوؤود فأخذتها «جوزفين» منه وذهبت بها إلى غرفة منامها وبعد نصف ساعة رجعت إلى أصحابها وقد احمرت عيناها من البكاء ورسالة «نابوليون» في يدها ملطخة بالدموع، فدفعت إلى رسول الإمبراطور رسالة أخرى كانت قد كتبها جواباً للإمبراطور على رسالته وأعطته ديوس من ألماس وألف ريال من الذهب علامة على اعتبارها قيمة البسرى التي حملها إليها، وبعد أن صرفت الرسول أخذت رسالة الإمبراطور وتلتها على أصحابها الحاضرين.

ولم ينقطع الإمبراطور بعد ذلك عن زيارة «جوزفين» بل كان يذهب إليها كالأول، ودير طريقة تمكن بها من تقديم الولد على يديه لها حتى تراه، وكان ذلك في المضرب المسمى قرب باريس وقد ذكرت «جوزفين» بعد ذلك في إحدى رسائلها إلى «نابوليون» أن تلك الحديقة التي رآته فيها حاملاً ولده على يديه كانت أسعد ما لاقته في حياتها لأنها كانت تسمح علامته أظهر فيها محبته الأكيدة لها.

أما الغرفة التي كانت منام «نابوليون» في «ملمازون» قبل انفصاله عن «جوزفين» فبقيت كما كانت، وكان مفتاحها مع «جوزفين» وكانت هي تذهب إليها يومياً وتنزع الغبار عن أدواتها وأثاثها ولم تسمح ألبته بتغيير شيء أو نقل شيء من مكانه، وكانت في أول مدة إتيانها إلى «ملمازون» حزينة كئيبة، وعلامات الكدر والغم تلوح على وجهها على الدوام فأعطاها

«نابوليون» قصر «نافار» كان حوالبه منتزهات فسيحة تجري فيها الأنهار الصافية وتغرّد في أشجارها الطيور الجميلة .

وكان هذا القصر أحد القصور الملكية وهو قائم في وسط غابة «إفري» الشهيرة وكان قد تعطل قليلاً في مدة الثورة فأعطى «نابوليون» «جوزفين» ٣٠٠ ألف ريال لترميمه وإصلاحه فرمّمته وأصلحته وحسّنت فيه أشياء كثيرة حسب ذوقها حتى جعلته كجنة عدن، وصارت تفضله على «ملمازون» وبعد أن نقلت إليه بأيام قليلة كتبت إلى «نابوليون» الرسالة الآتية :

«سيدي، تشرفت هذا الصباح برسالتك العزيزة التي كتبتها إليّ مساء اليوم الذي تركت فيه «سنت كلود» وقد بادرت إلى إجابتك عما فيها من المواضيع اللطيفة الحبيّة . والحق أن هذه المواضيع تدهشني، ولكن ما أدهشني غير سرعتها، فإنه ليس لي هنا سوى خمسة عشر يوماً فتأكدت فيها أن محبتك لي تطلب تسليتي وتعزيتي حتى في الوقت الذي نحن فيه منفصلان الانفصال الذي كان لا بد منه لراحتنا كلينا ويقيني أن حسن اعتنائك بي والتفاتك إليّ يتبعاني حيث كنت ويعزياني .

والآن لم يعد لي شيء أشتهي بعد اختيار محبة كانت مشتركة وآلام محبة ليست بعد مشتركة، وبعد التمتع بكل السرور الممكن للقوة غير المتناهية أن تمنحه، وبعد أن نلت كل السعادة بنظري إلى الإنسان الذي أحبه فوق جميع الناس . نعم، إنني لا أشتهي شيئاً سوى السكون والراحة وهكذا فإني الآن لا أرى أن لي شيئاً من دواعي الحياة سوى عواطفني الحبيّة نحوك ومحبتني لأولادي والأمل أنه ربما يمكنني أن أفعل بعد شيئاً من الخير يؤل إلى راحتك وسعادتك، لذلك لا تأسف معي لأنني هنا بعيدة عن البلاط الذي يظهر أنك تظن أنني أتحرّر عليه فإني هنا في «نافار» محاطة بأحباء أعزاء وحرية لا تباع أميالي في الفنون وإني أجد نفسي أحسن مما لو كنت في أي مكان آخر .

وعندي هناك كثير للعمل لأنني أرى حوالبه علامات الخراب التي أحدثتها الثورة الهائلة وسأبذل جهدي لأزيل آثارها من هذا البناء، كما أن سعادتك علمت الناس أن ينسوها، وإصلاح هذه الخراب ومساعدة المساكين حولي يسرّاني أكثر من تملق سكان البلاط وما يظهرونه من التصنع والتكلف .

إنني أخبرتك سابقاً عن كل أعضاء هذا البيت ولكنني لم أخبرك ما به الكفاية عن سيادة المطران «بورليبيرفاني» كل يوم أتعلم منه أموراً جديدة تجعل اعتبار الإنسان الذي يقرب عمل الخير بالسيرة الممدوحة يعظم في عيني، وسأأكل عليه في توزيع صدقاتي في «إفري»، ولما كان هو سيوزعها على الفقراء كنت على ثقة أنها ستوزع على الجميع بالسواء .

سيدي، إني لا أقدر أن أقوم بالشكر الواجب لك لأجل الحرية التي متعتني بها في انتخاب أعضاء بيتي الذين يزيدون جميعاً في بهجة عيشي البيئية، وليس ما يحسرنني ألبتة سوى شيء واحد وهو رسمية اللباس هنا في البرية إلى أن تقول، وإني الآن ألقب بشريفة ليس لأنني توجت إمبراطورة لفرنسا بل لأنني كنت مختارتك وليس لي قيمة من دون ذلك وحسبي هذا الفخر لتخليد اسمي أما زواري في هذه المدة المتأخرة فأكثر مما كانوا قبلاً ويسرنني منهم إعجابهم وافتخارهم بـ«نابوليون» وبالجملة فإني أجد نفسي كأني في بيتي وأنا في وسط هذا الغاب، لا تنسى صاحبك، واذكر لها أحياناً أنك حافظ لها جزءاً من محبتك لتنتعش روحها به وكرر لها الكلام عن سعادتك، وتأكد أن مستقبلها سيكون مستقبل سلام كما أن الماضي كان مشؤوماً بالأحزان والأكدار.

وقبل ذهاب «نابوليون» إلى ساحات «روسيا» المهلكة ذهب إلى «جوزفين» وقضى معها ساعتين من الزمان في الجنينة يحادثها بما كان أمامه، وكانت «جوزفين» تحذره من مباشرة هذا العمل الخطير، ولكن ثقته بالنجاح أقنعتها وجعلتها تسلم معه.

وفي الختام قبل يدها ونهض للذهاب فرافقه إلى العجلة ولكن لم يمض طويل من الزمن حتى رجع «نابوليون» من «موسكو» فوجد أن كل أوروبا متجندة عليه ومتقدمة نحو عاصمته فذهب في وسط هذه المخاطر إلى «جوزفين» وطلب مواجعتها وكانت هذه المواجهة الأخيرة. وفي نهاية هذه الزيارة الأخيرة القصيرة شخص إليها برهة ساكتاً وعلامات الحزن على وجهه ثم قال:

«يا جوزفين إني كنت سعيداً كأسعد الناس عاش عنى وجه الأرض، ولكنني في هذه الساعة عندما أرى عواصف تتجمع فوق رأسي ليس لي في كل هذا العالم الواسع أحد إلا أنت التي ألفت إليها وأستريح».

وفي أعظم هذه الاضطرابات والانزعاجات الهائلة التي لم يسيطر أعظم منها في تاريخ البشر كانت أفكار «نابوليون» دائماً عند «جوزفين» رفيقة صباه، وكان يكتب إليها من سجنه ويعلمها بالحوادث الجارية ويخبرها عن أحواله والرسائل التي كانت تأتيها من سجنه في الحروب، ومن ساحات القتال كانت ألطف وأرق ما كتب لها في حياته قبل المصائب والنكبات كانت قد دمشت أخلاقه حتى إنه في تلك الأيام المضطربة عندما كان يحارب الجيوش الجرارة وكان عرشه آخذاً في التقلقل تحت قدميه كانت رسالة من «جوزفين» تنتعش روحه منهن كانت شواغله عظيمة.

أما الجيوش المتحالفة فكانت أخذة في الاقتراب من باريس، كانت «جوزفين» مهددة



مغمومة بسبب ما حلَّ بـ «نابليون» وكانت هي وكل سيداتها في «ملمazon» يقضين أكثر أوقاتهن في إعداد خيوط الكتان للجرحى الذين ملأوا المستشفيات، وأخيراً لما اقتربت جيوش الدول المتحالفة من «ملمazon» وصار بقاء «جوزفين» هناك من الأمور الخطيرة ركبت عجلتها وسارت إلى «نافار» وذعرت من أصوات العساكر ثلاث مرات في طريقها إذ كانت على مسافة غير بعيدة منها، وبعد أن قطعت نحو ثلاثين ميلاً من طريقها انكسرت عجلتها وفي نفس ذلك الوقت رأت أمامها عصابة من الخيالة أتت نحوها فظنتها من عساكر الأعداء، ومن شدة خوفها تركت عجلتها وصارت تركض مع سيداتها في الحقول وكان المطر يهطل حينئذٍ وبعد أن سرن مسافة أدركن غلظهن ووجدن أن هؤلاء الفرسان فرنسويون، وبعد أن أصلحت العجلة ركبت ثانية وهكذا حتى وصلت «جوزفين» بالسلامة إلى «نافار» وكانت ساكنة في معظم الطريق لا تفوه ببنت شفة.

وبعد أن أقامت عدة أيام في «نافار» قلقلة مضطربة البال تنتظر الأخبار عن «نابليون» أرسل إليها الإمبراطور «إسكندر» إمبراطور الروس خفراء يحرسونها من الاعتداء عليها لأن مئات الألوف من العساكر كانت حينئذٍ منتشرة في كل تلك الجهات، وقد ألفت الرعب في قلوب سكان تلك النواحي.

وكانت جوزفين حينئذٍ مغمومة حزينة لما ألمَّ بـ «نابليون» كانت تقضي كل أوقاتها إما بالكلام عنه، وإما بتلاوة رسائله فإنه كان يكتب إليها بلا انقطاع ويخبرها بأحوال الحرب وبفراره من مكان إلى آخر، ولكن كثيراً من هذه الرسائل لم يصل إليها لأن العساكر المحتلة التي كانت مائة تلك الجهات كانت تمسكها عنها وآخر رسالة وصلت إليها قبل الأخيرة كانت من «بريان» يخبرها فيها بما جرى له وبالعصبة القليلة من العساكر الباقية له وأرسل في كتاب آخر يقول:

«إني عندما أتذكر أيام شبابي وأقابل سلام تلك الأيام التي مرت عليّ بالأتعاب والمخاوف التي أتجرّعها الآن أكره الحياة وقد سبق لي مراراً كثيرة أنني طلبت الموت بطرق مختلفة ولا يجب أن أخافه الآن وأنا أرى أن موتي الآن يكون بركة، ولكنني أريد ثانية أن أرى جوزفين».

فلما وصلت هذه الرسالة إلى «جوزفين» لم تقطع الأمل من نجاح «نابليون» بل أملت أن الإنسان الذي كان كيفما توجه يلاقي النصر والنجاح لا بد أن يفوز أخيراً ولو كان حينئذٍ متقهقراً، وكان ذلك رجاءها إلى أن وصلت إليها الرسالة الآتية:

«عزيزتي جوزفين - كتبت إليك في الثامن من هذا الشهر ولكن ربما لم يصل كتابي

إليك. القتال قائم على ساق وقدم، وربما كان إبطاله ممكناً، وينبغي تجديد المفاوضات والمراسلات الآن، وقد دبرت كل أموري ولا شك أن هذه التذكرة تصل إليك ولا أحتاج أن أكرر ما ذكرت لك سابقاً وقد رثيت وقتئذٍ لحالتي، وأما الآن فإني أهنيء نفسي لأجلها. إن رأسي وقلبي قد تخلصاً من ثقل عظيم، سقطتي عظيمة، ولكن ربما تكون مفيدة - كما قال البعض - وسأبدل القلم بالسيف في تقهقري، وسيكون تاريخ ملكي غريباً. العالم إلى الآن لم يرني كما أنا ولكنني سأريهم نفسي تماماً، إن عندي كثيراً من الأمور أريد إظهارها، لقد أفضت النعم والخيرات على ملايين من المساكين، ولكن ماذا فعل هؤلاء لي إنهم خانوني جميعاً إلا «أيوجين» الذي يستحقك ويستحقني - والآن أستودعك الله يا عزيزتي جوزفين، سلمني كما أنني أنا أيضاً مسلم ولا تنسي الذي لا ينساك ولن ينساك مدى العمر أستودعك الله ثانية يا جوزفين».

فلما وصلت هذه الرسالة إلى «جوزفين» تكذرت كدراً عظيماً وسكبت دموعاً غزيرة حتى إذا سكن روعها قليلاً قالت: «لا يجب أن أبقى هنا فإن حضوري لازم للإمبراطور. نعم، إن ذلك من واجبات «ماريا لويزا» أكثر مما هو من واجباتي ولكن الإمبراطور وحده ولا يجب أن أتخلي عنه. نعم، إنه كان في غنى عني في أوقات سعادته، وأما الآن فلا بد أن يكون في انتظاري».

ولما فرغت من هذا الكلام سكتت وتأملت قليلاً، ثم التفتت إلى الموكل على بيتها وقالت له: «ربما أعوق الإمبراطور عن أعماله إذا ذهبت، وربما يضطر أن يغير مقصده لأجلي، أنت ستقيم معي هنا حتى أستخبر من الملوك المتحالفين فإنهم سيحددون المدة التي كانت زوجة لـ «نابليون»».

نعم، إن الملوك المتحالفين ذكروا «جوزفين» وعرفوها فإن سموا تصرفها عند طلاق «نابليون» لها كان قد ملأ أوروبا حيرة واندهاشاً، وقد كتب إليها الملوك المتحالفون بظهور شعائر احترامهم وطلبوا منها أن ترجع إلى «ملمازون»، ووكلوا عدداً وافراً من الحرس بوقايتها، ومن ذلك الوقت كان منتداها مزدحماً بالملوك والأشراف الذين أتوا ليقدموا لها الاحترام على فضائلها الكثيرة، وأول من فعل ذلك كان الإمبراطور النمساوي فيسلاف الثاني الروسي، فإنه قال عند أول مواجهة لها: «يا سيدة إنني كنت ملتجياً بك، الشوق لمعك فبكيت في بيوت من يوم دخلت فرنسا لم أسمع اسمك يذكر إلا بالبركة وقد سمعت خبر أعمالك الملائكية من أحد البيوت إلى أعظم القصور ويسرني أن أقدم لجلالتك احترامات الجمهر والتي أن حملتها».

أما «ماريا لويزا» فلم تكن مفكرة إلا بنفسها وقد أبت أن تصحب «نابليون» حين انحطاطه، وأما «جوزفين» فكتبت إليه رسالة تقول فيها:

«إني أقدر أن أتصور الآن مقدار مصيبة انفكاك اتحادنا الذي فكته الشريعة وإني الآن أندب حظي ويشق عليّ أنني لست صديقة لك . ومن لا يحزن ويقطر قلبه دماً عند حلول مصيبة هذا مقدارها . آه يا سيدي ، حبذا لو كان بوسعي أن أطير إليك وأؤكد لك أن البعد لا يغير إلا ذوي العقول السخيفة ولا يستطيع أن يلاشي محبة خالصة زادت المصائب قوتها . لقد أوشكت أن أترك فرنسا وأتبع خطواتك وأخصص لك بقايا حياة أنت زيتتها لو كنت أعلم أنني أنا الوحيدة التي ستم واجباتها باتباعك لكنت أذهب إلى ذلك المكان الوحيد الذي فيه سعادتي وأسليك في وحدتك وتعاستك ، قل كلمة واحدة وأنا أذهب حالاً ، وأما الآن فأستودعك الله يا سيدي لأنني مهما زدت على ذلك كان قليلاً جداً ، وعواطفني بعد الآن لا تبرهن لك بالكلام بل بالعمل وأرجو أن تسلم بذلك لأنه ضروري» .

وبعد كتابة هذه الرسالة بأيام قليلة تناول الإمبراطور «إسكندر» وبعض أصحاب الألقاب والرتب طعاماً مع «جوزفين» وفي أول المساء خرج الجميع بنور الشفق إلى خارج وخرجت «جوزفين» معهم ، وكانت صحتها منحرفة بسبب الأحزان والأكدار فشعرت بزكام شديد وجعل يزداد يوماً فيوماً وتنحط معه صحتها وقوتها حتى حكم الطبيب بدنو أجلها ، وكان ولداها «أيوجين» و«هورتنس» لا يفارقانها ليلاً ولا نهاراً ، وأخبرها بكلام الطبيب فتلفت تلك البشرية بفرح وسرور وسألت حضور قسيس فحضر وأتم الفروض الدينية ، ثم دخل عليها الإمبراطور «إسكندر» فرأى ولديها «أيوجين» و«هورتنس» جاثين عند فراشها وقد غسلتهما الدموع فأومأت «جوزفين» إلى الإمبراطور أن يقرب منها ، فلما اقترب قالت له ولأولادها : «كنت دائماً أشتهي سعادة فرنسا وقد فعلت كل ما في طاقتي لأجل ذلك وها أناذا أقول لكم في الدقيقة الأخيرة من حياتي أيها الحاضرون الآن إن امرأة «نابوليون الأول» لم تسبب مطلقاً انسكاب دمعة واحدة من عين واحدة» .

ثم طلبت صورة الإمبراطور ، فلما أحضروها التفتت إليها وعلامات الرقة والمحبة تلوح على وجهها ثم أخذتها وقربتها إلى صدرها ووضعت يديها فوقها وصلت قائلة :

«اللهم أحرس الإمبراطور مدة بقائه في صحراء هذه الدنيا وأسفاه إنه ارتكب غلطات فاحشة ولكنه لم يعوّض عنها بآلام عظيمة ، وأنت وحدك أيها الإله قد عرفت قلبه وعلمت أنه كان في نفسه آميال شديدة إلى صلاح أشياء كثيرة ، فتنازل واصغ إلى تضرعي الأخير ، واجعل هذه الصورة صورة زوجي تشهد أن رغبتني وصلاتي الأخيرة كانت لأجله ولأجل أولادي» .

وكان ذلك في التاسع والعشرين من شهر أيار (مايو) سنة ١٨١٤ [م] ، وكانت الشمس قد قاربت الغروب فألقت بعض أشعتها المذهبة من نوافذ غرفة «جوزفين» المفتوحة ، وكان

النسيم اللطيف يتلاعب بالأشجار والطيور تغرد فيها. وبين حفيف الأشجار وتغريد الأطيوار أَلقت «جوزفين» عينيها على صورة «نابوليون» وأسلمت الروح، فلما رأى الإمبراطور «إسكندر» أنها قد فارقت الروح قال والدموع تتساقط من عينيه: «ليست بعد تلك المرأة التي سميتها فرنسا: «محبة الخير، وملاك الصلاح»، وكل هؤلاء الذين عرفوا «جوزفين» لا ينسونها فإنها ماتت وتركت الأسف الشديد لأولادها ولأصدقائها ومعارفها».

وبعد موتها بأربعة أيام احتفل بجنائزتها، وكان ذلك في الثاني من حزيران (يونيو) عند الظهر فأخذوها من «ملمازون» إلى «رويل» وواروها بالتراب في دار الكنيسة وقد شهد احتفال الجنائز أعظم ملوك أوروبا وأشرفها، وبعد تمام كل الواجبات ورجوع الجميع بقي ولداها «أيوجين» و«هورتنس» هناك ثم جثوا على قبرها وبقياً برهة يمزجان الصلاة بالدموع، وقد جاء أكثر من عشرين ألف نفس من الأهالي وشاهدوا جثتها وبقوا يترددون عليها مدة أربعة أيام متوالية قبل دفنها.

وقد أقام ولداها بعد ذلك نصباً من الرخام الأبيض مثلاًها به، وهي لابسة الحلة التي توجت فيها، وقد جثت للتويج وأقاماه فوق قبرها وكتبا عليه هذه الكلمات: «أيوجين وهورتنس لأجل جوزفين».

## حرف الحاء

### الحارثية ابنة زيد

هي بنت زيد بن بدر العرائي والغداني، وكانت من النساء المشهورات بالحماس والافتخار ولها أشعار مقبولة حسنة ومراث بديعة منها ما قالته:

صلى الإله على قبر وطهره      عند الثوبة تسفى فوقه المورُ  
زفت إليه قريش نعش سيدها      فثمَّ كل التقى والبرِّ مقبورُ  
أبا المغيرة والدينيا مغيرة      وإن من غرت الدنيا لمغرورُ  
قد كان عندك للمعروف معرفة      وكان عندك للتكبير تنكيرُ  
لم يعرف الناس مذ كفت سيدهم      ولم يجلّ ظلاماً عنهم نورُ  
لو خلد الخير والإسلام ذا قدم      إذا لخلدك الإسلام والخيرُ  
قد كنت تخشى وتعطي المال من سعة      إن كان بيتك أضحى وهو مهجورُ  
والناس بعدك قد خفت حلومهم      كأنما نفخت فيها الأعاصيرُ

### حباية جارية يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي<sup>(١)</sup>

هي مولدة مدنية كانت صبيحة الوجه، مليحة النادرة، لطيفة المحاضرة، خفيفة الروح،

(١) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد، من ملوك دولة بني أمية في الشام. ولد في دمشق سنة ٧١ هـ/٦٩٠ م. ولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ. بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك. كانت في أيامه غزوات أعظمها حرب الجراح الحكمي مع الترك، وانتصاره عليهم. خرج على يزيد بن المهلب، بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله. كان أبيض جسيماً، مدور الوجه، مليح، فيه مروءة كاملة مع إفراط في الانصراف إلى اللذات. مات في إربد من بلاد الأردن سنة ١٠٥ هـ/٧٢٤ م. بعد موت قينة له اسمها حباية. بأيام يسيرة، وكان لحباية هذه أثر في أحكام التولية والعزل على عهده. نقل الديار بكري في تاريخ الخميس: أنه: مات عشقاً، ولا يُعلم خليفة مات عشقاً غيره. قيل: إنهم أتوه بأربعين شيخاً شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب، وكانت مدة خلافته أربع سنين وشهراً.

غردة الصوت، شجيرة الغناء، ضاربة بالعود أخذت أصواتها عن ابن سريج وابن محرز ومالك وكان يزيد مغرمًا بالنساء شديد الكلف بهن فهام بها ولا هيام<sup>(١)</sup> قيس<sup>(٢)</sup> بليلي<sup>(٣)</sup>، وعلقها ولا علق<sup>(٤)</sup> أبي نواس بجنان<sup>(٥)</sup>، فتهتك وخلع عذاره، وانقطع إليها ليله ونهاره تاركاً بين أيديها أزمة دينه ودنياه، فكانت تعزل من تشاء وتولي من تشاء وتحول بينه وبين الصوم والصلاة حتى اشتهر أمره وساء ذكره، ولوقائعه معها فكاهاات ونوادر تركناها لكثرة تداولها بين الناس. قيل: إنه نزل معها يوماً بيت رأس (وهي قرية من قرى الشام). فقال: زعم السلف أن الدهر لا يصفو لأحد يوماً كاملاً، وماذا عليّ لو غادرت كلامهم نجماً آفلاً، ثم قال لغلامه: ويحك، لا تمكن أحداً من الوقوف ببابي، ولا تدع إنساناً يخرق حجابي. ثم خلا بحبابة وما برح معها في لهو وطرب، وهزل ولعب، حتى استقام قسطاس النهار فدعا بطبق رمان كأنه شعلة نار أو ياقوت تحته بلار أو حب آس غاص بالجلنار فشرقت حباية بحبة منه ذهبت بروحها إلى عالم العدم، فصاح يزيد صيحة الألم وطارت نفسه بأثرها شعاعاً وطفق يعرض أنامله جزعاً والتياغ، وما فتى يقبلها وينوح وهو على مثل شوك القتاد حتى سطع ريحها وأدركها الفساد فأودعوها الثرى حتف أنفه وهو يدمي بثناياه باطن كفه، وما زال يذري بعدها العبرات ويردد الآئين والحسرات، حتى نزلت به منيته بعد أسبوعين وهو معانق ضريحها فدفن حذاءها ولسان حاله يقول:

أموت على إثر الحبيبة ظاعنا ليجتمع الروحان في عالم الخلد.

- (١) سترد قصة ليلي وقيس في الجزء الثاني من هذا الكتاب.
- (٢) هو قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري. شاعر غزل من المتيّمين، من أهل نجد الميمية، وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلي العامرية. قيل في قصته نشأ معها إلى أن ساءت حباية أبوها، فهام على وجهه ينشد الأشعار، ويأنس بالوحوش، فيرى حيث في تشاء، ويحب في حب، وحيناً في الحجاز، إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت سنة ٦٨ هـ / ٦٨٨ م فحسب إلى أهله من الأصمعي ينكر وجوده، ويراه اسماً بلا مسمى. الجاحظ يقول: ما ترك الناس شعراً من حبه في قصيدته فيه ذكر ليلي إلا نسبوه إلى المجنون. يقول ابن الكلبي: حدثت أن حديث الصحابة والعباد والفقهاء من بني أمية كان يهوى ابنة عم له.
- (٣) هي ليلي بنت مهدي بن سعد، أم مالك العامرية، من بني نعلان بن مالك بن قيس بن الملوّح. وفي وجودهما شك كبير. قيل في حباية ما فيها من عجز وقبح، وفساد حباية، وكانت مغرمة بأحاديث الناس والأشعار، وهم من الرواة والحديث والفقهاء الذين لا يفترون ولا يفترون قبيلة واحدة، ثم حُجبت عنه، وامتنع أبوها عن رعايتها، لأنها كانت غريبة، فزوّجها على الزواج برجل آخر. قيل في بداية حبهما إنهما نشأ معا، ثم حُجبت عنها، وكبرت. ماتت سنة ٦٨ هـ / ٦٨٨ م، في السنة نفسها التي مات فيها قيس بن الملوّح بعد.
- (٤) وردت قصة أبو نواس وجنان في هذا الكتاب، في ترجمة جنان جاريد عبد الله الثقفي.
- (٥) سبقت ترجمتها في هذا الكتاب، وهي جنان جاريد عبد الله الثقفي.

وكان ذلك في سنة ١٠٥ للهجرة. ومن شعره فيها:

أبلغ حباية أسقى ربعها المطر ما للفرّاد سوى ذكراكم وطرّ  
إن سار صحبي لم أملك تذكرهم أو عرّسوا فهموم النفس والسهر  
ومن شعرها له:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا  
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

وكان سبب شراء حباية أن يزيد قد حج أيام أخيه سليمان<sup>(١)</sup> فاشتري حباية بأربعة آلاف دينار وكان اسمها عالية. وقال سليمان: لقد هممت أن أحجر على يزيد فردها يزيد فاشتراها رجل من أهل مصر فلما أفضت الخلافة إلى يزيد قالت له امرأته سعدة: هل بقي من الدنيا شيء تتمناه؟ قال: حباية، فأرسلت فاشتريتها ثم صيغتها وألبستها وأتت بها يزيد فأجلستها من وراء الستر، وقالت: يا أمير المؤمنين، هل بقي من الدنيا شيء تتمناه؟ قال: قد أعلمتك، فرفعت الستر، وقالت: هذه حباية، وقامت وتركها عنده، فحظيت سعدة عنده، وأكرمها وسعدة هذه بنت عبد الله بن عمر بن عثمان<sup>(٢)</sup>. قيل: وغنت حباية يوماً:

وبين التراقي واللهاة حرارة وما ظمئت ماء يسوغ فتردا

فأهوى ليظير فقالت: يا أمير المؤمنين، إن لنا فيك حاجة. فقال: والله لأطيرن.  
فقالت: على من تخلف الأمة والملك؟ قال: عليك والله، ثم قبل يدها. فخرج بعض خدمه وهو يقول: سخنت عينك فما أسخفك.

(١) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب، من ملوك بني أمية، ولد في دمشق سنة ٥٤ هـ/٦٧٤ م. ولي الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦ هـ. وكان بالرملة، فلم يتخلف عن مبايعته أحد. فأطلق الأسرى وأخلى السجون وعفا عن المجرمين، وأحسن إلى الناس. وكان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح، جهّز جيشاً كبيراً وسيّره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك لحصار القسطنطينية. في عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانتا في أيدي الترك. توفي في دابق من أرض قنشرين بين حلب ومعرّة النعمان، وكانت عاصمته دمشق. مدة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أياماً، توفي سنة ٩٩ هـ/٧١٧ م.

(٢) هو عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عمر، كان من الفرسان المعدودين. صحب مسلمة بن عبد الملك في بعض وقائعه بأرض الروم، أبلى معه البلاء الحسن. هو من أهل مكة كان شاعر غزل مطبوع، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة، كان مشغولاً باللهو والصيد، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء، ومن الفرسان المعدودين. لقّب بـ«العرجي» لسكنائه قرية العرج قرب الطائف. سجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة دم مولى لعبد الله بن عمر فلم يزل في السجن إلى أن مات سنة ١٢٠ هـ/٧٣٨ م.

## حبیبة هانم بنت علی باشا الهرسکی

من أدبیات الأستانة وشاعرات هذا العصر. ولدت سنة ١٢٦٢ هجرية في مدينة «هرسک»<sup>(١)</sup> وهي نادرة زمانها حازت من الفصاحة والآداب الجزء الأعظم ولها أشعار رائقة ومعان فائقة:

ومن بديع شعرها ما وجدته في كتاب مشاهیر النساء لمحمد أفندي ذهني باللغة التركية فأدرجته بحروفه:

جکرده تبغ غمزه ک زخمی وارکن آثمه پیکانک  
تیرای فاشی باي ارتق تیرد بریمیه من کانک  
نکاه مسنکه جاناکه شابان کوردک اغیارى  
بنه نوباره لرآچدی درونه تبغ هجرانک  
أوغافل بل خبر نادان عدوبه همدم أولمشین  
وصالکدن یزی دورایلدک واراولسون احانک  
امیدمرحمت قلمق عبثدرسندن ای کافر  
سني بی ذین دیمشلردی ازلدن بو قدر ایمانک  
حبیبه بی دوادرددن خلاص أولمقده مشکدر  
امیدا یتمز اسیردرد أولانلر غیرى درمانک

## حبوس ابنة الأمير بشير بن محمد الشهابي

ابن [حیدر]<sup>(٢)</sup> بن سلیمان بن فخر الدین بن یحیی بن مذحج بن محمد بن جمال الدین أحمد الذي شهد وقعة «مرج دابق»<sup>(٣)</sup> بین السلطان سلیم<sup>(٤)</sup> وقانصوه الغوري<sup>(٥)</sup>. ولدت سنة ١١٨٢ هجرية في الشونصات، وكانت حاذقة، سديدة الرأي، ثابتة الجنان، عالية الهمة، كريمة اليد والنفس.

تزوجت بالأمير عباس بن فخر الدین وكانت تجالس الرجال وتقودهم بفصاحة خطيبها

- (١) الهرسک: منطقة تتبع جمهورية البوسنة والهرسک. احتلتها العثمانيون ١٥٦٣-١٨١٨ م. حتى ١٩١٨ م. ألقت مع الصرب مملكة الصرب وكرواتيا بعد الحرب العالمية الأولى. ثم ضمت إلى يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية. حتى انحلال يوغوسلافيا بالحدود العرقية العرقية وأصبحت عضواً في الأمم المتحدة حزيران ١٩٩٢ م. وفي العام الحالي ١٩٩٩ م. انفصلت عن يوغوسلافيا بين اليوغوسلاف الصرب ومسلمي الهرسک.
- (٢) وردت في الأصل «حیدر»، ولعل الصحيح ما أنشاه.
- (٣) مرج دابق: موقع في سوريا على نهج قويق بين مشح وأفطاش. حاصره قانصوه الغوري سنة ١٥١٦ م. فكان الفتح العثماني للشرق.
- (٤) سلیم الأول: هو تاسع السلاطين العثمانيين حكم من ١٥١٢-١٥٢٠ م. قتل في معركة بلخ في موقع مرج دابق سنة ١٥١٦ م. وفتح سوريا، ومصر.
- (٥) قانصو الغوري: هو الملك الأشرف، سلطان المماليك المماليك، حكم من سنة ١٥٠١-١٥١٦ م. قتل سلیم الأول في معركة مرج دابق.



تزوجت بالأمير عباس بن فخر الدين وكانت تجالس الرجال وتقودهم بفصاحة خطابها وكانت تعول من يلتجئ إليها وتعامله معاملة القريب والصديق وتجاهد في إقامة الحقوق لهم، وإن لم تكن، وأما من لم يكن على غرضها فلم يجد راحة في معيشة، ولو كان صاحب حق وما ذلك إلا لنفوذ سطوتها عند الحكام.

وفي سنة ١٢٠٨ [هـ] جعلها الأمير بشير حاكمة على مقاطعة العرب فأدارت الحكم بفطنة لا مزيد عليها، ولما سجن الأمير بشير وأخوه الأمير حسن والشيخ بشير جنبلط في سجن أحمد باشا الجزائر<sup>(١)</sup> بعكا أرسلت إلى الأمير بشير أموالاً جزيلة، وقامت بأمر عياله، وأخذت تجتهد في استمالة الناس إليه. ولما ولي عبد الله باشا على الجبل الأمير حسن والأمير سليمان الشهابيين إذ تعهدا له بزيادة المرتب من المال على الجبل سارت هي برفقة الأمير بشير والشيخ بشير إلى حوران<sup>(٢)</sup>، وكانت تخابرها في شأن أحوال البلاد.

ويروى أنها حاربت العرب إذ تعدوا على دروز حوران واستظهرت عليهم، ثم رجع الأمير بشير إلى ولايته فعادت إلى منصبها، ثم وقع الاختلاف بينها وبين الأمير بشير سنة ١٢٣٧ [هـ] بعد اعتقال عبد الله باشا وتوسط الأمير بشير أمره في مصر وعوده ظافراً، وكانت متحدة مع الشيخ بشير في مقاومة الأمير بشير فصادره الأمير بشير بعد رجوعه وأتعبه، فلما غلب الشيخ بشير سنة ١٢٤٠ [هـ] توجهت إلى بشامون<sup>(٣)</sup> فأتى الأمير بشير قاسم التهامي بأمر الأمير بشير عمر الحاكم ليصادرها في أموالها، وشدد عليها فما لبثت أن ماتت في تلك الأثناء. قيل: حثف أنفها. وقيل: بدسياسة من الأمير بشير وكان عمرها ٥٨ سنة. ودفنت ببشامون وخلفت أولادها الأربعة وهم: الأمير منصور، والأمير أحمد، والأمير حيدر، والأمير أمين. وكانت اعتنت بتربيتهم بعد موت زوجها اعتناءً تاماً حتى نبغوا بين الأمراء الشهابيين.

### حبية بنت مالك بن بدر

كانت ذات عقل ثاقب، وفكر صائب، ترجع إليها رؤساء قبيلتها بالرأي ويشاورونها في مهام الأمور وكانت بهية الطلعة، حسنة الهيئة، لها بعض أشعار رائقة، ومقالات فائقة. وكان

- (١) أحمد باشا الجزائر: ولد سنة ١٧٢٠ م والي صيدا والشام، استقر في عكا. لُقّب بالجزار لفتكه بالبدو في مجزرة بلغ ضحاياها نحو ٧٠ ألفاً. حصّن عكا وقاوم حصار بونايرت بمساعدة الأسطول الإنكليزي سنة ١٧٩٩ م. قتل الأمير يوسف الشهابي وولي الأمير بشير الثاني. مات سنة ١٨٠٤ م.
- (٢) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع. قيل: هي قرية أصحاب الأخدود. معجم البلدان، ج ٢/ص ٣٦٤.
- (٣) بشامون: بلدة لبنانية في قضاء عاليه. فيها تشكّلت «حكومة بشامون» المؤقتة أثناء معركة الاستقلال سنة ١٩٤٣ م.

أبوها مالك بن بدر<sup>(١)</sup> قتل في حرب داحس والغبراء بسبب الرهان المشهور قتله جنيدب أحد بني رواحة<sup>(٢)</sup> فقالت ترثيه<sup>(٣)</sup>:

لله عيناً من رأى مثل مالك      عقيرة قوم إن جرى فرسان  
فليتهما لم يشربا قط قطرة      وليتهما لم يرسلأ لرهان  
أحربه<sup>(٤)</sup> أمس الجنيدب ندره      فأى قتيل كان في غطفان  
إذا سجعت بالرقمتين<sup>(٥)</sup> حمامة      أو الرس<sup>(٦)</sup> فابكي أنت فارس كنعان

### حبية بنت عبد العزى العوراء

كانت من كرماء النساء المشار إليهن في ذلك الزمان وشاعراتهن الموصوفات، ولقبت بالعوراء لكونها كانت ذات حول في عينها. ومن شعرها في ذلك قولها:

ألى الفتى برّ تلكأ ناقتي      فكسا مناسمها النجيع الأسود  
إنى ورب الراقصات إلى منى      بجنوب مكة هديهن مقلد  
أولى على هلك الطعام ألية      أبدا ولكني أيبين وأنشد  
وصى بها جدي وعلمني أبي      نفض الوعاء وكل زاد ينشد  
فاحفظ يمينك لا أبالك<sup>(٧)</sup> واحترس      لا تخرقنه فأرة أو جد جد

### حدقة جارية الملك الناصر بن قلاون

تربت في دار الملك الناصر<sup>(٨)</sup> وتعلمت الغناء والأدب وتدبير المنزل، وتخرجت عن

- (١) مالك بن بدر: قتله بنو عبس بمالك بن زهير في حرب داحس والغبراء. معجم البلدان، ج ١، ص ٥٠.
- (٢) بنو رواحة: بطن من غطفان من العدنانية. مساكنهم بلاد دقة في بلاد هب.
- (٣) وردت هذه الأبيات في معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٠.
- (٤) أحربه: طعنه بالحربة فقتله. [القاموس المحيط، مادة: حرب].
- (٥) الرقمتان: تشبة الرقمة، وهو مجتمع الماء في الوادي، وهما قيطان بين نضد و... [معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٠].
- (٦) الرس: واديان بنجد أو موضعان. معجم البلدان، ج ٣، ص ٦٦.
- (٧) لا أبالك: نوع من أنواع القس.
- (٨) هو محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالح، أم الفتح، من بني محمد بن عبد الله بن قلاوون، أمير عمروانية ضخمة وتاريخ حافل بجلال الأعمال. ولد سنة ٦١٤ هـ ١٢١٥ م. مات سنة ٦٩٤ هـ ١٢٩٥ م. في دمشق. ولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣ هـ، وهو من سلالة الخلفاء الفاطمية. خلع عليها أخاه سنة ٦٩٤ هـ وألحقه إلى الكرك. أعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩١ هـ فأقام في القاهرة من بعده. له من الأبناء والأمراء: الأمير بيبرس الجاشنكير، نائب السلطنة الأمر، صلاح الدين، ونسور، محمد بن محمد، وأحمد بن محمد، وأحمد بن محمد، فأظهر العزم على الحج، فتوجه بعائلته وحاشيته ومواليه وحبسه، فودعه بيبرس وسلاطنته.

«مسكة» القهرمانية، وتعلمت منها جميع ما يلزم للمنازل الملوكية من التدبير. ولما توفيت «مسكة» تولت وظيفتها وقامت مقامها وصارت قهرمانة البيت السلطاني وصاروا يرجعون إليها في الأمور المتعلقة بالأعراس والمهمات وتربية الأولاد وعمرت زيادة عن «مسكة» وبذلك صار لها حظوة عند السلطان وحرime مسموعة الكلمة منهما، ومن كثرة إحسانها وبرها تقاطر عليها المحتاجون لقضاء حوائجهم، سواء كان عند السلطان أو حرمة أو عندها، وهي لا ترد طالباً ولا ترجع أحداً خائباً.

وتقدمت لها هدايا كثيرة من الأمراء والأعيان وكل منهم كان يتمنى رضاها. وقد بنت جملة بنايات خيرية أوقفها لصرف ريعها في وجوه الخير، وعلى الجامع الذي بنته بخط المريس في جانب الخليج الكبير مما يلي الغرب بالقرب من قنطرة السد التي هي خارج مدينة مصر، وكان انتهاء بناء هذا الجامع في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ٧٣٧ هـ.

ولما توفيت «حدقة» دفنت فيه وقبرها معروف للآن. وأما الجامع فإنه تخرب ولم يبق غير آثاره، وهو غير مقام الشعائر الآن.

### حسانة النميرية ابنة أبي الحسين الشاعر الأندلسي

كانت أحسن نساء زمانها، وأفصحهن مقالاً، وأجملهن فعلاً، تأدبت وتعلمت الشعر من أبيها، فلما مات أبوها كتبت إلى الحكم<sup>(١)</sup> أمير الأندلس<sup>(٢)</sup> - وهي إذ ذاك بكر لم تتزوج - بهذه الأبيات:

الأمراء وهم على خيلهم لم يترجلوا له . بلغ الكرك فنزل بقلعتها واستولى على ما فيها من أموال . فأعلن أنه قد انثنى عزمه عن الحج واختار الإقامة بالكرك وترك السلطنة وكتب إلى الأمراء في مصر بذلك فاجتمع هؤلاء ونادوا بالأمير بيبرس الجاشنكير سلطاناً على مصر والشام سنة ٧٠٨ هـ . ولقبوه بالملك المظفر . أمضى الناصر في الكرك قريباً من سنة، ثم وثب، فدخل دمشق، وزحف إلى مصر فقاتل المظفر بيبرس، وعاد إلى عرشه سنة ٧٠٩ هـ . وقتل بيبرس بيده خنقاً، وشرّد أنصاره وامتلك قيادة الدولة . حكم ٣٢ سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوماً . من المؤرخين من يأخذ عليه كثيراً من الشدة في سياسته ولا سيما أن شيخ الإسلام ابن تيمية مات في قلعة دمشق في عهده مع معرفته الشخصية به .

(١) هو الحكم الثاني، المستنصر ٣٠٢ - ٣٦٦ هـ / ٩١٤ - ٩٧٦ م الخليفة الأموي الثاني في الأندلس سنة ٩٦١ م ابن عبد الرحمن الثالث . شجّع العلوم والآداب فغدت قرطبة في عهده مركزاً ثقافياً وحضارياً . جمع مكتبة تعتبر من أضخم المكتبات في عصره . غزا ملوك الإسبان وأجبرهم على عقد الصلح معه، وباعته مدن الأندلس، وملوك زناته وقبائل المغرب .

(٢) الأندلس: هي كلمة أعجمية لم تستعملها العرب في القديم وإنما عرفتها العرب في الإسلام . قيل: إن اسمها في القديم أبارية، ثم سميت بعد ذلك باطقة، ثم سميت أشبانية من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه أشبان، وقيل: سميت بالأشبان الذين سكنوها في أول الزمان، وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندلس الذين سكنوها . وهي ما يُعرف اليوم بإسبانيا . معجم البلدان، ج ١/ص ٣١١ .

إني إليك أبا العاصي موجهة  
 قد كنت أرتع في نعماء عاكفة  
 أنت الإمام الذي انقاد الأنام له  
 لا شيء أخشى إذا ما كنت لي كنفاً  
 لا زلت بالعزة القعساء مرتدياً  
 حتى تذل إليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنته وأمر لها بإجراء مرتب وكتب إلى عامله على «البيرة»<sup>(١)</sup> فجهزها بأحسن جهاز.

ويحكى أنها وفدت على ابنه عبد الرحمن متشكية من عامله جابر بن لييد والي «البيرة»، وكان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرير أملاكها، فلم يفدها، فدخلت إلى الإمام عبد الرحمن فأقامت بفنائها وتلطفت مع بعض نسائه حتى أوصلتها إليه، وهو في حال طرب وسرور، فانتسبت إليه، فعرفها وعرف أباه، ثم أنشدت:

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي  
 على شحط تصلى بنار الهواجر  
 ليجبر صدعي إنه خير جابر  
 ويمنعني من ذي المظالم جابر  
 فإني وأيتامي بقبضة كفه  
 كذي ريش أضحى في مخالِب كاسر  
 جدير لمثلي أن يقال بسرعة  
 بموت أبي العاصي الذي كان ناصري  
 سقاه الحيا لو كان حياً لما اعتدى  
 على زمان باطش بطش قادر  
 أيمحو الذي خطته يمناه جابر  
 لقد سام بالأملاك إحدى الكبار

ولما فرغت رفعت إليه خط والده وحكت جميع أمرها فرق لها، وأخذ خط إليه فقبله ووضع على عينه وقال: تعدى ابن لييد طوره حتى رام نقض رأي الحكم، وحسب أن سلك سبيله بعده ونحفظ بعد موته عهده انصرفي فقد عزلته لك، ووقع لها بمثل توقيع أبي الحكم فقبلت يده وأمر لها بجائزة، فانصرفت وبعثت إليه بقصيدة منها:

ابن الهشامين خير الناس ماثرة  
 وخير منتجع يهتد به  
 إن هز يوم الوغى أثناء صعده  
 روى أنابيتها من صدف  
 قل للإمام أيا خير الوري نسبة  
 مقبلاً ييسر له  
 جودت طبعي ولم ترض الظلامه لي  
 فهناك فضل ناصح عادي  
 فإن أقمت فني نعماك عاكفة  
 وإن رحلت فقد أتتني داني

(١) البيرة: كورة كبيرة من الأندلس، مدينة متصلة بأراضي كورة فدة، من كورة و الشو من كورة، معجم البلدان، ج ١/ ص ٢٨٩.

وبقيت على ذلك مدة حياتها وهي مغمورة بخيراتها ومشهورة بالجود والكرم والأدب والحكم.

### حفصة ابنة حمدون

كانت فاضلة، روض فضلها أريج، وحدائق معلوماتها وأدبها بهيج، وشاعرة رقت وكثر اختراعها للمعاني وإبداعها، تسترق القلوب بألفاظها الزاهرة، وتسكر العقول بمعانيها الساحرة تنظم فتأتي بكل عجيبة وتشنف الأسماع بكل غريبة، وتشر فتفتض أبكار الدقائق بنظرها الثاقب، وتجلى غياهب المشكلات بفكرها الصائب هي من وادي الحجارة بالأندلس، وهي من أهل المائة الرابعة. ومن شعرها:

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملاً      فكل الوري قد عمهم صيب<sup>(١)</sup> نعمته  
له خلق كالخمر بعد امتزاجها      وحسن فما أحلاه من حين خلفته  
بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره      عيوناً ويغشيها بإفراط هيته  
ولها أيضاً:

لي حيب لا ينثني بعتاب      وإذا ما تركته زاد تيهياً  
قال لي هل رأيت لي من شبيه      قلت أيضاً وهل ترى لي شبيهاً  
ولها تدم عبيدها:

يا رب إنني من عبيدي على      جمر الغضا ما فيهم من نجيب  
أما جهول أبله متعب      أو فطن من كبره لا يجيب  
ومن قولها أيضاً:

يا وحشتي يا وحشتي      يا وحشة متمادية  
يا ليلة ودّعته      يا ليلة هي ماهية

### حفصة ابنة الحجاج الركونية

كانت أديبة في زمانها، أبلغ شعراء أوانها شعراً وأدقهم نظراً. شعرها جيد ذات رونق فائق، وديباجة حسنة. وكان لها اليد الطولى في سبك المعاني، واستعمال الألفاظ الشائقة. ولم يكن شعرها مع جودته مقصوراً على أسلوب واحد، بل كانت تتفنن فيه وتدخل في أساليب مختلفة، وكانت غزيرة المادة من الأدب مطلعة على شعر العرب الخالص وغيرهم.

(١) صيب: أحسن، أو الخيار من كل شيء. [القاموس المحيط، مادة: صاب].

وكانت تكتب الخط الجيد وهي من أذكى العرب المشهود لهم بالتفوق والبراعة قرأت في مبدأ أمرها كثيراً، وحفظت كثيراً، ولما كبرت وشبت ظهر لها جمال بارع كانت تبهر العقول به، وكانت حسيبة نسبية غنية، ذات مال وافر، هويها جملة من أجلاء عصرها وأدباء زمانها، ولم تلتفت لأحد منهم سوى أبي جعفر بن سعيد، وكانت معه على عفة زائدة. وقالت يوماً ارتجالاً بين يدي أمير المؤمنين عبد المؤمن:

يا سيد الناس يا من يؤمل الناس رفده  
أمنن علي بطرس يكون للدهر عده  
تخط يملك فيه الحمد لله وحده

وأشارت بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحدين فإنها كانت يكتب السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده. ومن قولها أيضاً في الغزل:

ثنائي على تلك الثنايا لأنني أقول على علم وأنطق عن خبر  
وأنصفها لا أكذب الله إنني رشفت بها ريقاً أرق من الخمر

وولع بها السيد أبو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطة<sup>(١)</sup>، وتغير بسببها على أبي جعفر بن سعيد حتى أدى تغيره عليه أن قتله، وطلب أبو جعفر منها الاجتماع فمطلته قدر شهرين، فكتب إليها:

يا من أجانب ذكر اسمه وحسبي علامة  
ما إن أرى الوعد يقضي والعمر أخشى انصرامة  
اليوم أرجوك لا أن يكون لي في القيامة  
لوقد بصرت بحالي والليل أرخى ظلامه  
أنوح شوقاً ووجداً إذ تستريح الحمامة  
صعب أطال هواه على الحبيب غرامه  
لمن يتيه عليه لا يرد سلامه  
إذ لم تنيلي أريحى فالياس يثني زمامه

فأجابته تقول:

يا مدعي في هوى الحسد من الغرام الإمامه  
أتى قريضك لكن لم أرض منه نظامه

(١) غرناطة: بفتح الغين، ومعناه «رمانة» بلسان أهل الأندلس، من أقدم مدن دولة الأندلس من الأندلس ومن أعظمها وأحسنها وأحصنها معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٢١

أمدعي الحب يثني      يأس الحبيب زمامه  
ضللت كل ضلال      ولم تفدك الزمامه  
ما زلت تصحب مذكذ      ست في السباق السلامه  
حتى عثرت وأخجل      ست بافتضاح السامه  
بالله في كل وقت      يبدي السحاب انسجامه  
والزهر في كل حين      يشق عنه كمامه  
لو كنت تعرف عذري      كفتت غرب الملامه

ووجهت هذه الأبيات مع موصل أبياته بعدما لعنته وسبته وقالت له: لعن الله المرسل والمرسول فما في جميعكما خير ولا برؤيتكما حاجة، وانصرف بغاية من الخذلان، ولما أطال على أبي جعفر وهو قلق لانتظاره قال له: ما وراءك يا عصام؟ قال: ما يكون وراء من وجهه خلق إلى فاعلة تاركة. اقرأ الأبيات تعلم، فلما قرأ الأبيات قال للرسول: ما أسخف عقلك وأجهلك: إنها وعدتني للقبه التي في جنت المعروفة بالكمامة، سر بنا. فبادرا إلى الكمامة فما كان إلا قليل وإذا بها قد وصلت وأراد عتبها، فأنشدت:

دعي عدّ الذنوب إذا التقينا      تعالي لا نعدّ ولا تعدي

وجلسا على أحسن حالة، وإذا برقعة الكندي الشاعر لأبي جعفر وفيها:

أبا جعفر يا ابن الكرام الأماجد      كتوم عليهم باختفاء المراصد  
بيت إذا يخلو المحب بحبه      ممتع لذات بخمس ولائد

فقرأها على حفصة فقالت: لعنة الله قد سمعنا بالوارش على الطعام والواغل على الشراب ولم نسمع اسماً لمن يعلم باجتماع محبين فيروم الدخول عليهما فقال لها: بالله سميه لنكتب له بذلك. فقالت: أسميه الحائل لأنه يحول بيني وبينك إن وقعت عيني عليه فكتب له في ظهر رقعته:

يا من إذا ما أتاني      جعلته نصب عيني  
نراك ترضى جلوساً      بين الحبيب وبينني  
إن كان ذاك فمساذا      تبغي سوى قرب حيني  
والآن قد حصلت لي      بعد المطال بدين  
فإن أتيت فدفعاً      منها بكتبا اليدين  
أو ليس تبغي وحاشا      لك أن ترى طير بيني  
وفي حنينك في الخم      — كل قبح وشين

فليس حقك إلا الخلو بالقمرين

وكتب له تحت ذلك ما كان منهما من الكلام وذيل ذلك بقوله :

سماك من أهواه حائل إن كنت بعد العتب واصل  
مع أن لونك مزعج لو كنت تحبس بالسلاسل

فلما رجع إليه الرسول وجده قد وقع بمتمورة النجاسة وصار هتكة، فلما قرأ الأبيات قال للرسول: ارجع وأعلمهما بحالي، فرجع الرسول وأخبرهما بذلك، فكاد أن يغشى عليهما من الضحك وكتبا إليه ارتجالا كل واحد بيتاً، وابتدأ أبو جعفر فقال:

قل للذي خلصنا من الوقوع في الخرا  
ارجع كما شاء الخرا  
وإن تعد يوماً إلى  
يا أسقط الناس ويا  
هذا مدى الدهر تلا  
يا لحية تشق في الـ  
لا قرب الله اجتمعا  
ابن الخرا إلى ورا  
وصالنا سوف ترى  
أنذلهم بلا مرا  
قي لو أتيت في الكرا  
مخرا وتنشأ العبرا  
عأ بك حتى تقبرا

فلما وصلته الرقعة علم أنه ليس مقبولاً لديهما، فانصرف من حيث أتى وبقيا يومهم ينتهبان اللذات ويتعاطيان المسرات بدون ريبة تقع من أحدهما حتى آن أوان الانصراف، فانصرفا وكل منهما له نحو صاحبه انعطاف. ومن شعرها:

سلام يفتح في زهرة الـ  
على نازح قد ثوى في الحشا  
فلا تحسبوا العبد ينساكم  
وقولها من أبيات:

ولو لم يكن نجما لما كان ناظري  
سلام على تلك المحاسن من شج  
وقولها:

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن  
لعمري لقد أهدى لقلبي خفقة  
ونسب إليها البيتان المشهوران:

أغار عليك من عيني ومني  
ومنك ومن أمانك والمكان



ولو أني خباتك في عيوني  
وكتبت إلى أبي جعفر:

رأست فما زال العداة بظلمهم  
وهل منكر أن ساد أهل زمانه  
وجهلهم النامي يقولون لم رأس  
جموح إلى العليا حرون عن الدنس

وقال ابن رجة: حفصة من أشرف غرناطة رخيمة الشعر، رقيقة النظم والنثر. ومن قولها في السيد أبي سعيد ملك غرناطة تهنته بيوم عيد وكتبت بذلك إليه:

يا ذا العلاء وابن الخليل  
يهنيك عيد قد جرى  
وأتاك من تهواه في  
ليعيد من لذاته  
فة والإمام المرتضى  
فيه بما تهوى القضا  
قيد الإنابة والرضا  
ما قد تصرم وانقضى

وسألها امرأة من أعيان غرناطة أن تكتب لها شيئاً بخطها فكتبت إليها:

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم  
تصفحه بلحظ الودّ منعمة  
غضي جفونك عما خطه قلبي  
لا تحفلي برديء الخط والكلم

واتفق أنه بات أبو جعفر معها في بستان بحوز مؤمل على ما يببت به الروض والنسيم من طيب النفحة والنضارة، فلما حان الانفصال قال أبو جعفر وكان يهواها كما سبق:

رعى الله ليلاً لم يرح بمذمم  
وقد خفتت من نحو نجد أريجة  
وغرد قمري على الدوح وانثنى  
يرى الروض مسروراً بما قد بدا له  
عشية واراننا بحوز مؤمل  
إذا نفحت هبت برياً القرنفل  
قضيبي من الرياحان من فوق جدول  
عناق وضم وارتشاف مقبل

وكتبت بها إليها بعد الافتراق لتجيبه على عادتها بمثل ذلك فكتبت إليه قولها:

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا  
ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا  
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله  
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه  
ولكنه أبدى لنا الغل والحسد  
ولا غرد القمري إلا لما وجد  
فما هو في كل المواطن بالرشد  
بأمر سوى كيما يكون لنا رصد  
وكتبت حفصة إلى بعض أصحابها:

أزورك أم تزور فإن قلبي  
فثغري مورد عذب زلال  
وقد أملت أن تظما وتضحى  
إلى ما تشتهي أبداً يميل  
وفرع ذوائبي ظل ظليل  
إذا وافى إليك بي المقيّل

فعجل بالجواب فما جميل إياؤك عن بثينة يا جميل

وقال أبو جعفر بن سعيد: أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة، ومن بعض ما أجعله دليلاً على تصديق عزمي وبرّ قسمي أنني كنت يوماً في منزلي مع من أحب أن أخلو معه من الأجواد الكرام على راحة سمحت بها غفلات الأيام، فلم أشعر إلا بالباب يضرب فخرجت جارية تنظر من الضارب فوجدت امرأة فقالت لها: ما تريدين؟ قالت: ادفعي لسيدك هذه الرقعة فجاءت برقعة فيها:

زائر قد أتى بجيد الغزال      مطلع تحت جناحه للهِلال  
بلحاظ من سحر بابل صيغت      ورضاب يفوق بنت الدوالي  
يفضح الورد ما حوى منه خدّ      وكذا الثغر فاضح للألي  
ما ترى في دخوله بعد إذن      أو تراه لعارض في انفصال

قال: فعلمت أنها حفصة وقمت مبادر اللباب وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به، وتفضله بزيارة من دون طلب في وقت الرغبة في الأنس به وفضلنا ليلة لم يسمح لنا بمثلها الزمان ولا لقيصر ولا لكسرى أنوشروان، وبقيت حفصة محافظة على وداد أبي جعفر إلى أن نكب وقتل. وقد رثته بمراثٍ كثيرة لم ير مثلها، ولكون قتل أبي سعيد كان من أجلها لم تتمكن من نشرها، وبقيت بعده مدة طويلة وهي حزينة عليه لا تلتفت إلى المسرات ولا تألف الاجتماعات حتى دعاها داعي المنون فلبت وهي ذات شجون.

### حليمة الحضرية

كانت من نساء بني عبس الموصوفات بالعقل والحكمة ولها شعر رائع وروى لها الزبير بن بكار من أبيات رثاء في زوجها:

يقرّ لعيني أن أرى لمكانه      ذرى عقيدات الأجرع المستفاد  
وأن أرد الماء الذي شربت به      سليمي وإن ملّ السرى من وجد  
وألصق أحشائي ببرد ترابه      وإن كان مخلوف بسم الأسود  
لقد كنت أخشى لو تمليت خشيتي      عليك الليالي ما حبا من أهد  
فأما وقد أصبحت في قبضة الردى      فشان المناب فانتصب من يدك الهد

### حمدونية بنت عيسى بن موسى

كانت ذات حسن وجمال، وصيانة وأدب. حجت إلى بيت الله الحرام في زمن العباسيين.  
العباسي.

قال محمد بن صالح العلوي<sup>(١)</sup>: لما خرجنا على المتوكل أخذت أنا وأصحابي قافلة الحاج فجمعنا أموالاً ومتاعاً لا يحصى، وكنت قد جلست على كرسي في بعض المراحل وقت نزولنا وأصحابي يجمعون المال، وإذا أنا بامرأة قد رفعت سجاف هودج فأضاء منها المكان ولا إضاءة الشمس، فقالت: أين الشريف صاحب السرية فلي إليه حاجة؟ قلت: إنه يسمع كلامك. فقالت: أنا حمدونية بنت عيسى بن موسى<sup>(٢)</sup>، تعلم مكاننا عند الخليفة وأنا أسألك أن تأخذ مني ثلاثين ألف دينار مع أنني أعطيتك ما في يدك، ولكن أسألك بفضلك أن لا يكشف لي أحد وجهاً. فنادت أصحابي، فلما اجتمعوا قلت: من أخذ منكم من هذه القافلة عقلاً أذنته بحرب. فردوا حتى الأطعمة وخفرتهم إلى المأمّن، فلما ظفر بي الخليفة وحسني بسر من رأى دخل عليّ السجن يوماً وقال: إن بالبواب امرأتين من أهلك تريدان الدخول عليك ولولا أن دفعنا إليّ دملج<sup>(٣)</sup> ذهب ما أذنت لهما، فقد منع الخليفة أن يدخل عليك أحد، فخرجت فإذا أنا بها مع امرأة وجارية تحمل شيئاً.

فلما بصرت بي قالت: أي والله هو، وبكت لما أنا فيه، ثم قبّلت قدمي وقالت: لو استطعت أن أقيك بنفسي لفعلت، ولكني لا أقصر في خلاصك ودونك هذه النفقة ورسولي يأتيك في كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك، ودفعت إليّ خمسمائة دينار وثياباً وطيباً وطعاماً وانصرفت وقد أضرمت بقلبي ناراً قد حثتها النظرة الأولى، فأنشدت:

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه . وتشعبت بشعابه أشجائه  
وبدا له من بعدما اندمل الهوى . برق تآلق موهناً لمعائه  
يبدو كحاشية الرداء ودونه . صعب الذرى متمعاً أركائه

(١) هو محمد بن صالح بن عبد الله العلوي الطالبي القرشي، أمير من الشعراء النبلاء. ولي المدينة للوائح العباسي سنة ٢٢٩ هـ. عزله المتوكل، فخرج عليه مع جماعة، فلم يزل المتوكل يحتال عليه إلى أن أمسكه سنة ٢٤٠ هـ. وسجنه بسامراء ثلاث سنين، وأطلقه، فأقام فيها إلى أن مات. قال المرزباني: كان راوية أديباً شاعراً.

(٢) هو عيسى بن موسى بن محمد العباسي، أبو موسى، أمير من الولاة القادة. وهو ابن أخي السفاح. كان يقال له: شيخ الدولة. ولد سنة ١٠٢ هـ/٧٢١ م. نشأ في الحميمة. وكان من فحول أهله وذوي النجدة والرأي منهم. له شعر جيد، ولآه عمه الكوفة وسوادها سنة ١٣٢ هـ. وجعله ولي عهد المنصور، فاستنزل المنصور عن ولاية عهده سنة ١٤٧ هـ. وعزله عن الكوفة، وأرضاه بمال وفير، وجعل له ولاية عهد ابنه المهدي. فلما ولي المهدي عزله سنة ١٦٠ هـ. بعد تهديد ووعيد، وكان ولي العهد لا يُخلع ما لم يخلع نفسه ويُشهد الناس عليه، فأقام بالكوفة إلى أن توفي سنة ١٦٧ هـ/٧٨٣ م.

(٣) الدملج: حُلِّي يُلبس في المعصم. [القاموس المحيط، مادة: دملج].

يبدو فينظر أين لاح فلم يطق      نظرا إليه وصدده سبحانه  
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه      والماء ما سحت به أجفائه  
يا قلب لا يذهب بحلمك باخل      بالنيل باذل تافه منائه  
واقنع بما قسم الإله فأمره      ما لا يزال على الفتى إتيائه  
والبؤس ماضٍ لا يدوم كما مضى      عصر النعيم وزال عنك أوائه

ولم يزل رسولها يعاودني بالإحسان وملاطفة السجنان إلى أن خرجت وعظم أمري عند الخليفة، فخطبتها، فامتنع أبوها فكان سجن هواها أعظم علي من السجن، فلم أر إلا أن أتيت إبراهيم بن المقتدر فأخبرته بذلك، وكان أبوها في ضيعته، فركب إليه فلم يفارقه حتى زوجني بها وبقينا متمتعين بنعيم عيشنا إلى أن توفيت وأصابني بعدها الحزن والشجون ولابن صالح فيها أشعار كثيرة لم تصل إلي معرفتها.

### حمدة بنت زياد

من وادي أشن بالأندلس، وهي خنساء المغرب وشاعرة الأندلس أديبة زمانها، وغريبة أوانها. كان الأدب نقطة من حوضها، وزهرة من روضها، لها المنطق الذي يقوم شاهداً بفضيل لسان العرب، ويفتح على البلغاء أبواب العجز، ويسد عليهم صدور الخطب، فإن أوجزت أعجزت بالمقال، وإن أطالت كاثرت الغيث الهطال، مع مطارحة تذهب في الاستفادة مذهب الحكم، وأخلاق تحدث عن لطف الزهر غب الديم مرمى الترنم بذكرها المتعطر بنشر حمده وشكرها، والنسيم نم بمرآها على الحدائق، والصبح يشرق بنور الشمس الشارق.

روت عن العلماء الأفاضل ورووا عنها، ومنهم: العام العلامة، البحر لحير لنبهة، أبو القاسم بن البراق. ومن عجيب شعرها البديع قولها:

ولما أبى الواشون إلا افتراقنا      وما لهم عندي وعندك من شر  
وشنوا على أسماعنا كل غارة      وقل حماتي عند ذاك وأنصبي  
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي      ومن نفسي بالسيف والسبير

والبعض يزعم أن هذه الأبيات لبهجة بنت عبد الرزاق، ولكنها لحمدة بنت أشهر، كما أعلم.

وخرجت حمدة مرة للوادي مع حبيبة لها فرأت الأزهار في جهابته تتلألأ كأنها نجوم تساقطت من كبد السماء والماء في النهر يتماوج كأنه قطع من لجين ترهقه عيون ذك، فأعجبها ذلك المنظر البهج، وأحبت أن تخوض بذلك النهر إتماماً لترهق النفس حصه مما نخناه من الناس فنضت عنها الثياب وعامت، ثم قالت:

أباح الدمع أسراري بوادي      له للحسن آثار بوادي  
فمن نهر يطوف بكل أرض      ومن روض يروق بكل وادي  
ومن بين الظباء مهابة أنس      سبت لي وقد ملكت فؤادي  
لها لحظ ترقده لأمر      وذاك الأمر يمنعي رقادي  
إذا سدلت ذوائبها عليها      رأيت البدر في أفق السواد  
كأن الصبح مات له شقيق      فمن حزن تسربل بالحداد

وقولها هذه الأبيات الشهيرة بالبلاد المشرقية وهي:

وقانا لفحة الرمضاء واد      سقاه مضاعف الغيث العميم  
حللنا دوحه فحنا علينا      حنو المرضعات على الفطيم  
وأرشفنا على ظمنا زلالاً      ألد من المدامة للنديم  
يصد الشمس أتى واجهتنا      فيحجبها ويأذن للنسيم  
يروع حصاه حالية العذارى      فتلمس جانب العقد النظيم

### حميدة ابنة النعمان بن بشير<sup>(١)</sup>

كانت من جميلات نساء العرب، وأعلمهن بفنون الأدب. وكانت في القرن الأول للهجرة رُببت في حجر أبيها مع أختيها: هند وعمرة، فنشأت هي على عز النفس، وصارت لا يُرى لها من قرين يوافقها. ومن عزة نفسها كانت كلما تزوجت برجل ورأت فيه عيباً تهجوه بالشعر حتى خافت من لسانها العرب. ومن ذلك أن الحارث بن خالد<sup>(٢)</sup> لما قدم من المدينة على عبد الملك بن مروان وهو إذ ذاك بدمشق والنعمان بن بشير وإل على حمص فخطبها الحارث من أبيها، فزوجه بها ولم تمكث معه غير قليل حتى أساء معاملتها فقالت فيه:

فقدت الشيوخ وأشياعهم      وذلك من بعض أقوالية  
ترى زوجة الشيخ مغمومة      وتمسي بصحبته قالية  
فلا بارك الله في عرضه      ولا في غضون إسته البالية

(١) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الله، أمير، خطيب شاعر، من أجلاء الصحابة، من أهل المدينة ولد سنة ٢ هـ / ٦٢٣ م. وجهته نائلة زوجة عثمان بقميص عثمان إلى معاوية، فنزل الشام، شهد صفين مع معاوية، ولي قضاء دمشق، ثم ولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة لتسعة أشهر، ثم عزله وولاه حمص. بايع ابن الزبير، فتمرد عليه أهل حمص فهرب، فتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م. وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة.

(٢) هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قريش، شاعر غزل من أهل مكة. نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة، وكان يذهب مذهبه. توفي سنة ٨٠ هـ / ٧٠٠ م.

نكحت المدني إذ جاني  
كحول دمشق وشبانها  
صنانهم كصنان التيو  
وقمل يدب ديب الجرا  
فقال الحارث يجيها:

أسنا ضوء نار ضمرة بالقف  
قاطنات الحجون أشهى إلى قد  
يتضوعن لو تضمخن بالمس  
سرة أبصرت أم سنا ضوء برق  
بي من ساكنات دور دمشق  
ك صنانياً كأنه ربح مرق

ولما استحكمت بينهما النفرة طلقها الحارث فخلف عليها روح بن زنباع<sup>(١)</sup> وعليه كانت الطامة الكبرى. قال صاحب الأغاني: إن قولها: (أحب إلينا من الجالية) تعني الجالية أهل الحجاز، وكان أهل الشام يسمونهم بذلك لأنهم كانوا يجلبون عن بلادهم إلى الشام ولما بلغ عبد الملك قولها قال: لولا أنها قدّمت الكهول على الشبان لعاقبتها. قال عمر بن شبة<sup>(٢)</sup>: لم تزوجها روح بن زنباع نظر إليها يوماً تنظر إلى قومه بني جذام<sup>(٣)</sup> وقد اجتمعوا عنده فلامها فقالت: وهل أرى إلا جذام فوالله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام وقالت تهجوه:

بكى الخبز من روح وأنكر جلده  
وقال العبا قد كنت حيناً لباسكم  
فقال روح:

إن يبك منا يبك ممن يهينا  
وإن يهوكم يهوى اللئام المقارق

واجتمعت يوماً بمجلس فصارت تهزأ به وتضحك عليه ووقعت بينهما مناظرة كان المدني فيها هو بقوله:

(١) هو روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي، أبو زرعة، أمير فلسطين، استشهد في سنة ١٠٣ هـ وقائدها وخطيبها وشجاعها. قيل: له صحبة. كان عبد الملك بن مروان يثق به. مات سنة ٨٤ هـ/١٠٣ هـ.

(٢) هو عمر بن شبة واسمه زيد بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري، أبو زيد، شاعر، رابعه مؤرخ، حافظ للحديث، من أهل البصرة. توفي بسامراء.

(٣) بنو جذام: بضم الجيم، بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. والجذام في الأصل اسم للداء السعوي في جسمه، أن الاسم منقول عنه، ويحتمل أنه مأخوذ من الجذم وهو القطع، وكان لجذام من العرب حرام، وجشم. قال الحمداي: جذام أول من سكن مصر من العرب حين جاء مع عمرو بن العاص.

أثني عليّ بما علمت فإنني  
فقلت:

أثني عليك بأن باعك ضيق  
فقال:

أثني عليّ بما علمت فإنني  
فقلت:

فشاؤنا شر الثناء عليكم  
فسكت روح عند ذلك فقالت هي:

وهل أنا إلا مهرة عربية  
فإن أنتجت مهرأ كريماً فبالحرا  
فقال روح:

فما بال مهر رائع عرضت له  
إذا هو ولى جانباً ربخت له  
وقالت فيه أيضاً:

سميت روحاً وأنت الغم قد علموا  
لا روح الله عمّن ليس يمنعنا  
فقال:

كبائع جونة نجل مخاصرها  
وقال فيها - وقد دخل عليها وهي في غاية الزينة والطيب -:

تكحل عينيك برد العشى  
وآية ذلك بعد الخفوق  
وإن بنيك لريب الزما  
فلو كان أوس حاضراً

وأوس رجل من جذام يقال: إنه استودع روحاً مالاً فلم يرده عليه، فقال روح:  
إن يكن الخلع من بالكم فليس الخلاعة من بالية

(١) خُبَاع: مَشَقُّ ما بين الشاربين والهَيْئَة المتدلّية وسط الشقّة العليا. [القاموس المحيط، مادة: جمع].

وإن كان من قد مضى مثلكم      فأف وتفِ على الماضية  
وما إن يرى الله فاستبقين      ه من ذات بعل ومن جارية  
شبيهاً بك اليوم فيمن بقي      ولو كان في الأعصر الخالية  
فبعداً لمحياك إذ ما جيت      وبعداً لأعظمك البالية

وقالت له حميدة يوماً - وكان أسود ضخماً: كيف تسود وفيك ثلاث خصال؟ أنت من جذام، وأنت جبان، وأنت غيور.

فقال: أما جذام: فأنا في أرومتها وبحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه، وأما الجبن: فإنما لي نفس واحدة ولو كان لي نفسان لجدت بإحداهما. وأما الغيرة: فهو أمر لا أحب أن أشارك فيه، وإن [المرء]<sup>(١)</sup> لحقيق بالغيرة على المرأة مثلك الحمقاء الورهاء لا يأمن أن تأتي بولد من غيره فتقدمه في حجره. وكان روح يتنازع معها يوماً بمثل هذه المنافسات فظهرت عليه فلم يكن يسعه إلا أن قال: اللهم إن بقيت بعدي فابتلها ببعل يلطم وجهها ويمسأ حجرها قيئاً، فتزوجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل وكان شاباً جميلاً يصيب من الشراب فأحبه فكان ربما أصاب من الشراب مسكراً فيلطم وجهها ويقيء في حجره فتقول: يرحم الله أبا زرعة قد أجيت دعوته في.

وكان السبب في زواجها فيضاً هو أنها لما خلعت من روح بن زنباع بقيت زمناً عزباً لا يقدم عليها أحد من أقرانها نظراً لما اشتهرت به من عزة نفسها على الرجال، وبما أن ادبها كانت مشهورة في ذلك الزمان كان الأدباء يتمنون الاقتران بها ويمنعهم من ذلك تسلطاً بسببها على أزواجها إلى أن قيض الله لها فيض بن محمد بن الحكم المذكور ولجسمه وأدبه تزوجت به، ولم تعلم تهتكه وخلاعه، ولما اتصلت به رأت منه رجلاً بخلاف ما رأت من الرجال من سوء خلق وزيادة تهتك وإدمان على شرب المسكرات حتى صار يهينها ويلطم وجهها ويقيء في حجرها، وهناك هجرته وقلته وقالت فيه الأشعار الهجائية وأظهرت مساويه حتى صار يهينها لغيره. ومن أشعارها فيه قولها:

سميت فيضاً وما شيئاً تفيض به      إلا سلاحك بين اليد واليد  
فتلك دعوة روح الخير أعرفها      سقى الإله صداه الأطف السابي  
وقالت:

ألا يا فيض كنت أراك فيضاً      فلا فيضاً أصبت ، لا فراتاً

(١) وردت في الأصل «المرء»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.



وقالت:

وليس فيض بفياض العطاء لنا لكن فيضاً لنا بالقيء فياضٌ  
ليث الليوث علينا باسل شرس وفي الحروب هيوب الصدر حياضٌ

وولدت من فيض ابنة فتزوجها الحجاج بن يوسف<sup>(١)</sup>، وقد كان قبلها عند الحجاج أم  
أبان بنت النعمان بن بشير فقالت حميدة للحجاج:

إذا تذكرت نكاح الحجاج من النهار أو من الليل الداج  
فاضت له العين بدمع ثجاج وأشعل القلب بوجد وهاج  
لو كان نعمان قتيلاً الأعلاج مستوي الشخص صحيح الأوداج  
لكنت منها بمكان النساج

قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراج أن تنكحيه ملكاً أو ذا تاج

ثم قدمت حميدة بعد ذلك على ابنتها زائرة فقال لها الحجاج: يا حميدة، إني كنت  
أتحمل مزاحك مدة وأما اليوم فإني بالعراق وهم قوم سوء فأياك فقالت: سأكف حتى أرحل،  
وكانت وفاة حميدة بالشام بآخر ولاية عبد الملك بن مروان.

### حنة ألبرت

هي «دو ألبرت» ملكة نواره من أعمال فرنسا. ولدت في ناحية «بو» سنة ١٥٢٨ م،  
وتوفيت في باريس سنة ١٥٧٢ م. كانت ابنة وحيدة لـ «هنري الثاني»<sup>(٢)</sup> ملك نواره من زوجته  
«مرغريتا دو انفوليم» شقيقة «فرنسوا الأول»<sup>(٣)</sup> زفت في ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٥٤٠ م  
ولها من العمر ١٢ سنة.

- (١) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد سنة  
٤٠ هـ / ٦٦٠ م نشأ في الطائف، وانتقل إلى الشام ولحق بروح بن زباج نائب عبد الملك بن مروان  
فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن  
الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه فولاه عبد الملك مكة والمدينة  
والطائف. ثم أضاف إليها العراق، والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال  
على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة. كان سفاكاً سفاحاً باتفاق معظم المؤرخين.
- (٢) هنري الثاني: ملك من ملوك فرنسا. ولد سنة ١٥١٩ م، تولى الحكم سنة ١٥٤٧ م، وحارب كارل  
الخامس، وعقد صلح فوسيل سنة ١٥٥٦ م، مات في مباراة سنة ١٥٥٩ م.
- (٣) فرنسوا الأول: ملك من ملوك فرنسا ولد سنة ١٤٩٤ م تولى الحكم سنة ١٥١٥ م، حارب كارل  
الخامس إمبراطور إسبانيا والنمسا. أقر الفرنسية لغة البلاد الرسمية عوضاً عن اللاتينية. أبرم معاهدة  
الامتيازات الأجنبية مع السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٦ م.

تزوجها «غيليوم» دوق «كليك» و«جوليه» وكان ذلك على غير إرادتها وإرادة أبويها فأبطل البابا «بولس الثالث» هذا الزواج.

وسنة ١٥٤٨ [م] تزوجت بـ «أنتوان دو بوربون» دوق «قندوم» وجلست معه على تخت الملك في «نواره السفلى» و«بيرن» عند وفاة أبيها. وكانت مشهورة بجمالها وحنقها، واتبعت مذهب «كلفينوس»<sup>(١)</sup>. وبعد وفاة زوجها سنة ١٥٦٢ [م] حافظت على أملاكها ولم تبال بدسائس إسبانيا ورومية ووعيدهما.

وسنة ١٥٦٧ [م] أعلنت أن مذهب «كلفينوس» هو المذهب القانوني في مملكتها، وانضمت سنة ١٥٦٩ [م] مع ولديها «هنري» و«كاترينا» إلى كولوني في «لاروشيل» وكانت في رئاسة فرقة من اللهو الـ «هوغنو» وبعد أن قتل «برنس كوندي» كانت تعتبر سنداً وحيداً للبروتستانت، وقد بالغ «أوبيني» وغيره من المؤلفين في مديحتها بما كان لها من السطوة على الجنود بـ «هوغنو» وسلمت رغماً عنها بزواج ابنها «هنري» (هنري الرابع ملك فرنسا) بـ «مرغريا دو فالو» وكان قد سعى في ذلك الزواج كل من «كترنياد» و«مديشي» و«شارل التاسع». وفي تلك الأثناء دعيت إلى البلاط الفرنسي، فتوفيت فيه وذلك قبل حدوث مذبحة «سنت برتلي» بشهرين وظن جماعة أن سبب موتها سم دسته إليها «كترنياد» و«مديشي» والأرجح أنه أصابها حمى خبيثة قضت بها نجبها ولم تشهد زواج ابنها وكانت كلفت بالآداب والمعارف فبرعت فيها كثيراً ولها تأليف في الشعر والنثر وطبع بالآي بعض أشعارها.

### حنة أليصابات زوجة النبرو

ولدت نحو سنة ١٨٠٧ [م]. وهي ابنة الأميرال «دغبي» تزوجت بأول ابنها سنة ١٨٢٤ [م].

وسنة ١٨٣٠ [م] هجرت زوجها وهربت إلى إنكلترا مع البرنس «فلكس شورليينغ» وكان حينئذ سفيراً للنمسا في إنكلترا فصدر قرار من المجلس العالي الإنكليزي بطلاقها من زوجها حينئذ لم يدم لها حب عاشقها لأنه تركها وشأنها بعد مدة وجيزة غير أن المجلس العالي عين لها بقدره الصادر بطلاقها مرتباً سنوياً وافرأ، فصرفت عدة سنين في إيطاليا وغيرها في رغد الشراخ وتزوجت «كتتا» يونانياً، ثم طلقت وصارت إلى الشرق فجعلت تجول فيه، قيل أنها بينما كانت

(١) كلفينوس: أو كلفين واسمه يوحنا ولد سنة ١٥٠٩ م. هو مصلاح فرنسي نشأ في فرنسا وسويدي مذهباً حمل اسمه. أنشأ في جنيف حكومة تيوقراطية (أي حكومة من رجال الدين) اشتهر بعبادته «الأسس المسيحية».

سائرة من تدمر إلى دمشق رافقها شيخ من البدو اسمه مجول مع قوم من عربيه لحراستها فأغار عليهم وهم في الطريق جماعة من البدو قاصدين غزوهم فصدتهم مجول ببسالة لا مزيد عليها فأحبتة لبسالته وأمانته، وطرح نفسه في الخطر حباً فيها ومدافعة عنها فاتخذته زوجاً لها على طريقة البدو وبقيت هي على مذهبها تذهب إلى الكنيسة وهو مذهب يذهب إلى الجامع، ثم اشترت في دمشق بستاناً بنت فيه بيتاً ظريفاً تصرف فيه بعض السنة بعيشة حضرية.

وأما البعض الآخر فتصرفه في بيت من الشعر لزوجها المذكور بين عربيه بعيشة مرضية (وذكر مستر «يريم» في رحلته المعنونة بما ترجمته للسكنى في الخيمة بالأرض المقدسة) إذ زارها سنة ١٨٥٥ [م]، وقد طبع تلك الرحلة في «نيوبرك» من أميركا سنة ١٨٥٧ [م]، وبها تفاصيل لا محل لها هنا ويقال: إنها كتبت سيرتها بيدها ولا بد أن الذين وقفوا على خبرها يميلون إلى مطالعتها.

### حنة إسكوتون

إنكليزية من «كنتيه لتلكن» أحرقت في «سمتفلد» في ١٢ تموز (يوليو) سنة ١٥٤٦ [م] كانت ذات عقل ثاقب وتعلمت الكتاب المقدس، ثم انحازت إلى «البروتستانت»، وكان زوجها «كيم» من أشد الناس تمسكاً بالمذهب الكاثوليكي فطردها من بيته، فسارت إلى لندن لتطلب إلى الحكومة أن تقرر انفصالها عنه فأجابتها الملكة «كاترينيا بار» وكثير من خواتين البلاط الملكي إلا أن نكرانها حضور المسيح بالجسد في الافتخار حمل الحكومة على القبض عليها وإيداعها السجن، وذكر «برنت» أنها بعد عذاب مبرح كتبت محرراً نقضت فيه مقالها الأول ولكن ذلك لم ينجحها لأنها حبست مرة ثانية في «بنوغات» وطلب إليها أن تشهر أسماء مكاتبيها في البلاط الملكي فلم تفعل مع أنها كانت تعذب على مرأى من حامل أختام الدولة، ولم تستطع الوقوف بعد ذلك العذاب فوضعت في كرسي وطرحت في النار فكان صبرها على عذابها هذا وغيره يذهل الناظرين إليها.

### حنة ملكة بريطانيا وإرلانده

هي آخر من جلس على عرش إنكلترا من عائلة «ستورس». ولدت سنة ١٦٦٤ [م] مسيحية، وتوفيت سنة ١٧١٤ [م] وهي ثاني بنت لـ «جيمس الثاني» دوق بورك من امرأته الأولى حنة «هترنيا كلارنيدن» الشهيرة، وكان ولداها كاثوليكين، وأما هي فتربت على مبادئ كنيسة إنكلترا الأسقفية، وتزوجت سنة ١٦٨٣ [م] بالبرنس «جورج» أخي «كرستيان الخامس» ملك الدنمرك وجعلتها دوقة «مرلبورد» التي كانت تحبها محبة شديدة واتحدت مع الحسب

الفائز فكفل لها ولأولادها تاج إنكلترا بأنه لم يكن له «وليم» و«ماري» عقب، فولدت ١٧ ولداً ولكن ماتوا في سن الطفولية إلا أكبرهم فتوفي وله من العمر إحدى عشرة سنة، فلما توفي «وليم» جلست على عرش إنكلترا وذلك سنة ١٧٠٢ [م].

ومع ضعف عزمها تبعت سياسة سلفها في كبح مطامع «لويس الرابع عشر»<sup>(١)</sup> فتجددت يوم تتويجها المعاهدة الثلاثية بين إنكلترا وهولاندا وألمانيا ضد فرنسا، وأعظم الحوادث السياسية التي زينت ملك حنة هو اتحاد إنكلترا وسكوتسيا وذلك في أيار سنة ١٧٠٧ [م].

وسنة ١٧١٠ [م] أخذت شهرة «مرلبورد» في الانحطاط بعد أن بقي ثماني سنوات في أعلى درجة من الاعتبار والحب عند الملكة، والشعب والمجلس العالي وخسرت امرأته فقوي حزب السوريين الذين كان منهم في ذلك الوقت أقدر رجال السياسة وأحذق الكتاب ووكّل حزب الهويفر قبل سقوطه بمقاومتهم اللاهوتي «ساسيقمر» بل لأنه صرح في وعظه بأن حق الملوك هو من الله وانتصر السوريون في الانتخابات الجديدة، فأقيمت وزارة جديدة تحت رئاسة «هرلي»، وصارت «ماشام» ابنة أحد تجار لندن نديمة للملكة، ومدبرة لبلاطها، فعزموا على عقد الصلح وأهملوا الانتفاع بنتائج الحرب وتركوا حلفاء إنكلترا في معاهدة «أسرخت» التي وقّع عليها في «أنيسان»<sup>(٢)</sup> سنة ١٧١٣ [م]، ولم تكن الوزارة الجديدة متفقة، وكان قد تقرر أن يكون تاجر إنكلترا بعد موت حنة بدون عقب لسوقيا أكبر بنات «جيمس الأول»، وحاول جماعة أن يرروا ذلك لأخيها ابن «جيمس الثاني» فساءت الملكة أعمال وزرائها واختلافاتهم فماتت فجأة، وإذا كان موتها قبل أن أكمل «بلولقبروك» تدابيرها نشأ عنه تقرير سلالة بروتستنتية لإكلترا بسلام ولم تكن حنة شديدة الحزم، ولكنها كانت وديعة وامتدّت ملكها بحروب متوالية انتصرت فيها إنكلترا وقد أطلق على أيام ملكها اسم الأعصر الأوغسطيني للآداب [الإنكليزية]<sup>(٣)</sup> وتزين ذلك العصر بكتابات أديبون وببواب وسوقف وبريفه ورومانس مشهورة بتلك الأيام.

(١) لويس الرابع عشر: ملك من ملوك فرنسا ولد سنة ١٦٣٨ م. وهو من ملوك آل البوربون الذي بدأ حكمه النمساوية. بدأ حكمه الشخصي بعد وفاة الكاردينال مازارين سنة ١٦٦١ م. فأبعد فرنسا عن عمليتها في النظام والأمن. أعلن الحرب على هولندا وإسبانيا. استطاع بالمدوية طاعت فرنسا في أوروبا. أوجّه في حقول الأدب، والفن، والعلم، فكان عصره عصرها الذهبي أقام بلاطه في قصر فرساي. مات سنة ١٧١٥ م.

(٢) يعني شهر نيسان.

(٣) وردت في الأصل «الإنكليزي»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

## حنة النمساوية ملكة فرنسا

هي ابنة «فيليب الثالث» ملك إسبانيا ولدت سنة ١٦٠١ [م]، وتوفيت سنة ١٦٦٦ [م]، تزوجها «لويس الثالث عشر»<sup>(١)</sup> سنة ١٦١٥ [م] فبقيت ٢٢ سنة لا تلد.

وروى بعض المؤرخين أنه عندما هجرها زوجها «لويس» اخترعت إطاراً كانت تلبسه تحت ثيابها لتستر به حملها عن الملك إلى أن ولدت ولداً ذكراً، وكثيراً ما كان زوجها يسيء معاملتها ويعذبها.

ويقال: إن الكردينال «رشييو» كان يهيج الملك إلى كرهها ومقاومتها، فاتفقت مع حمايتها «ماري دي موليسي» على عزله، ولكن هبط مسعاهما لأن «رشييو» كان ذا سطوة وحذق لا مزيد عليهما فاتهما بأنها كانت متفقة مع أخيها ملك إسبانيا ودوق «لوران» وإنكلترا وكل أعداء فرنسا الخائنين في البلاط على ما هو ضد صالح فرنسا، وضد مصلحة الكردينال المذكور وإنما كانت تساعد الشاب التعيس «هنري روتلبر فيدبرنس كاني» في مؤامراته، وتنقاد إليه انقياد أعمى.

فأمر الملك بتفتيش عرق قصر المقال «دوغراس» الذي كانت فيه مع حمايتها وكان الملك قد حكم عليها بالخروج من البلاط فخرجت حنة أيضاً من القصر ورجعت إلى البلاط الملكي في اللوفر حيث كانت تحتمل غضب زوجها وتضادده، ثم شاع بعد ذلك حملها «بلويس الرابع عشر» سنة ١٦٣٨ [م].

وولدت سنة ١٦٤٠ [م]، «فيليب» دوق «دورليان»، وبعد موت زوجها «لويس الثالث عشر» سنة ١٦٤٣ [م]، أقامها البرلمان رغماً عن إرادته نائبة عن «لويس الرابع عشر» مدة قصره، فكان الكردينال «مازارين»<sup>(٢)</sup> يحكم باسمها. ويقال: إنه كان متزوجاً بها سرّاً فتزينت الأيام الأولى من نيابتها بانتصارات البرنس «كوندي» ولكن رفعها لمقام الكردينال «فراريل» وجعلته رئيساً للوزارة هيج بعض عائلة كوندي وبعض عيال من السلالة الملكية وآخرين من عيال فرنسا الشريفة، فنشأت عن ذلك الحرب الأهلية التي تدعى حرب الفرنده (أي حرب القلاع) ومع ذلك كانت تدبر ملكها بإدارة جيدة.

(١) لويس الثالث عشر: ملك من ملوك فرنسا، والد لويس الرابع عشر، وزوج حنة.

(٢) مازاران: أو مازارين وهو جول مازارين (Mazarin) ولد سنة ١٦٠٢ م رجل دولة فرنسي أصبح

كردينالاً بمساعي ريشيليو، وزير حنة النمساوية ملكة فرنسا سنة ١٦٤٣ م حتى بلوغ لويس الرابع

عشر. أنهى حرب الثلاثين سنة بمعاهدة فستاليا سنة ١٦٤٨ م. مات سنة ١٦٦١ م.

## حنة يولين ملكة إنكلترا

وهي إحدى نساء «هري الثامن» قطع رأسها في ١٩ أيار سنة ١٥٣٦ [م]، وأما تاريخ ولادتها فمجهول وبعضهم قال: إنها ولدت سنة ١٥٠٠ [م]، وآخرون سنة ١٥٠٧ [م]. وهي ابنة الأربل «توماس بولن» كانت من السيدات اللواتي رافقن «ماري» شقيقة «هنري الثامن» إلى فرنسا عند تزوجها «بلويس الثاني عشر» سنة ١٥١٤ [م]. ولما رجعت ماري بعد موت زوجها إلى إنكلترا بقيت حنة في فرنسا عند «كلور» زوجة «فرنسيس الأول»، ثم دعيت إلى إنكلترا سنة ١٥٢٢ [م] أو سنة ١٥٢٧ [م]، ودخلت في خدمة «كاترين» الأراغونية، وقد ظهر منها وهي هناك من الحداقة والهمة والظرف ما لا مزيد عليه، وأما ما قيل أمن أن سلوكها في البلاط الفرنسي كان محلاً للشبهة، فلم يزل من دون دليل كافٍ ولم يمضِ إلا زمن قليل حتى أحبها «هنري الثامن» فألزم الكردينال «ولسي» أن يتوسط في فسخ خطبتها من اللورد «برسي» ابن أربل «نرثمديلند»، وكانت تزداد محبة «هنري» لها وتقل ثقته بصحة تزوجه بـ«كاترين» الأراغونية، فصرح في أواخر سنة ١٥٢٧ [م] الكردينال «ولسي» بقصده أن يتزوج بحنة حالما طلق «كاترين» فغلبت إرادة «هنري» ورغبته الشديدة مقاومة الكردينال «ولسي» على أن حنة كانت تحسب الكردينال - المذكور - ضدها فقاومتها إلى أن اقتنعت من الملك بعزله فتزوج «هنري» بحنة في «هويتهل» في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٥٣٣ [م] بعد هياج استمر خمس سنين نشأ عن طلاق «كاترين».

وكانت قد صرفت ثلاث سنوات في القصر قبل تزوجه بها فكانت في تلك السدة دائمة مع «هنري» وجعلها قبل تزوجه بها بيضعة أشهر مركيزة «بمبروك» وعند ذلك أحييت مسألة طلاق «كاترين» إلى مجلس «كانترييري» [الأكلييريكي] (١) وحكم «كرانمر» في أول شهر أيار من تلك السنة بفساد تزوج الملك بـ«كاترين» من أوله وأن حنة هي امرأته الشرعية.

وفي أول حزيران أقيم تتويجها باحتفال عظيم ثم بعد ذلك بثلاثة أشهر ولدت «اليزابيث» «أليصابات» التي تزين التاريخ الإنكليزي فيما بعد بأخبار ملكتها، ولما ولد «هنري» بكرها ويميل إلى «جين سيمور» لم يكن أميراً صعب الحكم على حنة بارتكاب أمور منحرة، فأقيمت لجنة من اللوردن كان والدها من جملتهم للفحص عن سيرتها وذلك سنة ١٥٣٦ [م]، فقررت تلك اللجنة أنها أتت المنكرات مع «بريرتن» و«نرس» و«رستن» من الحشم الخاص وسميت صاحب موسيقى الملك حتى مع أخيها اللورد «رتشفرد» فأرسل الملك كل المتهمين إلى

(١) وردت في الأصل «الأكلييريكي»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

السجن وحوكمت حنة أمام لجنة من الأمراء تحت رياسة عمها دوق «ترفلك» فثبت أنها مذنبه، وكان ممن أثبتته إقرار سميتن مع أنها أقامت الحجة مع باقي المسجونين على براءتها وحكم بفساد تزوجها لـ «هنري الثامن» وأبطله كما حكم بفساد تزوج «كاترين» فكانت تقضي ساعات سجنها بين السكينة والقلق وكان تصرفها عند قطع رأسها بجلال ملكي، وأما «سميتن» فعلق وقتل خنقاً. وأما الأربعة الباقون المتهمون فقطعت رؤوسهم.

### حنة البريطانية ملكة فرنسا

ولدت في «تنست» سنة ١٤٧٦ [م]. وتوفيت في قلعة «بلوى» سنة ١٥١٤ [م]. كانت ابنة «فرانسيس الثامن» دوق بريطانيا وولية لعهد. أعطاعا أبوها دوقية بريطانيا مهراً لما تزوجت «شارل الثامن» ابن «لويس الحادي عشر» سنة ١٤٩١ [م]، فصارت الدوقية المذكورة من جملة أملاك فرنسا، وكان قد خطبها قبل ذلك الملك «مكسيميليان»<sup>(١)</sup> من «أستوريا» ولكن حلّ هذه الخطبة «لويس الحادي عشر» وزوجها لابنه ووسع بذل في ذلك أملاكه، وتزوجت بعد موت «شارل الثامن» بخلفه «لويس الثاني عشر» سنة ١٤٩٨ [م]. وكان لها سطوة قوية عليه وعلى كل رجال البلاط فكانت قدوة للفضيلة والاجتهاد في أشغالها، وكانت تدير المملكة حق الإدارة مدة غياب زوجها في الحروب التي قام بها ضد إيطاليا.

### حنة ملكة نابولي

وهي ابنة «شارل» دوق «كليريا» وحفيده «روبرت أنجو». ولدت سنة ١٣٢٧ [م]، وقتلت في حصن «مورو» في ولاية «باسيليكانا» في ٢٢ أيار سنة ١٣٨٢ [م]، كان أبوها يحاول أن يجعل اتحاداً بين فرعي عائلة «أنجو» التي كانت تدعى «بتخت نابلي» لتزويجه حنة هذه في سن سبع سنوات بابن عمها «أندرو» المجزي إلا أن تدبيره لم يأت بالغرض المقصود لأنه لما كبر الزوجان كان يبغض أحدهما الآخر بغضاً شديداً، وكان الحزبان المتضادان من أقاربهما يهيجان دائماً تلك الحاسة، وتوفي الدوق «شارل» قبل أبيه «روبرت» ولذلك خلفت حنة أباهها عند موته سنة ١٣٤٣ [م]، فانقسم بلاطها بسرعة إلى حزبين حزب معها وحزب مع زوجها فبقي الخصام مدة سنتين إلى أن انتهت سنة ١٣٤٥ [م]، بأن قتل الملك قوم من الثائرين أخرجوه بحيلة من مخدعه وعلقوه في ممشى من ممشي القصر وقد اتهمت حنة بالاشتراك في تلك المؤامرة والسعي، وتدبير كل ما يتعلق بها. والظاهر أنها غير بريئة من هذه التهمة.

(١) مكسيميليان: إمبراطور جرمانى هو مكسيميليان الأول ولد سنة ١٤٩٣ م تزوج ماري ابنة دوق بورغونيا، فربط هولندا وبلجيكا بالبيت النمساوي. مات سنة ١٥١٩ م.

وأما ما قيل من أنها كانت تلبس الحبل الذهبي الذي خنق به زوجها «أندرو» فلا يخلو من المبالغة، ثم بعد وفاة زوجها بقليل تزوّجت من دون حل من البابا «لويس دو ثارنتو» وهو أحد أقاربها، ويظن أنه كان عشيقها وإذا كان «لويس» الكبير، صاحب «هنكريا» يطلب فرصة للأخذ بثأر أخيه اتخذ ذلك حجة وأغار سنة ١٣٤٧ [م]، على الأراضي النابولية وإذا كانت حنة غير مستعدة للدفاع هربت إلى «أفبنيون» التي كانت حينئذٍ موطناً للتابوت وبينما هي هناك إذ أحضرت أمام مجلس حر أقرت بكونها قاتلة زوجها فتخلصت من القصاص بقبولها بتسليم «أفبنيون» إلى الكرسي المقدس ملكاً مؤبداً بشرط دفع ثمانين ألف فلوريني ذهباً وإعلان البابا رسمياً بكونها برئت وتثبت زواجها الحديث.

وفي تلك الأثناء رجع ملك «هنكريا» عن «نابلي» تاركاً فيها حامية قوية خرجت منها بعد قليل بتوسط البابا، ثم إن «لويس دو ثارنتو» توفي سنة ١٣٦٢ [م]، فتزوّجت حنة سنة ١٣٦٣ [م]، «بچميسيس» الأراغوني ملك «نيورقه» إلا أنه لم يمض إلا قليل حتى تركها ورجع إلى بيته في إسبانيا وتوفي هناك سنة ١٣٧٦ [م]، فتزوّجت بزواج رابع وهو «أونو برنسويك» فعاظت بذلك الدوق «شارك دورنسوا» الذي كانت زوجته تدّعي وراثته التخت.

وسنة ١٣٧٨ [م]، لما اختلف البابوان المتناظران وهما «إكليمنفس السابع» و«أوريانوس السادس» تحزبت حنة «لإكليمنفس» فعاظت بذلك «أوريانوس» فستحضر حالاً الدوق «دورنسوا» وأعلن أن له الحق في تخت «نابلي»، أما حنة فاتباعاً لرأي «إكليمنفس» كتبت وصية مخصوصة جعلت بموجبها ابن ملك فرنسا الثاني وارثاً لها ونزعت بالكلية حق الملك عن الدوق وزوجته فاتخذ «شارل دورنسوا» هذه الحوادث حجة كان يطلبها بعد زمان طويل فأغار على بلاد حنة ولم يصادف من الشعب إلا مقاومة قليلة وتقدم إلى «نابلي» وأسر الملكة وأرسلها تحت الحفظ لـ «أمور» فكانت هناك تحت رحمة ملك «هنكريا» فأمر بقتلها حالاً، فقطعت بالوسائد أخذاً بثأر «أندرو» على الطريقة التي قتلته بها.

### حنة ملكة نابلي ابنة شارل دورتو

ولدت نحو سنة ١٣٧٠ [م]، وتوفيت سنة ١٤٣٥ [م]. تزوّجت وهي صغيرة بـ «وليم» ملك «أستوريا» وترملت بعد ذلك عدة سنين، وخلفت أختها «لاوس لاس» سنة ١٤١٤ [م] بعد موت زوجها وكان بينها وبين «كنت سازونفلوا لوبو» اتصال سري، وقد حافظت على ذلك

(١) إكليمنفس السابع: هو إكليمنفس (Clement) أحد البابوات ١٥٢٣-١٥٣٤ م. وهو من بابا الخامس، ولم يسمح له في الثامن ملك إنكلترا بالطلاق



الاتصال بعد موت زوجها ولم تحاول سترها فإنها وجهت إلى عشيقها - المذكور - أعلى المأموريات وجعلت مصالح المملكة بيده فعلاً إلا أن أصدقاءها أقنعوها أخيراً بأن تتزوج ثانياً فاخترت «جاكوي دويورلون كنت لامرث» زوجاً لها إلا أن تزوجها لم يكن واسطة لتغيير سيرتها ذات الخلاعة، فلما اطلع زوجها على خيانتها نظف البلاط من كل أصدقائها وقطع رأس عشيقها جهاراً وأرسلها إلى مكان منفرد.

ثم إنه صالحها بعد ذلك مصالحة ظاهرة إلا أنها حالما رجعت إلى مركزها في البلاط نجحت بحيلة في سجن زوجها في إحدى قلاع «نابلي»، ولم يخرج من ذلك السجن إلا بصعوبة، وعند خروجه خرج من البلاد ودخل ديراً في «برغونيا» حيث بدأت سلطة المقربين إليها في الرجوع إلى البلاد.

فكان تاريخ ملكها مدة بضع سنين عبارة عن حيل ومكائد وذلك مع بعض الشعب الذي لها في كل المملكة الذي نشأ عنه متأخرات دائمة في البلاط، وتوارث في البلاد، ومما زاد خصام الأحزاب قوة النزاع الذي جرى بين «لويس الثالث أنجو» و«ألفونسو دو أراغون» اللذين كانا يدعيان حق الخلافة.

أما حنة فحكمت به أولاً لـ «ألفونسو» ثم عكست حكمها وعند وفاة «لويس الثالث» حكمت به لرجل آخر من بيت «أنجو» أما «ألفونسو» فقبض على صولجان الملك رغماً عن الوصية التي حرمتها إياها.

### حنة مورندي منزوليني

كانت أبرع نساء زمانها بفن التصاوير والتماثيل، لأنها أخذته عن زوجها «منزوليني» وكان ماهراً في التشريح والرسم والتصوير، وفي نقش الشمع لعمل التماثيل، ولكنه ضعيف الرأي عصبي المزاج سوداويه، وكانت زوجته على جانب عظيم من النباهة والفتنة فتعلمت منه عمل التماثيل الشمعية، وأتقنته غاية الإتقان، وكانت تساعده في أعماله.

وكان «منزوليني» ملازماً [لـ] <sup>(١)</sup> «للي» المصوّر الشهير في أعماله ويساعده على أشغاله، فوسوس شيطان الظنون في أذني «منزوليني» وظن أن «للي» عازم على أن يستأثر بالاسم والشهرة من عمل تلك التماثيل ولا يبقى له اسم فيها، فعزم على تركه.

وكان «للي» دائماً يعترف بفضلته ويقول: إنه لولا مساعدة «منزوليني» لم يستطع عمل تلك التماثيل، فلما رأت حنة خطأ زوجها عزمت أن تتعلم منه فن التشريح وتتم العمل الذي

(١) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

أحجم عنه حفظاً لصيته فأجابها إلى طلبها لشدة تعلقه بها وعلمها هذا الفن فدرسته برغبة شديدة، وقرأت أحسن المصنفات فيه وشرحت الأجساد البشرية بيدها رغماً عما وجدته في نفسها من الكراهة الشديدة لذلك فإنها كثيراً ما كانت تمرض من رؤية الأجساد المشرحة ولكنها كانت تتغلب على ما بها من الضعف الطبيعي حتى أتقنت هذا الفن واكتشفت فيه اكتشافات كثيرة.

وفي غضون ذلك أنشأ أحد الأطباء مدرسة لتعليم فن الولادة وطلب إليها أن تصنع له أجنة من الشمع متفاوتة في النمو فصنعت له الأجنة المطلوبة على غاية الإتقان، ثم جعلت تقدم خطاباً في فن التشريح العلمي وتشريح المقابلة وأتقنتها أشد الإتقان فذاع صيتها حتى عم أوروبا لغزارة معارفها وحسن أسلوبها في التعليم.

وفي سنة ١٧٥٥ [م] توفي زوجها عن ولدين صغيرين فحزنت عليه حزناً شديداً لأنها كانت تحبه حباً مفرطاً مع كثرة عيوبه ولكنها لم تنفك عن خدمة العلم.

وفي السنة الأولى من ترمّلها انتخبت عضواً في المجمع العلمي بـ «بولونيا» ثم في مجامع أخرى كثيرة وجعلتها حكومة «بولونية» أستاذة تشريح في مدرسة «بولونية» الطبية ولكن الانتظام في سلك هذه الجمعيات كان نفعه معنوياً لا مادياً لأنها كانت في حالة يرثى لها من الفقر، ولم تزد أجرتها في مدرسة الطب عن ثلاثمائة فرنك في السنة، وكانت على جانب عظيم من الجمال، ولكنها كانت عفيفة النفس طاهرة السيرة والسريرة لأن العلم يعصم ذويه عن ارتكاب الدنيايا.

وفي سنة ١٧٦٥ [م] طلبت من الحكومة أن تزيد راتبها وتجعله خمسمائة فرانك في السنة فلم تجبها إلى طلبها ولكن أحد أرباب الحكومة وهو الكونت «أنوزي» أباح لها أن تقيم في بيته آكلة شاربه بشرط أن تعطيه بدل ذلك كل كتبها واستحضاراتها التشريحية، فأقامت عنده لأن الفقر كان قد أذلها.

ولكن الكونت أكرم مثواها وأبقى لها كتبها واستحضاراتها فوهبها للمجمع العلمي حيث هي إلى يومنا وفيها الأجزاء الصغيرة من جسد الإنسان كالأهنية الشعبية التي تأتي بالعين، وهي في غاية الضبط والإحكام.

وكانت كغيرها من مشاهير الأرض وإذا تعبت من عمل توتاج بمزاولة الحرف فصنعت أوقات الراحة تماثيل كثيرة لزوجها ولنفسها وللبعض أصدقائها ومثلت نفسها قبضة على الجمجمة وأخذت تشريح الدماغ ومما يكاد يفوق التصديق أن هذه المرأة الفاضلة التي تسلمت إلى حكومة «بولونية» لكي يزيد راتبها السنوي مائتي فرنك ولم تجبها إلى طلبها عرض عليها

مراراً كثيرة أن تأتي إلى مدينة «لوندرة» براتب كبير جداً، وأرسلت إمبراطورة روسيا تدعوها إليها ووعدتها أن تعطيها مهما طلبت وأرسلت مدرسة «ميلان» تدعوها إليها وفوضت إليها أن تختار الأجرة التي تريدها وتشتترط الشروط التي تختارها وطلبت منها مدارس أخرى نفس هذا الطلب.

فأجابت كل هؤلاء أنها تفضل البقاء في مدرسة «بولونية» على ما سواها وأرسلت لكل منهم مجموعاً كاملاً من مصنوعات التشريحية وشرحاً كافياً وافياً يغني عنها، ولبثت بين الدفاتر والمحابر والدرس والتدريس إلى أن وافتها المنية سنة ١٧٧٤ [م] ولها من العمر ٦٨ سنة.

## حرف الخاء

### خديجة ابنة خويلد<sup>(١)</sup> بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب

أول امرأة تزوجها النبي ﷺ في أول أمره بل أول إنسان أسلم لم يسلم قبلها أحد لا ذكر ولا أنثى. وقيل: كانت تسمى في الجاهلية الطاهرة وكنيت بأم هند وأما فاطمة بنت زائدة بن الأصم من بني عامر ابن لؤي تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي، فمات عنها وله منها ولد، ثم تزوجها أبو هالة هند بن زرارة. وقيل: تزوجها قبل عتيق فمات عنها أبو هالة وله منها هند.

والظاهر أنه خلف لها ثروة عظيمة وكانت هي ذات ثروة وافرة فكانت تستأجر الرجال للتجارة في مالها، وتضاربهم بشيء تجعله لهم منه وكانت قريش تكثر التجارة في بلاد الشام، فلما بلغها عن النبي ﷺ صدق الحديث وعظم الأمانة، وكرم الأخلاق أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجراً مع غلامها ميسرة وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره.

وفي رواية: أنه لما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة قال له عمه أبو طالب: إن رجل لا مال لي، وقد اشتد علينا الزمان، وهذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في غيرها فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك، فبلغ ذلك خديجة فأرسلت إليه وقالت له: أنا أعطيك ضعف ما أعطي غيرك

(١) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش، ووجه رسول الله ﷺ، ولدت له في مكة سنة ٥ من شهر ربيع الأول سنة ٥٠ من الهجرة النبوية، ولدت بمكة، نشأت في بيت شرف ويسار، وماتت في مكة سنة ١٠ من الهجرة النبوية، تزوجت بأبي هالة بن زرارة التميمي فمات عنها، كانت ذات مال كثير وسخية تهب ما يفتقر إليه الفقراء، تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة. فلما بلغ رسول الله ﷺ الخامسة والعشرين سنة خرجت من مكة إلى سوق بصرى بحوران وعاد رابحاً، فدفنت له من عرض عليه الزواج فماتت في بصرى، فحضر وتزوجها رسول الله ﷺ، قبل النبوة، فولدت له فاطمة، وحسن، وحسين، وحسينة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. وكان بين كل ولد منهن سنة، وكانت تسرع في دفع ما يفتقر إليه الفقراء قبل أن تلد. ولما بعث رسول الله ﷺ، دعاها إلى الإسلام، فكانت أول من أسلمت من قريش، وكانت من المهاجرات إلى مكة يصابان سراً إلى أن ظهرت الدعوة أولاد النبي ﷺ فأنهم منها من يناديهم فهو من آل النبي ﷺ.

من قومك. وفي رواية أخرى: أن أبا طالب أتاها فقال لها: هل لك أن تستأجري محمداً فقد بلغنا أنك استأجرت فلاناً ببيكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات. فقالت: لو سألت ذلك لبعيد بغيض لفعلنا فكيف وقد سألت لحبيب قريب! فقال أبو طالب: هذا رزق ساقه الله إليك، فخرج النبي ﷺ مع غلامها ميسرة حتى بلغ بصرى<sup>(١)</sup> من الشام فنزل في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب فقال الراهب لميسرة: من هذا الرجل؟ فقال: رجل من قريش. فقال: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، ثم باع الرسول واشترى وعاد وقد ربح ضعف ما كان يربح غيره، فلما كانوا بمر الظهران تقدم الرسول ﷺ وأخبر خديجة بالربح ثم قدم ميسرة وقد أحب النبي وأخبرها بما سمع من الراهب فأضعفت للنبي ﷺ ما وعدته وقد رأت ربحاً وافراً، وكانت امرأة حاذقة عاقلة شريفة من أوساط نساء قريش نسباً وأكثرهن مالاً وشرفاً، وكان كل من قومها يتمنى أن يتزوج بها فلم يقدرُوا، فلما رأت ذلك من محمد ﷺ أرسلت وعرضت نفسها عليه فأتى مع أعمامه إلى أبيها خويلد وخطبها إليه.

ثم تزوجها وكان عمره إذ ذاك ٢٥ سنة، وعمرها ٤٠ سنة. وقيل: خمسة وأربعون. وقيل: غير ذلك. فولدت له أولاده كلهم إلا إبراهيم. وقيل: الذي زوجها عمها عمرو بن أسد لأن أباها مات قبل الفجار، ولما ابتداء الوحي يبدو للنبي ﷺ بواسطة جبريل كان متخوفاً من ذلك، وأخبر خديجة فقالت: أبشر فلن يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم أنطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل<sup>(٢)</sup> وكان قد تنصّر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأعلمته بشأنه وسألته خديجة بعد ذلك قائلة: يا ابن العم، اتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك. قال: نعم. فجاءه جبرائيل فأعلمها. فقالت: قم فاجلس على فخذي اليسرى، ففعل. فقالت: هل تراه. قال: نعم، قالت: فتحول على فخذي اليمنى، ففعل. فقالت: هل تراه. قال: نعم، فألقت خمارها. ثم قالت: هل تراه. فقال: لا، قالت: يا ابن العم أثبت وأبشر فإنه ملك وما هو بشيطان فكانت خديجة أول من آمن به وصدقته ولما علمه جبريل الوضوء والصلاة أتى إلى خديجة وعلمها ذلك فتوضأت كوضوئه

(١) بَصْرَى: من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً. معجم البلدان، ج ١/ص ٥٢٢.

(٢) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى، من قريش، حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، امتنع من أكل ذبائحها، تنصّر وقرأ كتب الأديان. كان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني. أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة. هو ابن عم خديجة أم المؤمنين. سئل النبي ﷺ عن ورقة فقال: «يُبعث يوم القيامة أمة وحده».

وصلت كصلاته، وبقيت خديجة مع النبي ﷺ ٢٤ سنة وأشهرًا، ولم يتزوج عليها. وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام. وقيل: بخمسة وخمسين يوماً وعمرها خمس وستون سنة ودفنت بالحجون وحزن النبي عليها ونزل في حفرتها وعظمت عليه المصيبة بوفاة أبي طالب، ثم وفاتها. وكانا من أشد المعضدين له وبعد ثلاث سنين من وفاتها تزوج بعائشة. وقيل: بسودة بنت زمعة<sup>(١)</sup>.

وروي أنه قال: «أفضل نساء الجنة خديجة وفاطمة ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون»<sup>(٢)</sup>. وقيل: إن معاوية اشترى المنزل الذي كانت فيه خديجة وجعله مسجداً.

وقال ابن الوردي: لما بعث النبي ﷺ دخل على خديجة فحكى لها ما رأى فقالت: أبشر فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم أتت خديجة ابن عمها ورقة بن نوفل بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي وكان شيخاً كبيراً، وكان قد عمي وتنصر في الجاهلية وكتب في التوراة والإنجيل، فلما ذكرت خديجة أمر جبريل وما رأى مسرة فقال ورقة: إنه ليأتيه الناموس الأكبر، وهذا الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني أكون فيها جذعاً حين يخرج قومه فأخبرت النبي بذلك فقال ﷺ: «أو مخرجي هم؟»<sup>(٣)</sup> فقالت: سألته ذلك قال: نعم لم يأت أحد قط بمثل ما جاء به إلا عودي وأوذي وإن يدركني يومه أنصره نصراً مؤزراً في ذلك، وإن رأيت أن ترسله لي فأخبره عن ذلك. وقال أبيات منها:

ووصف من خديجة بعد وصف      فقد طال انتظاري يا خديج  
بما أخبرته من قول قس      من الرهبان يكره أن يعوج  
بأن محمداً سيسود يوماً      ويخصم من يكون له حجيج  
ويظهر في البلاد ضياء نور      يقيم به البرية أن تموج  
ألا يا ليتني إن كان ذاكم      شهدت وكنت أولهم وندج  
رجائي في الذي كرهت قريش      ولو عجت بسنكبه عجيح

ولما انتهى من أبياته قال: أرسلني لي محمداً فبني مخبره بما أريد، ألم ذهب له النبي ﷺ أخبره ما قاله لخديجة، وأنشد:

يا للرجال لصرف الهم والقدر      وما لشيء قضاه الله من غير

(١) ستاتي ترجمتها بحرف «السين» في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١: ٣٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (١: ٤)، ومسلم في الصحيح (الإمام: ٢٥٢)، وأحمد في المسند (١: ٢٢٣).

حتى خديجة تدعوني لأخبرها  
فخبرتني بأمر قد سمعت به  
بأن أحمد يأتيه فيخبره  
فقلت إن الذي ترجين ينجزه  
وأرسله لنا كيما نسائله  
فقال حين أتانا منطلقاً عجبا  
إني رأيت أمين الله واجهني  
ثم استمرّ وكاد الخوف يذعربي  
والله أعلم بالصواب.

### خديجة ملكة جزائر زبية المهل من بلاد الهند

وهي خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين البنجالى وكان الملك لجدها، ثم لأبيها فلما مات أبوها ولي أخوها شهاب الدين وهو صغير السن فتزوج الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي أمه وتغلب عليه وهو الذي تزوج أيضاً هذه الملكة خديجة بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين.

فلما بلغ شهاب الدين مبلغ الرجال أخرج ربيبه الوزير عبد الله ونفاه إلى جزائر السويد واستقل بالملك واستوزر أحد مواليه يسمى علي كلكلي، ثم عزله بعد ثلاثة أعوام ونفاه إلى السويد.

وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين - المذكور - أنه يختلف إلى حرم أهل دولته وخواصه بالليل، فخلعوه لذلك ونفوه إلى إقليم «هلدنتي» وبعثوا من قتله بها ولم يكن بقي من بيت الملك إلا أخواته خديجة الكبرى ومريم وفاطمة فقدموا خديجة ملكة في سنة ٧٤٠ للهجرة وكانت متزوجة بخطيبهم جمال الدين فصار وزيراً غالباً على الأمر وعين ولده محمداً للخطابة عوضاً عنه ولكن الأوامر إنما تنفذ باسم خديجة وهم يكتبون الأوامر في سعف النخل بحديدة معوجة شبه السكين ولا يكتبون في الكاغد إلا المصاحف، وكتب العلم. ويذكرها الخطيب يوم الجمعة وغيرها فيقول: اللهم انصر أمتك التي اخترتها على علم على العالمين وجعلتها رحمة لكافة المسلمين ألا وهي السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين بن السلطان صلاح الدين، ومن عادتهم إذا قدم الغريب عليهم ومضى إلى الدار فلا بد له أن يستصحب ثوبين فيقدم لجهة هذه السلطانة ويرمي بأحدهما، ثم يقدم لوزيرها وهو زوجها

جمال الدين ويرمي بالثاني وعسكرها نحو ألف إنسان من الغرباء وبعضهم بلديون يأتون كل يوم إلى الدار فيخدمون وينصرفون ومرتبهم الأرز يعطى لهم من البندر في كل شهر، فإذا تم الشهر أتوا الدار وخدموا وقالوا للوزير: بلغ عنا الخدمة، واعلم بأنا أتينا نطلب مرتبنا فيأمر لهم به عند ذلك ويأتي أيضاً إلى الدار كل يوم القاضي وأرباب الخطب وهم الوزراء عندهم فيخدمون ويبلغ خدمتهم الفتیان وينصرفون وأن النساء ليفتخرن بمثل هذه الملكة حيث إنها كانت مالكة نحو ألفي جزيرة من جزائر الهند التي تزيد عن الأربعين مليوناً من العالم وجميعها من المسلمين.

وبقيت مالكتها مدة من الزمن بالعدل والإنصاف وقد طال ملكها نحو الثلاثين سنة، وفي مدتها كانت جزائرها في غاية الرونق والبهاء من كثرة الخيرات والأرزاق والأمن، وكان جميع الأهالي مكبين على الأشغال ملتفتين للأعمال، محافظين على جزائريهم من الأعداء، وبارتباطهم هذا كانوا مهابين لا يدخلون أحداً من عدوهم ساحتهم وبقيت على ذلك إلى أن توفاه الله وأهل مملكته راضون عنها أسفون عليها.

### خرقاء بنت النعمان بن المنذر<sup>(١)</sup>

كانت أحسن نساء زمانها جمالاً، وأفصحهن مقالاً، وأكملهن عقلاً، وأعظمهن أدباً، وكانت معتنقة الديانة المسيحية ومتعبدة بها تعبداً زائداً وكانت إذا خرجت إلى بيعتها يفرش لها طريقها بالحريز والديباج مغشى بالخز والوشى، ثم تقبل في جواربها حتى تصل إلى بيعتها وترجع إلى منزلها وبقيت على ذلك وهي في غاية العز والإجلال إلى أن هلك النعمان فكلمها<sup>(٢)</sup> الزمان، فأنزلها من الرفعة إلى الذلة، ولما نزل سعد بن أبي وقاص<sup>(٣)</sup> بالقدسية أميراً عليها وهزم الله الفرس، وقتل رستم أتت خرقاء بنت النعمان في حفدة<sup>(٤)</sup> من قومها وجواربها وهن في زيها عليهن المسوح والمقطعات السود مترهبات تطلب صلته، فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد فقال: أيكن خرقاء؟ قالت: ها أنا ذا. قال: أنت خرقاء؟ قالت: نعم.

- (١) هو النعمان بن عمرو بن المنذر الغساني، من ملوك آل غسان في الجاهلية، كان من بني كلاب، وتلك الأنحاء. وليها نحو سنة ٢٩٦ م. فبنى قصبة السعيداء بجواربها، وصار يركبها.
- (٢) كلم: جرح. [القاموس المحيط، مادة: كلم].
- (٣) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الأهمشي، من آل النضر بن عبد مناف، من بني زهرة أهل أمة بنت وهب أم النبي ﷺ، وقد كان يقاتل يقاتل بهاذه الحفدة، أم إسحاق، هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد الستة الذين عندهم عرس النبي ﷺ، والخطاب للخلافة، ويقال له: فارس الإسلام.
- (٤) حفدة: الحافد هو التابع، الناصر من القوم. [القاموس المحيط، مادة: حفدة].



فما تكرارك في استفهامي، ثم قالت: إن الدنيا دارا زوال ولا تدوم على أهلها انتقالاً، وتعقبهم بعد حال حالاً، كنا ملوك هذا المصر يجبي لنا خراجه ويطيئنا أهله مدى الإمرة وزمان الدولة، فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فشق عصانا، وشتت شملنا، وكذلك الدهر يا سعد أنه ليس يأتي قوماً بمسرة إلا ويعقبهم بحسرة، ثم أنشأت تقول:

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف  
فأف لدينا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد: قاتل الله عدي بن زيد<sup>(١)</sup> كأنه ينظر إليها حيث يقول:

إن للدهر صولة فاحذرنها لا تبتتن قد أمنت الدهورا  
قد بييت الفتى معافى فيرزا ولقد كان آمناً مسرورا

فبينما هي واقفة بين يدي سعد إذ دخل عمرو بن معد يكرب وكان زواراً لأبيها في الجاهلية فلما نظر إليها قال: أنت خرقاء؟ قالت: نعم، قال: فما دهمك فأذهب بجودات شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نعمتك. فقالت: يا عمرو، إن للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأبنائهم فتخفضهم بعد رفعة، وتفردهم بعد منعة، وتذلهم بعد عزان، هذا الأمر كنا نتظره فلما حل بنا لم ننكره.

فأكرمها سعد وأحسن جائزتها، فلما أرادت فراقه قالت: حيّ أختك بتحيات ملوكنا لا نزع الله من عبد صالح نعمة إلا جعلك سبياً لردّها عليه، ثم خرجت من عنده فلقبها نساء المدينة فقلن لها: ما فعل بك الأمير؟ قالت: أكرم وجهي وإنما يكرم الكريم كريم.

### حزانة ابنة خالد بن جعفر بن قرط

كانت من الأدب على جانب عظيم ومن الفصاحة والبلاغة على جانب أعظم، والفروسية كانت عندها زائدة، حضرت فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص وخاضت معه المعامع والمعارك وقد حضرت فتوح الحرة حينما استشهد من المسلمين خمسمائة وثلاثون فارساً فقالت ترثيهم في أبيات كما جاء في الحبرة للواقدي<sup>(٢)</sup> في «فتوح الشام»:

(١) هو عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبّادي التميمي، شاعر، من دهاة العرب الجاهليين، كان قروياً من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية، والفارسية، والرّمي بالنشّاب، ويلعب لعب العجم بالصوالجة على الخيل. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، اتخذ في خاصته وجعله ترجماناً بينه وبين العرب. سكن المدائن أقره هرمز بن كسرى بعد وفاة والده وكان رسوله إلى بلاد الروم. ثم تزوج هند بنت النعمان بن المنذر. ووشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة.

(٢) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي. من أقدم =

أيا عين جودي بالدموع السواجم      فقد شرعت فينا سيوف الأعاجم  
فكم من حسام في الحروب وذابل      وطرف كमित اللون صافي الدعائم  
حزنا على سعد وعمرو ومالك      وسعد مبيد الجيش مثل الغمام  
هم فتية غرّ الوجوه أعزة      ليوث لدى الهيجاء شعث الجماجم  
ومن قولها أيضاً:

طوى الدهر ما بيني وبين أحبة      بهم كنت أعطي ما أشاء وأمنع  
فلا يحسب الواشون أن قناتنا      تلين ولا أنا من الموت نجزع  
ولكن لآلاف لا بد لوعة      إذا جعلت أقرانها تتقطع

### خماني ابنة أردشير بن بهمن<sup>(١)</sup>

ملكّت بعد أبيها «بهمن» ملكوها حباً في أبيها ولعقلها وفروسيته، وكانت تلقب بـ «نهرزاد» وقيل: إنها ملكت لأنها حين حملت من «دارا الأكبر» سألته أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك ففعل «بهمن» وعقد التاج عليه حملاً في بطنها، وكان «ساسان بن بهمن» رجلاً يتصنع للملك فلما رأى فعل أبيه لحق بإصطخر وتزهد ولحق برؤوس الجبال وهنت «بهمن» و«دارا» في بطن أمه فملكوها ووضعته بعد شهر من ملكها فأنتفت من ظهر ذلك وجعلته في تابوت وجعلت معه جواهر وأجرته في نهر المكر من إصطخر<sup>(٢)</sup> وسار التابوت إلى طحان من أهل إصطخر ففرح بما فيه من الجوهر فحضنته امرأته، ثم ظهر أمره حين شب فأقرت «خماني» بإساءتها فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون من أبناء السوء، فحوّلت التاج إليه وسارت إلى فارس وبنت مدينة إصطخر، وكانت قد أوتيت ظفر وأخوت

=  
المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ - ١٤١ هـ، تاجر حنطة، ضاعت ثروته فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد، وصار يجمع بين التجارة والبرمكي فأفاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة، فولي القضاء بعدد من السنين، ثم مات سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م. قال الخطيب البغدادي: كلما ددت له قعة ذهب إلى مكة فمات بها سنة ٢٢٤ هـ / ٨٤٠ م.  
(١) أردشير بن بهمن: أو أردشير الأول مؤسس سلالة الساسانيين في بلاد فارس سنة ٢٢٤ هـ / ٨٤٠ م. طيسفون وقضى على أربطان الخامس أحد الأرشاقين الفارسيين ومن الأرشاقية دينا المدونة في سنة ٢٤١ م.

(٢) إصطخر: كورة وبلدة في بلاد فارس، أما الكورة فهي أذربيجان وأهل كورة فارس، قاعدتها مدينة إصطخر، وبها كثير من المدن والقرى، وبها كانت خزائن الملوك قبل الإسلام، وهي واحدة من المدن القديمة قرب نهر بندمير في إصطخر، وضع هيرتاسب كتاب أرادشت نبي الموحدين في كتاب إصطخر وعظمتها، واسمها القديم به سبه ليس

الروم وشغلت الأعداء عن تطرق بلادها وخففت عن رعيها الخراج وكان ملكها ثلاثين سنة.

### خولة بنت الأزور الكندي

وهي أخت ضرار بن الأزور<sup>(١)</sup>. كانت مشهورة بالشجاعة والجمال، خرجت مع أخيها إلى الشام حين فتحها في خلافة أبي بكر الصديق<sup>(٢)</sup> وكانت تفوق الرجال بالفروسية والبسالة، ولها وقائع مشهورة لا يسعها المقام إذا أحببنا إيرادها ولكننا نقتصر على البعض منها.

قال الواقدي في «فتوح الشام»: إنه لما أسر ضرار بن الأزور في وقعة أجنادين توجه خالد بن الوليد<sup>(٣)</sup> بطليعة من الجيش لخلصه فبينما هو في الطريق إذ مر به فارس على فرس طويل وبيده رمح، وهو لا يبين منه إلا الحدق وقد سيق أمامه الناس كأنه نار، فلما نظره خالد قال: ليت شعري من هذا الفارس، وأيم الله<sup>(٤)</sup>، إنه لفارس ثم اتبعه خالد والناس وسار إلى أن

(١) هو ضرار بن مالك (الأزور) بن أوس بن خزيمة الأسدي. أحد الأبطال في الجاهلية والإسلام. كان شاعراً مطبوعاً. له صحبة. وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد. قاتل يوم اليمامة أشد القتال، حتى قطعت ساقه، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاقل، والخيل تطأه. مات بعد أيام في اليمامة، سنة ١١ هـ/٦٣٣ م.

(٢) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التميمي، القرشي، أبو بكر الملقب بالصديق. أول الخلفاء الراشدين، أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأحد أعظم العرب. ولد بمكة سنة ٥١ ق. هـ/٥٧٣ م. نشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب العرب وأخبارها وسياستها. كانت العرب تلقبه بعالم قريش. حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها. ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب واحتمل الشدائد، وبذل الأموال. بويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ سنة ١١ هـ/٦٣٢ م. حارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة، افتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق. كان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامّة، خطيباً لساناً وشجاعاً بطلاً. مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصّف شهر توفي في المدينة سنة ١٣ هـ/٦٣٤ م.

(٣) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، المخزومي، القرشي، سيف الله الفاتح الكبير، الصحابي، كان من أشرف قريش في الجاهلية، يلي أعنة الخيل، شهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية، أسلم قبل فتح مكة هو وعمرو بن العاص سنة ١٢ هـ، فسّر به رسول الله ﷺ وولاه الخيل، ولما ولي أبو بكر وجهه لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد، ثم سيّره إلى العراق سنة ١٢ هـ، ففتح الحيرة وجانباً عظيماً منه، وحوّله إلى الشام وجعله أمير من فيها من الأمراء. ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام وولى أبا عبيدة بن الجراح، فلم يشن ذلك من عزمه، واستمر يقاتل بين يدي أبي عبيدة إلى أن تمّ لهما الفتح سنة ١٤ هـ، فرحل إلى المدينة، فدعاه عمر ليوليه، فأبى، ومات في حمص في سوريا، وقيل: بالمدينة سنة ٢١ هـ. كان مظفراً خطيباً فصيحاً، يشبه عمر بن الخطاب في خلقه وصفته، قال أبو بكر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد. روى له المحدثون ثمانية عشر حديثاً، وأخباره كثيرة.

(٤) أيم الله: اسم وضع للقسم، والتقدير: «أيمُنُ الله قسماً».

أدرك المشركين وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة، فزعزع كتابهم، وحطم مواكبهم، فما كانت إلا جولة جائل حتى خرج وسانه ملطخ بالدماء، وقد قتل رجالاً وجندل أبطالاً وقد عرض نفسه للهلاك ثانية، واخترق القوم غير مكترث وكثر قلق الناس عليه ولا يعلمون من هو ومنهم رافع بن عميرة ومن معه ظنوا أنه خالد وقالوا: ما هذه الحملات إلا لخالد، وبينما هم على ذلك إذ أشرف خالد بمن معه فقال له رافع: مَنْ الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته؟ فقال خالد: والله إنني أشد إنكاراً منك أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله.

فقال رافع: أيها الأمير، إنه منغمس في عسكر الروم ويطعن يميناً وشمالاً. فقال خالد: معاشر المسلمين، احمّلوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله فأطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة، وخالد أمامهم إذ نظر إلى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار، والخيل في إثره، وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل، فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس - المذكور - إلى جيش المسلمين فتأملوه ورأوه قد تخضب بالدماء، فصاح خالد والمسلمون: لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله وأظهر شجاعته على الأعداء، اكشف لنا عن اسمك، وارفع لثامك. فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس في الروم فتصايحت الروم من كل جانب، وكذلك المسلمون وقالوا: أيها الرجل الكريم أميرنا يخاطبك وأنت تعرض عنه أظهر لنا اسمك لتزداد تعظيماً، فلم يردّ عليهم جواباً.

فلما بعد عن خالد سار إليه بنفسه وقال: ويحك، لقد شغلت قلوب الناس وقبلي بفعلك، من أنت؟ فلما ألح عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه قال: إنني أيها الأمير لو أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل، وأنا من ذوات الخدور وبنت أسودور وبنت حملي على ذلك أي محرقة الكبد، زائدة الكمد. فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا خولة بنت الأزور أخت ضرار المأسور بيد المشركين وإني كنت مع بنات العرب وقد أتني السحبي رار أسير، فركبت وفعلت ما رأيت، وعند ذلك حمل المسلمون وحملت خولة وعظم عيني من ما نزل بهم من خولة بنت الأزور وقالوا: إن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فلو لم يكن من طاقة، وأما خولة فإنها جعلت تجول يميناً وشمالاً، وهي لا تطيب إلا حياء وهي لا تبيد إلا أثرا، ولا وقعت له على خبير وجعلت تسأل عنه فلم يجيبها أحد ولم تزل من المستعجبين من يخبرها أنه نظره أو رآه أسيراً أو قتيلاً فلما أيست منه بكت بكاء شديداً وجعلت تقول:

يا ابن أمي ليت شعري في أي البيداء طرحوك أم بأي سنان طعنوك، أم بأي حديد قتلوك. يا أخي أختك لك الفداء لو أني أراك أنقذتك من أيدي الأعداء. ليت شعري أترى ألبس

أراك بعدها أبداً، فقد تركت يا ابن أُمي في قلب أختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ سعيرها.  
ليت شعري ألحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي ﷺ فعليك مني السلام إلى يوم اللقاء.

فبكى الناس من قولها عند سماعها ونياحها. ومن وقائعها أيضاً ما ظهر من بسالتها يوم  
أسر النسوة في وقعة صحورا من أعمال الشام وقد جمعت النساء وقامت فيهن خطيبة وكانت  
هي من ضمن المأسورات فقالت:

يا بنات حَمِير<sup>(١)</sup> وبقية تبع، أترضين لأنفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيداً لأهل  
الشرك! فأين شجاعتك وبراعتك التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب ومحاضر الحضرة؟  
وإني أراكن بمعزل عن ذلك وإني أرى القتل عليكن أهون من هذه الأسباب وما نزل عليكن من  
خدمة الروم.

فقالت لها عفراء بنت غفار الحميرية: صدقت والله يا بنت الأزور نحن في الشجاعة كما  
ذكرت، وفي البراعة كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام ووالله لقد اعتدنا ركوب  
الخيال وهجوم الليل غير أن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت وإنما دهمنا العدو على حين  
غفلة، وما نحن إلا كالغنم بدون سلاح.

فقالت خولة: يا بنات التبابعة خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب ونحمل بها على  
هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم فنستريح من معرة العرب:

فقالت عفراء بنت غفار: والله ما دعوت إلا ما هو أحب إلينا مما ذكرت، ثم تناولت كل  
واحدة عموداً من أعمدة الخيام وصحُن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عموداً وسعت  
من ورائها عفراء أم أبان بنت عتبة ومسلمة بنت زارع ولبنى ومزروعة بنت عملوق وسلمة ابنة  
النعمان ومثل هؤلاء فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا  
تتفرقن فتملكن فيقع بكن التشيت واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهم، وهجمت خولة  
وهجم النساء وراءها وقاتلن قتالاً شديداً حتى استخلصت النسوة من أيدي الروم وخرجت  
وهي تقول:

نحن بنات تبع وحمير      وضربنا في القوم ليس ينكر  
لأننا في الحرب نار تسعر      اليوم تسقون العذاب الأكبر

ومن قولها حين أسر ضرار في المرة الثانية في «مرج دابق»:

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا      فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا

(١) بنو حمير: قبيلة من بني سبأ من القحطانية، وهم بنو حمير بن سبأ، اسم حمير العريخج.

فلو كنت أدري أنه آخر اللقاء  
 ألا يا غراب البين<sup>(١)</sup> هل أنت مخبري  
 لقد كانت الأيام تزهو لقربهم  
 ألا قاتل الله النوى ما أمره  
 ذكرت ليالي الجمع كنا سوية  
 لئن رجعوا يوماً إلى دار عزهم  
 ولم أنس إذ قالوا ضرار مقيد  
 فما هذه الأيام إلا معارة  
 أرى القلب لا يختار في الناس غيرهم إذا ما ذكرهم ذاكر قلبي المضنى  
 سلام على الأحباب في كل ساعة وإن بعدوا عنا وإن منعوا منا

ثم بكت وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون فوالله لأخذنا بثأره إن شاء الله تعالى، ولما زحفت عساكر الإسلام إلى أنطاكية لأجل خلاص ضرار سار معهم النساء اللاتي لهن أسرى وفي مقدمتهن خولة بنت الأزور وهي تنشد قولها من المراثي المبكيات:

أبعد أخي تلذ الغمض عيني  
 فكيف ينام مقروح الجفون  
 سأبكي ما حييت على شقيق  
 أعز علي من عيني اليمين  
 فلو أنني لحقت به قتيلاً  
 لهان علي إذ هو غير هون  
 وكنت إلى السلو أرى طريقاً  
 وأعلق منه بالحبيل المتين  
 وإنا معشر من مات منا  
 فليس يموت موت المستكين  
 وإني إن يقال مضى ضرار  
 لبأكية بمنسجم هتون  
 وقالوا لم بكاك فقلت مهلاً  
 أما أبكي وقد قطعوا وتيني

ولما أسر ضرار المرة الثالثة في وقعة «دير المسيح» من أرض البهنسا وسار مسير ورافع وجماعتهما في طلبه تهللت فرحاً، وأسرعت في لبس سلاحها، وأنت إلى خالد خالدهما في المسير معهما فقال لهما خالد: أنما تعلمان شجاعتهما وبراعتها فخذاهما معكم وقاروا السمع والطاعة، ثم ساروا حتى بلغوا منتصف الطريق وكسوا قبلهم من الأعداء فبينما هم يمشون وإذا بالقوم قد أتوا محدقين بضرار وهو متألم من كثافة، هو ينشد، يقول:

ألا بلغوا قومي وخولة أنني  
 أسير رهين موثق اليد بالقييد  
 فيا قلب مت هما وحزناً وحسرة  
 وبيا دمع عيني كن معيناً على خدي

(١) البين: الفراق. [القاموس المحيط، مادة: البين].

فلو أن أقوامي وخولة عندنا لألزم ما كنا عليه من العهد  
ولو أنني فوق المجمل راكباً وقائم حد العضب قد ملكت يدي  
لأذلت جمع الروم إذلال نقمة وأسقيتهم وسط الوغى أعظم الكد

فنادته خولة من مكمناها قد أجاب الله دعاءك وقبل تضرعك أنا خولة ثم كبرت وحملت  
وكبر بقية العسكر وحملوا حتى خلصوا ضرار من الأسر ووقائعها كثيرة وقد أبلت بلاء حسناً في  
فتوح الشام ومصر، وعمرت طويلاً وكانت وفاتها في أواخر خلافة عثمان بن عفان - فعلى مثل  
هذه يأسف الدهر رحمها الله رحمة واسعة.

### خولة ابنة منظور بن زبان<sup>(١)</sup>

كان والدها منظور مكث أربع سنوات في بطن أمه ولذلك سمي منظوراً، وكانت أمها  
مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة المري تحت زبان أبي منظور ولما توفي زبان خلفه  
عليها منظور وكان ذلك قبل الإسلام ولما أسلم بقيت تحته إلى خلافة عمر بن الخطاب ففرق  
بينهما وكانت مليكة ولدت له هشاماً وعبد الجبار وخولة.

وكانت خولة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال فتننت فيها شبان قريش وقد  
خطبها جملة من رجالهم وأبوها يردّهم قولاً منه أنهم ليسوا بكفوّاً لها، وبقيت على ذلك حتى  
تزوج طلحة بن عبيد الله<sup>(٢)</sup> مليكة والدة خولة بعد طلاقها من منظور بن زبان، فزوج خولة من  
ولده محمد بن طلحة<sup>(٣)</sup>، فولدت له إبراهيم وداود وأم القاسم ابني محمد بن طلحة - وكان  
أعرج - وقتل محمد عنها يوم الجمل فتزوجها الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان سبب  
زواجها به أنها حينما تكاثرت عليها الخطاب بعد قتل زوجها محمد جعلت أمرها بيد الحسن بن

(١) هو منظور بن زبان بن سيار الفزاري، شاعر مخضرم، من الصحابة. كان سيد قومه، تزوج امرأة أبيه  
مليكة بنت خارجة المزنية، قيل: إن أبا بكر، لما ولي الخلافة، بحث عنه فعلم أنه ومليكة في  
البحرين، فأقدمهما المدينة وفرّق بينهما، وقيل: كان ذلك في خلافة عمر، وأراد عمر قتله فحلف بأنه  
ما علم أن الله حرّم ذلك، وفرّق بينهما. وله بعد فراقها أشعار رقيقة. يُظن أنه عاش إلى خلافة  
عثمان.

(٢) طلحة بن عبيد الله أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة وأحد الثمانية السابقين إلى  
الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي  
رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ وسمّاه رسول الله ﷺ: طلحة الخير، وطلحة الجود وهو من المهاجرين  
الأوليين.

(٣) هو محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي، أبو سليمان، صحابي، ولد في حياة النبي ﷺ وسمّاه  
باسمه، يقال له: السجّاد، لكثرة تعبّده، قتل يوم الجمل سنة ٣٦ هـ.

علي بن أبي طالب فتزوجها، فبلغ منظور بن زبان ذلك فقال: أمثلي يفتات عليه في ابنته.

ثم قدم المدينة وركز راية في مسجد رسول الله ﷺ فلم يبق قيسي في المدينة إلا دخل تحتها فقيل لمنظور: أين يذهب برك تزوجها الحسن بن علي وليس مثله أحد؟ فلم يقبل، وبلغ الحسن ذلك فقال: شأنك بها، فأخذها وخرج بها، فلما كانت بقاء جعلت خولة تنذمه وتقول له: الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة! فقال: البني ههنا فإن كان للرجل فيك حاجة سيلحقنا ههنا، فلحقه الحسن والحسين وابن جعفر وابن عباس، فلما وصلوا قابلهم بما يليق بهم ثم أرجعها إلى الحسن فتزوجها، ورجعوا جميعاً، وفي ذلك يقول جبير العبسي:

إن الندى في بني ذبيان قد علموا      والجود في آل منظور بن سيار  
والماطرين بأيديهم ندى ديما      وكل غيث من الوسمي مدرار  
تزور جاراتهم وهنا قواضبهم      وما فتاهم لها سراً بزوار  
ترضى قريش به صهراً لأنفسهم      وهم رضا لبني أخت وأصهار

وبقيت خولة تحت الحسن بن علي حتى أسنت وقد مات عنها فكشفت قناعها وبرزت للرجال وصارت تجالسهم.

قال معبد: جئتها يوماً أطلبها بحاجة فقالت: غنيني يا معبد. فقلت لها: أو بقي بالنفس شيء؟ قالت: النفس تشتهي كل شيء حتى تموت، فغنيتها لحنني في شعر قاله بعض بني فزارة وكان خطبها فلم ينكحها إياه أبوها وهو:

قفا في دار خولة فاسألاها      تقادم عهدا وهجرتماها  
بمحلال كأن المسك فيه      إذا هبت بأبطحه صباه  
كأنك مزنة برققت بليل      لحران يضيء لها سناه  
فلم تمطر عليه وجاوزته      وقد أشفى عليها أو رجده  
وما يملأ فؤادي فاعلميه      سلو النفس عنك ولا غناه  
وترعى حيث شاءت من حمانا      وتمنعنا فلا نرعى حمده

فطربت خولة وقالت: أيا عبد بني قطن أنا والله يومئذ أحسن من القوم بعدد هي القوم القرة.

وقيل: إنها تزوجت بعبد الله بن الزبير بعد وفاة الحسن. وقد دخلت عليها النوار، والفرزدق مستشفعة بها فشفعتها عند عبد الله. وفي ذلك يقول الفرزدق:

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم      وشفعت بنت منظور بن زبان  
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤثراً      مثل الشفيع الذي أتتك عابداً



## الخيزران ابنة عطاء أم الهادي والرشيد

كانت ذات جمال وبهاء وكمال . اشتراها محمد أبو عبد الله المهدي بمائة ألف درهم واستحظى بها وقدمها على جميع نسائه لما لها من الأدب واللطف، وقد أخذت بقلبه مكانة عظيمة، وولدت له موسى الهادي وهارون الرشيد، وقد تقدمت في خلافة ولدها موسى الهادي<sup>(١)</sup> حتى إنها شاركته في الأحكام من كثرة تداخلها معه في أمور المملكة وكان كثير الطاعة لها مجيباً لما تسأله من الحوائج للناس، فكانت المواكب لا تخلو من بابها. ففي ذلك يقول أبو المعافى:

يا خيزران هناك ثم هناك إن العباد يسوسهم ابنك

وكانت يوماً جالسة إذ دخلت عليها جارية من جواربها فقالت: أعز الله السيدة بالباب امرأة ذات جمال وخلقة حسنة، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية تستأذن في الدخول عليك، وقد سألتها عن اسمها فامتنعت أن تخبرني، فالتفت الخيزران إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس<sup>(٢)</sup> - وكانت في مجلسها: ما تقولين في أمرها؟ قالت لها: أدخلتها فإنه لا بد من فائدة أو ثواب، فدخلت امرأة من أجمل النساء لا تتوارى بشيء، فوقفت بجانب عضادتي الباب، ثم سلمت متضائلة، ثم قالت: أنا مزنة بنت مروان بن محمد الأموي.

فقالت الخيزران: لا حياك الله ولا مرحبا بك، فالحمد لله الذي أزال نعمتك وهتك سترك وأذلك. أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك في الإذن في دفن إبراهيم بن محمد فوثبت عليهن وأسمعتيهن ما لا سمعن قبل وأمرت فأخرجن على تلك الحالة، فضحكت مزنة فهقهة حتى علا صوت ضحكها، ثم قالت: السلام عليك، ثم

(١) هو موسى (الهادي) بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو محمد، من خلفاء الدولة العباسية ببغداد. ولد بالرّي. وولي بعد وفاة أبيه سنة ١٦٩ هـ، وكان غائباً بجرجان فأقام أخوه الرشيد بيعته. استبدت أمه الخيزران بالأمر. أراد خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد وجعلها لابنه جعفر، فلم تر أمه ذلك فزجرها فأمرت جواربها أن يقتلنه فخنقنه، ودفن في بستانه بعيسى آباد. مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر. كان طويلاً جسيماً أبيض في شفته العليا تقلص، شجاعاً، جواداً، له معرفة بالأدب والشعر.

(٢) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس أمير عباسي، ولد سنة ٨٢ هـ/٧٠١ م، أمير عباسي من الأجواد الممدوحين. ولآه ابن أخيه السفاح إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة ١٣٣ هـ، أقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة ١٣٩ هـ، فلم يزل في البصرة إلى أن توفي سنة ١٤٢ هـ/٧٥٩ م.

ولت مسرعة فنهضت إليها الخيزران لتعانقها فقالت: ليس في ذلك موضع مع الحالة التي أنا عليها. فقالت الخيزران لها: فالحمام إذا وأمرت جماعة من جواربها بالدخول معها إلى الحمام.

فلما خرجت من الحمام وافتها الخلع والطيب فأخذت من الثياب ما أرادت ثم تطيبت، ثم خرجت إليها فعانقتها الخيزران وأجلستها في الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي، ثم قالت الخيزران: هل لك بالطعام؟ قالت: والله ما فيكن أحوج مني إليه فعجلوه، فأتي بالمائدة، فجعلت تأكل غير محتشمة إلى أن اكتفت، ثم غسلن أيديهن وقالت لها الخيزران: من وراءك ممن تعنين به؟ قالت: ما خارج هذه الدار من بيني وبينه نسب فقالت: إذا كان الأمر هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصيرنا وتحولي لها جميع ما تحتاجين إليه، ثم لا نفرق إلى الموت.

فقامت ودارت بها في المقاصير فاخترت أوسعها وأزهرها ولم تبرح حتى حولت إليها جميع ما تحتاج إليه من الفرش والكسوة، ثم تركتها وخرجت عنها.

فقالت الخيزران: هذه المرأة قد كانت فيما كانت فيه وقد مسها الضر وليس يغسل ما في قلبها إلا المال فاحملوا إليها خمسمائة ألف درهم فحملت إليها وفي أثناء ذلك وافى المهدي فسألها عن الخبر، فحدثته حديثها وما لقيتها به، فوثب مغضباً وقال للخيزران: هذا مقدر شكر الله على نعمه وقد أمكنك من هذه المرأة مع الحالة التي هي عليها، فوالله لو لا محنت بقلبي لحلفت أن لا أكلمك أبداً فقالت: يا أمير المؤمنين، قد اعتذرت إليها ورضيت، فعاد معها كذا وكذا فلما علم المهدي ذلك قال لخدام كان معه: احمل إليها مائة بكرة وادخل إليها وأبلغها مني السلام وقل لها: والله ما سررت في عمري كسروري اليوم وقد يجب عليّ من المؤمنين إكرامك ولولا احتشامك لحضر إليك مسلماً عليك وقاضياً لحقك.

فمضى الخادم بالمال والرسالة فأقبلت على الفور وسلمت على المهدي بالحلوة وشكرت صنيعه وبالغت في الثناء على الخيزران، وقالت: ما على أمير المؤمنين حشمة من عداد حرمه.

ثم قامت إلى منزلها وأقامت عند الخيزران إلى أن قضى المهدي أيام النهدي، من أيام الرشيد وماتت في خلافة الرشيد وكان لا يفرق بينها وبين نساء بني هاشم فلما وقعت جزع عليها الرشيد والخدم جزعاً شديداً وأخرجها بمشهد يليق بمثلها.

وكلمت الخيزران ولدها الهادي ذات يوم في أمر فلم يجد إلى إجابتها فيه سبيلاً، فساءل عليها بعله فقالت: لا بد من إجابتي. قال: لا أفعل، قالت: فإني قد ضمنت هذه الحرجة.

لعبد الله بن مالك فغضب الهادي وقال: ويل لابن الفاعلة، قد علمت أنه صاحبها لا قضيتها لك. قالت: إذا والله لا أسألك حاجة أبداً. قال: إذا والله لا أبالي.

وقامت مغضبة فقال: مكانك فاستوعي كلامي والله وإلا نفيت من قرابتي من رسول الله لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو من خاصتي أو من خدمي لأضربن عنقه ولأقبضن ماله، فمن شاء فليلزم ذلك ما هذه المواكب التي تغدو إلى بابك كل يوم أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إياك، ثم أياك أن تفتحي فاك في حاجة لمسلم ولا ذمي.

فانصرفت وما تعقل ما تجيب فلم تنطق بحلو ولا مر بعدها، ثم إنه قال لأصحابه: أيما خير أنا أم أنتم وأمي أم أمهاتكم قالوا: بل أنت وأمك خير. قال: فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه فيقال: أم فلان فعلت وصنعت. قالوا: لا نحب. قال: فما بالكم تأتون منزل أمي فتحدثون بحديثها فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها وبعد مدة من الزمن تناست هذه الحادثة فبعث الهادي بأرز إلى الخيزران. وقال لها: قد استطبتها فكلي منها فليل لها: أمسكي حتى تنظري فجاءوا بكلب فأطعموه فسقط لحمه لوقته فأرسل إليها كيف رأيت الأرز؟ قالت: طيباً. قال: ما أكلت منها ولو أكلت منها لاسترحت منك. متى أفلح خليفة له أم؟

وكان سبب وفاة الهادي من قبل أمه الخيزران كانت أمرت الجواري بقتله للسبب عينه وقيل: كان السبب في أمرها بذلك أن الهادي لما جد في خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على الرشيد فوضعت جواريها عليه لما مرض وأمرتهن بقتله فقتلوه بالغم والجلوس على وجهه فمات فأرسلت إلى يحيى بن خالد<sup>(١)</sup> تعلمه بموته وبعد ذلك بقيت معززة مكرمة عند الرشيد والمأمون إلا أنها اقتصرت عن التداخل في الأحكام حتى أدركتها الوفاة في خلافة المأمون وأخرجت باحتفال عظيم لم ينله غيرها من نساء الخلفاء. رحمها الله تعالى.

(١) هو يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل، الوزير الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم ولد سنة ١٢٠ هـ/٧٣٨ م. وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه. رضع الرشيد من زوجة يحيى مع ابنها الفضل، فكان يدعوه: يا أبي، أمره المهدي سنة ١٦٣ هـ أن يلازم هارون الرشيد ويكون كاتباً له، وأكرمه بمائة ألف درهم. فقال هي معونة لك على السفر مع هارون. لما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى، وقلده أمره، فبدأ يعلو شأنه. اشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته. بقي إلى أن نكب الرشيد البرامكة، فقبض عليه وسجنه إلى أن مات سنة ١٩٠ هـ/٨٠٥ م.

## حرف الدال

### دارمية الحجونية

كانت فصيحة اللسان بليغة البيان، غير هيابة في المقال لا يسألها أحد سؤالاً إلا جاوبته بأحسن جواب وأقنع خطاب. قال أبو سهل التميمي لما حج معاوية سأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجونية يقال لها: دارمية وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها فبعث إليها فجيء بها فقال: ما جاء بك يا ابنة حام؟ فقالت: لست بابنة حام أنا امرأة من بني كنانة وأنت طلبتني. قال: صدقت أتدرين لم بعثت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله. قال: بعثت إليك أسألك علام أحببت علياً وأبغضتني، وواليتي وعاديتني؟ قالت: أو تعفيني. قال: لا أعفيك. قالت: أما إذا أبيت فإني أحببت علياً على عدله في الرعية، وقسمته بالسوية. وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر وطلبك ما ليس لك به حق، وواليت علياً على عقد له رسول الله ﷺ من الولاء وحبه المساكين وإعظامه لأهل بيته، وعاديتك على سفكك الدماء، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى.

قال: فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك وربت عجيزتك. قالت: يا هذا بهند والله ما يضرب المثل في ذلك لأبي سفيان وهند. قال معاوية: يا هذا! اربعي فإن لم تقبل إلا خير، وإذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها وإذا عظم ثدياها تروى رضيعها، وإذا عظمت عجيزتها تروى مجلسها.

فلما سمعت ذلك رجعت وسكن غضبها ثم قال لها: يا هذه! هل رأيت عينا؟ قالت: رأيت رأيت. قال: فكيف رأيتيه؟ قالت: رأيت والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ولم تشبهه لعمرك لم تشبهه شغلتك. قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت: نعم، والله فكان يجهد القوم من أعينهم عما يجهد الزيت الصدا من الطست.

قال: صدقت، فهل لك من حاجة؟ قالت: أو تفعل إذا سألتك؟ قال: نعم، قالت: تعطيني مائة نافة حمراء فيها جملها وراعيها قال: ماذا تصنعين بها؟ قالت: أفعل ما يشاء الله.

الصغار، وأستحيي بها الكبار، وأكتسب بها المكارم وأصلح بها بين العشائر. قال: فإن أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب؟ قالت: سبحان الله أو دونه. فأنشأ معاوية يقول:

إذا لم أعد بالحلم مني عليكم فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم  
خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال: أما والله لو كان علي حياً ما أعطى منها شيئاً. قالت: لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين ثم أخذتها وانصرفت.

### دختوس<sup>(١)</sup> ابنة لقيط بن زرارة بن عدس الدارمي<sup>(٢)</sup>

تزوجها عمرو بن عمرو بن عدس وكانت ابنة عمه وكان عمرو تزوجها بعدما أسنّ وكان أكثر قومه مالاً وأعظمهم شرفاً فلم تنزل تولع به وتؤذيه وتسمعه ما يكره وتهجوه حتى طلقها فتزوجها من بعده ابن عمها عمير بن معبد بن زرارة، وكانت «دختوس» شاعرة لها شعر كثير منه هجو ومديح ورثاء وكانت ذات شجاعة عظيمة وحكمة غريبة ورأي صائب وكان أبوها لقيط يرجع إلى رأيها ويأخذها في غزواته لكي تهديه إلى الصواب عند الخطأ.

وكان أخذها معه في يوم «شعب جبلة»<sup>(٣)</sup> بينه وبين عامر<sup>(٤)</sup> وعبس وكان وجد في طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدي<sup>(٥)</sup> وكان شريفاً فطلب منه الصحبة فأبى محتجاً بالبحث

(١) في المصادر التي أثبتنا منها ترجمة والد «دختوس» وهو لقيط بن زرارة. وجدنا اسمها «دختوس» وليس «دختوس» كما ورد في الكتاب.

(٢) هو لقيط بن زرارة بن عدس الدارمي، من تميم، فراس، شاعر جاهلي، من أشرف قومه. كنيته «أبو دختوس» وهي ابنته ولا عقب له غيرها، يقال له: أبو نهشل. كان دينه المجوسية. قتل يوم «شعب جبلة» في نجد، قال ياقوت الحموي: هو يوم بين بني تميم وبني عامر بن صعصعة، من أعظم أيام العرب وأشدّها. قال البكري: كان يوم جبلة في عام مولد النبي ﷺ يقال له: يوم تعطيش النوق. وكان لقيط رئيس تميم فيه. فقتله عمارة الوهاب العبسي، وقيل: شريح بن الأحوص، سنة ٥٣ ق.هـ/٥٧١ م.

(٣) يوم شعب وجبلة: كان لعامر من قيس وحلفائهم من عبس على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد. وجبلة جبل طويل له شعب عظيم واسع لا يُرقى إلا من قبله. ويوم جبلة من أعظم أيام العرب وأشدّها، وكان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة.

(٤) بنو عامر: بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية، وهم بنو عامر بن عوف بن مالك بن سعد. قال ابن سعيد: وملكوا أرض اليمامة من بني كيلانة، وكان ملكهم في نحو الخمسين في المائة السابعة. ملكها منهم عصفور وبنوه.

(٥) هو كرب بن صفوان بن شجنة بن عطار، من بني سعد بن زيد مناة، من تميم، فصيح جاهلي، كان =

عن إبل له فقال: لا أدعك تذهب فتخبر بي القوم فحلف له أن لا يخبرهم ثم سار عنهم وهو مغضب. فلما دنا منهم أخذ خرقة وصر فيها حنظلة وتراباً وشوكاً وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود، ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فوصلت إلى قيس بن زهير العبسي فقال: هذا من صنع الله بنا هذا رجل قد أخذ عليه عهد أن لا يكلمكم فأخبركم أن أعداءكم قد غزوكم وهم بنو حنظلة<sup>(١)</sup>، وصاحب بن زرارة، وقبيلتان من اليمن، وفي عشرة أيام يكونون عندكم فخذوا حذرکم ولما عاد كرب بن صفوان قال له لقيط: قد أنذرت القوم فأعاد الحلف أنه لم يكلم أحداً فأطلقه فقالت له «دختنوس»: ردني إلى أهلي ولا تعرضني لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة فاستحمتها وساء كلامها وردها وسار إلى بني عامر وعيس وتحاربوا وانكسر قومه وأبلى بلاء حسناً حتى اندك الجرف بفرسه فهجم عليه عنترة<sup>(٢)</sup> فطعنه<sup>(٣)</sup> وعند ذلك تذكر ابنته «دختنوس» فقال:

يا ليت شعري عنك دختنوس إذا أتاك الخبر المرسوس  
أتحلق القرون أم تميمس لإبل تميمس إنها عروس  
فلما بلغها موته قالت ترثيه:

ألا أيها الويلات ويلة من بكى  
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابة  
فلو أنكم كنتم غداة لقيتم  
عذرتكم ولكن كنتم مثل ظبية  
فما ثاره فيكم ولكن ثاره  
لضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى  
ولا تحفل الصم الجنادل من توى  
لقيطاً ضربتم بالأسنة والقنا  
أضاءت لها القناص من جانب الثرا  
شريح<sup>(٤)</sup> أرادته الأسنة والقنا

= يجيز الناس من عرفات إلى مزدلفة، ورث ذلك عن أبيه.

(١) بنو حنظلة: بطن من تميم من القحطانية، وهم بنو حنظلة الأكرمين. كان له من العائد ما ذكره ويربوع، وربيع.

(٢) هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد، أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. كان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوسف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعدوية. كان مغرماً بابنة عمه عبلة، فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شيابه يامرئ القيس الشاعر. شهد حرب داحس والغبراء، عاش طويلاً، قتله الأسد الرهيب أو جبار بن عمرو الطائفي. مات سنة ٢٢ ق.هـ/٦٠٠ هـ.

(٣) قيل: إن من طعنه هو شريح بن الأحوص، وقيل: عمارة الوهاب العبسي. ولم يأت أحد منهم على ذكر عنترة.

(٤) هو شريح بن الأحوص، الذي يُعتقد أنه طعن لقيط بن زرارة.

فإن تعقب الأيام من فارس تكن  
ليجزيكم بالقتل قتلاً مضعفاً  
وقالت ترثيه أيضاً:

عثر الأغر بخير خند  
وأضرها لعدوها  
وقريعها ونجيبها  
ورئيسها عند الملو  
وأتمها نسباً إذا  
يسرعى عموداً للعش  
ويعولها ويحوطها  
ويطأ مواطن للع  
فعل المدل من الأسو  
كالكوكب الدرّي في  
عبث الأغر به وكل  
فرّت بنو أسد<sup>(٤)</sup> فرا  
وهوازن أصحابهم

دَف<sup>(٢)</sup> كهلها وشبابها  
وأفكها لرقابها  
في المطبقات ونابها  
كـ وزين يوم خطابها  
رجعت إلى أنسابها  
يرة رافعاً لنصابها  
ويذب عن أحسابها  
دو وكان لا يمشي بها  
د لحينها وتبابها  
سيماء<sup>(٣)</sup> لا يخفى بها  
منية لكتابها  
ر الطير عن أربابها  
كالفأر في أذنبهم

ولها مرات كثيرة لم نعر إلا على هذه منها.

### دلوكة بنت زباء ملكة من ملوك القبط الأولين بمصر

كانت أول امرأة ملكت بعد هلاك فرعون وجنوده في البحر وكان ملكها عشرين سنة وعملت أعمالاً عظيمة أشهرها الجدار المعروف بحائط العجوز. قالوا عنه: إنه أحد العجائب العشرين التي بمصر يحيط بمصر شرقاً وغرباً من العريش إلى أسوان ويقال له: جدار العجوز أيضاً.

- (١) بوا: قلّد وحاكى. [القاموس المحيط، مادة: بوى].
- (٢) بنو خندف: بطن من مضر من العدنانية، وهو بنو الياس بن مضر، وخندف اسم امرأته، عرف بنوه بها، وهي خندف اسمها ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة.
- (٣) سيماء: علامة، سمة. [القاموس المحيط، مادة: وسم].
- (٤) بنو أسد: حي من قریش من العدنانية، وهم بنو أسد بن قصي بن كلاب منهم الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة.

وسبب بناء هذا الحائط على ما قيل: إن مصر لما خلت من الأشراف والأبطال بعد غرق فرعون وجنوده بالبحر الأحمر اجتمعت النساء، وملكن عليهن دلوكة وكانت ذات شرف وحكمة ودراية وكان عمرها مائة وستين سنة، فخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الأشراف وقالت لهن: إن بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمدّ عينه إليها وقد هلك أكابرنا وأشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبنني حصناً أحقق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فإننا لا نأمن من أن يطمع فينا الناس.

فبنت هذا الحائط، وأحاطت به جميع أرض مصر المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجاً يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه المسالح والمجارس على كل ثلاثة أميال مجرس ومسلحة أي محل للسلاح والمجارس صفان على كل ميل وجعلت في كل مجرس رجالاً وأجرت عليهم الأرزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالأجراس فإذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض بالأجراس فيأتيهم الخبر بأي وجه كان في ساعة واحدة فينظرون في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه في ستة أشهر على ما قيل. وقيل: إنها بنته خوفاً على ولدها لأنه كان كثير القنصر فخافت عليه من سباع البر والبحر واغتيل من جوار أرضهم من الملوك والبوادي فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها.

قال المقرئ: وقد بقي من حائط العجوز بقايا كثيرة في بلاد الصعيد وهو مبني من اللبن الكبار.

### دليلة الفلسطينية

امرأة فلسطينية من وادي "سوريف" أحبها "شمشون" (١) فعرف أقطاب الفلسطينيين بحبها لها وقالوا لها: انظري بماذا قوته العظيمة وبماذا تمكن منه حتى نوقعه أو نقتله، ونحن نضع إليك كل منا ألفاً ومائة درهم من الفضة فقالت لـ "شمشون": أخبرني بماذا فعلت لوقته وبماذا توثق لتقهره؟ فقال لها: إذا أوثقوني بسبعة أوتار طرية لم تحف بعد فيبي أضعف وأصير كواحد من الناس، فدفعوها إليها فشدته بها والكمين رابض عندها في المسجون.

ثم قالت له: قد دهمك الفلسطينيون فقطع الأوتار، كما يقطع خيط المشقة إذا لم يقط فقالت له: لقد خدعتني فأخبرني بماذا توثق فقال: إن أوثقوني بحبال جديدة لم تستعسب قط فإني أضعف وأصير كواحد من الناس ففعلت كما فعلت في المرة الأولى فقطع الحبال وانحبط.

(١) شمشون: قاضي من قضاة العبرانيين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. اشتبه بقوته الجادة وتعاونه من الفلسطينيين. احتالت عليه دليلة وقصت شعره فحرمته من قوته، وسأله الفلسطينيون.



فكررت السؤال فقال لها: إذا ضفرت سبع خصل من شعر رأسي وربطت بها كالوتد فإني أصير كباقي الرجال فأخذت منه سبع خصل مع السرى فمكثتها بالوتد وقالت له: قد دهمك الفلسطينيون فاستيقظ من نومه وقلع الوتد والنسيج والسرى فعاتبته على مخادعتها وكانت تضايقه كل يوم بكلامها وتضاجره حتى تاقت نفسه إلى الموت فأطلعها على ما في قلبه وقال لها: لم يعمل رأسي موسى لأنني ناسك لله من بطن أمي فإن حلقت رأسي فارقتني قوتي.

ورأت «دليلة» أنه قد كاشفها بكل ما في قلبه، فأرسلت ودعت أقطاب الفلسطينيين وقالت: اصعدوا هذه المرة فأضجعتة على ركبتيها ودعت رجلاً فحلق سبع خصل رأسه ثم قالت له: قد دهمك الفلسطينيون فاستيقظ ووجد أن قوته قد فارقتة فقبضوا عليه وتلقبت «دليلة» بالمحتالة لاحتيالها على «شمشون» - كما مر - وخبرها في سفر القضاة «الإصحاح السادس عشر» من التوراة.

### دنانير<sup>(١)</sup> جارية يحيى بن خالد البرمكي<sup>(٢)</sup>

كانت جارية صفراء من مولدات المدينة كان مولاها قد أدبها وخرجها في الأدب والشعر والغناء حتى صارت أدرى الناس بالغناء القديم وأكمل الجواري آداباً، وأكثرهن رواية للغناء والشعر، وأحسنهن وجهاً وأظرفهن عشرة.

فلما رآها خالد بن يحيى البرمكي شغف بها واشتراها، وكان الرشيد يسير إلى منزله ويسمعها حتى ألفها واشتدّ عجبها بها فكان أكثر مسيره إلى مولاها ويقوم عندها ويبرها ويفرط حتى إنه وهبها في ليلة عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار، وعلمت زبيدة<sup>(٣)</sup> بحاله فشكته إلى أهله وعمومته فعاتبوه على ذلك فقال: ما لي في الجارية أرب في نفسها وإنما أربي في غنائها، فاسمعوها فإن استحققت أن يؤلف غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم.

فأقاموا عنده ونقلهم إلى يحيى فلما سمعها عذروه وعادوا إلى زبيدة، وأشاروا عليها

(١) للاستزادة يراجع: أعلام النساء (١: ٣٥٨). الدر المنثور (١٩٢).

(٢) هو يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل، الوزير الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم ولد سنة ١٢٠ هـ/٧٣٨ م. وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيّه. رضع الرشيد من زوجة يحيى مع ابنها الفضل، فكان يدعوه: يا أبي، أمره المهدي سنة ١٦٣ هـ أن يلازم هارون الرشيد ويكون كاتباً له، وأكرمه بمائة ألف درهم. فقال هي معونة لك على السفر مع هارون. لما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى، وقلده أمره، فبدأ يعلو شأنه. اشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته. بقي إلى أن نكب الرشيد البرامكة، فقبض عليه وسجنه إلى أن مات سنة ١٩٠ هـ/٨٠٥ م.

(٣) ترجمتها في الجزء الأول من هذا الكتاب في حرف الزاي.

أن لا تلح في أمرها فقبلت ذلك وأهدت إلى الرشيد عشر جوار، وكان اعتماد «دنانير» في غنائها على ما أخذته من بذل المغنية، وهي التي خرجتها وأخذت أيضاً من الأكابر الذين أخذت البذل عنهم مثل: فليح وإبراهيم الموصلي وابن جامع وإسحاق ونظرانهم. ولها كتاب مجرد في الأغاني مشهور، وكانت تناظر ابن جامع وأمثاله فتغلبهم.

وقيل: إنها عملت يوماً صوتاً أعجب به مولاها يحيى جداً، وأتى إلى إبراهيم الموصلي وطلب إليه أن يسمعه منها لينظر هل هو كما وقع في نفسه. فأتى إبراهيم وغنت «دنانير» الصوت فطرب له إبراهيم واستعاده منها ثلاث مرات لعله يجد موضوعاً فيه قابلاً للإصلاح يصلحه فينسب إليه فلم يجد.

وقال بعضهم: إنها كانت تغني غناء إبراهيم فتحكيه حتى لا يكون بينهما فرق، وكان إبراهيم يقول ليحيى: متى فقدتني و«دنانير» باقية فما فقدتني؟ وقامت «دنانير» عند البرامكة دهرًا طويلاً لم تخرج من عندهم ولا كفرت نعمة مولاها. وشغف بها عقيل مولى صالح بن الرشيد فخطبها، فردته، فاستشفع عليها مولاها صالحاً وابن محرز وغيرهما فلم تجبه، فكتب إليها:

يا دنانير قد تنكر عقلي      وتحيرت بين وعد مطل  
شغفي شافعي إليك وإلا      فاقتليني إن كنت تهوين قتلي  
ما أحب الحياة يا أخت إن لم      يجمع الله عاجلاً بك شملي

فكان كالكاتب على صفحات الماء، ومات ولم يجد لعلته من دواء، وأقامت عبي الوفاء لمولاها وأصابتها علة الجوع الكلبى وهي عند البرامكة فكانت لا تصبر عن الأكل مدعة واحدة فكان يحيى يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لأنها كانت لا تصومه. وحكى أن الرشيد دعا بها بعد نكبة البرامكة وأمرها أن تغني فقالت: يا أمير المؤمنين، آليت أن لا أغني بعد سيدي أبداً. فغضب وأمر بصفعها، فصفعت، وأقيمت على وجهها وأعطيت العود فأخذته وهي تبكي أحر بكاء وغنت صوتاً يفتت الجمود حزن مرفق لها الرشيد وأمر بإطلاقها، فانصرفت<sup>(١)</sup>.

## دهيا<sup>(٢)</sup> ابنة ثابت بن تيفان

وقومها جرادة من زناته، كانت تلقب بالكاهنة ملكة البربر في جبل

(١) يقال إنها بعد ذلك خطبت للزواج، لكنها أبت، ولزمت حالها إلى أن توفيت سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٢ م.

(٢) في المصادر التي أثبتنا منها ترجمة حسان بن النعمان وجدنا أن اسم «دهيا» هو «دهيا الكاهنة».

«أوراس»<sup>(١)</sup>. قال ابن خلدون: وكان لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها، فاستبدت عليهم وعلى قومهم بهم، وربما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيث أحوالهم وعواقب أمورهم فانتهد إليها رياستهم، فملك ٣٥ سنة وعاشت ١٢٧ سنة، وكان قتل عقبة بن نافع<sup>(٢)</sup> بإغرائها وكان المسلمون يعرفون ذلك منها.

قيل: وكان مذهبها ومذهب قومها وقبائل تفوسة اليهودية وكانت تدعى خطاب الشياطين فلما انقضى أمر البربر وقتل «كسيلة»<sup>(٣)</sup> رئيس «أوراس» عندما غزاهم العرب انضم برابرة «أوراس» ومن جاورهم إلى «دهيا» هذه لما كان لها من السيادة والسلطة والدهاء، فلما غزا أفريقيا حسان بن النعمان الغساني<sup>(٤)</sup> من قبل عبد الملك بن مروان استولى على القيروان<sup>(٥)</sup> و«قرطجنة»<sup>(٦)</sup> ثم سار إلى الكاهنة وحاربها عند نهر «مسكيني» على مرحلة من «باغابة» و«محنة»، فانكسر المسلمون أمامها وقتلت منهم جماعاً غفيراً، وأسرت جماعة منهم: خالد بن يزيد القيسي، فأطلقتهم جميعاً ما عدا خالد بن يزيد أبقتة عندها واتخذته لها ولداً لشجاعته وشرفه. ففارق حسان أفريقيا وكتب إلى عبد الملك أن يمدّه بالجيش، وأقام بعمل برقة<sup>(٧)</sup> خمس سنوات ينتظر ورود الإفادة.

وفي هذه المدة ملكت «دهيا» أفريقيا كلها وبعد الخمس سنوات سير عبد الملك إلى

- (١) أوراس: سلسلة جبال في شرق الجزائر تشرف على سهول قسنطينة.
- (٢) هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري، فاتح من كبار القادة في صدر الإسلام. هو باني مدينة القيروان. ولد سنة ١ ق.هـ/٦٢١ م على حياة النبي ﷺ ولا صحبة له. شهد فتح مصر، وهو ابن خالة عمرو بن العاص. وجَّه عمرو إلى إفريقيا سنة ٤٢ والياً، فافتتح كثيراً من تخوم السودان وكورها في طريقه. ولأه معاوية إفريقيا استقلالاً سنة ٥٠ هـ، قتل في إحدى المعارك سنة ٦٣ هـ/٦٨٣ م.
- (٣) كَسَيْلَة: زعيم بربري قاوم الفتح العربي. قتله زهير بن قيس سنة ٦٨٦ هـ.
- (٤) هو حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الغساني، من أولاد ملوك غسان، قائد من رجال السياسة والحرب. من المشهورين في الفتوحات الإسلامية. كان يلقب بالشيخ الأمين. ولي إفريقيا في زمن معاوية. كانت له وقائع كثيرة في إفريقيا ضد الملكة دهينا الكاهنة البربرية في قابس وجبال الأوراس. دانت له إفريقيا كلها. توفي غازياً أرض الروم سنة ٨٦ هـ/٧٠٥ م.
- (٥) القيروان: معرب هو بالفارسية كاروان. مدينة عظيمة بإفريقيا، ليس بالغرب مدينة أجل منها إلى أن قدمت العرب إفريقيا، هي مدينة مُصْرَت في الإسلام في أيام معاوية. معجم البلدان، ج ٤/ص ٤٧٦.
- (٦) قرطجنة: أو قرطاجة هي مدينة فينيقية قديمة في إفريقيا الشمالية أسستها اليسار، أو ديدون أخت بنغالين ملك صور نحو ٨٢٥ ق.م. أصبحت إمبراطورية قوية نازعت روما في الحروب الفونية. أطلالها بضاحية تونس.
- (٧) برقة: شبه جزيرة في ليبيا شرقي خليج سرت. في شمالها هضبة الجبل الأخضر. من مدنها بنغازي.

حسان الجنود والأموال، وأمره أن يناجز «دهيا» الكاهنة، فأرسل حسان رسولاً سراً إلى خالد بن يزيد، فكتب إليه خالد يعرفه تفرق البربر بظلم الكاهنة ويأمره بالسرعة فسار حسان وعلمت الكاهنة فقالت: إن العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن إنما نريد المزارع والمراعي ولا أرى إلا أن أخرج أفريقيا حتى يأسوا منها، ثم فرقت أصحابها فحربوا البلاد وهدموا الحصون ونهبوا الأموال فلما قرب حسان من البلاد لقيه جم من أهلها من الروم يشكون إليه ظلم الكاهنة فسار إلى «فانيس» فلقية أهلها بالأموال والطاعة، فجعل فيها عاملاً، فسار إلى قعصة فأطاعه من بها، واستولى عليها وعلى «قسطيلة» ونفذ أمره وبلغ الكاهنة قدومه، فأحضرت ولديها وخالد بن يزيد وقالت لهم: إني مقتولة هذه المرة فامضوا إلى حسان وخذوا لأنفسكم منه أماناً. فساروا إليه وبقوا معه، وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم البربر وقتلوا قتلاً ذريعاً، وأدركت الكاهنة فقتلت، ثم استأمن البربر إلى حسان فأمنهم وشرط عليهم أن يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر ألفاً فأجابوا فجعل على هذا العسكر أحد ابني الكاهنة المذكورين.

### ديدون<sup>(١)</sup> ابنة الملك بقلوس

هي ملكة «سورو»<sup>(٢)</sup> زوجة «سيته» كاهن «هركليس» الذي كان أغنى الفينيقيين على بكرة أبيهم وأجملهم خلقاً وخلقاً ثار أخوها «بكالون» بزوجها فقتله طمعاً في اسنلاب كنوزها فجزعت عليه «ديدون» جزعاً عظيماً، ولم تطق بعده المكث في صور ففرت مع أخيها «برياس» وقوم ممن تغيروا على أخيها زاعمة أن زوجها المقتول قد أمرها بالرويا أن تبارح صور وكانت قد نقلت خفية إلى محل اسمه «كرنا» واقع بين صور وصيدا قسماً جليلاً من أمتعتها وترونها فركبت من هناك سائرة إلى شمال فينيقية فعاجت بسيرها لجزيرة قبرص، وكان يده عيب، فأتت على الشاطي، ربرياً من أجمل بنات الجزيرة مجتمعات هناك لله والريح، فاحتفظت بحالها منهن وأقلعوا حتى إذا بلغوا سواحل «زوجيت» تجده جزيرة صقلية، فمأذنت لديدون أن تهب «برياس» في بناء قلعة فأذن لها على شريطة أن تبادل له خراج قبرص في وقت الحاجة إليها ومعناه حصن باللغة الفينيقية فحرفه اليونان في لغتهم فسماه «ديدون» من جزيرة قبرص.

(١) ديدون: أو اليسا (Didon)، ملكة صور الأسطورية وشقيقة بعلشامون هجرت إليها بعد موت زوجها بيل شقيقها واستقرت في شمالي إفريقيا، وأسست قوماً بعد ٨١٤ ق م. وقد وردت في الأدب القديم «برياس» نزل عندها في هربه فهامت به، لكن حبيبته أمره بتخليها إلى إيطاليا، فاستقرت بقلعة «برياس» وألقت بنفسها فوق محرقة.

(٢) سورو: هي صور ولعل هذه التسمية فينيقية.

ثم اشترت من ملك موريطانيا أرضاً أنشأت فيها مدينة قرطاجنة الأفريقية، وذلك سنة ٨٦٠ قبل المسيح وكان «أيارياس» قد شغف بها حباً فخطبها<sup>(١)</sup> من نفسها ولما لم تسعها مخالفته حرصاً على حياة قومها، وكانت مرتبطة مع زوجها المقتول بقسم أن لا تستبدله بآخر، طلبت مهلة ثلاثة أشهر لكي تستعدّ للزفاف عليه فلباها، ولكنها في نهاية المدة المذكورة علت رابية هناك وطعنت نفسها بخنجر فماتت. فكانت سيرتها موضوعاً جميلاً لكتبة الإفرنج يبنون عليها رواياتهم المفجعة وقد عثر المتأخرون على تمثال لـ «ديدون» منحوت بيد «كيرين» الشهير. قيل: إنه محفوظ الآن بدار الآثار في لندن.

(١) وهناك رواية أخرى ذكرها فرجيل في الإنيادة مفادها: أن إيناس أو أيارياس نزل عندها في هربه فهامت به، لكن جوبيتر أمره بتركها إلى إيطاليا، فانتحرت بطعنة خنجر وألقت بنفسها فوق محرقة.

## حرف الذال

### ذات الخال

هي في الأصل لقرين مولى العباسة بنت المهدي<sup>(١)</sup> ويكنى بأبي الخطاب وكان يعشقها إبراهيم الموصلي وله فيها أشعار كثيرة منها قوله:

ما بال شمس أبي الخطاب قد حجبت يا صاحبي لعل الساعة اقتربت  
أولا فما بال ريح كنت أنسها عادت عليّ بصر بعد ما جنبت  
إليك أشكو أبا الخطاب جارية غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت  
وأنت قيمها فانظر لعاشقها يا ليتها قربت مني وما بعدت

وما زال يقول فيها الشعر ويغني فيه حتى شهرها بشعره وغنائه وبلغ الرشيد خبره فاشتراها بسبعين ألف درهم.

ودعت الرشيد يوماً فوعدها أن يصير إليها وخرج يريد لها فاعترضته جارية أخرى، فسأته أن يدخل إليها فدخل وأقام عندها، فشق ذلك على «ذات الخال» وقالت: والله لأضربن له شيد أعيظه به، وكانت من أحسن النساء وجهاً، ولها خال على خدها فقتطعته وبلغ ذلك الرشيد فشق عليه وبلغ منه فخرج من موضعه وقال للفضل بن الربيع<sup>(٢)</sup>: انظر من بالباب من الشعراء؟

- (١) هي غلّة بنت المهدي بن المنصور من بني العباس ولدت سنة ١٦٠ هـ / ١٧٧ م. أخت هارون الرشيد، العباسية، أديبة شاعرة، تحسن صناعة الغناء، من أجمل النساء وأظفهن وأكهنهن فصلاً، عظاماً وصيانة. كان أخوها إبراهيم بن المهدي يأخذ الغناء عنها، وكان في جنبها تسريح الشعر والوجه فاتخذت عصاة مكللة بالجواهر لتستر جبينها، وهي أول من اتخذها، مات سنة ٢٠٠ هـ / ٨٢٥ م.
- (٢) هو الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس، وزير وأديب حاكم، من آل أبي العباس، العباسيين استحجبه المنصور لما ولي أباه الوزارة، فلما زال الأمر إلى الرشيد، سنة ٢٠٠ هـ، استعمله في كبر خاصومهم، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة قال صاحب العيون: كانت كفتهم على يدي ولي الوزارة بعد ذلك إلى أن مات الرشيد، استخلف الأمين فاستأزده، فعزل على مقدمة الخوارج، توفي بطوس سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٤ م.

فقال: رأيت الآن الأحنف<sup>(١)</sup>. فقال: أدخله. فعرفه الرشيد الخبر، وقال: اعمل في هذا شيئاً على معنى رسمه له، فقال:

تخلصت ممن لم يكن ذا حفيظة      وملت إلى من لا يغيره حال  
فإن يك قطع الخال لما تعطفت      على غيرها نفسي فقد ظلم الخال

فنهض الرشيد إلى «ذات الخال» مسرعاً مسترضياً وجعل لها هذين البيتين سبباً وأمر للعباس بألفي دينار وأمر إبراهيم الموصلي فغناه في هذا الشعر.

وغضب الرشيد عليها يوماً وقال في مجلسه: أيكم يأخذ «ذات الخال» حتى أهبها له فبكر حمويه الوصيف فقال: أنا يا أمير المؤمنين فوهبها له، فقال إبراهيم:

أتحسب ذات الخال راجية ربا      وقد سلبت قلباً يهيم بها حبا  
وما عذرها نفسي فداها ولم تدع      على أعظمي لحماً ولم تبقي لباً

ثم اشتاقها بعد ذلك الرشيد فقال لحمويه: ويلك يا حمويه، وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناها وحدك قال: يا أمير المؤمنين، مر فيها بأمرك. قال: نحن عندك غداً فمضى فاستعدّ لذلك واستأجر لها من بعض الجوهر بين زينة وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار، فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها، فلما رآه أنكره فقال: ويلك يا حمويه من أين لك هذا وما وليتك عملاً تكسب فيه مثله، ولا وصل إليك مني هذا القدر؟ فصدقه عن أمره فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرت واشترى الجوهر منهم ووهبه لها، ثم حلف أن لا تسأله في يومه ذلك حاجة إلا قضاها فسألته أن يولي حمويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين، ففعل ذلك، وكتب له عهده به وشرط على ولي عهده أن يتمها له إن لم تتم في حياته ومضوا يومهم في أحسن ما يكون، ومن قول إبراهيم فيها:

أبد لذات الخال يا ثعلب      قول امرئ في الحب لا يكذب  
إني أقول الحق فاستيقني      كل امرئ في حبه يلعب  
وقال فيها أيضاً:

جزى الله خيراً من كلفت بحبه      وليس به إلا المموه من حبي  
وقالوا قلوب العاشقين رقيقة      فما بال ذات الخال قاسية القلب  
وقالوا لها هذا محبك معرضاً      فقالت أرى إعراضه أيسر الخطب

(١) هو العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي، أبو الفضل، شاعر غزل رقيق، نشأ في بغداد، وتوفي بها سنة ١٩٢ هـ/٨٠٨ م. خالف الشعراء في طريقتهم فلم يمدح، ولم يهج، بل كان شعره كله غزلاً وتشبيهاً. هو خال إبراهيم بن العباس الصولي.

فما هو إلا نظرة بتبسم فتشيب رجلاه ويسقط للجنب

وقال فيها أيضاً. ولكن فلنذكر السبب وهو أن إبراهيم الموصلي لعب الشطرنج يوماً مع ابن زيدان صاحب البرامكة فدخل عليهما إسحاق فقال أبوه: ما أفدت اليوم؟ فقال: أعظم فائدة، رجل سألني ما أفخم كلمة في الفم فقلت: لا إله إلا الله. فقال أبوه: إبراهيم أخطأت، هلا قلت دنيا وديناً فأخذ ابن زيدان الشاه فضرب به رأس إبراهيم وقال: يا زنديق، أتكفر بحضرتي فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضرباً شديداً فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى<sup>(١)</sup> وحدثه الخبر وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى، فركب إلى الفضل بن يحيى<sup>(٢)</sup> فاستجار به فاستوهبه الفضل من جعفر فوهبه له فانصرف وهو يقول:

إن لم يكن حب ذات الخال عناني إذا فحوّلت في مسك ابن زيدان  
فإن هذي يمين ما حلفت بها إلا على الصدق في سري وإعلاني

### ذبيّة بنت ثيبة<sup>(٣)</sup> الفهمية

كانت من أحسن نساء بني فهم<sup>(٤)</sup> حسباً وأعرفهن نسباً، وأكثرهن أدباً، وأبهاهن جمالاً، وألطفهن كمالاً، لها أشعار لطيفة ورثاء مقبول منها: قولها ترثي قومها كانوا قتلوا بصورة<sup>(٥)</sup> وهو مكان بأراضي مكة: <sup>(٦)</sup>

ألا إن يوم الشر يوم بصورة ويوم فناء الدمع لو كان فائب

- (١) هو جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل، وزير الرشيد العباسي، ولد سنة ١٥٠ هـ ٧٦١ م في بغداد ونشأ فيها. استوزره هارون الرشيد ملقباً إليه أئمة الملك كان يدعوه يحيى فلقبت به الدولة، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه إلى أن نقم الرشيد على البرمكة فقتله المشبهون، فقتلوا مقدمتهم، ثم أحرق جثته بعد سنة. كان ذلك في سنة ١١٧ هـ ١٠٣ م.
- (٢) هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، ولد سنة ١٤١ هـ ١٦٥ م، وزير الرشيد العباسي، ولد في الرضاع، كان من أجود الناس. استوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولّاه حرم سنة ١١١ هـ ١٠٣ م. فحسنت سيرته، وأقام إلى أن قتل الرشيد بأرض مكة سنة ١١١ هـ ١٠٣ م، فقتلوا مقدمتهم فقبض عليه وعلى أبيه يحيى وأخدهم معه إلى مكة فسجنهم، وفي سنة ١١٢ هـ ٧٢٨ م قتلوا جثته سنة ١٩٣ هـ/٨٠٨ م.
- (٣) ورد اسمها في معجم البلدان ج ٣ ص ٤٩٣، في الحديث من أسماء بنات بني فهم بن قيس بن كلاب وليس بنت «ثيبة».
- (٤) بنو فهم: بطن من بني بحر بن لحم من القحطانية، مسكنهم مع قومهم بني بحر بن لحم بن قيس بن كلاب الألفية، وإليهم نسب البلدة المعروفة بالفهميين.
- (٥) صورة: مكان في صدر «ياحلم» من أراضي مكة، ورد ذكره في أسماء بنات بني فهم في معجم البلدان ج ٣ ص ٤.
- (٦) معجم البلدان، ج ٣ ص ٤٩٣.



لعمري لقد أبكت فريم وأوجعوا      بجرعة بطن القيل من كان باكيا  
 قتلتم نجوماً لا يحول ضيفهم      ولا يذخرون اللحم أخضر ذاويا  
 عماد سمائي أصبحت قد تهدمت      فخري سمائي لا أرى لك بانيا

### ذؤابة امرأة رباح القيسي

كانت - رضي الله عنها - تقوم الليل كله وكانت إذا مضى الربع الأول تقول له: قم يا رباح  
 للصلاة، فلا يقوم، فتقوم ثم تأتيه وتقول له: قم يا رباح، فلم يقم، فتقوم الربع الآخر، ثم  
 تأتيه وتقول: قم يا رباح فلا يقوم، فتقوم الربع الآخر، إلى تمام الليل ثم تأتيه وتقول: قم يا  
 رباح، قد مضى عسكر الليل وأنت نائم فليت شعري من غرني بك يا رباح ما أنت إلا جبار  
 عنيد.

وكانت تأخذ تبنه من الأرض وتقول: والله للدنيا أهون عليّ من هذه وكانت إذا صلت  
 العشاء تطيبت ولبست ثيابها ثم تقول لزوجها: ألك حاجة فإن قال لا نزع ثياب زينتها  
 وصلت إلى الفجر - رضي الله عنها.

## حرف الراء

### راحاب الإسرائيلية

امرأة مشهورة من «أريحاء»<sup>(١)</sup> قبلت في بيتها الجاسوسين اللذين أرسلهما «يشوع»<sup>(٢)</sup> ليجسًا الأرض وأخبأتهما عن أبناء بلدتها وأنقذتهما بحيلة كما هو مذكور في «الإصحاح الثاني من سفر يشوع»<sup>(٣)</sup> غير مطيعة لأمر الملك فكوفئت على ذلك بإنقاذها هي وكل عائلتها عندما فتح الإسرائيليون المدينة، ومن الاتفاق أن بيتها كان مبنياً على السور فأمرها الجاسوسان أن تربط خيطاً من القرمز بالطاق فيكون علامة لهم على بيتها ثم صارت فيما بعد زوجة نسلمون وجدة للمسيح وقصتها مع الجاسوسين إلى غير ذلك من أخبارها مذكورة في «الإصحاح الثاني والسادس من سفر يشوع»<sup>(٤)</sup>. وذكرت أيضاً في «إنجيل متى»<sup>(٥)</sup> والرسالة إلى العبرانيين<sup>(٦)</sup> ورسالة يعقوب الرسول<sup>(٧)</sup>.

### راحيل ابنة لابان

هي زوجة يعقوب وأم يوسف وبنيامين قصتها وردت في «الإصحاح تسعة وعشرين»<sup>(٨)</sup> إلى «الإصحاح ثلاثة وثلاثين»<sup>(٩)</sup>. وفي «الإصحاح خمسة وثلاثين من سفر

- (١) أريحاء: هي أريحا من أعمال فلسطين.
- (٢) يشوع: هو يشوع بن نون من سبط إفرائيم. خادم موسى وخلفه. أدخل العبرانيين إلى فلسطين.
- (٣) يراجع الإنجيل العهد القديم.
- (٤) يراجع الإنجيل العهد القديم.
- (٥) يراجع الإنجيل العهد الجديد إنجيل متى.
- (٦) يراجع الإنجيل العهد الجديد الرسالة إلى العبرانيين.
- (٧) يعقوب: هو يعقوب بن إسحاق وأخو عيسو. والد يوسف «الذي» وراحمة الذين نسب إليهم اليهود.
- (٨) إسرائيل الاثنا عشر.
- (٩) يراجع الإنجيل العهد القديم.

التكوين»<sup>(١)</sup>. وما جرى بينها وبين يعقوب هو من الأمور التي تلذ مطالعتها، فإن جمالها والحب الشديد الذي كان ليعقوب نحوها من حين التقيا أولاً على بئر «حاران» حين قابلها على عادة أهل البادية وأخبرها بأنه ابن رقيقة<sup>(٢)</sup> والخدمة المستطيلة التي خدم بها إياها بصبر حتى كانت السبع سنين عنده كأنها أيام قليلة صبا بها واتخاذها إياها زوجة أخيراً عوض أختها «لبته» وموتها عند ولادتها ابناً ثانياً كل ذلك مما يزيد قصتها اعتباراً ولذة.

ولما توفيت دفنت على طريق «أفراة» - أي بيت لحم<sup>(٣)</sup> - وأقام يعقوب نصباً على قبرها وهو أول نصب على قبر مذكور في التاريخ لأن أهالي تلك الأزمان كانت عاداتهم إلى ذلك الوقت أن يتخذوا المقابر مدافن لهم وكان موقع قبرها معروفاً في أيام «صموئيل»<sup>(٤)</sup> و«شاول»<sup>(٥)</sup> كما يستفاد من العدد الثاني من «الإصحاح العاشر من سفر صموئيل الأول»<sup>(٦)</sup> وقد وصفها «إرميا»<sup>(٧)</sup> النبي بعبارات مؤثرة جداً: «راحيل» المدفونة تبكي على فقد بنيتها وذلك لأن جماهير المسيبين الذين سيقوا إلى بابل<sup>(٨)</sup> اجتازوا بالقرب من قبرها.

وقد أشار إلى ذلك «متى الإنجيلي»<sup>(٩)</sup> عند قتل «هيروس» الأطفال في بيت لحم. وأما موقع الرامة الوارد ذكرها هناك فهو من المسائل الواقعة تحت البحث عند جغرافي فلسطين ولكن موقع قبر «راحيل» على طريق بيت لحم بعيداً قليلاً عن «أفراة» في تخم بنيامين لم يقع فيه اختلاف وهو على بعد نحو ميلين إلى الجنوب من أورشليم ونحو ميل إلى الشمال من بيت لحم، وهو من الأماكن التي يزورها اليهود والمسلمون والمسيحيون تبركاً به وزاره السائح

(١) يراجع الإنجيل العهد القديم.

(٢) رقيقة: زوجة إسحاق وأم عيسو ويعقوب.

(٣) أفراة: بيت لحم، مدينة في فلسطين جنوبي القدس، مهد المسيح.

(٤) صموئيل: أو صموئيل هو آخر قضاة بني إسرائيل من سبط شمعون. مسح الملكين شاول وداود.

(٥) شاول: لعله بولس الرسول.

(٦) يراجع الإنجيل العهد القديم.

(٧) إرميا: أحد كبار أنبياء إسرائيل الأربعة ٦٥٠ - ٥٨٥ ق.م. تنبأ بسقوط أورشليم، ينسب إليه كتاب: مراثي إرميا.

(٨) بابل: أكبر وأشهر مدن الشرق القديم، أنقاضها على الفرات شرقي بغداد قرب الحلة. اشتهرت فيها الدولة البابلية الأولى نحو الألف الثاني قبل الميلاد. حلت محل سومر وأكد وبلغت عصرها الذهبي مع المشتري الكبير حمورابي ١٧١١ - ١٦٦٩ ق.م. ثم تغلب عليها الحثيون والآشوريون. ظهرت فيها الدولة البابلية الثانية ٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م. أشهر ملوكها نبوخذ نصر الثاني. دمرها سنحاريب الآشوري سنة ٦٨٩ ق.م. أعاد بناءها أسرحدون. احتلها قورش ملك الفرس سنة ٥٣٩ ق.م. والإسكندر سنة ٣٣١ ق.م. وفيها توفي، من آثارها باب عشتار وبلاط نبوخذنصر الثاني، والطريق الملوكي.

(٩) متى الإنجيلي: من تلاميذ المسيح، حل محل يهوذا الإسخريوطي.

«متدريل» سنة ١٦٩٧ [م]، ووصفه الدكتور «روبنصن» وصفاً يتضمن ملخصه ما وصفه به السائحون الشرقيون قال: هو مزار إسلامي، أو مدفن شخص مقدس، حقير، مربع، مبني بالحجارة وله قبة وداخله قبر أشبه بقبور المسلمين المألوفة، وكله مطين بالطين من خارج، ومنظر البناء لا يدل على أنه قديم.

وفي القرن السابع لم يكن هناك إلا شبه هرم من الحجارة، وأما الآن فهو مهمل وأخذ في السقوط على أن السائحين من اليهود لا يزالون يزورونه وجدرانهم مغطاة بأسماء من عدة لغات وكثير منها عبراني، واتفق العموم على أن ذلك المقام هو قبر «راجيل» لا سبيل إلى الاعتراض عليه لأن ما ورد في الكتاب المقدس يعضده من كل وجه. وقد ذكره أيضاً كثيرون من السائحين منذ سنة ٣٣٣ للميلاد وذلك «ايروتموس» وغيره في ذلك العصر.

### رادغنده ابنة برنير ملك تورته

ملكة فرنسوية، ولدت سنة ٥٢١ [م]، فلما قام أخوها «هرمنفرو» على أبيه وقتله واختار الملك، نهض عليه «سيرى» و«كلوتير الأول» ملك فرنسا وسلباه الملك، واقتسماه بينهما. فوعدت «رادغنده» في حصه «كلوتير» وكانت قد تربت على الوثنية وكان عمرها حينئذ عشر سنوات فأدخلها «كلوتير» في المذهب المسيحي حتى إذا تهذبت وترعرعت تزوجها سنة ٥٣٨ [م]، وألبست تاج الملك في «سواسون» وكان لها ميل شديد إلى العيشة الرهبانية، فمضت ست سنوات حتى استأذنت الملك في الاعتزال إلى بعض الأديرة فسمح لها ولم يكن له ولد وأقطعها أرضاً تعيش فيها إذا أرادت فأتت أولاً إلى «بواتيه»، ثم انتقلت سنة ٥٤٤ [م] قاطعها فاشتهرت في «أكوتيانيا» بفضيلتها وتقواها حتى تقاطر إليها الناس وأشهر الأساقفة.

وفي سنة ٥٥٩ [م] أنشأت ديراً في «بواتيه» على اسم الصليب وذلك لأن الإمبراطور «بوتينوس» كان قد أهدى إليها هدية من جملتها قطعة من خشبة الصليب ثم بنت كنيسة على اسم العذراء وأقامت تمارس الفضائل وأعمال القداسة والتقشف والزهد إلى أن توفيت في ١٣ آب (أغسطس) سنة ٥٨٧ [م] ودفنت تحت الخورس في الكنيسة التي بنيت لها. فعل عجائب كثيرة ونقلت جثتها إلى «ديجون» عند اتساح العرب «ألمانيا» في القرن الثامن، ثم أعيدت إلى «بواتيه» بعد مدة طويلة.

وقيل: لما فتح قبرها سنة ١٤١٢ [م] كان جسدها بغيره لم يبق شيء هناك سوى سنة ١٥٦٢ [م] ثم تلاشى وتفرقت أجزاءه في الحروب الدينية. ولها عيد في ١٣ آب المذكور. وكتب كثيرون من الآباء سيرتها، ونظموا على اسمها قطعاً كثيرة للتراتيل، وحفظت

من خط يدها رسالة بعثت بها قبل موتها بقليل إلى كل أساقفة فرنسا عنوانها وصية «رادغنده».

### رادكليف<sup>(١)</sup> مؤلفة إنكليزية

ولدت في لندن سنة ١٧٦٤ [م]، وتوفيت سنة ١٨٢٣ [م]. وتزوجت رجلاً من «أكسفرد» صاحب جريدة، واشتغلت في تصنيف قصص على طرز جديد فاشتهرت في وقت قليل بحذقها في الإنشاء وحسن أساليبها وكان مدار مواضيع هذه القصص بث انفعالات شديدة في النفس كالرعب والهول وغوامض الأسرار والأمور العجيبة فالذي يقرأها يتوهم نفسه محاطاً بالخيالات والأشباح الوهمية والأرواح الجهنمية أو السماوية، ثم يظهر سرها وينكشف أمرها في آخر القصة فتنتطبق على أسباب طبيعية.

وقيل: إنها هي نفسها كانت تتخيل مثل هذه الخيالات المطبوعة في مخيلتها أفضى بها الأمر إلى اختلال عقلها في أواخر حياتها، ولما شاعت قصصها وتطلبها الناس برغبة صار بعض الكتبة ينشر قصصه تحت اسمها من قلمه، وإذ لم تر هذه القصص المزورة لاثقة بها انقطعت عن التصنيف ولم تكتب منذ ظهورها شيئاً ويقال: إن القصة التي عنوانها «أسرار أودلف» اشتراها منها صاحب المطبعة بمبلغ ٢٥ ألف فرنك وترجمت كل قصصها إلى الفرنسية.

### راعوث امرأة موآبيه

كانت أولاً زوجة لـ «محلون» وبعد وفاته تزوجت بـ «بوعز» فولد له منها «عوبيد»<sup>(٢)</sup> جدّ داود النبي. وهي واحدة النساء الأربع اللواتي ذكرهن القديس متى في سلسلة «ميلاد المسيح»<sup>(٣)</sup> والثلاث الأخر هن «ثاماء» و«راجاب» وزوجة «أوريا» وما جرى لـ «راعوث»<sup>(٤)</sup> مذكور بطريقة لطيفة في السفر المنسوب إليها وملخصه: أنه حدث جوع شديد في أرض «يهودا»<sup>(٥)</sup> ربما نشأ من حلول الموآبيين<sup>(٦)</sup> تلك الأرض في أيام «عجلون»<sup>(٧)</sup> فألجى أليملك

(١) رادكليف: هي آن ورد رادكليف (Radcliffe) أديبة إنكليزية ولدت سنة ١٧٦٤ م. لها روايات رعب مشهورة، منها: أسرار أودلف. توفيت سنة ١٨٢٣ م.

(٢) عوبيد: أو عوبديا، أحد أنبياء بني إسرائيل في القرن الخامس قبل الميلاد. له نبوءة.

(٣) لوقا (٢: ١ - ٧).

(٤) راعوث: أو راعوت وهي امرأة موآبية، تزوجت بوعز فولدت له عوبيد جدّ داود الملك، يحمل اسمها أحد أسفار العهد القديم.

(٥) يهوذا: هو يهوذا بن يعقوب إليه ينسب أحد أسباط إسرائيل، ومملكة يهوذا.

(٦) الموآبيون: هم أبناء مؤاب بن لوط، وجدّ الموآبيين. كانت عاصمتهم ربّة مؤاب شرقي البحر الميت.

(٧) عجلون: مدينة أردنية فيها أطلال أتوبية.

من أهالي بيت لحم «أفراثة» أن يهاجر إلى أرض مداب هو وزوجته نعى وابناه «محلون» و«كلبون» وبعد مضي عشر سنين ترملت نعى ومات ولداها وسمعت أنه قد زالت المجاعة من أرض «يهوذا» فرجعت «راعوث» وكتتها معها لأنها كانت تحبها جداً وتحب ديانتها فوصلت إلى بيت لحم في أيام حصاد الشعير فذهبت «راعوث» لتلتقط شعيراً للقيام بأمر حماتها واتفق أنها أتت حقل «بوعز» وكان رجلاً غنياً وقريباً لحميها أيملك وكان القوم قد بلغهم ما كان من صنيعها مع حماتها وأمانتها لها وتفضيلها لأرض بعلها على وطنها فأحسن «بوعز» معاملتها وأعطاهما ما التقطته ثم اتخذها له زوجة فرزق منها أولاداً كان من سلالتهم المسيح وإذا كانت «راعوث» جدة نبي الله داود يستنتج أنها كانت في أواخر حبرية «عالي»<sup>(١)</sup> أو أول حبرية «صموئيل» ومن أراد تفاصيل قصتها فليراجعها في سفر راعوث<sup>(٢)</sup>.

### راحيل الممثلة الشهيرة

ولدت هذه الشهيرة في الرابع والعشرين من شهر [مارس]<sup>(٣)</sup> سنة ١٨٢١ [د] في قرية منف من أعمال سويسرا وكان أبوها يهودياً يحمل البضاعة ويطوف بها على البيوت وكان اسمها في الصغر «أليا» ثم دعيت «راحيل» بعد أن صارت مشخصة وكان لها أخ وأربع أخوات صاروا جميعهم مشخصين.

وانتقلت هذه العائلة من «سويسرا» إلى «جرمانيا»، ثم جاءت فرنسا فستوطنت أولاً بهون، ثم انتقلت إلى باريس وكانت «راحيل» وأختها «سارة» تغنيان في قهناوي واللازمة، وكان الناس يتصدقون عليهما واتفق يوماً أن رأهما أحد المحسنين فعجب بهما وبلا حصل بـ«راحيل» وسألها قائلاً من علمك الغناء؟ فأجابته: قد تعلمته بنفسني. فقال لها: هل سمعت هذه الأغنية؟ فأجابت: قد سمعتها وأنا في الشوارع أمام الشبايك، فحفظت منها ما أمكن حفظه فأعطاها بعض الثياب وصرفها ومن ذلك الوقت لم تعد تظهر في الشوارع.

وظهرت «راحيل» أول مرة في المسرح الفرنسي في ١٢ يونيو سنة ١٨٣١ [د]، ولم يكن في المسرح سوى أربعة أو خمسة أشخاص على الكراسي وبعض اليهود في الخيول التياترو، وهؤلاء كانوا قد أتوا لسمعوا ابنة ملتهم، وقد صفت لداها «أليا» تلك الليلة بقوله: ذهبت ذات يوم مساء للتنزه وكان الوقت حراً فبلا شأن أجد الصيف عندنا فوجدت

(١) عالي: قاضي إسرائيل. مات، وولديه في يوم واحد.

(٢) يراجع الإنجيل العهد القديم.

(٣) وردت في الأصل «مارت»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

المرسح الفرنسي وإذا في محل التمثيل فتاة جديدة، وقد رأيت على وجه هذه الفتاة ملامح الحذق والذكاء حتى إن كل لفظة منها كانت تأتي بمعنى جديد إلى أن قال: وما أخال أحداً من القراء يجهل هذه الفتاة التي ملأ ذكرها الأسماع - ألا وهي «راحيل» الممثلة الشهيرة - ولم يأت آخر (أغوستوس) من تلك السنة حتى ملأ صيتها باريس، وأطنب بمدحها كثيرون من أرباب الأقلام، من جملتهم «جولجانن» الشهير.

وفي مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر توجت ملكة التمثيل وأشغلت الناس عن سواها من ممثلات تلك الأيام واعتبرها الشعب الفرنسي غاية الاعتبار، فكانت واسطة عقد جمعياتهم وزهرتها، وكانت الدعوات تأتي إليها من كل صوب حتى إنها كتبت إلى أحد أصدقائها تقول: لا يمكن للإنسان أن يأخذ حرته في معيشته إذا كان ممثلاً مشهوراً لدى الشعب الفرنسي وكانت الوزراء تتردد على التياترو لسماعها والملك «لويس فيليب»<sup>(١)</sup> أتى التياترو مرات عديدة إكراماً لها وذلك خلاف عاداته ولم ينسها النجاح أهلها بل كانت تودهم كثيراً، وكتاباتهما لهم مملوءة من المحبة والحنو، وكانت تود أصحابها القدماء كثيراً، وبلغها ذات يوم وفاة أحدهم فأرسلت إلى عائلته مبلغاً هائلاً من المال.

وقد أحييت بتمثيلها العوائد والمناظر الرومانية واليونانية التي كان قد مضى عليها مدة طويلة في زوايا النسيان، وقد وصفها «إسكندر دوماس» الراوي الشهير بأنها ذات سلطان قوي على عقول السامعين، فتؤثر فيهم حركاتها ونظراتها وهجوتها المشجى حتى كانوا يملون من الفترة بين الفصول. وذهبت «راحيل» سنة ١٨٤٠ [م] إلى إنكلترا فأطنبت الجرائد بمدحها منها جريدة «التيمس» التي قالت: «إن تأثيرها في العقول ابتدأ من أول عبارة لفظتها».

وذكر أحد الذين حضروا هناك أنها كانت تظهر أمامهم بجميع المظاهر وتبين لهم القلب البشري بكل أوصافه فكانت تظهر تارة بزى القتلة، فتبدو على وجهها علامات الغضب والشر حتى لا يشك الناظر أنها قاتلة ثم تمثل دوراً لطيفاً فتغلب عليها طبيعة النساء وتظهر من الرقة واللفظ ما يخلب الألباب، وهكذا كانت تتلاعب بالحاضرين كأنهم آلة في يدها، ومما يدل على ثباتها وعزمها ما أظهرته في تمثيل رواية «بايزيد» فإنها مثلتها أول مرة في ٢٣ (نوفمبر) سنة ١٨٣٨ [م]، ولم تنجح فعادت بالفشل. وفي اليوم الثاني نشرت الجرائد الخبر في المدينة

(١) لويس فيليب: الأول ولد سنة ١٧٧٣ م هو أحد ملوك فرنسا. حكم سنة ١٨٣٠ م وبقي حتى ١٨٤٨ م. قامت عليه ثورات عدة فقمعها. كان وزيره غيزو هو الحاكم الفعلي منذ سنة ١٨٤٠ م، عُرف بتشديده في رفض الإصلاحات الانتخابية. اعتزل بعد ثورة سنة ١٨٤٨ م. بقي في فرنسا إلى أن توفي سنة ١٨٥٠ م.

كلها وقام الانتقاد عليها من كل صقع وناد، ولما رأت ذلك سارت إلى صديقها «جانن» الذي مر ذكره لعلها تلتطف حكمه عليها ولو قليلاً فقابلها بلطف وبيّن لها غلطها ونصحها أن لا تقدم على تمثيل هذه الرواية مرة أخرى فقالت له: إني سأمثل هذه الرواية بعد رغماً عن كل أهل باريس ومثلتها، كما قالت، فنجحت النجاح التام حتى أذهلت الحاضرين، وكان «ألفردميس» من جملة المشهّرين لها فإنه كان يمدحها في الجرائد ويحث الناس على الأخذ بيدها وتنشيطها. حكى أنه صادفها ذات ليلة خارجة من التياترو الفرنساوي فدعته مع بعض الأصدقاء إلى العشاء قال:

لما وصلوا إلى البيت نظرت إلى يديها فرأت أنها نسيت أساورها وخواتمها في التياترو فأرسلت خادمتها تجيء بها إليها، ولما لم يكن في بيت أبيها غير هذه الخادمة قامت هي بنفسها وذهبت إلى المطبخ ثم عادت بعد ربع ساعة ووضعت أمامها صحناً من المرق وبعض اللحم المشوي وطلبت إلينا أن نأكل من الصحون الكبيرة إذ كانت الصحون الصغيرة في الخزانة، والمفتاح مع الخادمة، وكانت وهي على العشاء تحدثنا عن حالتها الأولى وما كان أبوها عليه من الفقر وكانت والدتها وأخواتها ينظرون إليها شزراً ويشيرون إليها بأن تسكت. أما هي فأجابتهم: أنه لا عيب في الفقر بل إنها تفخر بأنها نشأت من حال كهذه ووصلت إلى ما وصلت إليه بجدها. وبعد العشاء ذهب [الأصدقاء]<sup>(١)</sup> وبقيت أنا وحدي فأخذت تقرأ لي أشعار «راسين» وقد رأيت أنها تفهمها جيداً، ودامت كذلك حتى مضى نصف الليل ورجع أبوها، فلما رآها انتهرها وأمرها بأن تنام حالاً فقامت والدموع ملء عينها وسمعتها تقول وهي ذاهبة: سأشتري قنديلاً وأضعه في غرفتي الخصوصية حتى لا يمنعني أحد من المطالعة، فذهبت متعجباً من اجتهادها وثباتها.

وذكر في موضع آخر أنه تغدى عندها ذات يوم وكان على الغداء عدة من الأصحاب فنظر أحدهم إلى يدها وقال لها: ما أجمل خاتمك! فقالت له: إذا كان قد أعجبك فسأضعه تحت المزايدة فدفع أحد الحضور خمسمائة فرنك ودفع الآخر ألفاً، وهكذا حتى بلغ ثلاثة آلاف. التفتت إليّ وقالت لي: وأنت كم تدفع؟ فأجبته: إني أدفع محبتي فرمت بأخواتي إليّ فطبت مني إتمام وعدي بنظم دور كانت طلبته مني.

وذهبت «راحيل» إلى إنكلترا مرة ثانية سنة ١٨٥٥م | فشخصت في قصر الملكة فأنعمت عليها الملكة بسوار قد كتبت عليه بالألماس إلى «راحيل» من الملكة «فيجتهري» وأرسل إليها «دوق ولشون» رسالة يقول فيها: إني أرسل احتراماتي إلى المادامه ازل «راحيل»

(١) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام



وقد استأجرت «لوجن» في التياترو حتى أتمكن من حضور تمثيلها.

وذهبت سنة ١٨٥٥ [م] إلى أميركا ولكنها لم تنجح لأن الأميركيين لا يهتمون كثيراً بالروايات الفرنسية لأنهم لا يفهمونها واشتد عليها مرض الصدر في نيويورك فرجعت إلى فرنسا وأشار الأطباء عليها بالقدوم إلى مصر فأتت إليها ولكنها لم تستفد كثيراً لأنها شعرت بنفسها أنها وحيدة بعيدة عن أصدقائها حتى إنها كتبت إلى فرنسا تقول: «إني سأموت من الوحدة لا من فعل المرض، لأنني لا أرى حولي سوى خرائب الهياكل وأنقاض الأبنية ورجعت إلى فرنسا وزارات الملاعب التي كانت تمثل فيها، وتوفيت في الثالث من يناير سنة ١٨٥٨ [م] والإجماع على أنها ملكة زمام التمثيل فانقاد لها طوعاً ومع ما كانت من أمرها فقد أظهرت في عملها من الثبات والعزم رغماً عن ضيق ذات اليد ما تقصر عنه همم الرجال، وقد قالت مراراً عديدة: «إني اتخذت الصبر والثبات دستوراً بمعونة الله فوصلت إلى ما وصلت إليه».

### رابعة الشامية

هي زوجة أحمد بن أبي الحواري. كانت من العابدات الزاهدات، وكان فضلها لا يقدر، وكراماتها لا تنكر.

قال أحمد بن أبي الحواري: كانت رابعة لها أحوال شتى، فمرة يغلب عليها الحب، ومرة يغلب عليها الأنا، ومرة يغلب عليها الخوف، فسمعتها في حال الحب تقول:

حبيب ليس يعدله حبيب      وما لسواه في قلبي نصيبُ  
حبيب غاب عن بصري وشخصي      ولكن عن فؤادي ما يغيبُ

وسمعتها في حال الأنا تقول<sup>(١)</sup>:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي      وأبحت جسمي من أراد جلوسي  
فالجسم مني للجليس مؤانس      وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وسمعتها في الخوف تقول:

وزادي قليل ما أراه مبلغني      ألتزاد أبكي أم لطول مسافتي  
أتحرقني بالنار يا غاية المنى      فأين رجائي فيك أين مخافتي

قال: فقلت لها مرة - وقد قامت بليل - : ما رأينا من يقوم الليل كله غيرك. قالت:

(١) هذان البيتان لرابعة العدوية أوردهما لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب «عوارف المعارف». وقد أكد ذلك ابن خلكان في «وفيات الأعيان» حيث أثبتهما في ترجمتها عن السهروردي، ج ٢/ص ٢٣٩.

سبحان الله مثلك يتكلم بهذا! إنما أقوم إذا نوديت. قال: فجلست على المائدة في وقت قيامها، فجعلت تذكرني فقلت لها: دعينا نتهنا بطعامنا. فقالت: ليس أنا وأنت ممن ينغصر عليه الطعام عند ذكر الآخرة. وقالت: لست أحبك حب الأزواج إنما أحبك حب الإخوان. وقالت لزوجها: اذهب فتزوج. قال: فذهبت فتزوجت وكانت تطعمني الطعام وتقول: اذهب لأهلك، وكانت إذا طبخت قدراً قالت: كلها يا سيدي فإنها ما نضجت إلا بالتسبيح. وبقيت على عبادتها إلى أن توفاه الله.

### رابعة ابنة الشيخ أبي بكر النجاري

قال في كتاب «الجلء الغامض»: الست الفاضلة العارفة الكاملة زوجة السيد أحمد أم السيد صالح ست الفقراء رابعة كانت سليمة الصدر، نقية القلب، لها معرفة جاذبة وحزن دائم ولا تأخذها في الله لومة لائم كانت ذات سيرة جميلة وأوصاف حميدة سماها السيد أحمد: ست الفقراء وكنها أم الفقراء. ويقول: طاعتك على الفقراء واجبة، بكت بين يدي السيد أحمد مرة وقالت: كيف حالي بعدك أبقى أنا وحيدة ويغلق باب المسرة والابتهاج في وجهي فقال - رضي الله عنه -: أهل المملكة يحبونك، وقولك مسموع، والنعمة عليت باقية. فبنت ذ أهل البيت الأحمدي لها مدة حياتها، وكانت تقف على ضريح زوجها وتكلمه وتنتظر أجواب منه فيأتيها شبيه الحلم بالجواب، وما أكرم أحد بعد وفاة زوجها بالولاية إلا وهي كانت عارفة به سألت ربها في خلافة السيد محمد الموت فتوفيت ليلة الجمعة النصف العاشر من شهر شوال سنة ٦١٣ هـ [هـ] ودفنت في القبة المباركة.

### رابعة ابنة إسماعيل البصرية العدوية<sup>(١)</sup> مولاة ال عتيك

كانت - رضي الله عنها - كثيرة البكاء والحزن، وكانت إذا سمعت ذكر النار غشي عينها زماناً، وكانت تقول: استغفارنا يحتاج إلى استغفار وكانت ترمي ما أعطته الناس لها فقارها لي حاجة بالدنيا وكانت بعد أن بلغت ثمانين سنة كأنها الخلال الباني تكاد تنطق بالدين وكان كفنها لم يزل موضوعاً أمامها، وكان موضع سجودها كهينة الماء المسماة بـ «العدوية» وسمعت - رضي الله عنها - سفيان الثوري<sup>(٢)</sup> يقول: والحزنه فقالت: والله ما كنت

(١) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخليل، مولاة ال عتيك، البصرية، مسماة «العدوية» نسبة إلى عدوة من أهل البصرة، ومولدها بها لها أحمد، في العبادة والسنك، ولها شعير من تلامذتها «العدوية» نسبة إلى عدوة، وتكنون سياتكم». توفيت بالقدس سنة ١٣٥ هـ - ١٥٢ هـ.

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثعلبة بن مسعود، من قريظة، أم عبد الله بن سفيان، كان سجد أهل زمانه في علم الناس والفقه، وتوفيت سنة ١٩٨ هـ - ١٩٨ هـ.

حزيناً ما هناك العيش . ومناقبها كثيرة - رضي الله عنها - ومشهورة . وجاء في ترجمتها لابن خلكان<sup>(١)</sup> : أنها كانت من أعيان عصرها وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة ، وذكر أبو القاسم القشيري في الرسالة أنها كانت تقول في مناجاتها : «إلهي تحرق بالنار قلباً يحبك» . فهتف بها مرة هاتف ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا ظن السوء .

وقال بعضهم : كنت أهدي لرابعة العدوية فرأيتها في المنام تقول : هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور ، وكانت تقول : «ما ظهر من أعماله لا أعدّه شيئاً» . ومن وصاياها : «اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم» .

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب عوارف المعارف هذين البيتين :

إني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبختُ جسمي من أراد جلوسي  
فالجسم مني للجليلس مؤانس وحبیب قلبي في الفؤاد أنيسي

وكانت وفاتها في سنة ١٣٥ هـ [ذكره ابن الجوزي في «شذور العقود» . وقال غيره<sup>(٢)</sup> سنة ١٨٥ هـ] رحمها الله تعالى . وقبرها يزار وهو بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور . وذكر ابن الجوزي في كتاب «صفوة الصفوة» في ترجمة رابعة المذكورة بإسناد له متصل إلى عبدة بنت أبي شوال .

قال ابن الجوزي : وكانت من خيار إماء الله تعالى ، وكانت تخدم رابعة . قالت : كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول : إذا وثبت من مرقدها وهي فزعة : «يا نفس كم تنامين وإلى كم تنامين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور» .

وكان ذلك دأبها دهرها حتى ماتت ولما حضرته الوفاة دعته وقالت : «يا عبدة لا تؤذني بموتي أحداً وكفني في جبتي هذه» وهي جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون قالت : فكفنتها في تلك الجبة وفي خمار من صوف كانت تلبسه ثم رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة استبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه

= بالكوفة . راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم ، فأبى . خرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ ، فكنس مكة والمدينة . ثم طلبه المهدي ، فتوارى . انتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً . من كلامه : «ما حفظت شيئاً فنسيته» .

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ / ص ٢٣٨ .

(٢) في مجلة لغة العرب أن للسيدة مرغريت سميت الإنكليزية كتاباً عن رابعة العدوية رجحت فيه وفاتها سنة ١٨٥ هـ . وقالت : إنها عاشت وتوفيت ودفنت في البصرة .

فقلت: يا رابعة، ما فعلت بالجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: «إن الله نزعني عني وأبدلت به ما ترينه عليّ فطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة».

فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا. فقالت: «وما هذا عندما رأيت من كرامة الله عز وجل لأوليائه» فقلت لها: ما فعلت عبدة بنت أبي كلاب. فقالت: «هيهات هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلا» فقلت: وبمّ وقد كنت عند الناس أكبر منها. قالت: إنها لم تكن تبالي على أيّ حال أصبحت من الدنيا أو أمست فقلت لها: فما فعل أبو مالك - أعني ضيغماً؟ - قالت: «يُزور الله - عز وجل - متى شاء». قلت: فما فعل بشر بن منصور قالت: «بخ بخ، أعطي والله فوق ما كان يؤمل». قلت: فميرني بأمر أتقرب به من الله عز وجل؟ قالت: عليك بكثرة ذكره يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك رحمها الله تعالى.

وكان الحسن البصري<sup>(١)</sup> توفيت زوجته فأراد زوجة فقيل له عن رابعة العدوية فأرسل إليها يخطبها، فردته وقالت:

راحتي يا إختوتي في خلوتي	وحبيبي دائماً في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضاً	وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حسنه	فهو محرابي إليه قبلي
إن أمت وجداً وما ثم رضاً	وإعنائي في الورى واشتوتي
يا طيب القلب ياكل المنى	جد بوصل منك يشفي منهجتي
يا سروري يا حياتي دائماً	نشأتي منك وأيضا نشوتي
قد هجرت الخلق جمعاً أرتجي	منك وصلاً فهو أقصى مني

وكانت تقول مرة: «إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعا في جنتك بل حباً لك وقصد لقاء وجهك». وتنشد:

أحبك حين حب الهوى	وحباً لأنك أحب الهوى
فأما الذي هو حب الهوى	فشغلي بذالك من الهوى

(١) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان يومه أهل البصرة، وحدثه جماعة من الصحابة، وكان من كبار العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان الشناك. ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ - ٦٤٢ م. مات في سنة ٤٠ هـ - ٦٦٠ م. أبو طالب، استكتبه الربيع بن زياد والي حراسان في عهد معاوية بن أبي سفيان بالبصرة، فكتب عنه في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يحرف في الحق لومه لأن من لم يخطئه من الولاة ١١٠ هـ/٧٢٨ م.

وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراك  
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك

### رابعة بنت إسماعيل

كانت تقوم من أول الليل إلى آخره، وكانت تقول: «إذا عمل العبد بطاعة الله تعالى أطلعه الجبار على مساوئ عمله فيتشاغل بها دون خلقه». وكانت تصوم الدهر وتقول: «ما مثلي يفطر في الدنيا».

وكانت تقول لزوجها: «لست أحبك حب الأزواج وإنما أحبك حب الإخوان». وكانت تقول: «ما سمعت أذاناً قط إلا ذكرت منادي يوم القيامة، ورأيت أهل الجنة يذهبون ويجيئون وربما رأيت الحور العين يستترن مني بأكمامهن». ومناقبها كثيرة رضي الله عنها.

### الرباب بنت امرئ القيس (١)

ذكر في كتاب «نور الأبصار» ما ملخصه: إن الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن مرداس الكلبي، وكان نصرانياً فأسلم وجاء إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فدعا له برمح وعقد له على من أسلم بالشام من قضاة (٢) فتولى قبل أن يصلي صلاة، وما أمسى حتى خطب منه الحسين بنته الرباب فزوجه إياها فأولدها عيد الله وسكينة وكانت الرباب من خيار النساء وأفطنهن، وخطبت بعد قتل الحسين - رضي الله عنه - فقالت: ما كنت لاتخذ حملاً بعد رسول الله ﷺ. وبقيت بعده سنة لا يظلمها سقف بيت إلى أن ماتت رحمهما الله.

(١) هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المُرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يمني الأصل، مولده بنجد سنة ١٣٠ ق.هـ/٤٩٧ م. اشتهر بلقبه واختلف المؤرخون في اسمه فقيل: حُنْدَج، وقيل: مليكة، وقيل: عدي. كان أبوه ملك أسد وغطفان، أمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقال له وهو غلام. جعل يشب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى دمون بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب، فقال: رحم الله أبي! ضيعتني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سُكر غداً! اليوم خمر وغداً امرأ نهض من غده فلم يزل حتى ثار لأبيه من بني أسد. هرب من المنذر ملك العراق إلى السماأل، ثم قصد الحارث بن أبي شمر الغساني، والي بادية الشام، فسيره إلى ملك الروم يوستينيانس فولاه إمرة فلسطين. رحل إلى أنقرة فظهرت في جسمه قروح، فأقام إلى أن مات في أنقرة.

(٢) بنو قضاة: قبيلة من حمير من القحطانية، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم قضاة، وهم بنو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير.

## رصفة بنت آية

سرية أخذها «شاول» لنفسه من غير الإسرائيليين، فولدت له «أرموني» و«مغيبوشت» وهي من النساء المشهورات في العهد القديم مثل «راعوث» و«راجاب» و«إيزابلا».

والراجع على ما جاء في قاموس التوراة أنها كانت غريبة عن شعب إسرائيل يتصل نسبها [بإحدى]<sup>(١)</sup> العائلات الشريفة فإن «شاول» بأخذه لها وضع عادة جرى عليها ملوك بني إسرائيل من بعده إذ كانوا يتخذون لأنفسهم السراري من غير أبناء جنسهم، وحدث بعد وفاة «شاول» ونزول الفلسطينيين شرقي الأردن أن رصفة ذهبت مع رفيقاتها من عائلة الملك إلى مقرهن الجديد في «محتايم» فوق لها في هذا المكان حادث ذكر في التوراة، وهو أن «أشبوشت» اتهم «إيزيا» بالدخول على سرية أبيه فأنكر «إيزيا» ذلك. وأقام الحججة عليه، ثم أعقبت هذه التهمة حادثة أخرى وهي أن «إيزيا» قتل بخيانة «يوآب» وانتحر «أشبوشت» بعد ذلك.

والغالب على الظن بناء على ما يؤخذ من إنكار «إيزيا» ومدلول الواقعة أن التهمة المذكورة كانت محض زور وبهتان، ولم يذكر في التوراة شيء غير ذلك عن رصفة سوى ما ذكر.

وبالاختصار هو أن داود لما رغب إليه الشعب في اقتضاء حقه من عائلة «شاول» وذوي قرباه مقابل ما ناله بسببهم من ضربة الجوع قال لهم: مهما قلت لي أفعال. فقتلوا الذين الذين الذي أفتانا والذين أمروه علينا يبيدوننا لكيلا نقيم في كل تخوم إسرائيل، فلنقط سبعة رجال من بنيه فنطلبهم للرب في جوعه «شاول» مختار الرب فأخذ داود ابني رصفة ابنة آية اللذين ولدتهما لـ «الشاول» «أرموني» و«مغيبوشت» وبني «ميراب» بنت «شاول» الخمسة الذين ولدتهم بعد «ريئيل بن برلاري المحولي» وسلمهم إلى يد الجبونيين فصلبواهم على الجبل أمام الرب، فسقط السبعة معاً وقتلوا في أيام الحصاد في أولها في ابتداء حصاد الشعير، فأخذت رصفة مسحاً وفرشته لنفسها على الصخر من ابتداء الحصاد حتى انصب الماء عليهم من السماء، ولم تدع طيور السماء تنزل عليهم نهراً ولا حيوانات الحقل ليلا.

## رضية ملكة دهلي<sup>(٢)</sup> في بلاد الهند

ابنة السلطان شمس الدين كانت من أوفر نساء زمانها عقلاً وأحسنهن وجهاً، تعلمت

(١) وردت في الأصل «بأحد»، ولعل الصحيح ما أشبهه.

(٢) دهلي: أو دهلي (Delhi)، مدينة في شمال الهند على حوض غانج. عاصمة الهند من سنة ١٩١١ م - ١٩٣٠ م حتى بناء العاصمة الجديدة نيودلهي في مساحتها الحضرية. احتلتها المستعمرون في القرن الثاني عشر وجعلوها عاصمة سلطنة دهلي. دمرها المسلمون سنة ١٣٩١ م. أعيد بناؤها سنة ١٦٣٩ م واتخذها عاصمة لإميراطورية المغول.

فنون السياسة من صغرها، ولما بلغت حد الكمال ازدادت رونقاً، وبهاء وعقلاً.

ولما مات أبوها السلطان شمس الدين يلمش اجتمع الناس على أخيها ركن الدين وبايعوه بالملك فافتتح أمره بالتعدي على أخيه معز الدين فقتله، فأنكرت عليه شقيقته رضية ذلك فأراد قتلها وأحست بذلك، فلما كان بعض أيام الجُمع خرج ركن الدين إلى الصلاة فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم ولبست عليها ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح وقالت لهم: إن أخي قتل أخاه ظلماً وهو يريد قتلي معه.

وذكرتهم أيام أبيها وفعله الخير وإحسانه إليهم، فثاروا عند ذلك على السلطان ركن الدين، وهو في المسجد، فقبضوا عليه وأتوا به إليها فقالت لهم: القاتل يقتل، فقتلوه قصاصاً بأخيه. وكان أخوها ناصر الدين صغيراً فاتفق الناس على تولية رضية الملك، فولوها، واستقلت بالملك أربع سنين، ثم إنها اتهمت بعد لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعها وتزويجها. فخلعت وتزوجت من بعض أقاربها وولي الملك أخوها ناصر الدين.

### رفقة ابنة بتويل

هي أخت «لابان» وزوجة إسحاق وفي «الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين»<sup>(١)</sup> خبر ذهاب عبد إبراهيم بأمر سيده إلى أرام النهرين ليأخذ زوجة لابنه إسحاق وما جرى له مع رفقة، وهو واقف على عين الماء لما خرجت بنات المدينة يستقين ماء وقال: إن الفتاة التي أقول لها ناوليني جرتك لأشرب فتقول: اشرب وأنا أسقي جمالك أيضاً هي التي عينها الإله لعبده إسحاق، وإذ كان لم ينته كلامه خرجت رفقة التي ولدت لـ «بتويل» ابن ملكة امرأة نحور أخي إبراهيم وجرتها على كتفها، وكانت الفتاة حسنة المنظر جداً عذراء، فنزلت إلى العين وملاّت جرتها وطلعت، فركض العبد للقاءها وقال: اسقيني قليل ماء من جرتك. فقالت: اشرب يا سيدي وأسرع وأنزلت جرتها على يدها وسقته، ولما فرغت من سقيه، قالت: استق لي جمالك أيضاً حتى تفرغ من الشرب فأسرع وأفرغت جرتها في المسقاة وركضت أيضاً إلى البئر لتستقي فاستقت لكل جماله والرجل يتفرس فيها طامعاً ليعلم أنجح الله طريقه أم لا وحدث عندما فرغت الجمال من الشرب أن الرجل أخذ خزامة ذهب وزنها نصف شاقل، وأعطها إياها مع سوارين وزنهما عشرة شواقل ذهب.

وقال: بنت من أنت أخبريني، وهل عند أبيك مكان لنا لنبيت؟ فقالت له: أنا بنت

(١) يراجع الإنجيل العهد الجديد.

«بتوئيل» ابن ملكة وعندنا كل ما تشتهي من القرى فخر الرجل وسجد لله تعالى وقال: تبارك الله الذي لم يمنع لطفه وحقه عن سيدي إذ كنت أنا في الطريق هداني إلى بيت أخوة سيدي، فركضت الفتاة وأخبرت أبويها عن هذه الأمور، فجاء «لابان» أخوها إلى الرجل وهو واقف عند الجمال على العين فقال: ادخل يا مبارك لماذا تقف خارجاً وأنا قد هيأت البيت ومكاناً للجمال. فدخل الرجل البيت وحلّ عن الجمال، فأعطي تبناً وعلفاً للجمال، وماء لغسل رجليه، وأرجل الرجال الذين معه، ووضع أمامه الطعام ليأكل فقال: لا آكل حتى أتكلم كلامي. فقال: تكلم. فقال: أنا عبد إبراهيم وإن الله قد أكرم مولاي جداً، فصار عظيماً وأعطاه غنماً وبقراً وفضة وذهباً، وعبيداً وإماء، وجمالاً وحميراً، وولدت سارة امرأته ولد له أعطاه كل ماله واستحلفني سيدي بقوله لي: لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن في أرضهم بل تذهب إلى بيت أبي وعشيرتي وتأخذ منهم زوجة لولدي.

ثم قصّ عليهم ما جرى له مع رفقة عند العين، ثم قال: إني أحمد الله الذي هداني في طريق أمين لأخذ ابنة أخ سيدي لابنه والآن إن كنتم تصنعون معروفاً وأمانة مع سيدي فأعصوني ما طلبت وإلا فأصرف يميناً أو شمالاً فأجاب «لابان» و«بتوئيل» وقالوا: من عند الله خرج الأمر لا نقدر أن نكلمك بشر أو بخير، هذه رفقة أمامك خذها واذهب فلتكن زوجة لابن سيدك كما أمر الله فسجد العبد للأرض وأخرج فضة وذهباً وثياباً وأعطاهم لرفقة، وأعطى تحفاً لأخيها وأمها، وسألوها: هل تذهبين مع هذا الرجل؟ قالت: أذهب. فأخذها ومضى وسارت معها حاضنتها بعد أن ودعوا رفقة وقالوا لها: أنت بنتنا وأختنا مهما بعدت عنا.

وجاء في التوراة ما يستفاد منه أن إسحاق<sup>(١)</sup> أحب رفقة لأنها كانت جميلة وصنيعة طائعة لطيفة. ولما مضى عليها تسع عشرة سنة وهي عاقرة صلى إسحاق لله ودعاه لأجرتها فحسبت وكان في بطنها توأمان وأحبت رفقة يعقوب ولدها الثاني ولما صار إسحاق هرباً من مجدو إلى الأرض الفلسطينية بات محفوفاً بخطر من جمال زوجته رفقة، كما سمعت إسحاق يقول لعيصو بكرة: انتني بعز واصنع لي أطعمة لأكل وأدعوك قبل وفاتي فبعثت رفقة إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين من المعز فاصنعهما أطعمة لأبيك كما فعلت معي فبعتهم لي لأكل حتى يدعوك قبل وفاته، فقال: إن عيصو أشعر، وأن أماسي من بني حوثة يبيعون عبيدك إلى نفسي لعنة لا بركة. فقالت له: لعنتك علي يا ابني، فأجبتها فأبستته ثياب عيصو الفاحشة وأبست يديه وملاسه عنقه جلود جدي المعز فقال يعقوب بركة، فقامت أخيرات رفقة بأن عيصو توعد يعقوب بالقتل بعد وفاة أبيه لغيظه منه لأنه سبقه إلى بركة أبيه دعيت يعقوب إليها وأجابه

(١) إسحاق: هو إسحاق بن إبراهيم وسارة، والد يعقوب، وهو من آل إسرائيل.



بتوعد أخيه وقالت له: فالآن يا بني اسمع لقولي وقم اهرب إلى أخي «لابان» إلى «حاران» وأم «غنده» أياماً قليلة حتى يرتد سخط أخيك وينسى ما صنعت به، ثم أرسل فأخذك من هناك لئلا أعدمكما في يوم واحد وقالت لإسحاق: مللت حياتي من أجل بنات «حث» إن كان يعقوب يأخذ زوجته من «حث» مثل هؤلاء من بنات الأرض فلما زال حياه وسار برضا أبيه إلى «فزان أران» ولم تذكر رفقة عند عود يعقوب إلى أبيه ولا ذكر دفنها.

### رقية ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

ولدت له من أم حبيب الصهباء التغلبية كانت من سبي الذرية الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر فاشتراها علي - رضي الله عنه - واستحظى بها فأولدها عمراً ورقية المومى إليها، فعمره الأكبر شقيق رقية. وفي الفصول المهمة كانا توأمين وعمر عمرو هذا خمساً وثمانين سنة، وحاز نصف ميراث علي - رضي الله عنه - وذلك أن أخواته أشقاءه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف فورثهم.

وفي الباب العاشر من «المنن» للشعراني قال: وأخبرني الخواص أن رقية بنت الإمام علي - كرم الله وجهه - في المشهد الموجود بتكيتها المعروفة بتكية السيدة رقية بمصر. وهذه التكية في غاية الإتقان والخفة والنورانية وبداخلها ضريح السيدة رقية يعلوه قبة لطيفة الصنعة، وهناك مساكن للصوفية، وحنفيات للوضوء، وجنية هغيرة ويعمل لها مقراًة وحضرة كل أسبوع، ومولد كل سنة وشعائر هذه التكية مقامة من أوقاف السيدة رقية التي يبلغ مقدارها ثلاثة عشر ألف قرش وسبعمئة قرش وثمانية عشر قرشاً، واثنين وثلاثين باره بالعملة الأميرية المصرية.

### رقية بنت الفيف عبد السلام بن محمد مزرع المدينة

كانت عالمة عاملة، عاقلة كاملة، صادقة الرواية، حسنة الطوية. تعلمت العلم عن جملة من العلماء الأخيار وحدثت بالإجازة عن شيوخ مصر والشام كابن سيد الناس<sup>(١)</sup> من المصريين والمزي وغيره من الشاميين وأقامت في المدينة وفتحت درساً للحديث وانتفع بها أهل الحجاز وهي من مشاهير المحدثين بتلك الأصقاع ولم يوجد مثلها من نساء ذلك الزمان رحمهما الله رحمة واسعة.

(١) هو أبو الفتح محمد، ابن سيد الناس، المولود سنة ١٢٧٣ م، مؤرخ وحافظ، عاش في القاهرة. من تصانيفه: «عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير» في سيرة النبي ﷺ.

## [رقاش ابنة مالك بن فهم بن غنم بن أوس الأسدي]

رقاش ابنة مالك بن فهم بن غنم بن أوس الأسدي وقيل التنوخي أخت جذيمة الأبرش . كانت من أبداع نساء زمانها وأحسنهن جمالاً ، وكان عدي بن نصر نديماً لجذيمة الأبرش<sup>(١)</sup> فأبصرته رقاش فعشقتة وراسلته ليخطبها إلى جذيمة ، وكانت على غاية من الظرف والأدب . فقال لها : لم أجتريء على ذلك ولا أطمع فيه . قالت : إذا جلس على شرابه فاسقه صرفاً ، واسق القوم ممزوجاً فإذا أخذت الخمرة فيه فاخطبني إليه فلم يردك فإذا زوجك فاشهد القوم ففعل عدي ما أمره فأجابه جذيمة وأملكه إياها فانصرف إليها فأعرس بها في ليلته وأصبح بالخلوق فقال له جذيمة - وأنكر ما رأى به - : ما هذه الآثار يا عدي؟ قال : آثار العرس . قال : وأي عرس؟ قال : عرس رقاش . قال : من زوجك بها ويحك؟ قال : الملك زوجنيها . فندم جذيمة وأكب على الأرض متفكراً وهرب عدي فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر ، فأرسل إليها جذيمة :

خبريني وأنت لا تكذبيني      أبحرّ زينت أم بهجين  
أم بعبد فأنت أهل لعبد      أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت : لا بل أنت زوجتني أمراً عربياً حسيباً ، ولم تستأمرني في نفسي ، وأنشدت :  
أنت زوجتني وما كنت أدري      وأتاني النساء للتزيين  
ذاك من شربك المدامة صرفاً      وتماديك في الصبا والجنون

فكف عنها وعذرهما . ورجع عدي إلى أياد<sup>(٢)</sup> فكان فيهم فخرج معه فتية يوماً متصيدين فرمى به فتى منهم فيما بين جبلين فتكسر ، فمات ، فحملت رقاش ، فولدت غلاماً فسمته عمراً فلما ترعرع وشب ألبسته وعطرته وأزارته خاله ، فلما رآه أحبه وجعله مع ولده .

وخرج جذيمة متبدياً بأهله وولده في سنة خصبة فأقام في روضة ذات زهر وثمر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأة فكانوا إذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها وإذا أصابها غيره

(١) هو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم التنوخي القضاعي . ثالث ملوك الدولة النوحية في العراق جاهلي ، عاش عمراً طويلاً . كان أعز من من سبقه من ملوك هذه الدولة . اجتمع له ملك ما بين الحيرة والأنبار ، والرقعة ، حتى يبرين . ما وراء ذلك . كان يقال له : الواسع ، والأبرش ليس كان فيه . فخرج إلى امتلاك مشارف الشام ، وأرض الجزيرة فغناها ، حارب ملحقها عمرو بن الظرب والذوقان ، وقده وانتهب بلاده ، وانصرف . فجمعت الراء الجند في تدمر ، واستعدت ، ثم راسلت جذيمة ، فماتت ، ونفسها زوجة ، فجاءها في جمع قليل ، فقتلته بثأر أبيها سنة ٣٦٦ ق ٢٦٨ م

(٢) أياد : بنو أياد بن نزار ، قبيلة عربية من معد بن عدنان .

خبأها، فانصرفوا إلى جذيمة يتعادون وعمرو يقول: هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه. فضمه جذيمة إليه والتزمه وسر بقوله وأمر له بحلي من فضة طوق به فكان أول عربي ألبس طوقاً. وقصة عمرو مشهورة مع الزباء وغيرها.

### رقية<sup>(١)</sup> ابنة رسول الله ﷺ

ولدت رقية ورسول الله ﷺ ثلاث وثلاثون سنة وكان تزوجها عتبة بن أبي لهب وتزوج أختها أم كلثوم<sup>(٢)</sup> عتبية أخوه فلما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١١١]. قال أبو لهب<sup>(٣)</sup> لهما: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما، وتزوج رقية عثمان بن عفان رضي الله عنه بمكة وهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة وكانت ذات جمال بارع، وكان فتیان أهل الحبشة يتعرضون لها ويتعجبون من جمالها فأذاها ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعاً.

وولدت لعثمان بالحبشة ولداً سماه عبد الله وكان يكنى به وبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات، وتوفيت رقية بالمدينة وكان النبي ﷺ في وقعة بدر<sup>(٤)</sup> وكان عثمان قد تخلف عن بدر لأجلها فجاء زيد ابن حارثة بشيراً بفتح بدر وعثمان قائم على قبرها وكانت وفاتها لسنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً من الهجرة.

(١) هي رقية بنت محمد النبي العربي القرشي ﷺ، أمها خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها ولدت ونشأت في الجاهلية. تزوجت عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، ولما ظهر الإسلام ونزلت آية: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ غضب أبو لهب فأمر ابنه بمفارقتها، ففارقها. أسلمت حين أسلمت أمها خديجة، تزوجها في الإسلام عثمان بن عفان، وهاجرت معه الهجرتين ثم استقرت في المدينة وتوفيت ورسول الله ﷺ بدر.

(٢) هي أم كلثوم بنت محمد النبي العربي القرشي ﷺ من زوجته الأولى خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها، تزوجها في الجاهلية عتبية بن أبي لهب، وفارقها للسبب الذي من أجله فارق أخوه «عتبة» أختها رقية. هاجرت مع عيال رسول الله ﷺ إلى المدينة، فلما توفيت أختها رقية سنة ٢ هـ تزوجها عثمان بن عفان سنة ٣ هـ. توفيت عنده بالمدينة سنة ٩ هـ/٦٣٠ م، فقال النبي ﷺ: «لو أن لنا ثلاثة لزوجنا عثمان بها».

(٣) هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش عم رسول الله ﷺ وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية، من أشد الناس عداوة للمسلمين والإسلام. كان غنياً عتياً، كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فأذى أنصاره وحرّض عليهم وقتلهم. وفيه الآية: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾. كان أحمر الوجه، مشرقاً، لقب في الجاهلية بأبي لهب. مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدا سنة ٢ هـ/٦٢٤ م.

(٤) موقعة بدر بين المسلمين وقريش كان النصر فيها للمسلمين وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر مسلماً، بينما كان عدد الكفار بالآلاف، كانت هذه الواقعة سنة ٢ هـ/٦٢٤ م عند بئر بدر في الجزيرة العربية.

## رملة بنت الزبير بن العوام

كانت أخت مصعب بن الزبير بن العوام لأمه، وكانت أمها أم الرباب بنت أليف بن عبيد بن مصار الكلبي تزوجها عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام بن خويلد فولدت له عبد الله بن عثمان، وهو زوج سكينه بنت الحسين بن علي<sup>(١)</sup> عليها السلام، ثم تزوجها خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان<sup>(٢)</sup>، وكان قتل ابن الزبير. ولما حج خالد بن يزيد خطب رملة بنت الزبير فأرسل إليه الحجاج صاحبه عبيد الله بن موهب وقال: ما كنت أراك أن تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني وكيف خطبت إلى قوم ليسوا كفؤاً وكذلك قال جدك معاوية وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة، ورموه بكل قبيحة، وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة؟ فنظر إليه خالد طويلاً ثم قال له: لولا أنك رسول والرسول لا يعاقب لقطعتك إرباً إرباً، ثم طرحتك على باب صاحبك قل له: ما كنت أرى أن الأمور بلغت بك إلى أن أشاورك في خطبة النساء.

وأما قولك لي: قارعوا أباك وشهدوا عليه بكل قبيح فإنها قريش يقارع بعضها بعضاً فإذا أقر الله عز وجل الحق قراره كان تقاطعهم وتزاحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم.

وأما قولك: إنهم ليسوا بأكفاء فقاتلك الله يا حجاج ما أقل علمك بأنساب قريش يكون العوام كفؤاً لعبد المطلب بن هاشم بتزوجه صفيه، وبتزوج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد ولا تراهم أهلاً لأبي سفيان فرجع إليه فأعلمه ومن شعر خالد فيها:

أليس يزيد السير في كل ليلة      وفي كل يوم من أحبنا قرياً<sup>(٣)</sup>  
أحنّ إلى بنت الزبير وقد علت      بنا العيس خرقاً من تهامة أو نقياً<sup>(٤)</sup>  
إذا نزلت أرضاً تحب أهلها      إلينا وإن كانت منازلها حرب  
وإن نزلت ماء وإن كان قبلها      مليحاً وجدنا ماءه يردنا غيب  
تجول خلاخيل النساء ولا أرى      رملة خلخالاً جلالاً ولا قيب

(١) ترجمتها في حرف «السين» من هذا الكتاب.

(٢) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القشيري، أبو هشام، جد بني مروان، عاش في عصره. اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم فأنتقنها وألف فيها رسائل. كان من مشاهير علماء عصره والعقل. توفي سنة ٩٠ هـ/٧٠٨ م. أخباره كثيرة. وقد شكك بعض المؤرخين بعاقبه ومعاوية بن يزيد وفاته.

(٣) تهامة: بالكسر، وهي اليمن ونجد والحجاز والعمارة. ويقول الحميري هي قطعة من اليمن بمصر والبلدان، ج ٢/ص ٧٤ و ١٦٠.

(٤) النقب: بالفتح، قرية باليمامة لبني عدي بن حنيفة. معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤٤.

أقلوا عليّ اللوم فيها فإنني تخيرتها منهم زيرية قريباً  
أحب بني العوام طراً لحبها ومن حبها أحببت أخوالها كلباً<sup>(١)</sup>

ونشزت سكينه بنت الحسين عليها السلام على زوجها عبد الله بن عثمان فدخلت رملة على عبد الملك بن مروان وهو عند خالد بن يزيد بن معاوية فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا أنه يبتد أمرنا ما كانت لنا رغبة فيمن لا يرغب فينا. سكينه بنت الحسين قد نشزت على ابني. قال: يا رملة إنها سكينه. قالت: وإن كانت سكينه فوالله لقد ولدنا خيرهم، ونكحنا خيرهم، وأنكحنا خيرهم - تعني بمن ولدوا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومن نكحوا صفية بنت عبد المطلب<sup>(٢)</sup>، ومن أنكحوا النبي ﷺ - فقال: يا رملة، غرني منك عروة بن الزبير<sup>(٣)</sup>، فقالت: ما غرك، ولكن نصح لك لأنك قتلت أخي مصعباً فلم يأمني عليك. ولم تزل به حتى أصلح بين سكينه وعبد الله بن عثمان.

### [رميصاء بنت ملحان]

رميصاء<sup>(٤)</sup> بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية الخزرجية النجارية، وتلقب أم سليم أم أنس بن مالك<sup>(٥)</sup>. كانت عند مالك بن النضر والد أنس بن مالك في الجاهلية فغضب عليها وخرج إلى الشام ومات هناك، فخطبها أبو طلحة الأنصاري<sup>(٦)</sup> - وهو مشرك - فقالت: إني فيك لراغبة، وما مثلك يرَد

- (١) بنو كلب: بطن من عامر بن صعصعة، منهم العنكب الشاعر المشهور. كانت ديارهم في حمى ضرية، وهي حمى كلب والربذة في جهات المدينة. ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام.
- (٢) ترجمتها في حرف «الصاد» من هذا الكتاب.
- (٣) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، القرشي، أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ولد سنة ٩٣ هـ/٦٤٣ م. كان عالماً بالدين، صالحاً، كريماً، لم يدخل في شيء من الفتن. انتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين. وعاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة ٩٣ هـ/٧١٢ م. وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه. ويثر عروة بالمدينة منسوب إليه.
- (٤) هي رميمصاء أو غميمصاء، صحابية، قال أبو نعيم في وصفها: الطاعنة بالخناجر في الوقائع والحروب. شوهدت مع عائشة مشمرتين تنقلان القرب وتفرغانها في أفواه المسلمين، والحرب دائرة، وترجعان فتملأنها. شوهدت قبل ذلك يوم أُحد تسقي العطشى وتداوي الجرحى ومعها خنجر.
- (٥) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة. صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. مولده بالمدينة سنة ١٠ ق. هـ/٦١٢ م. أسلم صغيراً وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها سنة ٩٣ هـ/٧١٢ م. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة.
- (٦) هو زيد بن سهل بن الأسود النجاري الأنصاري أبو طلحة. مولده في المدينة سنة ٣٦ ق. هـ/٥٨٥ م. من الشجعان الرماة المعدودين في الجاهلية والإسلام. ولما ظهر الإسلام كان من كبار أنصاره، فشهد =

ولكنك كافر وأنا مرأة مسلمة فإن تسلم فلك مهري ولا أسالك غيره. فأسلم وتزوجها وحسن إسلامه فولدت له غلاماً مات صغيراً وهو أبو عمير وكان معجباً به فأسف عليه، وولدت له عبد الله بن أبي طلحة - وهو والد إسحاق - فبارك الله في إسحاق وإخوته، وكانوا عشرة كلهم حمل عنه العلم.

وقيل: إن أبا طلحة لما خطب رميماء قالت: يا أبا طلحة ألسنت تعلم أن إلهك الذي تعبد زينة من الأرض يحبرها حبشي بني فلان؟ قال: بلى، قالت: أفلا تستحي تعبد خشبة؟ إن أنت أسلمت فإنني لا أريد منك الصداق غيره. قال: حتى أنظر في أمري. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقالت: يا أنس زوج أبا طلحة، فتزوجها.

وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ. وروت عنه أحاديث. وروى عنها ابنها أنس وكانت من عقلاء النساء رضي الله عنها.

### رولاند الفرنساوية

ولدت هذه الفاضلة في ١٧ آذار (مارس) عام ١٧٥٤ [م]، من أبوين فقيري الحال، مختلفي الأخلاق والآراء وكانت أمها دمثة الأخلاق لينة العريكة، قانعة بهبات الباري تعالى. وكان أبوها طماعاً سيئ الطباع كثير التذمر والحقد على المكارم والأشراف، زاعماً أنهم علة تعاسته وسبب فقره.

ولذلك كان يندد بهم ككثيرين غيرهم من الفرنسيين، وتعلمت القراءة والكتابة قبل بلوغها الرابعة من عمرها، وتعلقت بالمطالعة حين لم يكن لأبويها طاقة على ابتياع الكتب لها، فأرسلها إلى دير من الأديرة لتقتبس العلوم عن راهباته فأظهرت فيه من النجابة والبراعة في كل علم تعلمته ما جعلها فخراً لمعلماتها وقدوة لرفيقاتها، وأجادت في الموسيقى والتصميم وطالعت كل ما عثرت عليه من التواريخ ودواوين الشعر والرحلات والمقالات الدينية والعلمية والفكاهية والسياسية وبالغت في استقصاء أحوال اليونان والرومان القدماء، اشتد ميلها إليهم.

قيل: إن أباهما وجدها ذات يوم منخرطة في البكاء من أجل أنها لم تولد رومانية وكثيراً ما كانت تتصور أمامها اليونان في سلطتهم، الرومان في أوجه عظمتهم وتقابل بين أحوال ذينك

العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد. كان جهر الصوت، وفي الحديث: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل». كان ردف رسول الله ﷺ يوم خيبر. توفي في المدينة سنة ٣٤ هـ/ ٦٥٤ م.

الشعبين العظيمين وأحوال بلادها التي كانت قد أفرطت في الملاهي والترقي، وتهافتت على الباطل. فتتفر نفسها الأبية من الدنيا التي انغمس فيها أكابر قومها وتتمنى أن يسود الإنصاف وتسن بها الشرائع العادلة أبناء وطنها.

والظاهر أن ذلك رسخ في ذاكرتها منذ نعومة أظفارها لكثرة ما كان أبوها يلقي على مسامعها من الأحاديث عن الملوك والأشراف، وهو يجول بها في شوارع باريس، ويرى قصورها الشاهقة ومبانيها الفاخرة وأشرف المدينة، وسيداتها خارجين إلى المنتزهات العمومية في عجلاتهم المذهبة بالخدم والحشم، لاهين بالأحاديث [الفارغة]<sup>(١)</sup>، وخبولهم تدوس المساكين والبائسين وهم لا يباليون، ثم يقول لها: انظري يا ابنتي أين العدل والإنصاف؟ أين الآخذون بناصر الإنسانية [ليقتصوا]<sup>(٢)</sup> من هؤلاء البرابرة القساة ألا ترين أنهم يتوسدون الحرير والديباج، ويعيشون بالترف والشعب غارق في بحار الهموم محاط بالأتعاب يصل الليل بالنهار في الكدر والكدر ليحصل الخيرية التي يتمتع بها هؤلاء العتاة؟

وخرجت من المدرسة وهي في الرابعة عشرة فجعلت أمها تمرّنها على أشغال البيت فتخضع لأوامرها خضوعاً تاماً علماً منها أن الأشغال البيتية من أهم واجبات المرأة، وكانت تتباع لوازم بيتها بنفسها، فأكرمها البائعون لنباهتها ورزانتها، ولما بلغت سن الزواج تقاطر عليها الطلاب من كل فج، فرفضت طلبهم قائلة لوالديها: إن الطبيعة والشرائع قد اتفقت على وجوب تفضيل الرجل على المرأة فأحجل أن أختار من لا يكون أهلاً لهذا المقام السامي وحدث أن أحد الأشراف دخل مخزن أبيها ورأى إنشاءاتها فدهش من براعة أساليبها، وراعه إتقان قريحتها، فكتب إليها كتاباً يحثها فيه على التأليف، فأجابته لذلك بأبيات شائقة دقيقة المعنى أظهرت فيها الموانع التي تحول دون وصول المرأة إلى مثل تلك المنزلة الرفيعة، ومن ذلك اليوم جرت المكاتبة بينهما وكان لهذا الشريف ابن من أهل الطيش والجهالة فأراد أن يزوجه بها ظناً منه أن حكمتها وعزمها يهديانه سواء السبيل، فأبت ومن معرفتها بهذا الرجل تمكنت من معايشرة الأشراف رغبة في الاطلاع على شؤونهم ولكنها لم تقبس شيئاً من عوائدهم القبيحة ولا شاركهم في آرائهم، بل زادت بهم احتقاراً إذ كان دأبهم الطرب والملاهي، وهمهم التأنق بالزينة والملابس.

وفي ٤ شباط (فبراير) سنة ١٧٨٠ [م]، تزوجت بـ «رولاند» أحد مفتشي المعامل في مدينة «ليون» وكان رجلاً من ذوي الوجاهة والبراعة في العلوم جامعاً بين الفضائل والمكارم،

(١) وردت في الأصل «الفادعة»، ولم أقف على معنى يتناسب مع سياق الكلام، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

(٢) وردت في الأصل «ليقتص»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

مشهوراً بالفضل والمآثر، له كتابات عديدة تدل على جودة عقله، فأقاما سنة في باريس ثم انتقلا إلى مدينة «امبان»، ثم رجعا منها إلى «ليون» حيث قضت أسعد أيام حياتها وأظهرت مناقب المرأة الكاملة، فرتبت بيتها على أحسن منوال، وعكفت على تربية ابنتها وتعليمها بنفسها، وكانت إذا انتقلت إلى مصيف زوجها (في لبلاطيه) تخصص جانباً من وقتها لزيارة المرضى والمساكين المجاورين لها وتعالجهم بنفسها لعدم وجود طبيب يعالجهم، فأحبوها محبة تفوق الوصف واشتهرت بينهم بالفضائل والفواضل.

ولها على زوجها الفضل الأعظم. قال أحد أصحابه: لا أرى بين المحدثين من يشابه كانون الروماني في أكثر من «رولاند». والحق أن يقال: «رولاند» مديون لامرأته بشجاعته ومعارفه فإنها كانت متخذة أفكاره ومعنية بأعماله وكثيراً ما كانت تصلح كتاباته وتقوم براهينه بغزارة معارفها، وقوة بيانها، واتقاد تصوراتها حتى طار صيته في بلاغة الإنشاء وقوة الكتابة. ولما بلغها نبأ الثورة الفرنسية تلقته بالترحاب زعماً منها أن الثورة أقرب طريق لسعادة فرنسا وأحسن بشرى بتبديل أحوال هاتيك الأيام بأحسن منها، فبذلت كل قواها في تحريك الخواطر إليها فلم يمض طویل الزمان حتى أضرمت نار الغيرة والحماسة في قلوب أهل وطنها وحركت زوجها وأصحابها فأداروا دولاب الثورة بمدينتهم «ليون» وعلقت آمال الشعب «رولاند» وامرأته بخلع غل الظلم عن أعناقهم، فوقف لهما جماعة من الأشراف بالمرصاد ووضعوا عليهما العيون، فما ثناهما ذلك عن عزمهما وزاد الناس حياً في «رولاند» فاخترأوه نائباً عن مدينة «ليون» في مجمع الأمة الذي استدعاه «لويس السادس عشر» في بادئ الثورة فتوجه هو وامرأته في ٢٠ شباط (فبراير) سنة ١٧٩١ [م]، إلى باريس وكتبت مدام «رولاند» مقالة في أحوال تلك الأيام كان لها وقع عظيم.

وفي آذار (مارس) سنة ١٧٩٢ [م]، انتخب زوجها وزيراً للداخلية وأعدت لسكنه قصراً مفروشاً مشيداً بالأثاث الفاخر ومزيناً بالزينة البهية فدخلته مدام «رولاند» ودأبت خلقت له. ولم يبن إلا لها، ثم لما طلب من زوجها أن يشير على الملك بإعلان الحرب على النمسا جرت وحلفائهم كتبت باسمه كتاباً للملك قوي الحججة، عظيم التأثير حتى دهش به جميع من جوارتها وقوة أدلتها، ولكن كانت نتيجة خلع «رولاند» عن وظيفته، لذلك أشارت مدام عليه أن يعرض كتابه على المجمع لتعلم الأمة سبب خلعه، ففعل، فعد مسجحة لحب الوطن ثم طبع الكتاب ووزع نسخاً عديدة في كل أنحاء المملكة، فهاجت الأمة بأجمعها حتى التزم الملك أن يرجعه إلى منصبه، فكانت زوجته سبب خلعه ثم نصبه نائباً.

واتفق أن الجاكويين اجتهدوا أيام كانت العائلة الملكية في السجن أن يهيجوا الشعب



لينتقموا من مدام «رولاند» بدعوى أن لها دخلاً في المكيدة التي كان يقصد بها تخليص الملك وإرجاعه إلى عرش الملك وتكلف بإتمام ذلك رجل لثيم يسمى «أشيل فيارد» فأظهر حزم «الجيروندين» وهو يقصد باطناً [أن]<sup>(١)</sup> يتجسس أعمالهم ويدبر على مدام «رولاند» مكيدة فكان محذراً حذرهما منه فأوجست منه خيفة وأبعدته عنها احتقاراً واستصغاراً ومع ذلك فقد نجح باتهامها أمام الجمع أنه كان بينها وبين أصحاب النفوذ في فرنسا وغيرها مراسلة سرية واتفاق على إنقاذ الملك فاستدعاها ديوان «الكونقاتسيون» لمرافعة خصمها والمدافعة عن نفسها فدخلت المحفل وكان غاصباً بالجماهير وهم يحتدمون غيظاً، وقد علا لغطهم، فلما جلست سكتت الضوضاء وأحدقت بها الأنظار، فدافعت عن نفسها وعن أصحابها دفاع أهل الحق والشيمة والشهامة، فبرأت نفسها وتلعثم لسان خصمها عن الكلام فرجع بصفقة خاسرة وأشار الرئيس أن يظهر الأعضاء علامات اعتبارهم لها، فهناها الجميع وصفقوا لها استحساناً، وكان ذلك أمر من العلقم على أعدائها «كدانتون» و«مارات» و«روبس بير».

أما «روبس بير» هذا فهو الذي خلصت حياته من القتل لما ثار الشعب وأرادوا قتله حنقاً عليه ففر مذعوراً وقصدته مدام «رولاند» وزوجها في منتصف الليل وخبأته في بيتها ثم استعانت على خلاصه بصديق لهما بعيد النفوذ والسطوة فبرأه قبل صدور الحكم عليه فما كان من «روبس بير» إلا أنه قابل الإحسان بالإساءة فصار أشد العاقلين على مدام «رولاند» وقتلها حتى قال «لامرتين» الشهير في صدد ذلك: «لا شك أن مدام «رولاند» ذكرت في سجنها الليلة التي خلصت حياة «روبس بير» فيها فإن كان هو أيضاً ذكرها وهو في أعلى مجده وقوته فلا ريب أن ذكرها له كان عليه أشكى من وقوع السهام».

ولا يخفى ما ألم بحزب الجيروندين بعد ذلك وما كان نصيبهم من الثورة ففي ٣١ أيار سنة ١٧٩٣ [م]، أودعت مدام «رولاند» السجن فصبرت على مشاقه كما صبرت وثبتت على الأهوال، ورتبت أحوال معيشتها فيه جاعلة لكل ساعة من النهار شغلاً خصوصياً فعينت وقتاً لدرس اللغة الإنكليزية وآخر لإنشاء مقالات سياسية وآخر للتصوير، وجعلت معظم همها تشجيع قلوب المسجونين ومساعدتهم بما كان يغض عن حاجاتها من المال.

وفي تشرين الثاني (أكتوبر) حكم عليها بالقتل فسيقت للذبح مكتوفة اليدين وعلامات الشجاعة تلوح على وجهها، فلما صارت بمرأى من تمثال الحرية وكان منصوباً حيث المسلة المصرية اليوم التفتت إليه وقالت: أيتها الحرية كم من ذنب يرتكبه الناس باسمك اليوم أيتها الحرية انظري كيف يتلاعبون باسمك. ويقال: إنها طلبت قلماً وقرطاساً لتخط ما جال في

(١) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

خاطرها وهي أمام الجلاد فلم تعطهما وضربت عنقها وهي في التاسعة والثلاثين من عمرها فكان موتها سبب انتحار زوجها كما عرف من ورقة وجدت في جيبه بعد موته وقد كتب عليها لم يعد لي صبر على البقاء بعد موت امرأتي في عالم ملوث بالآثام.

### رحمة زوجة نبي الله أيوب عليه السلام

هي بنت أفرايم بن يوسف بن يعقوب عليهما السلام. كانت من النساء الصالحات، الطائعات لأزواجهن، وقد اتصفت من دون النساء بالصبر الجميل على بلاء زوجها أيوب عليه السلام حيث لم يبق له مال ولا ولد ولا صديق، ولا أحد يقربه غيرها فإنها صبرت معه على مفضل ذلك البلاء الشديد وكانت تسأل وتأتيه بطعام وشراب وبيبتان يحمدان الله سبحانه وتعالى ويرجوان منه عفواً على ما نالهما من البلاء، فلما كانت في بعض الأيام وهي تسأل كعادتها إذ تمثل لها إبليس في صورة رجل فقال لها: أين بعلك يا أمة الله؟ فقالت: هو ذاك يحك قروحه، وتتردد الديدان في جسده.

فلما سمع منها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من العييم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضر وإن ذلك لا ينقطع عنه أبداً فصرخت، فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتى بسخلة وقال لها: ليذبح أيوب هذه نبي وسبيراً، فجاءت تصرخ وقالت: يا أيوب إلى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال؟ أين الماشية؟ أين الولد؟ أين الصديق؟ أين ثوبك الحسر قد تغير وصار مثل الرماد؟ وأين جسمك الحسن الذي قد بلي يتردد فيه الدود؟ اذبح هذه السلخة واسترح.

فقال لها أيوب: أذاك عدو الله فنفخ فيك فأجبتيه، أرايت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أنعم علينا به؟ قالت: الله. قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فمئذ كم ابتلانا الله؟ قالت: منذ سبع سنين. قال: ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك. ألا صبرت في هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا كما كنا في الرخاء، والله لئن شئنا لولا لأجلدتك مائة جلدة كما أمرتيني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي تأتيني به عني لولا أذوق مما تأتيني به بعد إذ قلت هذا، فاغربي عني لا أراك، فطردها.

فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وخير الله ساجداً وقال: رَبِّ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، ثم رد الأمر إلى ربه فقال: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فأوحى الله إليه أن اركض برجلك فركض فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دانه شيء ظاهر إلا سقط بأثره، وأذهب الله عنه وكل ألم وداء كل سقم وعاد عليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل مما مضى، وجعل يلتفت يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً مما كان من

أهل وولد ومال إلا وقد ضاعفه الله تعالى، فخرج حتى جلس على مكان مشرف.

ثم إن «رحمة» قالت: أرأيت إن كان قد طردني إلى من أكله أذعه حتى يموت جوعاً وعطشاً ويضيع فتأكله السباع، فوالله لأرجعن إليه ثم رجعت فلا كنانة ترى ولا تلك الحال التي كانت تعرف وإذا هي قد تغيرت فجعلت تطوف حول هذه الكنانة وتبكي وذلك بمرأى من أيوب فأرسل إليها أيوب فدعاها وقال لها: ما تريد يا أمة الله؟ فبكت، وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على هذه الكنانة لا أدري أضاع أم ماذا فعل به؟ فقال أيوب عليه السلام: ما كان منك؟ فبكت، وقالت: بعلي، فهل رأيت؟ فقال: وهل تعرفينه إذا رأيت؟ قالت: وهل يخفى على أحد رآه ثم إنها جعلت تنظر إليه. وقالت: أما إنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً، قال: فأنا أيوب أمرتيني أن أذبح لإبليس فإني أطعت الله وعصيت الشيطان فرد علي ما ترين فاعتنقته فقيل: إنها ما فارقت من عناق حتى مر بها كل ما كان لهما من المال والولد.

فلما برأ أيوب أراد أن يبر يمينه بأن يجلد «رحمة» فأمره الله أن يأخذ من جماعة الشجر مبلغ مائة قضيب خفافاً لطافاً ويضربها ضربة واحدة كما قال الله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِدِكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص: ٤٤].

وقيل: كانت «رحمة» تكسب له ما تعمل للناس فتبيعه وتجيئه بقوته، فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد، التمس يوماً من الأيام تطعمه فما وجدت شيئاً فجزت قرناً من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها: أين قرنك فأخبرته الخبر فحزن عليها وشكر صنيعها.

### روشنك ابنة الدهقاء أوزبرت

كانت مشهورة بالجمال تزوجها إسكندر المكدوني، ولما مات كانت حاملاً ووضعت لثلاثة أشهر من موته ولدها إسكندر الملقب «إيروس» واتفقت مع «برديكاس» وقتلا «ستايترا» زوجة إسكندر لأنها كانت تحاول منع تنصيب ابنها «إيفوس» فصفا له الملك بالإرث من أبيه، ثم اتحدت مع «أوليباس» على «فيليبس أريوس» وامراته «أوريدبكي» ثم جعلت نفسها تحت حماية «يوليسيرخون»، ولما وصل «كاسندر» اعتصمت بمدينة «بيدنا»، ولما أخذت هذه المدينة وقتل «أوليباس» حبسها «كاسندر» في «أمغبوليس» وبها قتلت هي وابنها سنة ٣١١ قبل الميلاد.

والمشهور في تواريخ العرب أن «روشنك» هي ابنة «دارن الأصغر» ملك الفرس ظفر به

الإسكندر. قال ابن الأثير: إن الإسكندر لما وجد «دارن» وقد ضربه حاجباه الضربة القاضية أخذه وأسند رأسه إلى حضنه وكلمه كلاماً باللطف والاحترام، وطلب أن يوصي بما يريد، فأوصاه بأن يتزوج ابنته «روشنك» ويرعى حقها ويعظم حقها ويستبقي أحرار فارس ويأخذ له بثأره ممن قتله، ففعل الإسكندر كل ذلك وبني لـ «روشنك» مدينة بالسواد وقيل: إنه جعل هيئة زفافها إليه على النسق الشرقي وإنها قالت بعد موته: ما كنت أظن أن قاتل «دارن» يقتل.

### ريا<sup>(١)</sup> بنت [الغطريف]<sup>(٢)</sup> السلمي

كانت ذات جمال باهر وأدب ظاهر ولها معرفة بأشعار العرب، وكانت تقول الشعر الجيد، عشقها عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري<sup>(٣)</sup> علقها بمسجد الأحزاب في المدينة المنورة يوم منتزه إذ هو جالس في المسجد ودخل عليه نسوة وفيهن جارية لم ير مثلها فوقفت وقالت: ما تقول في وصل من يطلب وصلك ثم مضت ولم يعرف لها خبر، فلما كان في اليوم الثاني توجه إلى مسجد الأحزاب وجلس في المكان الذي كان فيه بالأمس وإذا بالنسوة قد أقبلن ولم ير الجارية فيهن فقلن له: ما ظنك بطالبة وصالك؟ فقال: وأين هي؟ قلن له: مضى بها أبوها إلى السماوة فأنشد:

خليلي ريا قد أجد بكورها      وسارت إلى أرض السماوة غيرها  
خليلي قد غشيت من كثرة البكا      فهل عند غيري عبرة أستعيرها

وتوجه إلى أبيها هو وصاحب له فأكرم وفادتهما وسألتهما عن أمرهما وقولن: إذا حاجتكما فأخبراه بخطبة عتبة إلى ابنته فقال: ذلك إليها فدخل وأخبرها بذلك فأجبت، وشكرت له عتبة، فقال: قد نمتي إلي أمرك معه وأقسم لا أزوجك به فقالت: إن الأنصار لا يردون رداً قبيحاً فإن كان ولا بد فاغلظ عليهم المهر فقال: نعم، ما أشرت به ثم خرج فقال: قد أجبت ولكن على ألف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية ومائة ثوب من الأبرار والخيل، وخمسة أقراص من العنبر، فضمننا ذلك وقالوا له: إذا أحضرتناها لك أجبت<sup>(٤)</sup> قال: نعم.

(١) هي ريا بنت الغطريف السلمية، شاعرة، من أهل العصر الأموي، كانت من أهل الكوفة والشام مع أبيها وأهلها، كان قد أحبها عتبة بن الحبيب الأنصاري فخطبها فخطبت له فزوجها بها. أقبلت معه من السماوة يريدان المدينة فخرجت عندهم جليل فقتلها عتبة وأخذ ثوبها وماتت على أثره، ودفنت بجانبه.

(٢) وردت في الأصل «الغطريق»، لم نعثر على ترجمته ولا حتى على معنى «الفتح للخمسة»، وهي «حبة» «ريا» و«عتبة» وقفنا على اسم والد «ريا» وهو ما أثبتناه.

(٣) هو عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري، شاعر، قال: من أهل المدينة المنورة، من بني النضر الأموي، وأخبره مع عشيقته «ريا» بنت الغطريف مشهورة قتلها على مقدمته من الأعرابي.

فأحضروا له ذلك فأولم أربعين يوماً، ثم أخذها ومضى، فلما قارب المدينة خرج عليه خيل كثيرة فقاتل عتبة حتى قتل فحين علمت ريا بموته جاءت وبكت بكاء مرأ حتى أبكت عليه من كان حاضراً، وأنشدت:

تصبرت لا أني صبرت وإنما      أعلل نفسي أنها بك لاحقاً  
ولو أنصفت روعي لكانت إلى الردى أمامك من دون البرية سابقةً  
فما أحد بعدي وبعذك منصف      خليلاً ولا نفس لنفسي موافقةً

ثم شهقت شهقة فماتت فواروهما التراب في قبر واحد فنبت على قبرهما شجرة فسموها شجرة العروسين.

ومن قول عتبة فيها:

أراكم بقلبي من بلاد بعيدة      تراكم تروني في القلوب على البعد  
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم      وعندكم روعي وذكركم عندي  
ولست ألد العيش حتى أراكم      ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد  
وقوله فيها أيضاً:

يا للرجال ليوم الأربعاء أما      ينفك يحدث لي بعد النوى طرباً  
ما إن يزال غزال فيه يظلمني      يهوى إليّ مسجد الأحزاب منتقياً  
يخبر الناس أن الأجر هيمه      أو أنه طالب للأجر محتسباً  
لو كان يبغي ثواباً أتى ظهراً      مضمخاً بفتيت المسك محتقياً

### ريا ابنة مسعود بن رقاش العشيري التغلبي من ربيعة

كانت ذات ظرافة وفراصة ومعرفة وحسن: نشأت مع الصمة بن عبد الله بن مسعود صغيرين وكانا يتذاكران الأدب وملح الأشعار، ونوادر السير والأخبار حتى صارت أعجوبة زمانها ونادرة أوانها، فأعجب بها وتمكنت منه محبتها، ولم يكن عندها منه مقدار ما عنده منها، فلما شكها ما يجد منها إلى بعض أصدقائه أرشده إلى تزوجها فخطبها إلى عمه، فأنعم على مائة من الإبل، فمضى إلى أبيه فأعطاه تسعاً وتسعين، فأبى مسعود إلا التمام وعبد الله إلا ذلك، وحلف كل على ما قال، وأوقفوا الأمر، فحملت الصمة الأنفة على أنه خرج عنها إلى العراق فقالت ريا: ما رأيت رجلاً أضاعه أبوه وعمه ببيعير إلا الصمة - لما عندهما من العلم بحبه لها.

وفد رجل يقال له: علي غاوي، فخطب منه ريا وأمهرها ثلثمائة ناقة برعاتها فزوجه بها

فحملها إلى مذبح، فبلغ ذلك الصمة فلزم الوساد وقال:

أمن ذكر دار بالرقاشين أعصفت  
حننت إلى ريا ونفسك باعدت  
فما حسن أن يأتي الأمر طائعا  
كأنك لم تسمع وداع مفارق  
بكت عيني اليمنى فلما زجرتها  
ولما رأيت البشر أعرض دوننا  
تلفت نحو الحي حتى وجدته  
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني  
فليست عشيات الحمى برواجع  
أما وجلال الله لو تذكرينني  
فقلت بلى والله ذكري لو أنه

به بارحات الصيف بدأ ورجعا  
مزارك من ريا وسعيا كما معا  
ويجزع إن داعي الصباية أسمعنا  
ولم تر شعبي صاحبين تقطعا  
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا  
وحالت بنات الشوق تحتي نزعا  
رجعت من الإصغاء ألوي وأجزعا  
على كبدي من خشية أن تصدعا  
عليك ولكن خل عينيك تدمعا  
كذكراك ما كفكفت للعين مدمعا  
تضمنه صم الصفا لتصدعا

وقد سمع امرأة تنادي ابنتها: يا ريا، فسقط مغشياً عليه، فاحتملوه إلى بستان هناك وأضجعوه، فلما أفاق أنشد:

يعز بصبر لا وجدك لا ترى  
كأن لساني من تذكري الحمى

سنام الحمى إحدى الليالي الغواير  
وأهل الحمى يهتف به ريش طائر

ولم يزل يرددتها حتى قضي عليه، ولما وصل خبره داخلها من الوجد ما أمسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكيه حتى ماتت. ومن لطيف شعره فيها قوله:

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى  
ألا قاتل الله الحمى من محلة  
غنينا زماناً باللوى ثم أصبحت  
فما وجد أعرابية قذفت بها  
تمنت أحاليب الرغاء وخيمت  
إذا ذكرت نجداً وطيب ترابها

ولا جبل الأثال إلا استهانت  
وقاتل ديننا بهب كيف وئت  
براق الهوى من أهلها قد تخلت  
صروف اللوى من حيث لم تك ضنت  
بنجد ولم يقدر لها ما تمتت  
وبرد الحصى من أرض نجد أرتت

### ريطة بنت عاصم بن عامر بن صعصعة

وكانت شاعرة فصيحة، جميلة المنظر، لطيفة المخبر، عذبة المنطق. لها رثاء مقبول لا بأس فيه منه ما قالته في قومها وكانوا قد أصيبوا في يوم من أيام العرب.

وقفت فأبكتني ديار أحبتي  
على رزنهن الباقيات الحواسر

غدوا بسيوف الهند ورّاد حومة      من الموت أعياء وردهن المصادرُ  
فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا      بدار المنايا والقنا متشاجرُ  
ولو أن سلمى نالها مثل رزنا      لهدت ولكن يحمل الرزء عامرُ

### ريطة بنت العجلان بن عامر بن برد بن منبه

هي أخت عمرو بن العجلان بن عامر الهذلي قتله بنو فهم في بعض غزواته فقالت أخته

ترثيه:

كل امرئ لمحال الدهر مكذوب      وكل من غالب الأيام مغلوبُ  
وكل حيّ وإن عزوا وإن سلموا      يوماً طريقهم في الشر عبوبُ  
أبلغ هذيلاً وأبلغ من يبلغها      عني رسولاً وبعض الظنّ تكذيبُ  
بأن ذا الكلب عمراً خيرهم نسباً      بطن شريان يعوي حوله الذيبُ  
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها      معجز من نجيع الجوف أسلوبُ  
التارك القرن مصفراً أنامله      كأنه من نجيع الجوف مخضوبُ  
تمشي النسور إليه وهي لاهية      مشي العذارى عليهن الجلابيبُ  
والمخرج العاتك العذراء مذعنة      في السبي ينفح من أردانها الطيبُ

وكانت ريطة هذه من نساء العرب الموصوفات بالأدب والفصاحة والحماسة، لم يكن في زمانها أحسن منها سيرة وأعذب منطقاً، وألطف شارة. لها جملة مرث غير هذه ولم تمكث زمناً بعد أخيها وذلك لحزنها عليه.

## حرف الزاي

### زبيدة<sup>(١)</sup> بنت جعفر بن المنصور العباسي<sup>(٢)</sup>

هي امرأة هارون الرشيد وأم ولده محمد الأمين. كانت ذات معروف وخير وفضل ونفقة واسعة على البر وأصحاب الحاجات وقصة حجها وما فعلته في طريقها من الإحسان مشهورة في كتب التواريخ شهرة عظيمة فوق ما كان لها من شهرة الشرف والثروة الواسعة فإنها جمعت شرف الخلافة من أطرافها فأبوها ابن خليفة، وعمها المهدي خليفة، وزوجها أشهر الخلفاء وابنها خليفة أيضاً، ولذلك قد كثرت عنها الحكايات والأخبار في كتب العرب.

قال ابن الجوزي: إنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وإنها أسالت المياه عشرة أميال بحط الجبال ونحت الصخور حتى غلغلته من الحبل إلى الحرم، وعملت عقبة البستان فقال لها وكيلها: يلزمك نفقة كثيرة. فقالت: اعملها ولو كلفت مشربة الناس ديناراً، وكان لها مائة جارية تحفظن القرآن ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن.

وقيل: كان اسمها أمة العزيز فلقبها جدها المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها.

قال ابن الأثير<sup>(٣)</sup>: وكان مولد زبيدة بقصر حرب وهو قصر بناه حرب بن عبد الله<sup>(٤)</sup> من

- (١) قال ابن تعزي بردي في وصفها: «أعظم نساء عصرها ديناً وأمسلاً وجمالاً وصيانة ومعروفاً» سنة ٢١٦ هـ/ ٨٣١ م.
- (٢) هو جعفر بن عبد الله بن محمد (المنصور) العباسي، أمير كان يتولى إمارة الموصل سنة ٨٠٧ م. الخليفة المنصور. توفي بمدينة السلام (بغداد)، وهو أول من دفن في مقبرة بني هاشم في تلك ذات سنة ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م.
- (٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ والأدب (٧: ١٣٠).
- (٤) هو حرب بن عبد الله البلخي الراوندي من أكابر قواد المنصور العباسي كان يتولى شططه بغداد، ثم ولي شرطة الموصل. سيره المنصور من الموصل لقتال الترك، وكان قد دحمتها بغيره، وقد قتل في إحدى وقائعهم سنة ١٤١ هـ/ ١٦٤ م.



أكابر قواد المنصور حينما وجهه المنصور مع ولده جعفر أبي زبيدة ليكون نائباً عن مالك بن الهيثم في ولاية الموصل وهذا القصر بأسفل الموصل وتزوج بها الرشيد سنة ١٦٥ هجرية وكان يحبها كثيراً ويكرمها غاية الإكرام، وكانت هي شديدة البر به والاحتفاظ على رضاه، ولم يكن يمنع عنها شيئاً من كل ما تطلبه من نفقة وما يتعلق بها وبغيرها مما يسرها وينفعها غير أنها بعد تلك الكرامة والعزة والأبهة أصبحت بعد موت الرشيد في حالة سيئة من الكآبة والذل وخفض الجناح، وذلك لما وقع بين الأمين والمأمون من الفتن ولا سيما بعدما قتل ولدها الأمين في تلك الأثناء، وقد كتبت للمأمون بأبيات ترثي بها سوء حالها بعد فقد ولدها وهي:

لخير إمام قام من خير عنصر وأفضل سام فوق أعواد منبر  
لوارث علم الأولين وفهمهم وللملك المأمون من أم جعفر  
كتبت وعيني مستهل دموعها إليك ابن عمي من جفون ومحجر  
وقد مسني ضير وذل كآبة وأرق عيني يا ابن عمي تفكري  
وهمت لما لاقيت بعد مصابه فأمرني عظيم منكر عند منكر  
سأشكو الذي لاقيته بعد فقدته إليك شكاة المستضير المقهر  
وأرجو لما قد مر بي مذ فقدته فأنت لبيتي خير رب معمر  
أتى طاهر لا طهر الله طاهراً فما طاهر فيما أتى بمطهر

وذلك لأن طاهر بن الحسين هو الذي قام بحرب الأمين وكان السبب في قتله:

فأخرجني مكشوفة الوجه حاسراً وأنهب أموالني وأخرب أدوري  
يعز على هارون ما قد لقيته وما مر بي من ناقص الخلق أعور  
فإن كان ما أبدى بأمر أمرته صبرت لأمر من قدير مقدر  
تذكر أمير المؤمنين قرابتي فديتك من ذي حرمة متذكر

وقالت زبيدة أم جعفر ترثي ولدها الأمين:

أودي بألفين من لم يترك الناسا فامح فؤادك عن مقتولك الياسا  
لما رأيت المنايا قد قصدن له أصبن منه سواد القلب والراسا  
فبت متكئاً أرعى النجوم له أخال سنته بالليل قرطاسا  
والموت كان به والهيم قارنه حتى سقاه التي أودي بها الكاسا  
رزته حين باهيت الرجال به وقد بنيت به للدهر أساسا  
فليس من مات مردوداً لنا أبداً حتى يرد علينا قبله ناسا

فلما قرأها المأمون بكى وقال: أنا الطالب بثأر أخي قتل الله قتله، ثم إن المأمون عطف

على زبيدة فجعل لها مكاناً في قصر الخلافة وأقام لها الوظائف والخدم والجواري، وكانت حاضرة عند دخوله الغرفة التي زفت إليه بها بوران بنت الحسن، وطلبت لها بوران منه الإذن بالحج فأجابها إلى طلبها، وألبست بوران بيدها قسماً من ملابسها.

وأما حجتها المشهورة فقليل: أنفقت فيها في بناء المساجد والصدقات ألف ألف وسبعمائة ألف دينار، وأجرت الماء من دجلة إلى عرفات، ثم إلى مكة حتى سقت أهلها - كما مر - وهذه مبالغة عظيمة فالماء الذي أجرته إلى مكة ليس من دجلة قيل: وأجرت نبع العرعار من جبل لبنان إلى بيروت حتى وصل إلى وادي المكلس فبنوا له طبقات فناطر حتى جرى الماء فوقها إلى جانبه الآخر وتطرق إلى بيروت لأنها كانت قد مرت من هناك في حجتها - المذكورة - فوجدت الماء قليلاً وإلى الآن يقال لهذه القناطر: قناطر زبيدة والأرجح أن بانية هذه القناطر إنما هي زنوبية ملكة تدمر المعروفة باسم زبيدة أيضاً ولها آثار كثيرة من مثل ذلك تدعى الزبيدية غالباً نسبت إليها منها بركة في طريق مكة بين العتيق والعذيب بها قصر ومسجد عمرتهما من مالها، ومحلات ببغداد مشهورة أيضاً باسمها، ولكثرة مالها وسعة نفقتها ضرب المثل الحريري بقوله: «لوحبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها».

ومما يحكى عن حلمها وحسن أخلاقها وفهمها أن أحد الشعراء مدحها بقصيدة يقول من جملتها:

أزبيدة ابنة جعفر طوبى لزانرك المثاب  
تعطين من رجليك ما تعطي الأكف من الرغاب

فهم الخدم بضربه وطرده وكانت هي خلف الستارة تسدعه فقالت: دعوه لأنه لم يرد إلا خيراً، ولكنه أخطأ الصواب، فإنه سمع شمالك أندى من يمين غيرك وفتدك أحسن من وجه سواك فظن أن الذي ذهب إليه من ذلك القبيل أعطوه ما أقل، ونبهوه على ما أهمل. وأخبره كثيرة منها: أنه حصل جفاء بينها وبين المأمون يوماً فوجهت إلى أبي العتاهية تعسبه بذلك وتأمره بأن يقول أبياتاً تعطفه عليها فقال:

ألا إن ريب الدهر يدني ويبعد ويؤنس الآف ضده ويفقد  
أصبيت بريب الدهر مني يدعلت فسلمت للاقدار، الله أحمد  
وقلت لريب الدهر إن ذهبت يد فقد بقيت، الحمد لله لي يد  
إذا بقي المأمون لي فالرشيد لي ولي جعفر لم يفقد، محمد

فلما سمع المأمون هذه الأبيات حسن موقعها عنده وأحسن إليها وبكى وقام من وقته إليها، وأكب عليها وقبلت يديه وقال لها: ما جفوتك تعمداً ولكن شغلت عنك بما لم يكن

إغفاله؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، إذا حسن رأيك لم يوحشني شغلك وأتم يومه عندها.

قال الحسن بن إبراهيم بن رباح: كان مخارق<sup>(١)</sup> المغني يهوى جارية لأم جعفر يقال لها: نهار ويستر ذلك عن مولاتها حتى بلغها ذلك فأقصته ومنعته عن المرور بابها، وكان بها كلفاً، فلما بلغه الخبر أن أم جعفر علمت حبهما قطعها وتجافاها إجلالاً لأم جعفر وطمعاً في السلو عنها، وبقي على ذلك حتى ضاق ذرعه وبينما هو ذات ليلة راكب في زلال، وقد انصرف من دار المأمون وأم جعفر [وكان]<sup>(٢)</sup> يشرف على دجلة إذ جاز دارها فرأى الشمع يزهر فيها، ولما صار بمسمع منها ومرأى اندفع يغني:

إن يمنعوني ممري قرب دارهم      فسوف أنظر من بعد إلى الدار  
سيما الهوى اشتهرت حتى عرفت بها      أني محب وما بالحب من عار  
ما ضر جيرانكم والله يصلحهم      لولا شقائي إقبالي وإدباري  
لا يقدرون على منعي ولو جهدوا      إذا مررت وتسليمي بأشعاري

فقالت أم جعفر: مخارق والله ردوه فصاحوا به قدّم، فقدم، وأمره الخدم بالصعود فصعد، وأمرت له أم جعفر بكرسي وصينية فيها النبيذ فشرب وخلعت عليه وأمرت الجواري فغنيته، ثم ضربت عليه فغنى وكان أول ما غنى به:

أغيب عنك بوّد ما يغيره      نأي المحب ولا صرف من الزمن  
فإن أعش فلعل الدهر يجمعنا      وإن أمّت فقتيل الهم والحزن  
قد حسن الله في عيني ما صنعت      حتى أرى حسناً ما ليس بالحسن

ولما انتهى من غنائه اندفعت نهار فغنت كأنها تباين وإنما قصدها إجابته عن معنى ما عرض لها به:

تعتل بالشغل عنا ما تلمّ بنا      والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ففظنت أم جعفر أنها خاطبت بما في نفسها فضحكت وقالت: ما سمعنا بأملح مما صنعتما ووهبتها له:

(١) هو مخارق، أبو المهنا بن يحيى الجزار، إمام عصره في فن الغناء. من أطيب الناس صوتاً. كان الرشيد العباسي يعجب به حتى أقعده مرّة على السرير معه، وأعطاه ثلاثين ألف درهم. اتصل بعد ذلك بالمأمون، وزار معه دمشق. توفي بسرّ من رأى. أخباره كثيرة جداً. كان مملوكاً لعاتكة بنت شهدة بالكوفة، وهي التي علّمته الغناء والضرب على العود. باعته، فصار إلى الرشيد، فذكره له إبراهيم الموصلي، فسمعه، وأعتقه، وأغناه، وكناه بأبي المهنا. وكان لحاناً، لا يقيم الإعراب، وأبوه جزار من المماليك.

(٢) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

ومنها ما قاله أبو العتاهية عن نفسه قال: لما جلس الأمين بالخلافة أنشدت أبياتاً هي:

يا ابن عم النبي خير البريه      إنما أنت رحمة للرعية  
يا أمين الهدى الأمين المصفي      بلباب الخلافة الهاشمية  
لك نفس أمانة لك بالخير      سر وكف بالمكرمات ندية  
أن نفساً تحملت منك ما حم      لت للمسلمين نفس قوية

وبعد فراغه من الأبيات ذهب لأم جعفر فقالت له: أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين، فأنشدها فقالت: أين هذا من مدائحك في المهدي والرشيدي؟ فغضب وقال لها: أنشدت أمير المؤمنين ما يستملح وأنا القائل فيه:

يا عمود الإسلام خير عمود      والذي صيغ من حياء وجود  
والذي فيه ما يسلى ذوي الأح      زان من كل هالك مفقود  
والأمين المهدب الهاشمي ال      قرم محضر الآباء محضر الجدود  
إن يوماً أراك فيه ليوم      طلعت شمسك بسعد السعود

فقلت لي: الآن وفيت المديح حقه، وأمرت لي بعشرة آلاف درهم.

قال محمد بن الفضل<sup>(١)</sup>: كان المأمون يوجه إلى أم جعفر زبيدة في كل سنة مائة ألف دينار جديداً، وألف ألف درهم فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم فأغفلته سنة، فرفع رقعة إلى محمد بن الفضل وقال له: ضعها بين يديها فوضعها، وكان فيها خبروني أن في ضرب السنه      جدداً بيضاً وصفراً حسنة  
سككاً قد أحدثت لم أرها      مثل ما كانت أرى كل سنة  
فقلت: إنا والله أغفلناه فوجهت إليه بوظيفة علي بن الفضل - المشهور - وأنها أخبار كثيرة خلاف هذه وكانت وفاتها ببغداد في جمادى الأولى سنة [٢١٦] هجرية رحمها الله تعالى.

(١) هو محمد بن الفضل الجرجاني، أم جعفر، أبو العتاهية، ولد في سنة ١٧٥ هـ بمصر، وكان قبل الوزارة يكتب للفضل بن مأمون، سنة ٢٠٥ هـ، ثم استعمل في سنة ٢٠٩ هـ في جرجان، وهو شيخ طريف حسن الأدب عالم بالعلوم، له مع بعض الملوك والسياسيين أخبار كثيرة نسبتها إلى جرجان بلده بين بغداد، واستقرت له في سنة ٢٥١ هـ إلى ١٦٥ هـ.

(٢) ورد تاريخ وفاتها في الأصل سنة ٣١٦ هجرية، والصحيح ما أنشده، ذلك منساق إلى بغداد التي عملنا على مراجعتها أثناء عملنا في هذا الكتاب. تاريخ بغداد (١٤ - ٤٣٣)، الجزء ١٤، ص ٢١٣ (٢)، الدر المنثور (٢١٥).

## زبيدة القسطنطينية

هي ابنة أسعد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حمزة الحنيفية ذكرها المرادي من جملة مشاهير أبناء القرن الثاني عشر للهجرة وقال: هي أم الفطنة الشاعرة المشهورة وصاحبة الديوان، الأدبية الفاضلة، الكاملة الحاذقة.

ولدت بالقسطنطينية ونشأت بكنف والدها شيخ الإسلام المولى أسعد مفتي الدولة العثمانية وقرأت القرآن واشتغلت بأخذ الفنون وقرأت الفقه واللغة والآداب ونظمت الشعر الفارسي والتركي، وتعلقت على الأدب، واشتهر ذكرها وشاع صيتها وكانت تخرع كل معنى مبتكر تحاربه الألباب، وامتدحت سلاطين وقتها ووزراءه، واشتغلت بمطالعة الكتب واتصل بها المولى الرئيس ودرويش عبد الله نقيب الأشراف وقائد العساكر، وتنافس الناس بشعرها وتداولته الأيدي - وكانت وفاتها في ذي القعدة سنة ١١٩٤ [م].

## زباء نائلة<sup>(١)</sup> بنت [عمرو]<sup>(٢)</sup> بن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقي

ملك الجزيرة ومشارك الشام كان جذيمة الأبرش قتل أباه فملكته هي بعده ونهضت بالأخذ بثأره من جذيمة قيل: وكانت مملكته من الفرات إلى تدمر وجنودها بقايا العمالقة وغيرهم، فلما استجمع لها الأمر واستحكم ملكها تأهبت لغزو جذيمة فقالت لها أختها - وكانت عاقلة - : إن غزوت جذيمة فإنما هو يوم له ما بعده والحرب سجال، ثم أشارت عليها بترك الحرب وإعمال الحيلة فأجابتها إلى ذلك وكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها، وقالت له: إن ملك النساء قبح في السماع وضعف في السلطان، وإنها لم تجد لملكها ونفسها كفواً غيرك.

فلما وصله الكتاب وهو ببقعة من شاطئ الفرات استدعى خواصه واستشارهم في الأمر فأجمع رأيهم على أن يسيروا إليها ويستولي على ملكها ويتزوجها، وكان فيهم رجل يقال له: قصير بن سعد من قبيلة لخم وهو ابن جارية لجذيمة كان أبوه تزوجها، وكان أديباً حازماً ناصحاً لجذيمة، مقرباً إليه فخالفهم فيما أشاروا به وقال: رأي فاتر، وعدو حاضر.

(١) في المؤرخين من يقول: هما اثنتان، الأولى: اسمها نائلة ولقبها الزباء، وهي التي قتل جذيمة الأبرش أباه، وقتلت نفسها بالسم. والثانية: زينب المسمّاة عند الرومان «زنوبيا» وهي التي تولت الحكم بعد مقتل زوجها أذينة وماتت في سجن أورليان الروماني.

(٢) ورد اسم أبيها في الأصل «عمر»، والصحيح ما أثبتناه، وذلك استناداً إلى المصادر التي عملنا على مراجعتها أثناء عملنا في هذا الكتاب.

وقال لجذيمة: اكتب إليها إن كانت صادقة فلتقبل إليك وإلا فلا تمكنها من نفسك، وقد وترتها وقتلت أباها فقال جذيمة: رأيك في الكن لا في الضح (أي في البيت لا في الخارج) ثم دعا بابن أخته عمرو بن عدي<sup>(۱)</sup> فاستشاره فشجعه على المسير وقال: إن قومي مع الزباء فإذا رأوك صاروا معك. فأطاعه فقال: قصير لا يطاع لقصير أمر ثم إن جذيمة استخلف على الملك عمرو بن عدي وعلى خيوله عمرو بن عبد الجن<sup>(۲)</sup> وسار في وجوه أصحابه ومعهم قصير فلما أبعدها قليلاً قال لقصير: ما الرأي؟ قال: ببقة تركت الرأي، ثم استقبله رسل الزباء بالهدايا والألطف فقال: يا قصير كيف ترى؟ قال: خطر يسير وخطب كبير وستلقات الخيول فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة، وإن أخذت جنبتيك فأحاطت بك فإن القوم غادرون فأركب العصا فإني راكبها ومسايرك عليها (والعصا فرس كانت لجذيمة لا تجاريتها الخيل).

فلما لقيته الكتاب حالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر إليه جذيمة مولياً على متنها فقال: ويل أمه، حزماً على متن العصا ما ضل من تحرى العصا! فلما وصلوا به أدخلوه على الزباء فأجلسته على نطع وأمرت بطشت من ذهب وسقته الخمر بكثرة، ثم أمرت براهشيه فقطعا وقدمت إليه الطشت وقد قيل لها: إن قطر من دمه شيء في غير الطشت طلب بدمه وكانت الملوك لا تقتل بضرب الرقبة تكرمه للملك، فلما ضعفت يدها سقطت فقتل من دمه خارج الطشت فقالت: لا تضيعوا دم الملك. فقال جذيمة: دعوا دماً ضيعه أهله، ثم هلك جذيمة على هذا الحال.

وأما قصير فقد جرت به العصا إلى غروب الشمس، وقد قطعت أرضاً عبدة، وقد سقطت به ميتة فدفنها وبني عليها بناء وسار حتى دخل على عمرو بن عدي وقال له: تهباً ولا تطل دم خالك فقال: وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجوى، وكانت الزباء قد سألت كهيته عن أمرها وكيفية موتها فقالوا لها: نرى قتلك يكون على يد عمرو بن عدي فحذرت عمرو من ذلك اليوم واتخذت لنفسها سرباً من مجلسها إلى حصن لها داخل مدينتها حتى إذا فاجأها أمر دخلت السرب ومضت إلى الحصن، ثم دعت برجل مصور حاذق في صنعته وأمره أن يصور عمرو بن عدي متنكراً وقالت له: صوره قائماً وجالساً ومتفضلاً، متنكراً ومتسججاً بهيئته

(۱) هو عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة النخعي، أُمُّهُ من ملك العرب من بني الحارث بن عبد المطلب، وبعد مقتل خاله «جذيمة» وانتقم له من قاتله «الزباء» في حربه، وكانت زوجته الحارثية، وهو من اتخذها منزلاً من ملوك العرب، ومات فيها قال المعادني: هو أول ملوك الحارثية، وهو من الملوك أكثر من ۵۰ سنة، منفرداً به مستقلاً، لا يدين لملك الغفائف من العرب، ولا يدين لملك

(۲) هو عمرو بن عبد الجن بن عائذ بن أسعد النخعي، فارس من شعراء الجاهلية وأمه التي كانت جذيمة الأبرش على ملكه، بعد قتله، ونارعه عمرو بن عدي، ابن أخت جذيمة، وروى عنه الملوك

ولبسته ولونه وذلك حتى إذا رآته في أية حالة منها تعرفه ففعل المصوّر ما أمرته به، وأتى إليها بالصور.

وأما قصير فقال لعمره: اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني وإياها ففعل به عمرو ذلك وخرج قصير حتى قدم على الزباء فأدخل عليها، فلما رآته أجدع قالت لأمر ما جدع قصير أنفه، ثم قالت: ما الذي أراه بك يا قصير؟ قال: زعم عمرو أنني غدرت بخاله وزينت له المسير إليك ومالاتك عليه، ففعل بي ما ترين، فأقبلت إليك وقد عرفت أنني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فأكرمه ورأت ما أعجبها من حزمه وحذقه ودرايته ومعرفته بأمر الملك فلما عرف أنها قد وثقت به قال: إن لي بالعراق أموالاً كثيرة ولي بها طرائف وعطر فابعثيني لأحمل مالي وأحمل إليك من طرائفها ومن صنوف ما يكون بها من التجارة فتصيبين أرباحاً وبعض ما لا يكون للملوك غنى عنه فأذنته ودفعت إليه أموالاً، وجهزت معه الدواب، فسار حتى قدم العراق وأتى عمرو بن عدي مختفياً وأخبره الخبر.

وقال: جهزني بصنوف البز والطرف لعل الله يمكننا من الزباء فتصيب منها ثأرك فأعطاه ما طلب وعاد به إلى الزباء فأعجبها ذلك كثيراً وزادت بقصير ثقتها ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته في المرة الأولى فسار إلى العراق ولم يدع طرفة الأقدام بها عليها حتى تعجبت منه، ثم عاد الثالثة وقال لعمره: اجمع لي ثقات أصحابك وجندك وهتئ لهم الغرائر (وهي كالصناديق كان هو أول من اخترعها) فلما تهيأت جعل كل رجلين في غرارتين على ظهر بعير وجعل معقد رؤوسهما من باطنهما وقال لعمره: إذا وصلنا أقمك على باب السرب، ثم أخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة فمن قاتلهم قاتلوه وإن أقبلت هي إلى سربها قتلتها أنت، فلما تم ذلك، سار قصير مجدداً حتى إذا قرب سبق إليها وبشرها بكثرة ما حمل إليها من المال والتحف والثياب وكان المسير في الليل ويكمن في النهار لراحة القوم فأشرفت الزباء من قصرها أبصرت الإبل مثقلة بالأحمال تسير الهويناً وتكاد قوائمها تسوخ في الأرض فقالت: يا قصير:

ما للجمال مشيها ويئداً أجندلاً<sup>(١)</sup> يحملن أم حديداً  
أم صرفانا تارزاً شديداً أم الرجال جثما قعوداً

ثم دخلت الإبل المدينة فلما توسطتها أنيخت وخرج الرجال من الغرائر ودخل عمرو على باب السرب ثم وضعوا السيف في أهل البلد وأقبلت الزباء تريد الخروج من السرب، فلما أبصرت عمراً عرفته بالصورة فمصت سماً كان بخاتمها وقالت: بيدي لا بيد عمرو وتلقاها

(١) الجندل: الصخر الكبير. [القاموس المحيط، مادة: جندل].

عمرو بالسيف فقتلها<sup>(١)</sup> وأصاب ما أصاب من المدينة، ثم رجع إلى العراق وجلس على سرير الملك بعد خاله جذيمة.

### الزرقاء جارية بن رامين

كانت من المشهورات بالجمال والحسن والغناء وافتتن بها غالب أهل زمانها، وكان الناس يقصدونها لسماع صوتها، ويذلون لها مالا خطيراً فاشتد ولوع يزيد بن عون الصيرفي بها فدخل عليها ومعه لؤلؤتان فقال لها: قد بذل لي فيهما أربعون ألف درهم. فقالت: هبهما لي. فقال: أفعل إن شئت. قالت: شئت، فحلف لا يعطيها لها إلا من فمه إلى فمها، فغمزت الخادم، فخرج وكان يزيد واقفاً متكسراً بين يديها كاتفأ يديه فجلس أمامها وتقدم إليها، فأقبلت لتنالهما، فجعل يروغ بفمه ليستكثر من مقابلتها فانقضت عليه فأخذتهما وقالت: من هو المغلوب منا. فقال: والله لا يزال طيب هذه الرائحة في فمي ما حييت أبداً.

ولما أفضت إلى جعفر بن سليمان وأبوه عامل المنصور على البصرة، فدخل عنى ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها في هذه الأيام، وقد خرج عليهم خارجي فغمز جعفر الخادم فأخرجها إليه، فبهت من جمال طلعتها وحلاوة منطقتها فرضي ولم يعتب بعدها أبداً، وقال للزرقاء يوماً: هل تمكن أحد من محبيك منك بشيء؟ فخشيت أن تكتمه ما عساه أن يكون بلغه فأخبرته بموافقة الصيرفي، فاحتال عليه حتى حصل عنده فضربه حتى مات وبقيت الزرقاء عنده في عز وجاه إلى أن ماتت.

### الزرقاء ابنة عدي بن قيس الهمدانية<sup>(٢)</sup>

كانت ذات شجاعة وبلاغة عظيمة، وكانت شهدت مع قومها صفين وهي جسيمة خضب ألقتها في مواقف القتال حتى خيل لمن يسمعها أنها أضغاث أحلام، وبينما معها ية بن أبي سفيان جالس في ديوانه بدمشق بعدما آل الأمر إليه واجتمع حوله حاشيته تذاجره الحرب منفس فقال أحدهم: إنه رأى الزرقاء وهي راكبة على بعير، واقفة بين الصفين، وهي تحارب من فوق القتال ولم ترهب أحداً من الفريقين.

فقال معاوية: أوهي حية إلى الآن؟ فقيل له: نعم، هي مقبلة بالحرب. فقال: حية إلى الآن؟ فقيل له: نعم، هي مقبلة بالحرب. فقال: حية إلى الآن؟ فقيل له: نعم، هي مقبلة بالحرب.

(١) كان مقتلها سنة ٣٥٨ ق. هـ / ٢٨٥ م.

(٢) هي الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية، حطبة من ذوات الشجاعة من أهل الكوفة. سنة ٦٠ هـ / ٦٨٠ م.



فرسان قومها، وأن يمهد لها وطاء ليناً ويسترها بستر حصين، ويوسع لها في النفقة. فأرسل إليها فأقرأها الكتاب. فقالت: إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار لي فإني لا آتية وإن كان حتماً فالطاعة أولى، فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به، فلما دخلت على معاوية قال: مرحباً وأهلاً قدمت خير مقدم قدمه وافد، كيف حالك؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة. قال: أتدرين فيم بعثنا إليك؟ قالت: إني لا أعلم ما لم أعلم. قال: ألسنت الراكبة الجمل الأحمر الواقفة بين الصفيين تحضين على القتال وتوقدين الحرب فما حملك على ذلك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، مات الرأس وبتر الذنب ولم يعد ما ذهب والدهر ذو غير، من تفكر بصر، والأمر يحدث بعده الأمر.

قال لها معاوية: أتحفظين كلامك يومئذ؟ قالت: لا والله لا أحفظه ولقد أنسيته. قال: لكني أحفظه لله أبوك حين تقولين: أيها الناس ارعوا وارجعوا إنكم قد أصبحتم في فتنة غشتكم جلاليب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها ولا تنساق لقائدها. إن المصباح لا يضيء في الشمس ولا تنير الكواكب مع القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه. أيها الناس إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها فصبراً يا معشر المهاجرين على المضض فكان قد اندمل الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق الظلمة، فلا يجهلن أحد فيقول: كيف وإني ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، الآن آن الأوان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء، ولهذا اليوم ما بعده والصبر خير في الأمور عواقباً.

أيها في الحرب قدماً غير ناكصين ولا متشاكسين ثم قال لها: والله يا زرقاء لقد أشركت علياً في كل دم سفكه. قالت: أحسن الله شاركك وأدام سلامتكم مثلك من يبشر بخير ويسر جلسه قال: أو يسرك ذلك؟ قالت: نعم والله لقد سررت بالخبر فإني لك بتصديق الفعل، فضحك وقال لها: والله لو فاءؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته اذكري حاجتك. قالت: يا أمير المؤمنين آليت على نفسي أن لا أسأل أميراً أعنت عليه أبداً. ثم انصرفت وبعد ذلك أرسل لها معاوية جائزتها.

### زرقاء اليمامة ابنة مرة الطسمي<sup>(١)</sup>

هي أخت رياح بن مرة كانت حادة البصر ليس على وجه الأرض أبصر منها وكانت تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال، فلما أغار على قومها الملك حسان أحد ملوك اليمن وكان

(١) للاستزادة يراجع: ثمار القلوب (٢٤٠)، خزانة الأدب (٤ : ٢٩٩).

أخوها مع القوم وذلك في خبر طويل، وحين قربوا من اليمامة<sup>(١)</sup> حذرهم رياح من أخته وأخبرهم بأنها تنظر الراكب من مسيرة كذا ميلاً وأمرهم أن يقلعوا الشجر وكل شخص يحمل أمامه شجرة ففعلوا، ثم ساروا، ولما أشرفت من منظرها قالت: يا جديس، لقد سارت إليكم الشجر قالوا لها: ما ذلك؟ قالت: أشجار يسير وراءها شيء وإني لأرى رجلاً من وراء شجرة ينهش كتفاً أو يخصف نعلًا فكذبوها وكان ذلك كما ذكرت فغفلوا عن أخذ أهبة الحرب ففي ذلك تقول الزرقاء لجديس تحذرهم:

إني أرى شجراً من خلفها بشر      فكيف يجتمع الأشجار والبشر  
سيروا بأجمعكم في وجه أولهم      فإن ذلك منكم فاعلموا الظفر

فلم يسمعوا لها وهجم عليهم الملك حسان بحمير فأفناهم وشتت شملهم، فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة<sup>(٢)</sup> بنت مرة فأمر بها، فنزعت عيناها، فإذا هي داخلها عروق سود، فسألها عن ذلك فقالت: حجر أسود - يقال له الإثم - كنت أكتحل به فنشب إلى بصري وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا، وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب خيمتها - وهو اسم البلد الذي كانت جديس<sup>(٣)</sup> مقيمة فيها - وسميت الزرقاء المذكورة باسمها.

### زليخا امرأة قطفير عزيز مصر

قيل: إن اسمها راعيل ابنة عابيل، وقيل: اسمها بكا ابنة فيوش وأكثر التواريخ أن اسمها زليخا.

كان والدها من أولاد ملوك القبط الذين حكموا مصر قبل دخول العرب الذين سماهم المؤرخون ملوك الرعاة. كانت زليخا رأت في نومها أنها ستكون ملكة على مصر وأن القمير صار تاجاً لها ولبسته يوم توليتها على عرش المملكة فقيل لها: إنها ستتزوج بسك مصر، ومضى على ذلك أيام وليال، ولم يظهر لمنامها تأثير حتى إنها تزوجت بقطفير عزيز مصر الذي كان بذاك الزمان محافظاً على البلد من قبل ملكها وظنت أن منامها كان أضغاث أحلام فعرفت أفكارها عما رأت.

وفي أثناء ذلك دخلت العرب إلى مصر واستولت عليها، أبقّت من دحمه تحت الطاعة

- (١) اليمامة: بينها وبين البحرين عشرة أيام، وهي معدودة من حدة وقامد بها حكمة ومعجم اللسان ج ٥/ص ٥٠٥.
- (٢) اليمامة واسمها الأصلي «جم» وسميت باليمامة نسبة إلى الجمع الذي كانت تملكها حدة.
- (٣) بنو جديس: قبيلة من العرب العاربة النائدة، قال ابن الكلبي: وهو جديس بن آدم بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال الكلبي: كانت مسانهم باليمامة.

في الأحكام مثل قطفير وخلافه، وبذلك صارت زليخا مسموعة الكلمة مطاعة الأوامر، مقبولة الرجاء عند ملوك الرعاة ولم تطلب أمراً إلا تجاب عليه وبقيت تحت قطفير حتى قبض الله لها يوسف بصفة<sup>(١)</sup> عبد جاءت به التجار وصارت عليه المزايمة حتى رسا مزاده على قطفير زوج زليخا فأخذه إليها وأمرها بإكرامه، فأخذته إليها وأكرمت مثنواً إكراماً لا مزيد عليه حتى جعلته بمثابة أولاد الملوك وكانت تلبسه الديباج وقراطق الحرير وتوقفه على رأسها وتأمرة بما تريد من أمرها، ولما تفرس العزيز في يوسف الخير والصلاح لم ينزله منزلة العبيد بل قال لامرأته: أكرمي مثنواً عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهو يومئذ ابن سبع سنين. وقيل: سبع عشرة سنة فكانت زليخا تمشط شعره بيدها وتخدمه بنفسها وما زالت زليخا في كل يوم تحسن إلى يوسف وتتولى أمره حتى مال قلبها إليه وتكاثر وجدها عليه وهو مع ذلك لا يلتفت إليها بعينه حياءً من ربه ولا ينظر إليها حتى تكاثر همها ودق عظمها وكابدها الشجون وواصلها النحول.

فلما عيل صبرها وضاق صدرها دخلت حاضنتها. فقالت لها: يا سيدتي، أرى غصنك ذابلاً وجسدك ناحلاً، وقلبك مائلاً فقالت لها: وكيف لا وأنا أخدم هذا الغلام منذ سبع سنين ألاطفه بلساني وأتجيب إليه بإحساني، وكلما زدت ميلاً إليه زاد إعراضاً عني وكلما قربت منه تباعد مني. فقالت الحاضنة: يا سيدتي، لو نظر إليك لكان أسرع إليك منك إليه، ولو نظر إلى حسنك وجمالك وصفاء لونك لما قر له قرار دونك فقالت لها: وكيف لي به؟ قالت لها: مكينني من الأموال، فقالت: ها خزائني بين يديك خذي منها ما شئت ودعي ما شئت لا حساب عليك في ذلك، فتمكنت من الأموال ودعت أهل البناء والهندسة وقالت: أريد بيتاً ترى الوجوه في سقفه وحائطه كما ترى في المرأة المصقولة فأجابوا بالسمع والطاعة ثم بنوا لها بيتاً سمته القيطوم، فلما تكامل بناؤه وتم إتقانه دعت بحضور مصور حاذق فصور في الحائط صورة يوسف وزليخا متعانقين ولم يبق من صورتها شيء إلا صور، وأمرت بسرير من ذهب مرصع بالدر والياقوت واللؤلؤ، فوضعت في صدر البيت وجعلت عليه فرش الديباج والحرير الملون، ثم فرشت البيت وأرخت الستور، ثم ألبست زليخا من نوع الحلبي والحلل النفيسة ما لا يوصف ولا يقدر بقيمة وأجلستها على مرتبة عظيمة مما يليق بمثلها.

ثم خرجت إلى يوسف وهي مستعجلة فقالت: يا يوسف أجب سيدتك زليخا فإنها

(١) هو يوسف بن يعقوب نبي الله، كان أثيراً عند أبيه مما جعل إخوته يحقدون عليه ويرمون في البئر. قصته مشهورة ومعروفة ورد ذكرها كاملة في القرآن الكريم في سورة يوسف. يراجع تفسير الجلالين المذيل بأسباب النزول، إعداد وتنسيق محمد أمين الضناوي، دار الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

تدعوك في بيتها القيطوم وكان سامعاً لها مطيعاً، وكان بيده قضيب من ذهب يلعب به، فرمى القضيب من يده وأسرع إلى الباب ليدخل فنادته زليخا مستعجلة له بالدخول فظن السوء في نفسه وأراد الرجوع بعد أن وضع رجله داخل العتبة، فتوقف عند ذلك وزاد إحساس قلبه بالشر فأسرعت إليه وجذبتة إلى السرير وقالت: هيت لك، فأغمض عينيه وكف يديه ونكس رأسه حياء من الله تعالى فقالت له: يا يوسف، ما أحسن وجهك. قال: الله صوره في الأرحام. قالت: ما أحسن عينيك! قال: هما أول ما يسقطان مني في قبوري. قالت: ما أحسن شعرك! قال: هو أول ما يبلى مني. قالت: يا يوسف، ما أطيب ريحك! قال: لو شممت رائحتي بعد ثلاث لفررت مني، قالت: يا يوسف أتقرب إليك فتباعد مني! قال لها: أرجو بذلك التقرب من ربي.

قالت: انظر إلي نظرة واحدة. قال لها: أخشى العمى من ربي في آخرتي. قالت: ضع يدك على فؤادي. قال لها: إذا تغل في النار يدي. قالت: أشتريك بمالي وتخالفني. فقال: الذنب لإخوتي إذ باعوني حتى ملكتيني.

قالت: اصبر معي ساعة واحدة في البيت. قال لها: ليس فيه شيء يسترني من ربي. قالت: يا يوسف، بأي وجه تخالفني وبأي حكم ترجع عن مرادي ولا ترعى صنعي؟ قال لها: حكم إلهي الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه وبطشه وإكراماً لسيدي الذي أكرمه مثواي وأنزلي منزلة الأولاد. فقالت له: أما إلهك الذي في السماء فإني أفتح بيوت الأموال وأتصدق عنك بها وأهديها إليه حتى يرضى عنك ويغفر لك، ولا أبالي أنا فيما يفعل في حقب لمرادي وقضاء حاجتي، وأما سيدك الذي أكرم مثواك فأنا أطعمه السم حتى ينتثر لحمه ويسقط عظمه ويموت جهداً وكمداً، وأكون أنا وأموالي وما ملكت يداي ملكك وطوع يمينك. قال: إذا فما يكون عذري يوم القيامة بين يدي ربي إذ أكون فضلاً عن ارتكاب المعصية سبباً في جريمة قتل سيدي الذي أحسن إلي. وبعد هذه المحاوراة التفت يوسف إلى صنم داخل البيت وعليه ستر فقال لها: لماذا سترت هذا الصنم؟

قالت: استحييت منه، فقال: إذا كنت تستحين من هذا وهو لا يسمع، لا يراى ولا يسمع ولا يضر فكيف أنا لا أخاف من ربي وقام وبادر بالخروج من الباب من غير أن يكون بينهم سبب من الأسباب وقد شهد الحق له بذلك في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُنْصِرُكَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ١٢٤.

ولما رآته فر يريد الباب أدركته وجذبت قميصه من خلفه فتمزق القميص ووافق ذلك الوقت أن العزيز مر بالباب يريد قضاء بعض حوائجه فإذا بوجبة فالتفت فإذا بالباب يحمل

ويساق فدفع الباب وقال: من؟ فإذا يوسف مقدود الثوب باكي العين وإذا زليخا ناشرة الشعر محمرة الوجه باكية العين. فقال العزيز: فيمَ أنتما؟ فقالت زليخا: يا سيدي غلامك العبراني الذي ائتمنته على أهلك ومننت عليه بفضلك، وأحللته محل ولدك يريد بأهلك السوء.

فأقبل العزيز على يوسف بوجهه وقال: يا يوسف، هذا جزائي منك ائتمنتك على أهلي وأحللتك محل الأولاد المكرمين، ورجوت الخير والانتفاع بك فصرت تخونني في أهلي. فقال يوسف: معاذ الله أن أخونك في أهلك وأرضى بذلك! بل هي راودتني عن نفسي. فوقف العزيز متحيراً ينظر إليها تارة وإليه أخرى فقال يوسف: إن لي شاهداً يشهد ببراءتي. فقال العزيز: ما هو الشاهد ولم يكن معكما أحد في البيت؟ فقال: انظر هذا القميص كيف قد من دُبر فلو كنت أنا المراد لكان القميص قد من قُبُل وهذا برهان محسوس على ذلك وكان مع العزيز ابن عم لزليخا، فلما سمع هذا الدليل وجده قاطعاً فقال: انظر إلى قميصه إن كان قد من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دُبر فكذبت وهو من الصادقين فنظر العزيز إلى القميص فوجده قد من دُبر فقال لها: إن ذلك من كيدك إن كيدك عظيم ثم قال ليوسف: اكرم هذا ولا تبج به لأحد وقال لها: استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ثم تركها وانصرف.

وبعد ذلك قالت ليوسف: قد فضحتني والله لأسلمنك للمعذبين يعذبونك حتى ينسل جسمك كما سللت جسمي. فقال لها: إن كنت احتقرتني لغربتي فإلهي حسبي ونعم الوكيل. واشتغلت عن ذلك بكلفها به وشاع الخبر بمصر أن امرأة العزيز راودت فتاها عن نفسه قد شغفها حباً، وقد اجتمع نساء الملوك والأمراء والقادة مرة وتذاكرن أمرها فاستقبحنه وقلن: إنها في ضلال مبین، فبلغ ذلك زليخا وعظم عليها فأرادت أن تبين عذرها لهن فيه فصنعت لهن صنيعاً وأرسلت إليهن تدعوهن لضيافتهن، وهيات. لهن مجلس أنس وأوجدت فيه كل معدّات الطرب وكن عشر نسوة من نساء الملوك والأمراء وعشر بنات أبكار من بنات الملوك والأمراء، وبعد أن تناولن الطعام قدمت لكل واحدة منهن صحيفة من عسل وأترجة وسكيناً حاداً، وقالت لهن: ما حقي عليكم؟ فقلن لها: أنت سيدتنا وكبيرتنا والمطاعة فينا نسمع لك ونطيع. فقالت لهن: بحقي عليكم إذا خرج عليكم فتاي يوسف إلا ما قطعتن له مما في أيديكن وأعطيته يأكل. فقلن لها: حباً وكرامة.

فتركتهن وذهبت إلى يوسف وقالت له: يا يوسف، أطعني اليوم واعصني أبداً. قال: أما ما لم يكن فيه سخط ربي فلا أبالي. فقالت له: دعني حتى أزينك وإن كنت مزيناً قال: اصنعي ما بدا لك، فرصعت جوانبه بالدر والياقوت وكللت جبينه بالجواهر وألبسته قباء أخضر ومنطقته

بمنطقة من ذهب أحمر، ووضعت على عاتقه منديلاً من السندس وكأساً من ذهب في يده وقالت: اخرج عليهن فلو رأين منك ما رأيت لذهبن عن أنفسهن ولتركن الطعام والشراب ولُمن أنفسهن كما لمُني.

فخرج عليهن وهن قعود يقطعن في الأترج فلما رأينه ظنن أنه صنم زليخا الذي تعبدته وكن يسمعن به ويحببن أن ينظرن إليه، فلما بدا لهن يوسف أكبرنه وصرن شبه السكارى والحيارى من كثرة تعجبهن من بهائه وكماله وأمعن في نظرهن إلى حسنه وجماله ورمز أن يقطعن ما في أيديهن كما شرطت زليخا عليهن فصرن يقطعن أيديهن وصارت الدماء تسيل في حجورهن ولا يجدن ألم القطع ولا حدة السكاكين ولا وقوع الدم على الأجسام، ويوسف يقول: ويحك ما ذا تصنعن بأنفسكن إنما أنا عبد من عبيد ربي، وزليخا تضحك مما تراه منهن من تقطيع أيديهن وذهاب عقولهن وأمرته بالانصراف، فلما غاب عن عيونهن رجعن إلى حسهن فقالت لهن زليخا: ويحك من لحظة واحدة فعلتن بأنفسكن هذا وأنا منذ سبع سنين أقاسي منه ما أقاسي، وأخدمه على أطراف البنان وهو لا يعيرني طرفه ولا يلتفت نحوي فقلن لها: حاشى لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم فقالت لهن: ما هذا الذي فعلته بأنفسكن، فلما رأين ما نزل بهن أدركهن الخجل وذكرن ما لهنها به.

فقالت لهن: هذا الذي لمُتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وأبى ولئن لم يفعل ما أمره لأسجنه وأعذبه حتى يكون من الصاغرين<sup>(١)</sup>. وقد أقرت لهن بأمرها لكونهن عدائياً ورأتهم وقعن بما وقعت به فقلن لها: إنك لمعدورة فمرينا أن نكلمه بشأنك عساه أن يطيع ويسمع عندما نوبخه عن إعراض نفسه فأذنت لهن بالخلوة طمعاً في أن يملكه إليهن، فجعلت كل واحدة منهن إذا خلت به تدعوه إلى نفسها وتشكو إليه وجدها فقال يوسف: يا ربي كنت واحدة ولم أقدر عليها إلا بعنايتك، وقد صرن جماعة ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يوسف ١٣٣

ولما رأين أن لا حيلة لهن باستمالته قلن لها افعلي ما بدا لك فيه، فضاءته مدة من الزمن ولما بثت منه قالت لزوجها: إن هذا الغلام فضحني بين الناس ونكس رأسي بين عيني وفوق شع خبري وخبره في مصر ولا براءة لي عندهم إلا أن أحبسه في السجن، فقال لها زوجها: لا يحبسه إلا الملك الريان بن الوليد، وكان مراده أن يخرج أمه من يده لأنه إذا كان أمره بيده ربما حنت عليه وأخرجته من السجن فلما سمعت ذلك لبست ثيابها وزينتها وجعلت تاجها على رأسها وخرجت حتى أتت إلى الريان بن الوليد وكان في بيته الأعظم وهو بيت من الحديد

(١) الصاغرين: الخاضعين. (القاموس المحيط، مادة: صغرا)

والنحاس فيه الزخارف بأنواع الجواهر والمعادن وكان يجلس في أعلى الباب حتى إذا دخل عليه أحد يراه قبل دخوله، فإن شاء أذن له وإلا ينصرف.

ولما رأى زليخا مقبلة أذن لها بالدخول وأمر الغلمان بفتح الأبواب أمامها، وكانت ذات قدر عظيم عنده مسموعة الكلمة لأنها من بنات الملوك، ولما دخلت على الملك خرت له ساجدة فقال لها الملك: ارفعي رأسك فأنت المقربة المرضية وحاجتك عندي مقضية، فرفعت رأسها إليه وأخذت في الثناء عليه بقولها: أيها الملك دام لك العز والبقاء وألبست ثوب النعمة والرخاء لم تنزل لي مكرماً ولقضاء حاجتي مسرعاً وأن عبدي العبراني قد استعصى عليّ وأحب أن تأذن لي بحبسه في سجن المجرمين حتى يتأدب ولو بعد حين فقال لها: قد أجبتك وجعلت أمر السجن بيدك فانطلقني فاطلقي من شئت واحبسي من شئت فأخذت إذنه ورجعت إلى منزلها وأمرت بإحضار الحدادين إليها فمثلوا بين يديها فقالت لهم: إني أريد أن تصنعوا لي قيلاً محكماً لعبدي يوسف العبراني. فقالوا: أيتها الملكة المطاعة في أمرها العظيمة في قومها إنا نرى بدنأ ناعماً وساقاً رقيقاً ووجهاً أنيقاً، وإنه ربي بنعمة كاملة وعافية شاملة، فكيف يقوى على حمل القيد الحديد الثقيل.

فقالت: قيّدوه وهذا لا يعينكم. فقال يوسف: افعلوا ما أمرتكم به فإنني من أهل بيت البلاء فقيدوه وحملوه على الأكتاف وانطلقوا به إلى السجن وتسامع الناس به فأقبلوا إليه من كل مكان حتى غصت الطرقات وصاروا ينظرون إليه ويقولون: إنه عصي سيده الملكة وهو منكس رأسه ويقول: هذا خير من عصيان رب العالمين، فلما وصلوا به إلى السجن قالوا للسجان: خذ هذا فإن سيده غضبت عليه وأمرت أن يسجن في سجن المجرمين، فأدخله السجن إلى السجن ووضع بين أصحاب الكبائر والجنايات، ودخل العزيز على زليخا وقال: ما فعلت بيوسف؟

قالت: قيّدته وحبسته وكان مرادها أن تخرجه عن قريب. فقال لها: أقسمت عليك بالملك الريان ورأسه إلا ما أبقيت يوسف في السجن ما دام الملك حياً فلم يمكنها إلا إبرار القسم وأدركها الندم، ولم تجد عذراً تخرجه به، وكانت تصعد إذا جن الليل إلى أعلى قصرها وتنظر إلى جهة السجن وتبكي وتقول: حبيبي يوسف ليت شعري أنائم أنت أم يقظان أجائع أنت أم عطشان، وتبقى على ذلك النحيب والبكاء حتى ينفجر الصبح وجداً عليه وشوقاً إليه وقد أنحلها الغرام وخالطها الهيام وداخلها السقام وهجرها المنام، وتعذر على ناعتها إثباتها ودامت على ذلك لا تشكو إلا بذكره ولا تسأل إلا عن أمره مدة اثنتي عشرة سنة حتى أذن الله ليوسف بالخروج من السجن كما جاء في قصته، ولم يشأ الخروج إلا بعد براءة ساحته، فجاء

الملك بالنسوة اللاتي قطعن أيديهن وسألهن عن ذنب يوسف بقوله: ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه وكيف دعوته إلى الفاحشة فأقررن عند ذلك.

وقلن: حاشى الله ما علمنا عليه من سوء، ولا كانت رغبة فينا ولا دعوة للزنا وإنه لبريء الساحة طاهر الذيل. فقالت زليخا: هذا وقت بيان الحق<sup>(١)</sup> واضمحلال الباطل إن مراد حبيبي إقرارى. فأنا أقر بذنبي، الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين، ولما ظهرت براءة يوسف وتبواً الملك وحصل القحط في مصر نسي زليخا ولم يفكر بها لكثرة أشغاله، وقد مات العزيز زوجها وهي لكثرة إسرافها نفدت أموالها خصوصاً في أيام القحط التي حصلت بمصر في مدة يوسف حتى صارت لا تملك شيئاً ومدة يدها للسؤال فقيل لها: لو تعرضت للصديق لرحمك وأعطاك شيئاً عن الناس يغنيك.

وقيل لها من آخرين: لا تفعلي فربما يذكر ما كان منك إليه من المراودة وطول السجن والمخالفة فيسيء إليك ويعاقبك فقالت: أنا أعلم بحبيبي منكم إن من خلقه الصفع والاحتمال والفضيلة والابتهاال، ثم نهضت حتى جلست على ربوة بطريقه وكان ليوسف يوم يركب فيه في كل أسبوع وكان يركب معه من عظماء دولته ووزرائه وقواده وأرباب مملكته نحو المائة ألف نفس، فلما أقبل يوسف وأحست به قامت ونادت بأعلى صوتها سبحان من جعل العبيد ملوكاً بالطاعة، وجعل الملوك عبيداً بالمعصية. فأمسك العنان ونظر إليها وهي واقفة في ذلك المكان فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا التي كنت أخدمك دهرأ وأرجل جمتك وكان مني ما كان في ذلك الزمان قد ذقت وباله ولقيت نكاله، وتغيرت كما ترى أحوالي، وصرت أسأل الناس الذين كانوا يسألوني فمنهم من يرحمني ومنهم من يعرض عني، وهذا جزاء من خالف مولاه وتبع هواه.

فلما سمع الصديق كلامها بكى إشفافاً عليها ثم قال لها: هل بقي بقلبك شيء مما كان؟ قالت: والله لنظرة فيك أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم قالت: ناولني طرف سوطك فدعها يديه فوضعتة على قلبها فأحس يوسف بانتفاض يده مع السوط من شدة انتفاض قلبها، وقال لها: أصاب قلبك؟ فقالت: يا يوسف، هو كما ترى. فقال لها: اذهبي إلى متاعك من متاعك في أمرك، ثم ذهب باكياً وبعد وصوله إلى مستقره أرسل إليها رسالة فقال لها: بقاءك المسك إن كنت أيماً تزوجناك وإن كنت ذات بعل أغنياناك. فقالت لها: سئول إليك عنى فإن المسك أعرف بالله من أن يستهزئ بي فإنه لم يلتفت إلي أيام شبابي، جمالي فكيف يلتفت إلي الآن وأنا تصدق قوله، فرجع الرسول وأخبر الصديق بما قالت، وددت من شأنها، فعلم أنها عذراء.

(١) حصحص الحق: بان بعد كتمانها. (القاموس المحيط، مادة حصحص).



بما قاله لها الرسول. فلما كان في الأسبوع الثاني مر الصديق عليها بموكبه فرآها على الحالة التي رآها بها أول مرة وقالت له كما قالت في الأول فقال لها: ألم يبلغك رسولي ما أرسل به إليك فما ترين؟ فقالت: ألم أقل إن نظرة إليك أحب إلي من الدنيا وما فيها. فلما سمع منها ذلك أمر بحملها إلى قصره وأحضر الشهود وتزوجها، فلما زفت عليه وأدخلت إليه نظر إليها فزاد إشفاقاً عليها فأكرمها أكراماً لا مزيد عليه، ورتب لها من يقوم بأودها ولم يمضِ زمن حتى عاد إليها جمالها ورونقها وبهاؤها وكمالها وذلك من سرورها بما نالت من حبيبها حلاً بعد الحرام، وانتقالها من دنيا إلى أخرى بقدره الملك العلام.

وقيل: إنها طلبت إليه أن يدعو الله أن يرد لها جمالها ففعل، وهناك تذكرت المنام الذي كانت رآته قبل تزوجها بقطير فرأت أن تفسيره قد حصل بزواجها بيوسف، أن لبست تاج مصر في مدته وصارت ملكة كعادة زمانهم ولما دخل عليها يوسف وجدها بكرأ فتعجب من ذلك وقال لها: ما كنت تفعلين حين راودتيني عن نفسي قالت: أيها الصديق اعذرني ولا تلمني فإن الله كساك حلة الجمال والبهاء والكمال وكان زوجي عتيماً<sup>(١)</sup> لا يقرب النساء فغلب علي حب الشهوة ففعلت ما فعلت.

ولما أتاها ولدت له «إفرايم» وبعده «منشا» وذلك في مدة أربع سنوات ولم تلد له خلافاً مدة حياتها.

### زوي إمبراطورة المملكة الشرقية

هي ابنة «قسطنطين التاسع»<sup>(٢)</sup>، زفت إلى «رومانوس الثالث» سنة ١٠٢٨ [م]، ثم عشقت صائغاً يدعى «ميخائيل» وهو «ميخائيل الرابع» البافلاغوني فأهلكت زوجها وتزوجته، فرقي تخت الملك ولم يلبث أن أساء معاملتها فاتفقت مع أخيه وعلى رواية ابن أخيه يوحنا الملقب من ثم «ميخائيل الخامس» وخلعاه ورقى «ميخائيل» تخت الملك سنة ١٠٣٥ [م]، فأساء معاملتها أيضاً، فأثارت هيجاناً في القسطنطينية وخلعت «ميخائيل» ورقت مكانه مع أختها «تيودورا» فتزوجت وكانت في الثالثة والستين من عمرها «قسطنطين العاشر مونوماخوس» سنة ١٠٤٢ فصفا لها الجوّ وحكمت كيف شاءت إلى أن هلكت سنة ١٠٥٢ ميلادية.

(١) العتيين: من لا يأتي النساء عجزاً، أو لا يريدهن. [القاموس المحيط، مادة: عَن].

(٢) قسطنطين التاسع: هو مونوماكس حكم من سنة ١٠٤٢ م حتى سنة ١٠٥٥ م. هو أحد أباطرة بيزنطة. في أيامه حدث انفصال ميخائيل كرولايوس عن الكنيسة الكاثوليكية.

## زينب<sup>(١)</sup> ملكة تدمر

كانت آية زمانها في الجمال ونادرة عصرها في الفضل المقرون بالجلال تعرف عند الرومان بـ «زنوبيا» ملكة الشرق، تولت عرش تدمر<sup>(٢)</sup> بعد زوجها «أذينة»<sup>(٣)</sup> المقتول عام ٢٦٧ للميلاد وكان اشتد ساعدها ورسخت في البلاد وطأتها شادت في عاصمتها البناءات الباهية الأنيقة، وغرست في ضواحيها الرياض الزاهية حتى تركتها جنة من الجنان فيها فاكهة، والنخل ذات الأكمام، والحب ذو العصف والريحان.

ثم جنحت إلى المغازي والفتوحات فدانت لشدة بأسها العباد، وفتنت ببديع حسنها وسحر أساليبها الملوك، فأسكرها الفوز والنصر وبعثها على التمادي في طلاب العز والتماس الفخر فبعثت بالسرايا والصوائف إلى مصر فقهرتها ولقتب ذاتها بألقاب أهاجت عليها حسد مملكة الرومان، فناوتها<sup>(٤)</sup> وزحف عليها «أورليان»<sup>(٥)</sup> قيصر الروم، فعبأت الجيوش وقابلته على مقربة من أنطاكية فحمص، فهزمتها شر هزيمة حتى اعتصمت منه بقاعدة بلادها تدمر، فأدار عليها رحى الحرب حصاراً وقتالاً حتى تداعت له أسوارها عنوة فأعمل في أهلها السيف، وفي قصورها التخريب حتى غادرها قاعاً صفصفاً يأوي إليها البوم والقطا، نادبة سالف مجدداً المذكور، وقديم عزها المأثور.

وأما «زنوبيا» فأسرها «أورليان» وقادها إلى عاصمة الرومان ذئيلة صاغرة حيثما دخلها بموكب حافل وهي ترسف بقيودها الذهبية أمام العواجل، وكان ذلك عام ٢٧٢ للميلاد فسبحان الحي الباقي من لا عاصم من يديه ولا واقى.

وأما تدمر فهي مدينة قديمة ذات آثار عظيمة كانت تعرف بمدينة النخل ويسميتها

- (١) في المؤرخين من يقول: هما اثنتان، الأولى: اسمها نائلة ولقبها الزينة، وهي التي قتل حبيبته لأبائها، وقتلت نفسها بالسم. والثانية: زينب المسماة عند الرومان «زنوبيا» وهي التي تولت الحكم بعد مقتل زوجها أذينة وماتت في سجن أورليان الروماني.
- (١) تدمر أو بلميرا: مدينة في قلب الصحراء السورية شرقي حمص، اشتهرت بعدد من الصناعات والحرف اليدوية كالزجاج والفسيفساء والتلال كلسية، كانت على طريق القوافل التجارية. عاصمة دولة عميلة الإردنية من سنة ١٩١٦م حتى سنة ١٩٢٠م مع أذينة وزوجته زنوبيا التي أسرها أورليانوس إمبراطور الروم، دعت المدينة سنة ٢٦٢م وسميت تدمر الوليد سنة ٦٣٣ م. معجم البلدان، ج ٢/٢ ص ٢٠.
- (٢) أذينة: ملك تدمر وزوج زنوبيا، هزم الفرس، عينه عالياء من قائد الشرق الأعلى سنة ٢٦٢ م. تدمر في حمص سنة ٢٦٨ م، وقيل: ٢٦٧ م.
- (٣) ناوتها: ناواتها: أعلنت العداة لها.
- (٤) أورليان: أو أورليانوس (Aurelianus)، إمبراطور روماني حكم من سنة ٢٧٠ م حتى سنة ٢٧٥ م. أسر زنوبيا ملكة تدمر وجاء بها إلى روما.

الأقدمون «بالميرى» واقعة بين نهري الفرات، والعاصمة تبعد بنحو ٩٠ ميلاً عن حمص إلى الشرق و ١٥٠ ميلاً عن دمشق إلى الشمال الشرقي.

قيل: إنها سميت باسم تدمر بنت حسان التي بنت المدينة في أيامها والصحيح: أنها من بناء سليمان كما ورد في التوراة، وقد زعم العرب أن الجن بنوها له وعلى ذلك يقول النابغة:

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحدها عن الفند  
 وخبر الجن أني قد أمرتهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد  
 ولم تنل تدمر عزاً مثل ما نالته في مدة «زنوبيا» ولم يرجع إليها رونقها الأصلي أبداً حتى  
 صارت خرائب في هذا الزمان يأوي إليها البوم والغربان.

### زينب ابنة عبد الله بن عبد الحلیم

كانت حنبلية المذهب وهي بنت أخي الشيخ تقي الدين. قال الحافظ ابن حجر<sup>(١)</sup>: سمعت من ابن الحجار وغيره وحدثت وانتفع الناس بعلمها ولي منها إجازة. وهي من نساء الحديث المشهورات ذات لهجة صادقة، ولذلك عدت من المحدثين.

### زينب ابنة محمد بن عثمان بن عبد الرحمن الدمشقية

كانت أحسن نساء زمانها منظراً، وأعذبهن مقالاً، وأفصحهن منطقاً، وأعلمهن بالفقه والحديث وكان يعرف أبوها بابن العصيدة، حدثت بالإجازة العامة عن فخر الدين ابن الحجار وغيره. ومن تلامذتها: الحافظ ابن حجر وله منها إجازة وعمرت أكثر من مائة سنة وعشر سنين وكانت حلقة درسها لا تقل عن الخمسين طالباً للحديث ولم يسمع بامرأة مثلها فتحت حلقة درس واجتمع فيه طلاب مثل طلاب حلقة درسها.

### زينب ابنة عثمان بن محمد لؤلؤ الدمشقية

كانت من أفاضل العلماء ولها اليد الطولى في علوم السنة سمعت من الحافظ ابن حجر وأخذ منها الحافظ ابن حجر. وتوفيت سنة ثمانمائة ولها رسائل في الفقه، والسنة استند عليها كثير من العلماء.

(١) هو أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، محدث من الأئمة، مؤرخ مصري. من آثاره: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، «الإصابة في تمييز الصحابة»، «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة». توفي سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م.

## زينب الميرية

هي ابنة أحد مشاهير العرب ولدت بالميرية من أعمال الأندلس ولم نقف على تاريخ ولادتها واسم أبيها والذي وصل إلينا أنها كانت ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، وأدب وظرف، وتهذيب ولطف. رقيقة المعاني جزلة الألفاظ حاضرة النادرة لها شعر بديع جالست الأدباء وساجلت الشعراء حتى إنها كان يشار إليها بالبنان في ذلك الأوان، ومن شعرها:

يا أيها الراكب الغادي مطيته      عرج أنبئك عن بعض الذي أجدُ  
ما عالج الناس من وجد تضمنهم      إلا ووجدني بهم فوق الذي وجدوا  
حسبي رضاه وإنني في مسرته      ووده آخر الأيام أجتهدُ

وتوفيت بالميرية مأسوفاً عليها من ذوي الأدب وأهل العلم.

## زينب ابنة حدير

كانت من عاقلات ذاك العصر وأطوعهن لأزواجهن وكان زوجها القاضي شريح<sup>(١)</sup> كما روى عنه الشعبي فإنه قال: قال لي شريح: يا شعبي، عليكم بنساء بني تميم فإنهن النساء قلت: وكيف ذلك؟ قال: انصرفت من جنازة ذات يوم ظهراً فمررت بدور بني تميم فإذا امرأة جالسة في سقيفة على وسادة وفي جانبها جارية كأنها البدر في الليلة الداجية، فاستقيت فقالت لي: أي الشراب أعجب إليك النبيذ أم اللبن أم الماء؟ قلت: أي ذلك تيسر عليكم فقالت: اسقوا الرجل لبناً فإني أخاله غريباً. فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبيني. فقلت: من هذه؟ قالت: ابنتي. قلت: وممن؟ قالت: زينب بنت حدير إحدى نساء تميم، ثم إحدى نساء بني حنظلة، ثم إحدى نساء بني طهية<sup>(٢)</sup>.

قلت: أفرغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة. قلت: أتزوجينها؟ قالت: نعم، إن كنت كفوياً، لها عم فاقصده. فانصرفت إلى عمها فقال: يا أبا أمية ما حاجتك؟ قلت: إليك. قال: وما هي؟ قلت: ذكرت لي بنت أخيك زينب بنت حدير. قال: ما بي عنك، غنة لا لك عنها.

(١) شريح القاضي، هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أمه أمية، من أشهر القضاة القميين، في صدر الإسلام. أصله من اليمن، ولي قضاء الكوفة في عهد عثمان، وعمره، ومعه، استعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة ٧٧ هـ. كان ثقة في الحديث، مأموراً في القضاء، له شرح في الأدب والشعر. عمر طويلاً، ومات في الكوفة سنة ١١٨ هـ/٦٩٧ م.

(٢) بنو طهية: بطن من حنظلة من تميم من العدنانية، وهم بنو مالك بن حنظلة. هم بنو أبي عمرو، وحبيش ومالك وعوف بن مالك بن حنظلة، وطهية أمهم، عرفوا بها. وهي طهية بنت عبد شمس بن عبد مناف مناة بن تميم.

مقصر وإنك لنهزة وزوجني بها وبارك القوم لي، ثم نهضنا فما بلغت منزلي حتى ندمت فقلت: تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها فهممت بطلاقها، ثم قلت: أجمعها إليّ فإن رأيت ما أحب وإلا طلقته، فأقمت أياماً ثم أقبل نساؤها يهادينها.

فلما أجلس في البيت أخلي لي البيت فقلت: يا هذه، إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي وتصلي ركعتين ويسألا الله خيراً ليلتهما ويتعوذا بالله من شرها فقمت أصلي، ثم التفت فإذا هي خلفي فصليت فإذا هي على الفراش، فمددت يدي فقالت: علي رسلك. فقلت: إحدى الدواهي منيت بها. فقالت: إن الحمد لله وحده أحمده وأستعينه إني امرأة عربية ولا والله ما سرت سيراً قط أشد عليّ منه وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك فحدّثني بما تحب فأتيه وما تكره فأنزجر عنه.

فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد قدّمت خير مقدم على أهل دار زوجك سيد رجالهم، وأنت سيدة نساءهم أحب كذا وأكره كذا قالت: أخبرني عن أختانك أتحب أن يزوروك؟ فقلت: إني رجل قاضٍ وما أحب أن تملوني. قال: فبت بأنعم ليلة وأقمت عندها ثلاثاً، ثم خرجت إلى مجلس القضاء فكنت لا أرى يوماً إلا هو أفضل من الذي قبله حتى إذا كان عند رأس الحول دخلت منزلي فإذا عجوز تأمر وتنهاي، فقلت: يا زينب من هذه؟ فقالت: والدتي. قلت: حياك الله بالسلام. قالت: أبا أمية، كيف أنت وحالك؟ قلت: بخير والحمد لله. قالت: كيف زوجتك؟ قلت: كخير امرأة. قالت: إن المرأة لا ترى في حال أسوأ خلفاً منها في حالين إذا حظيت عند زوجها وإذا ولدت غلاماً فإن رابك منها ريب فالسوط، فإن الرجال والله ما جازت إلى بيوتهم شر من الورهاء المتدلة.

قلت: أشهد أنها بنتك قد كفتنا الرياضة، وأحسن الأدب. قال: فكانت في كل حول تأتينا فتذكر هذا، ثم تنصرف. قال شريح: فما غضبت عليها قط إلا مرة واحدة كنت لها ظالماً فيها وذلك أني كنت إمام قومي فسمعت الإقامة، وقد ركعت ركعتي الفجر فأبصرت عقرباً فعجلت عن قتلها فأكفأت عليها الإناء، فلما كنت عند الباب قلت: يا زينب، لا تحركي الإناء حتى أجيء، فعجلت فحركت الإناء فضربت بها العقرب فجئت فإذا هي تلوي فقلت: ما لك؟ قالت: لسعتني العقرب، فبهذا السبب كان غضبي لتعجيلها رفعه، وكان لي جار يضرب زوجته فقلت في ذلك:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم	فشلت يميني يوم تضرب زينباً
أضربها في غير جرم أتت به	إليّ فما عذري إذا كنت مذنباً
فتاة تزين الحلبي إن هي حليت	كان بفيها المسك خالط محلباً

## زينب ابنة حجش<sup>(١)</sup>

أم المؤمنين بنت حجش بن [الرتاب]<sup>(٢)</sup> زوجة النبي ﷺ، تكنى أم الحكيم، وأمها أميمة بنت عبد المطلب<sup>(٣)</sup> عمة النبي كانت قديمة الإسلام ومن المهاجرات مع الرسول وكانت قبل النبي ﷺ تحت زيد بن حارثة ومضى النبي يوماً إلى بيته لغرض فرفعت الريح باب الخباء فرأى زينب حاسرة فأعجبته ومن ثمَّ كرهت إلى زيد فلم يستطع أن يقربها فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «أراك فيها شيء؟» قال: لا، فقال النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله». ففارقها زيد، واعتدت فحلت للرسول ﷺ فأنزل الله عليه ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] فقال النبي ﷺ: «من يبشر زينب أن الله قد زوجنيها»<sup>(٤)</sup> وقرأ عليهم: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] الآية.

فكانت زينب تفتخر على نساءه وتقول: زوجكن أهلكن وزوجني الله من السماء، وذلك سنة ٥ للهجرة، فلما دخل عليها قال لها: «ما اسمك؟»<sup>(٥)</sup>.

فقالت: برة، فسماها زينب ولما تزوجها تكلم في ذلك المنافقون وقالوا: حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه لأن زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ كان يدعى بابن محمد على سبيل التبني فأنزلت الآية وهي: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] والآية الأخرى ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

فدعي زيد من ثمَّ بابن حارثة، وكانت زينب قصيرة جميلة، صناع اليدين، صوامة قوامة، تشتغل وتتصدق من شغل يدها.

وقالت عائشة: يرحم الله زينب بنت حجش لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، إن الله عز وجل زوجها بنبيه ونطق به القرآن وإن الرسول قال لنا ونحن حولنا:

- (١) هي زينب بنت حجش بن رتاب الأسديّة، من أسد خديمة، أم المؤمنين، إحدى شهيدات الإسلام صدر الإسلام. كانت زوجة زيد بن حارثة، اسمها «برة». سماها النبي «زينب» بعد أن تزوجها من النساء. بسببها نزلت آية الحجاب. هي أول من حمل بالنعش من نساء العرب، وقد سماها زينب. نعم خباء للظعينة. وكانت الحبيشة تحمل به.
- (٢) ورد اسمها زينب بنت حجش بن «الرتاب» والصحيح «الرتاب». وهذا ما وجدناه أثناء البحث عن ترجمتها في المصادر. ابن سعد (٨: ٧١)، صفوة الصفوة (٢: ٢٤)، حلية الأولياء (٢: ٥١).
- (٣) ترجمتها في الجزء الأول من هذا الكتاب.
- (٤) أخرجه البخاري في الصحيح (٨: ٥٤). وأحمد في المسند (٥: ٨٤). والبيهقي في السنن الكبرى (٩: ٣٠٧).
- (٥) أخرجه البخاري في الصحيح (٨: ٥٤). وأحمد في المسند (٥: ٨٤). والبيهقي في السنن الكبرى (٩: ٣٠٧).

«أسرعن لحوقاً بي أطولكن يداً»<sup>(١)</sup> فبشرها بسرعة لحوقها به وهي زوجته في الجنة وذلك لأنها أول من توفيت من نسائه بعده، وكان يريد بطول اليد كثرة الصدقة .  
وقال لعمر بن الخطاب: «إن زينب أواهة»<sup>(٢)</sup> أي خاشعة متصدّعة . وتوفيت سنة ٢٠ .  
وقيل: ٢١ للهجرة وكان عمرها حين تزوجها ٣٥ سنة .

### زينب ابنة الحارث

امرأة يهودية من خيبر كانت زوجة سلام بن مشكم، فلما استقر النبي ﷺ في خيبر أهدت له شاة مصلية مسمومة فوضعتها بين يديه، فأخذ مضغاً فلم يسغها ومعه بشير بن البراء بن معرور فأكل بشير منها وقال النبي: «إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة» ثم دعا المرأة، فاعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك؟» .  
قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت: إن كان نبياً فسيخبر، وإن كان ملكاً استرحنا منه .

فتجاوز عنها ومات بشير في تلك الأكلة أما النبي ﷺ فلم يؤثر فيه السم إلا تأثيراً خفيفاً، فحجم بين كتفيه وقال في مرضه الذي مات فيه: «هذا وإنني وجدت انقطاع أبهري من أكلة خيبر»<sup>(٣)</sup> .

فكان المسلمون يرون أنه مات شهيداً مع كرامة النبوة وادعى ورثة بشير على زينب فقتلت .

### زينب<sup>(٤)</sup> ابنة الإمام أحمد الرفاعي

لبست الخشن من الثياب، وتركت الطيب من الطعام والشراب، وكانت قد أرخت الحجاب وتملت بعبادة الملك الوهاب، وقنعت بدون اليسير مع القدرة ولزمت حنين أبيها وتبعت أثر طريقته بالذل والانكسار والسكينة والافتقار .  
كان السيد أحمد<sup>(٥)</sup> - رضي الله عنه - يقول: كأنها خلقت رجلاً والناس يظنون أنها

(١) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (٤ : ١٤٩) .

(٢) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (٤ : ١٤٩) .

(٣) أخرجه البيهقي (٨ : ٤٦) . وابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٨) .

(٤) هي زينب بنت أحمد (الإمام الرفاعي) بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني، فاضلة صالحة . سلكت طريق أبيها

في التصوف، حفظت القرآن وسمعت الحديث، تفقّهت وأخذ عنها أولادها . توفيت سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م .

(٥) هو أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني، أبو العباس، الإمام الزاهد، مؤسس الطريقة الرفاعية . ولد في قرية حسن من أعمال واسط في العراق سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م . تفقه وتأدّب في واسط، =

خلقت امرأة، وقال السيد عمر الفاروثي: كنت ذات يوم عند السيد أحمد فأظهرني على كثير من أسرارهِ، ثم أخذني بيده ودخل بيته على رابعة، فقال له: سلم عليها واخدمها واسألها أن تدعو لك. فجاءت زينب فقَبِلَ رأسها ثم قال لي: أي عمر سلم عليها واخدمها واسألها أن تدعو لك ولذريتك ففعلت ذلك

ثم قلت في نفسي: الأولى إنه كان يأمرني بالخدمة والتعظيم لرابعة فإنها أكبر سنًا، فالتفت إلى السيد أحمد - قدس الله سره العزيز - وقال لي: أي عمر، إن الله وعدني أن يحيي بها الآثار ويعمر بها الديار. فقالت زينب: أي سيدي تعيش أنت ويعيش السيد صالح ويجعلني الله فداءك ويحيي الله بك الآثار. فقال: بل فيك. فقالت: يا سيدي أن أقعد وأحدث الناس وأجلس معهم في المجالس؟ فقال لها: يا زينب، لا ولكن ذريتك يبقون إلى يوم القيامة.

إلا أن صاحب الشفاء<sup>(١)</sup> أورد هذه الحكاية في كتابه بغير هذا النسق. قُلت مريم بنت الشيخ يعقوب: قد قالت لي زينب: نتعب قليلاً ونستريح طويلاً، السفر بعيد، والطريق ضويل، والجسد ضعيف، والزاد قليل، وليس لنا بدّ من هذا السفر لو ندركه قبل أن يدركنا ونستتبهه قبل أن يستقبلنا لكان خيراً لنا.

قال الزبير جدي: حفظت القرآن وتفقهت وسمعت الحديث من خالتي شيخ أبي نبير الأنصاري الواسطي وأخذ عنها أولادها الأئمة الأعلام، وسمع منها الشيخ الكبير عبد الواسطي الفرج الفاروثي الكازروني، وكانت عظيمة القدر رفيعة المنزلة أقبل على زروع أهل واسط، وأم عبيدة<sup>(٢)</sup> جيش الجراد فالتجأ الناس إليها فتقنعت وصعدت السطح وقالت: انهي عبيدك ساقهم حسن الظن إليّ، وأنت الذي أقيت ذلك في قلوبهم وإني أقل من أن أسألك لذنوبي وسواد وجهي وأنت أكرم من أن ترد المنكسرين يا أرحم الراحمين. فرَدَ الجراد زمة واحدة، وكأنه إبل ساقها رعاتها حتى لم يبق منه جراد واحد.

وتصوّف فانضمّ إليه خلق كثير من الفقهاء كان لهم به اعتقاد كبير، وكان له من الأسماء والكنى ما لا يحصى، مات ولم يخلف عقباً.

(١) صاحب كتاب «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن محمد بن يحيى اليحصبي السبتي، أبو الفضل. المولود سنة ٥٧٨ هـ/١١٨٢ م. وقبيلته من بلاد واسط، مات سنة ٥٤٤ هـ/١١٤٩ م.

(٢) واسط: بالبطائح من أعمال العراق قرب البصرة. معجم البلدان، ج ٥/٥٠٠.

(٣) أم عبيدة: بالبطائح وهي من أعمال واسط في العراق. معجم البلدان، ج ٥/٥٠٠.



توفيت سنة ثلاث وستمائة [ستمائة وثلاثون]<sup>(١)</sup> بأم عبيدة ودفنت بالمشهد الأحمدي المبارك رضي الله عنها.

### زينب<sup>(٢)</sup> ابنة رسول الله ﷺ

هي أكبر أولاده ولدت ولرسول الله ﷺ ثلاثون سنة وماتت سنة ثمان للهجرة في حياة أبيها وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد. وقد قيل: إنها لم تكن أكبر بناته وليس بشيء إنما الاختلاف بين القاسم وزينب أيهما ولد قبل الآخر فقال بعض العلماء بالنسب: أول ولد ولد له القاسم، ثم زينب. وهاجرت بعد وقعة بدر، وقد تزوجت لقيطاً الملقب بأبي العاص بن الربيع<sup>(٣)</sup>، وولدت منه غلاماً اسمه علي فتوفي وقد ناهز الاحتلام، وكان رديف رسول الله ﷺ يوم الفتح وولدت له أيضاً بنتاً اسمها أمامة وأسلم أبو العاص وكان الإسلام قد فرق بين زينب وبين أبي العاص إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرق بينهما بمكة لعدم قوة الإسلام بها حينئذ. وقيل: إن أبا العاص لما أسلم رد عليه رسول الله ﷺ زينب فقيل: بالنكاح الأول. وقيل: ردها بنكاح جديد.

وتوفيت زينب بالمدينة في السنة الثامنة للهجرة [للهجرة] ونزل رسول الله ﷺ في قبرها وهو مهموم محزون، فلما خرج سرّي عنه، وقال: «كنت ذكرت ضعفها» فسألت الله تعالى أن يخفف عليها ضمة ففعل وهون عليها. ثم توفي بعدها زوجها أبو العاص.

وقال آخرون: إن زينب ولدت في سنة ثلاثين من مولده ﷺ وأدركت الإسلام وأسلمت وهاجرت وكان أبوها يحبها وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع ففرق بينهما الإسلام، ثم لما أسلم زوجها جمع ﷺ بينهما. قال بعضهم: ولم يفرق بينهما من أول البعثة لأن تحريم نكاح المشرك للمسلمة إنما كان بعد الهجرة.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان الإسلام فرق بين زينب وبين أبي العاص إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرق بينهما لأنه كان مغلوباً بمكة وولدت زينب لأبي العاص

(١) وردت في الأصل «ثلاث وستمائة»، وهذا خطأ فخلال بحثنا عن ترجمتها وجدنا أنها توفيت سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣ م. روضة الناظرين (١١٧).

(٢) للاستزادة يراجع: الإصابة كتاب النساء (الترجمة ٤٦٤)، طبقات ابن سعد (٨: ٢٠).

(٣) هو القاسم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو العاص، صحابي من أصحاب النبي ﷺ غلب عليه لقبه أبو العاص، وكان يلقب جرو البطحاء، ويقال له: الأمين، وهو زوج زينب الكبرى بنات النبي ﷺ تزوجها في الجاهلية بمكة، وتأخر إسلامه، فكانت عند أبيها بالمدينة، أسلم فأعيدت إليه. توفي سنة ١٢ هـ/ ٦٣٤ م.

علياً وأمامة فأما عليّ فمات مراهقاً، وأما أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب بعد خالتها فاطمة بوصية من فاطمة وتزوجها بعد موت علي المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بوصية من علي وكان رسول الله ﷺ يحب أمامة وهي التي كان يحملها في الصلاة على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود أعادها.

ولما أسر أبو العاص في وقعة بدر وكان مع الكفار أرسلت زينب في فدائه الربيع بمال دفعته إليه من ذلك قلادة لها كانت أمها خديجة قد أدخلتها بها على أبي العاص فقال رسول الله ﷺ: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها الذي لها فافعلوا». فقالوا: نعم، وكان أبو العاص مصاحباً لرسول الله ﷺ مصافياً، وكان قد أبى أن يطلق زينب لما أمره المشركون أن يطلقها فشكر له صنيعه.

ولما أطلقه النبي ﷺ من الأسر شرط عليه أن يرسل زينب إلى المدينة فعاد إلى مكة وأرسلها إلى المدينة فلماذا قال رسول الله ﷺ: «حدثني فصدقني ووعدني فوفني».

ولم تنزل زينب بالمدينة وأبو العاص بمكة على شركه، فلما كان قبيل الفتح خرج بتجارة إلى الشام ومعه أموال من أموال قريش ومعه جماعة منهم.

فلما عاد لقيته سرية لرسول الله ﷺ أميرهم زيد بن حارثة، فأخذ المسلمون ما في تلك العير من الأموال، وأسروا أناساً وهرب أبو العاص بن الربيع، ثم أتى المدينة ليلاً فدخل على زينب فاستجار بها فأجارته.

فلما صلى النبي ﷺ صلاة الصبح صاحت زينب: أيها الناس إنني قد أجرت ابن العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على الناس وقال: «هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم. قال: «والذي نفسي بيده ما علمت بذلك حتى سمعتم». وقال: «يجير على المسلمين أدناهم» ثم دخل على ابنته فقال: «أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له قالت: إنه قد جاء في طلب ماله. فجمع رسول الله ﷺ تلك السرية.

وقال: «إن هذا الرجل منا حيث علمتم وقد أصبتم له مالا وهو مما أفاء الله عليكم وإن أحب أن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإن أبيتم فأنتم أحق»<sup>(١)</sup>.

فقالوا: بل نردّه عليه، فردّوا عليه ماله أجمع فعاد إلى مكة وأدى إلى الناس أموالهم، ثم أسلم وحسن إسلامه.

ثم قدم إلى المدينة ورد عليه رسول الله ﷺ ابنته ولم تنزل معه حتى توفيت سنة ثمان من الهجرة.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨ : ٢١)

## [زينب ابنة جزيمة]

زينب ابنة جزيمة بن حارثة بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية زوج النبي ﷺ يقال لها: أم المساكين لكثرة إطعامها وصدقها عليهم، وكانت تحت عبد الله بن جحش<sup>(١)</sup> فقتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله ﷺ وقيل: كانت عند الطفيل بن الحارث بن [عبد]<sup>(٢)</sup> المطلب بن عبد مناف<sup>(٣)</sup>، ثم خلف عليها أخوه عبيد بن الحارث كانت أخت ميمونة زوج النبي ﷺ لأمها، وتزوجها رسول الله ﷺ بعد حفصة، ولم تلبث عند رسول الله ﷺ إلا يسيراً - شهرين أو ثلاثة - حتى توفيت وكانت وفاتها في حياته ﷺ لا خلاف فيه.

وقال ابن منده: إن النبي ﷺ قال: «أسرعن لحوقاً بي أطولكن يداً»<sup>(٤)</sup> فكان نساء النبي يتذارعن أيتهن أطول يداً، فلما توفيت زينب علمن أنها كانت أطولهن يداً في الخير، وهذا وهم فإنه ﷺ قال: «أسرعن لحوقاً»<sup>(٥)</sup> وهذه سبقتة إنما أراد أول نساءه تموت بعد وفاته، وقد تقدم في زينب بنت جحش وهو لها أشبه لأنها كانت كثيرة الصدقة من عمل يدها، وهي أول نساءه، توفيت بعده والله أعلم.

## زينب ابنة العوام أخت الزبير

وهي أم عبد الله بن حكيم بن حزام أسلمت وبقيت إلى أن قتل ابنها يوم الجمل فقالت ترثيه وترثي الزبير أخاها:

أعيني جوداً بالدموع فأشعرا	على رجل طلق اليدين كريم
زبير وعبد الله يدعي لحادث	وذي خلة منا وحمل يтим
قتلتم حوارِي النبي وصهروه	وصاحبه فاستبشروا بجحيم

- (١) هو عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر الأسدي، صحابي، قديم الإسلام. هاجر إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة. كان من أمراء السرايا، وهو صهر رسول الله ﷺ أخو زينب أم المؤمنين. قُتل يوم أحد شهيداً، فدفن هو وحمزة عم رسول الله ﷺ في قبر واحد سنة ٣ هـ/٦٢٥ م.
- (٢) هو الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، صحابي قرشي ولد سنة ٣٨ ق. هـ/٥٨٦ م. شهد بدرًا، وأُحدًا، والمشاهد كلها. كان من ذوي الشجاعة والشرف. توفي سنة ٣٢ هـ/٦٥٣ م.
- (٣) زيادة أثبتناها لإثبات نسب الطفيل، استناداً إلى المصادر التي بحثنا فيها عن ترجمته. الإصابة (الترجمة ٤٢٤٠)، نسب قريش (٩٥).
- (٤) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (٤: ١٤٩).
- (٥) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (٤: ١٤٩).

وقد هدّني قتل ابن عفان قبله      وجادت عليه عبرتي بسجوم  
وأيقنت أن الدين أصبح مدبراً      فماذا تصلي بعده وتصومي  
وكيف بنا أم كيف بالدين بعدما      أصيب ابن أروى وابن أم حكيم

كانت شاعرة أدبية جريئة على القول والفعل ذات شهامة زائدة الجدة، وكان لها ميل كلي إلى عثمان وأحزابه وطالما هيجت العرب على حرب عليّ وقد حضرت وقعة الجمل ولها فيها مشاركة، وتوفيت بعدها بقليل.

### [السيدة زينب بنت الإمام علي كرم الله وجهه]

السيدة زينب بنت الإمام علي - كرم الله وجهه - بن أبي طالب<sup>(١)</sup> وأمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فهي شقيقة الحسن والحسين عليهما السلام. تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر<sup>(٢)</sup> الطيار ذو الجناحين ابن أبي طالب وولدت له علياً وعوناً ويدعى بالأكبر، عباساً، ومحمداً وأم كلثوم.

وحضرت مع أخيها الحسين بكربلاء. ذكر ابن الأنباري: أنها لما قتل أخوها الحسين أخرجت رأسها من الخباء وأنشدت رافعة صوتها:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم      ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم  
بعترتي وبأهلي بعد فرقتكم      منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم  
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم      أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

لكن في «كامل ابن الأثير»<sup>(٣)</sup>: أن هذه الأبيات لابنة عقيل بن أبي طالب<sup>(٤)</sup>. وفي «نور

(١) هي زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب، شقيقة الحسن والحسين. تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فولدت له بنتاً تزوجها الحجاج بن يوسف. وحضرت زينب مع أخيها الحسين وقعة كربلاء، وحملت مع السبايا إلى الكوفة، ثم إلى الشام. وكانت ثابتة الجوارح. وفاتها في خريبة، فصيحة.

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القدسي، من بني عبد المطلب الهاشمي لما هاجر أبواه إليها. وهو أول من ولد بها من المسلمين سنة ٦٢٢ هـ. أمته البصرة والكوفة والشام. كان كريماً يسمى بحر الجود. كان أحد الأمراء في جيش علي يوم صفين، مات بالمدينة سنة ٨٠ هـ/٧٠٠ م.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، أحداث سنة ٦١ هـ.

(٤) هو عقيل بن عبد مناف (أبي طالب) بن عبد المطلب الهاشمي، القدسي، من بني عبد المطلب الهاشمي بآبائهما، ومآثرها، ومثالبها، وأنسابها. صحابي فصيح اللسان، شديد الحياء. هو أحد أمراء الجود لأبيهما. كان أسنّ منهما، برز اسمه في الجاهلية. كان ممن يحتكم إليه في المنازعات. وفاته بالمدينة.

الأبصار» عن خزيمة الأسدي قال: دخلنا الكوفة سنة إحدى وستين فصادفت منصرف علي بن الحسين - عليهما السلام - بالدربة من كربلاء إلى ابن زياد<sup>(١)</sup> بالكوفة ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياماً يندبن متهتكات الجيوب، وسمعت علي بن الحسين يقول: يا أهل الكوفة، إنكم تكون علينا فمن قتلنا ورأيت زينب بنت علي فلم أرَ والله خفرة أنطق منها كأنما تنزع عن لسان أمير المؤمنين فأومأت إلى الناس أن اسكتوا فسكت الأنفاس، وهدأت الأجراس فقالت:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين. أما بعد، يا أهل كوفة الختل والخذل أتكون فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وإن فيكم الصلف والضعف وداء الصدر الشنق، وملق الأمة، وحجز الأعداء كمرعي على دمنة، أو كفضة على ملحودة ألا ساء ما تزررون أي والله تدحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدار حجتكم، ومناز محجتكم، وسيد شباب أهل الجنة ويلكم يا أهل الكوفة ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتدرون أي كبد لرسول الله ﷺ فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أبرزتم لقد جئتم شيئاً إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً، ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض. أفعجبتم إن أمطرت السماء دماً فلعذاب الآخرة أخزى، وأنتم لا تنصرون. فلا يستخفنكم المهمل، فلا يحقره البدار، ولا يخاف عليه فوت [الثأر]<sup>(٢)</sup>، كلا إن ربي وربكم لبالمرصاد». ثم سارت، قال: فرأيت الناس حيارى واضعي أيديهم على أفواههم ورأيت شيخاً قد دنا منها وهو يبكي حتى اخضلت لحيته، ثم قال: بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبداً.

وفي «كامل ابن الأثير»<sup>(٣)</sup> أنها سمعت الحسين وهو في كربلاء قبل مشهده يقول:

يا دهر أف لك من خليل      كم لك بالشريف والأصيل  
من صاحب أو طالب قتل      والدهر لا يقنع بالبديل  
وإنما الأمر إلى الجليل      وكل هالك سالك السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً، فلما سمعته لم تملك نفسها أن وثبت تجر في ثوبها حتى انتهت

= حتى موقعة بدر. أسره المسلمون في المعركة ففداه العباس بن عبد المطلب. رجع إلى مكة، وأسلم بعد الحديبية. عمي في أواخر عمره. مات سنة ٦٠ هـ/ ٦٨٠ م.

(١) هو عبد الله بن زياد.

(٢) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، أحداث سنة ٦١ هـ.

إليه ونادت: «وا ثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي، والحسين أخي يا خليفة الماضي وثمان الباقي» فذهب فنظر إليها وقال: أخية لا يذهبن حلمك الشيطان! قالت: «بأبي أنت وأمي واستقتلت نفسي لنفسك الفداء» فردد غصته و[زرقت] (١) عيناه، ثم قال: لو ترك القطا لنام فلطمت وجهها وقالت: «واويلتاه أفتغصبك نفسك اغتصاباً فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي». ثم لطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشياً عليها فقام إليها الحسين فصب الماء على وجهها وقال: اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وإن كل شيء هالك إلا وجه الله أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة فعزاها بهذا ونحوه.

ولما حملوا السبايا إلى الكوفة اجتازوا بهن على الحسين وأصحابه صرعى فلطمن خدودهن وصاحت زينب أخته: «يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء. هذا الحسين بالعراء، مزمل بالدماء، مقطوع الأعضاء وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسقى عليها الصبا». فأبكت كل عدو وصديق.

فلما أدخلوهم على ابن زياد لبست أرذل ثيابها وتنكرت وحفت بها إمؤها فقال عبيد الله: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه فقال ذلك ثلاثاً وهي لا تكلمه فقال بعض إمانتها: هذه زينب ابنة فاطمة. فقال لها ابن زياد - لعنه الله - : الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وكذب أحدوثكم. فقالت: «الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيراً لا كما تقول إنما ينتضح الفاسق، ويكذب العاجز». فقال: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: «كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده». فغضب ابن زياد وقال: قد شفي غيظي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك فبكت وقالت: «لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي فإن يشفك هذا فقد اشفتيت». فقال لها: هذه شجاعة لعمري لقد كان أبوك شجاعاً. فقالت: «ما للسراة والشجاعة».

فلما نظر ابن زياد إلى علي بن الحسين قال: ما اسمك؟ قال: علي بن الحسين. فقال: أولم يقتل علي بن الحسين؟ فسكت. فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقال: ما لي أجد نفسي لا أقول علي فقتله الناس. فقال اللعين ابن زياد: إن الله قتله. فسكت علي، فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقال: الله يتوفى الأنفس حين موتها \* وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله \* [أل عمران: ١٤٥] فقال: أنت والله منهم، ثم قال لرجل: ويحك، انظر هذا هل أدرك أبي لأحسبه رجلاً فكشف عنه مري بن معاذ الأحمر فقال: نعم، قد أدرك قال: اقتله. فقال علي: من

(١) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

يتوكل بهذه النسوة؟ وتعلقت به زينب فقالت: «يا ابن زياد حسبك منا أما رويت من دماننا وهل أبقيت منا أحداً» واعتنقته، وقالت: «أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته أن تقتلني معه».

وقال علي: يا ابن زياد إن كان بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهن بصحبة الإسلام فنظر إليها ساعة ثم قال: عجباً للرحم والله إني لأظنها ودت لو أني قتلته أن أقتلها معه. دعوا الغلام ينطلق مع نسائه، ولما دخلن الشام على يزيد بن معاوية<sup>(١)</sup> والرأس بين يديه جعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين [تتطاولان لتنظرا]<sup>(٢)</sup> إلى الرأس وجعل يزيد يتناول ليستر عنهما الرأس فلما رأى الرأس صحن فصاحت نساء يزيد وولولت بنات معاوية فقالت فاطمة وكانت أكبر من سكينة بنات رسول الله ﷺ سبايا يزيد؟ فقال: يا ابنة أخي أنا لهذا كنت كارهاً. قالت: والله ما ترك لنا خرص. فقال: ما أتى إليكن أعظم مما أخذ منكن. فقام رجل من أهل الشام فقال: هب لي هذه - يعني فاطمة بنت الحسين - فأخذت فاطمة ثياب زينب وصرخت فقالت زينب: «كذبت ولوؤمت ما ذلك لك ولا له» فغضب يزيد وقال: والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلته قالت: «كلا والله ما جعل الله لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا». فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك. قالت زينب: «بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك». قال: كذبت يا عدوة الله قالت: «أنت أمير تشتم ظلماً وتقهر بسطانك». فاستحى وسكت.

وعلى اختلاف الروايات أن للسيدة زينب<sup>(٣)</sup> - رضي الله عنها - مقامين أحدهما<sup>(٤)</sup>: بدمشق وهو مقصود من كل الجهات خصوصاً من أهل الشيعة. والثاني<sup>(٥)</sup>: بمصر وهو أشهر من الأول. ولها أوقاف وإيراد زائد من ديوان عموم الأوقاف المصرية. ولها مسجد في مصر

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي. ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بالماطرون سنة ٢٥ هـ/٦٤٥ م، نشأ بدمشق، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠ هـ، وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن علي، فانصرف الأول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. في أيامه وقعت فاجعة كربلاء وقتل فيها الحسين بن علي. توفي بحوزان سنة ٦٤ هـ/٦٨٣ م.

(٢) وردت في الأصل «يتطاولان لينظرا»، ولعل الصحيح ما أثبتناه.

(٣) توفيت السيدة زينب ابنة علي بن أبي طالب شقيقة الحسن والحسين سنة ٦٢ هـ/٦٨٢ م.

(٤) ذكر زهير شاويش تعليقاً على المتداول من أن السيدة زينب ابنة علي بن أبي طالب هي المدفونة في الحي المعروف باسمها في دمشق: «كذلك القبر المشهور جنوبي دمشق، وكانت القرية تسمى رواية وليس هناك ما يثبت في كتب التاريخ أنها دفنت هناك».

(٥) ذكر علي مبارك في «الخطط التوفيقية» ج ٥/ص ٩ تعليقاً على المتداول من أن السيدة زينب ابنة علي بن أبي طالب هي المدفونة في الحي المعروف الآن باسمها في القاهرة: «لم أر في كتب التواريخ أن السيدة زينب بنت علي رضي الله عنهما جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات».

لم يوجد مثله قد ذكر أوصافه الأمير علي باشا مبارك في خططه المسماة بالخطط التوفيقية .  
ولكون أوصافه جاءت مسهبة اقتصرنا عنها منوّهين على محل وجودها<sup>(١)</sup> .

### زينب ابنة الطثرية

هي زينب<sup>(٢)</sup> بنت سلمة بن سمرة من بني عامر بن صعصعة . والطثرية<sup>(٣)</sup> أمها قتل أخوها  
يزيد بن الطثرية الشاعر المشهور في خلافة بني العباس سنة ١٢٦ هجرية الموافقة لسنة ٧٤٤  
ميلادية قتله بنو حنيفة<sup>(٤)</sup> فقالت أخته تربيته :

أرى الأثل من وادي العقيق مجاوري  
مقيماً وقد غالت يزيد غوائله  
فتى قد قدّ السيف لا متضائل  
ولا رهل لباته وأباجله  
فتى لا ترى قدّ القميص بخصره  
ولكنه يوهي القميص كواهله  
فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى  
بصاحبه يوماً دماً فهو آكله  
يسرّك مظلوماً ويرضيك ظالماً  
وكل الذي حملته فهو حامله  
إذا نزل الأضياف كان عزوراً  
على الحيّ حتى تستقل مراجله  
مضى وورثنا منه درعاً مفاضة  
وأبيض هندياً طويلاً حمائله  
وقد كان يرمى المشرفي بكفه  
ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله  
كريم إذا لاقيته مبتسماً  
وإما تولى أشعث الرأس جافله  
إذا القوم أمّوا بيته فهو عامد  
لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله  
ترى جاذريه يرعدان وناره  
عليها عدا ميل الهشيم وحامله  
يجران ثنيا خيرها عظم جاره  
بصيراً بها لم تعد عنها مشاغله

(١) لم نعثر في المصادر إلى ما يشير إلى مكان وفاتها أو دفنها

(٢) توفيت زينب ابنة الطثرية سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م .

(٣) هو يزيد بن سلمة بن سمرة من بني عامر بن صعصعة . ابن الطثرية . هي أمه من بني عامر بن صعصعة .  
شاعر مطبوع . من شعراء بني أمية ، مقدّم عندهم ، له شرف ، وقد في أوّل بيت من شعره بيته أو  
المكشوح . كان حسن الشعر ، حلو الحديث ، شريفاً ، متلقياً للعالم ، صاحب منزل ، وفادراً ، وشجاعاً ،  
وفصاحاً . قتله بنو حنيفة في موقعة له معهم يوم الفلج من له حي اليمامة . غلّه بن حسب من قتل  
غيلة ، لأنه بينما كان يقاتل علقّت جبته بعرق من الشجر ، فعند ، فقتله الحنفيون حتى قتله .  
ذلك سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م .

(٤) بنو حنيفة : حي من بكر بن وائل من العدنانية ، وهم بنو حنيفة بن الحميم بن صعصعة بن عامر بن صعصعة  
وائل . كانت منازل بني حنيفة اليمامة ، وكان يسكنها منهم هودة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد  
العزى . وهو الذي كتب إليه النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام .



وكانت زينب ذات جمال وأدب وكمال، شاعرة مشهورة مطبوعة على الشعر والفضل والأدب، متجلمة بالفصاحة التي هي حلية العرب، ولها مرث كثيرة في أخيها لم نعثر عليها الآن.

### زينب ابنة أبي القاسم الشهيرة بأم المؤيد<sup>(١)</sup> عبد الرحمن

وهو ابن الحسن بن أحمد بن سهل بن أحمد بن عبدوس الجرمانى الأصل النيسابورى الدار، كانت فاضلة عالمة أدركت جماعة من أعيان العلماء، وأخذت عنهم رواية وإجازة، فمن أخذت عنهم أبو محمد إسماعيل بن أبي القاسم النيسابورى القارى، وأبو المظفر عبد المنعم [وهو]<sup>(٢)</sup> بن عبد الكريم بن هوازن القشيري<sup>(٣)</sup> صاحب «الرسالة القشيرية»، وممن أجازها الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي، والعلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري<sup>(٤)</sup> مؤلف «الكشاف»، وممن أجازتهم من أكابر العلماء العلامة المؤرخ شهاب الدين قاضي القضاة ابن خلّكان<sup>(٥)</sup> صاحب «التاريخ المشهور»<sup>(٦)</sup> وهي في القرن السابع من الهجرة.

(١) هي زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني الشعري، أم المؤيد، فقهية، لها اشتغال بالحديث. أخذت عن جماعة من كبار العلماء، رواية وإجازة. ولدت سنة ٥٢٤ هـ/١١٣٠ م. توفيت سنة ٦١٥ هـ/١٢١٨ م في نيسابور.

(٢) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

(٣) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابورى القشيري، من بني قشير بن كعب، أبو القاسم زين الإسلام، شيخ خراسان في عصره زهداً وعلماً بالدين. ولد في نيسابور سنة ٣٧٦ هـ/٩٨٦ م. وأقام فيها إلى أن توفي سنة ٤٦٥ هـ/١٠٧٢ م. كان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه.

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب. ولد في زمخشر، من أعمال خوارزم، سنة ٤٦٧ هـ/١٠٧٥ م، سافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلُقّب بجار الله. تنقل في البلاد، ثم عاد إلى الجرجانية فتوفي فيها سنة ٥٣٨ هـ/١١٤٤ م.

(٥) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان، البرمكي، الإربلي، أبو العباس المؤرخ الحجة، الأديب الماهر. صاحب كتاب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» وهو من أشهر كتب التراجم. ولد في إربل بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة الشرقي، انتقل إلى مصر فأقام فيها مدة طويلة، تولى نيابة قضائها، وفي الشام ولاه الملك الظاهر القضاء أيضاً. ولي التدريس في كثير من مدارس دمشق وتوفي فيها فدفن في سفح جبل قاسيون.

(٦) هو كتاب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان».

## الأميرة زينب هانم أفندي

هي أصغر كريمات المرحوم محمد علي باشا<sup>(١)</sup> والي مصر أول مؤسس للحكومة الخديوية. ولدت في حدود سنة ١٢٤٤ هجرية في مصر القاهرة ووالدتها شمع نور قادين أفندي من محازبي المرحوم محمد علي باشا وهي جركسية الأصل.

وفي سنة ١٢٦٤ [هـ] تأهلت بالمرحوم يوسف كامل باشا، وأقيمت لها الأفراح في مصر إلى الدرجة التي لم يسبق لها مثال وكان زفافها في سراي الأزبكية.

ولما توفي محمد علي وتولى عباس باشا حكومة مصر واشتدت البغضاء بينه وبين الأمراء «المورهليين»: باقي بك، وسامي باشا، وكامل باشا، وسائر العائلة الخديوية، واضطروا للهجرة من مصر.

هاجرت المترجمة المرحومة مع زوجها كما هاجرت أختها الكبرى الأميرة نازلي هانم أفندي إلى الأستانة وذلك في حدود ١٢٦٨ [هـ]، فأكرمت الدولة العنيدة مثوى الجميع وتقلب كامل باشا في مناصب الدولة حتى صار صدراً أعظم في مدة المرحوم السلطان عبد العزيز ثم توفي في حدود التسعين.

وبقيت المترجمة في الأستانة في منزلها الكائن في ميدان السلطان بايزيد ومنزلها الساحلي في بيتك الشهير داخل الخليج القسطنطيني.

وتوفيت في ربيع سنة ١٣٠٢ [هـ] ودفنت في مدفنها الخصوصي خارج [الإسكندرية] في الموقع المعروف بقره جه أحمد سلطان وكان لوفاتها وجزائرها شأن عظيم في حدود الأستانة.

وخلفت من الأموال والجواهر والأراضي والعقارات شيئا عظيما قد لا يقل عن ثلاثة ملايين جنيه ولم تعقب ذرية لا هي ولا زوجها، وورث جميع ذلك أخوها المرحوم «الشيخ»

(١) هو محمد علي باشا بن إبراهيم أغا بن علي الوديعي من محمد علي الكبير مؤسس دولة محمد علي في مصر. الباني الأصل، مستعرب. ولد في قولة، وهي الآن تابعة لمصر، وكانت من البلاد العثمانية سنة ١١٨٤ هـ/١٧٧٠ م. احترف تجارة الدخان قديما. كان أمينا بعام الفداء في الخامسة والأربعين من عمره. قدم مصر وكيلاً لرئيس قوة من المظفر باشا، جهتها «قولة» من ٣٠٠٠ حوزة بحرية في عهد الفرنسيين عن مصر. شهد حرب أبي قير سنة ١٢١٤ هـ حامل المماليك مناصره مع الإنجليز وأترك «قولة». وما زال حتى ولي مصر سنة ١٢٢٠ هـ في ذلك الحين سنة ١٨٤٩ م. الإسكندرية سنة ١٢٦٥ هـ/١٨٤٩ م.

(٢) وردت في الأصل «إسكندرية»، ولعل الصحيح ما أثبتناه

عبد الحلیم باشا بن محمد علی باشا فمما تركت من العقارات الشهيرة سراي بيك وسراي ميدان السلطان بايزيد، ومن ذلك أسهم الشركة الخيرية، وهي شركة «وابورات البوغاز» في الأستانة ولا تقل عن أربعين «وابورا»، وسراي الأزبكية في مصر وسراي شبري الصغيرة.

وكانت - رحمها الله - كثيرة الخيرات والمبرات، سخية اليد، عالية النفس، محبة لإعانة الفقراء وإغاثةهم، كانت تصرف على كثير من البيوت حتى بلغ من كان يعيش بإحساناتها في نفس الأستانة فقط أكثر من أربعمئة عائلة.

ولها أوقاف عظيمة أوقفها على نفسها وزوجها وذريتها، ثم جعلت ربع تلك الأوقاف لجملة محلات مباركة كالمسجد الحسيني في مصر ومساجد السيدة نفيسة والسيدة زينب وغيرهما نحو ١٤ مسجداً وعدة تكايا منها المولوية والنقشبندية والكاشنية وعلى ليلة المعراج وليلة القدر في قراءة القرآن بمسجد والدها في قلعة مصر.

وجعلت من ذلك الربع قدراً لمدرسي الفقه الحنفي في الجامع الأزهر ومدرسي الفقه الشافعي والمالكي والحنبلي وخصصت لكل تخصيصات.

ثم إنها خصصت ربعاً من ذلك أيضاً لكل من قرأ القرآن في سراياتها ولكل من خدمها أو لازمها إلى حين الوفاة من الرجال والنساء وجعلت لمن يبلغ زمن ملازمته لها أو قيامه بخدمتها عشر سنين فأكثر ضعف من كان زمنه أقل من ذلك وكذلك لعتقائها وعتقاء أمها وفقراء معتوقى والدها ومن خيراتها [مساومتها]<sup>(١)</sup> بالاشتراك مع زوجها [في بناء]<sup>(٢)</sup> مستشفى في مدينة «إسكدار» من دار الخلافة وسبيل في قسبة قرطال بقرب «إسكدار».

وأوقفت عليها الأوقاف الكافية، كما أوقفت على قبرها وقبر زوجها وعلى بعض التكايا والزوايا في الأستانة وغيرها.

وكانت المترجمة متوسعة في دائرتها مطموعاً فيها لمالها وسخائها، ومحترمة جداً في جميع دوائر الدولة حتى إنها كانت معتبرة جداً في السراي السلطاني ولدى جلاله الخلفاء العظام عموماً وجماله سيدنا أمير المؤمنين خصوصاً، وكان لها وقع سياسي في الأحوال المصرية في شأن العصبة العرابية.

قيل: إنها صرفت من أربعين إلى خمسين ألف جنيه لمساعدة أخيها البرنس حلیم باشا،

(١) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

(٢) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى واتساق الكلام.

حتى إن الحكومة قبضت على وكيل دائرتها في مصر عثمان باشا لتدخله بأمرها مع عصابة الأصدقاء لتستميلهم إلى أخيها.

وكان أخوها قد قل ماله وكانت تعينه كما تعين غيره من العائلة، ولما دنت وفاتها أوصت له بكثير من أموالها وعقاراتها.

قال أهل الاطلاع على حقيقة حالها: إنها أصيبت بشيء من اختلال الشعور قبل موتها بمدة. وفي تلك المدة اهتم البرنس حلیم باشا بتحويل الوقفيات وحصر قسمها الأعظم فيه وفي أولاده، واستغل الفائدة من ذلك الوقت إلى أن توفي في سنة ١٣١٢.

وحيثُ قام بعض الناس وحرك أصحاب الحقوق بالمطالبة، ولا يزال النزاع فيها إلى الآن.

## حرف السين

### سارة زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام

كانت أحسن نساء زمانها جمالاً وأوفرهن عقلاً وكمالاً، تزوجت بإبراهيم الخليل - عليه السلام - وكان يحبها محبة عظيمة وكانت لم تعصه في شيء وبذلك أكرمها الله تعالى .

وكان قدم بها إبراهيم إلى مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى ، وقد وصف له حسنها وجمالها ، فأرسل إلى إبراهيم - عليه السلام - فجاءه فقال له : ما هذه المرأة منك؟ فقال : هي أختي وتخوف أن قال هي امرأتي أن يقتله . فقال له : زينها وأرسلها لي حتى أنظر إليها فرجع إبراهيم إلى سارة وقال لها : إن هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فإنك أختي في كتاب الله - عز وجل - ثم أقبلت سارة على الجبار وقام إبراهيم عليه السلام يصلي .

فلما دخلت عليه ورآها أهوى إليها يتناولها بيده فيستيد يده إلى صدره ، فلما رأى ذلك عظم أمرها وقال لها : سلي ربك أن يطلق يدي فوالله لا أذيتك . فقالت سارة : اللهم إن كان صادقاً فأطلق له يده ، فأطلق الله تعالى يده .

وقيل : إنه فعل ذلك ثلاث مرات بقصد أن يتناولها فتبيس يده ، فلما رأى ذلك ردها إلى إبراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فأقبلت إلى إبراهيم ومعها هاجر وهي تحمد الله تعالى على عصمتها من فرعون .

وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت ، فوهبت هاجر إلى إبراهيم بقولها : إني أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها بولد ، فوقع إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل - عليه السلام - وكانت سارة بنت تسعين سنة وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة وبشر إبراهيم بأنه سيرزقه الله بولد من سارة وقد كان وحملت سارة بإسحاق .

وقيل : كان حملت هاجر بإسماعيل فوضعتا معاً وشب الغلامان ، فبينما هما يتناضلان

ذات يوم وكان إبراهيم - عليه السلام - سابق بينهما فسبق إسماعيل فأخذه فأجلسه في حجره وأجلس إسحاق إلى جانبه وسارة تنظر إليه فغضبت . وقالت : عمدت إلى ابن الأمة فأجلسته في حجره وعمدت إلى ابني فأجلسته إلى جانبك وقد كان أخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقتها، ثم تاب إليها عقلها فبقيت في ذلك . فقال إبراهيم - عليه السلام - : اخفضيها واثقي أذنفا ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء .

ثم إن إسماعيل وإسحاق - عليهما السلام - اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت : لا تساكنني في بلد وأمرت إبراهيم - عليه السلام - أن يعزلها عنها فأوحى الله إليه أن يأتي بهما إلى مكة فذهب بهما .

وتوفيت سارة ولها من العمر مائة واثنان وعشرون سنة . وقيل : مائة وسبع وعشرون بالشام بقرية الجبابرة بأرض كنعان في جيرون في مزرعة اشتراها إبراهيم - عليه السلام - ودفنت بها .

### سارة القرظية الإسرائيلية

كانت من يهود يثرب من بني قريظة . قيل : إن أبا جبلة أحد ملوك اليمن قصد المدينة في الجاهلية وكان أهلها يهود وبلغه عن ملكهم أمور فاحشة فأوقع في اليهود بذي حرص وهو ود بالمدينة عند أحد فقالت سارة القرظية وهي منهم تذكر ذلك وترثي من قتل من قومها :

بأهلي رمت أم لم تغن شيئاً      بذي حرص تعقبت الريح  
كهول من قريظة أتلقتهم      سيوف الخزرجية والرمح  
ولو أذنوا بأمرهم لحالت      هنالك دونهم حرب رديح  
رزتنا والرزية ذات نغل      يمر لأجلها الماء القريح

### سبيعة ابنة عبد شمس بن عبد مناف

هي زوجة مسعود بن مالك يتصل نسبه إلى ثقيف كانت مكرمة عند بني قريظة وهي مسموعة الكلمة لما لها من المكان والفضل ، حتى إنه لما كان يوم الحجج الأربع من الجاهلية - وهو يوم عكاظ - ودارت الدائرة على بني قيس الأسدي فغضبوا عنها وحاربوا قيس بن أسد حتى أعدائهم فرأها تبكي حين تداعى الناس فقال لها : يا سبيعة ! فقالت : أما بصفتي هذا من قومي .

(١) بنو قيس : بطن من آل عامر بن مسعدة من العدنانية ، من آلهم بنو قيس .

فقال لها - وكان مسعود قد ضرب على امرأته سبيعة خباء -: من دخل خباءك من قريش فهو آمن، فجعلت توصل به قطعاً ليتسع فقال لها: لا تتجاوزي في خبائك فإني لا أمضي إلا من أحاط به الخباء، فأحفظها.

فقالت: أما والله إني لأظن أنك تودّ أن لو زدت في توسعته فلما انهزمت قيس دخلوا خبائها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أمية وقال لها: يا عمة، من تمسك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن. فنادت بذلك فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا جداً فلم يبق أحد لا نجاة عنده إلا دار بخبائها. فقبل لذلك الموضع: مدار قيس، وكان يضرب به المثل، وكان زوجها مسعود بن معتب قد خرج معه يومئذ بنوه من سبيعة وهم عروة ولوحة ونويرة والأسود فكانوا يدورون وهم غلمان في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم ليجيروهم كما أمرتهم أمهم أن يفعلوا فخرج وهب بن معتب حتى وقف عليها.

وقال لها: لا يبقى طنب من أطناب هذا البيت إلا ربطت به رجلاً من بني كنانة فنادت بأعلى صوتها أن وهباً يحلف أن لا يبقى طنب من أطناب هذا البيت إلا ربط به رجلاً من بني كنانة فالجد الجد، فلما هزمت لجأوا إلى خبائها فأجارهم حرب بن أمية.

### ست الوزراء

لقب حفيدة العلامة وجيه الدين الحنبلي. وولدت سنة ٦٢٤ هجرية. وتوفيت سنة ٧١٧ [هـ] وهي محدثة مشهورة أخذت صحيح البخاري ومسند الإمام الشافعي عن أبي عبد الله الزبيدي وقرأت على أبيها بعض الحديث وكانت كما رواه صلاح الدين الصفدي محدثة عصرها واستقدمت إلى مصر فأخذ عنها الحديث الأمير سيف الدين أرغون والقاضي كريم الدين، ودرست البخاري مراراً متوالية. وروى عنها كثير من مشاهير العلماء.

### ست الكرام

بنت السيد سيف الدين عثمان الرفاعي أخت السيد علي مهذب الدولة والسيد عبد الرحيم ممهد الدولة والسيد عبد السلام أبناء عثمان - رضي الله عنهم - كانت وارثة محمدية وولية علوية ذات أخلاق هاشمية وطباع مصطفوية، وأطوار فاطمية عدها خالها السيد الكبير سلطان الأولياء مولانا السيد أحمد الرفاعي - رضي الله عنه - في طبقات ذكرها الإمام أحمد بن جلال - قدس سره - في «جلاء الصدا» ز

قال عند ذكرها: الست السعيدة الحميدة الشهيرة ذات السيرة الحميدة، والأوصاف





كانت من أحسن نساء زمانها جمالاً، وأوفرهن عقلاً، وأثبتهن جناحاً، وأعلاهن رأياً، وأشدهن حزمًا. شاركت أخاها الحاكم بأمر الله<sup>(١)</sup> في الملك حتى إنه صار يقطع الأمور عن رأيها، وكلما خالفها في أمر تقوم عليه الرعية وينبذون طاعته، وهو يحسب ذلك من أخته ست الملك حتى إنه تغير عليها وأراد قتلها فصار يترقب الفرص وهي توجس منه خيفة إلى أن كثر ظلمه وزاد عسفه فكرهه الناس من سوء فعله ومن شدة كراحتهم له كانوا يكتبون إليه الرقاع فيها سبه وسب أسلافه والدعاء عليه حتى إنهم عملوا من قراطيس صورة امرأة وبيدها رقعة.

فلما رآها ظن أنها تشتكي، فأمر بأخذ الرقعة منها وفيها كل لعن وشتيمة قبيحة وذكر حرمه بما يكره فأمر بطلب المرأة فقيل له: إنها من قراطيس فأمر بإحراق مصر ونهبها، ففعلوا ذلك، وقاتل أهلها أشد قتال مدة يومين. وفي اليوم الثالث انضاف إليهم الأتراك والمشاركة فقويت شوكتهم وأرسلوا إلى الحاكم يسألونه الصفح ويعتذرون إليه فلم يقبل فعادوا إلى التهديد.

فلما رأى قوتهم أمر بالكف عنهم وقد أحرق بعض مصر ونهب بعضها وتبع المصريون من أخذ نساءهم وأولادهم فابتاعوهم منه، وقد فضحت نساؤهم فازداد غيظهم وحنقهم عليه فظن أن ذلك من أخته ست الملك لأنه بلغه أن الرجال يدخلون عليها، فأرسل يتهددها بالقتل، ولما رأت سوء تصرفه وأنه ربما يطيع هواه فيقتلها أرسلت إلى قائد كبير من قواد الحاكم يقال

نزاراً. ولد سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م في سلمية ونسأ فيها وهي من أعمال سوريا. دخل المغرب مع أبيه. بويغ بعد موت أبيه سنة ٣٢٢ هـ. هو ثاني ملوك الدولة الفاطمية العبيدية. أول من تلقب بأمير المؤمنين فيها. مات محصوراً بالمهدية سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م. كان شجاعاً، مهيباً، قليل الخير، فاسد العقيدة، أصيب بوسواس وزال عقله، فأظهر سب الأنبياء، وكان مناديه يقول: «العنوا الغار وما حوى»، وأباد عدة من العلماء. كان يرأسل قرامطة البحرين ويأمرهم أن يحرقوا المساجد والمصاحف.

(١) هو منصور، الحاكم بأمر الله، أو الأمر بحكم الله، بن أحمد، المستعلي بالله، بن معد، المستنصر، أبو علي العبيدي الفاطمي، من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر. ولد في القاهرة سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م. بويغ بعد وفاة أبيه سنة ٤٩٥ هـ. وعمره خمس سنين. لم يكن في من تسمى بالخلافة أصغر منه. قام وزير أبيه الأفضل بن بدر الجمالي بشؤون الدولة. في أيامه استفحل أمر الصليبيين في ساحل الشام. عندما كبر الأمر بحكم الله، دس أناس فقتلوا الأفضل بن بدر، فأظهر الحزن عليه، مكرراً. أوكل الوزارة إلى أبي عبد الله بن محمد بن فاتك البطائحي، ثم صادر أمواله وقتله. ساءت سيرته في الرعية فظلم الناس، وأخذ أموالهم، وسفك الدماء، وارتكب المحظورات. استمر في الخلافة تسعة وعشرين عاماً. اعترضه بعض الباطنية الفداوية وهو ماراً على جسر الروضة بين الجزيرة والقاهرة، فضربوه بسيوفهم فمات بعد ساعة ولم يعقب. وكان ذلك سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م. قال ابن خلكان في الوفيات: «ابتهج الناس بقتله».

له: ابن داوس - وكان يخاف الحاكم - فقالت له: إني أريد أن ألقاك، ثم حضرت عنده وقالت له: أنت تعلم ما يعتقد أخيك وإنه متى تمكن منك لا يبقى عليك، وأنا كذلك وقد انضاف إلى هذا ما تظاهر به مما يكره المسلمون ولا يصبرون عليه، وأخاف أن يثوروا به، فيهلك هو ونحن معه، وتنقل هذه الدولة فأجابها إلى ما تريد فقالت: إنه يصعد إلى هذا الجبل غداً وليس معه غلام إلا الركاب وصبي وينفرد بنفسه فتقيم رجلين تثق بهما يقتلانه ويقتلان الصبي وتقيم ولده بعده وتكون أنت مدير الدولة وأزيد في إقطاعك مائة ألف دينار، ثم أعطته ألف دينار للرجلين، وانصرفت. فاختر اثنين من ثقاته وأخبرهما بالقصة فمضيا إلى الجبل.

فلما انفرد الحاكم هجما عليه وقتلاه وأخفياه وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر، فلما أيقنت الناس بقتله اجتمعوا إلى أخته ست الملك فأجلست على كرسي الولاية علي بن الحاكم<sup>(١)</sup> وهو صبي لم يناهز الحلم وباع له الناس ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله. وأنفذت الكتب إلى البلاد بأن البيعة له وفي الغد حضر ابن داوس بأمر من ست الملك ومعه قواده، فأمرت خادماً لها أن يضربه بالسيف فقتله وهو ينادي يا لئام الحاكم فم يختلف فيه اثنان وقامت ست الملك تدبر الدولة مدة أربع سنوات وهي تعدل بين الرعية وتنصف المظلومين حتى أحبها جميع الأهالي وتمنوا أن مدتها تدوم وتوفيت سنة ٤١٥ هجرية وفي حزن عليها جميع أهل مصر وتمنوا بقاء تدبير المملكة حتى يكبر ابن أخيها ولكن الله في حكمه إرادة.

## سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية<sup>(٢)</sup>

كانت من النساء العاقلات الحكيمات ذوات الفصاحة والبلاغة والصدقة المبرأة حتى أنها قادت أكابر قومها إلى رأيها وتحت طاعتها وركبت على العرب في عسكرة جندية، ولما أتت من الجزيرة قاصدة المدينة لمحاربة أبي بكر، ادعت النبوة دنت هي وهبطت في أحد الفسح

- (١) هو علي بن نزار بن معد بن علي بن الحاكم بأمر الله (مصر) بعد موت أبيه داود بن الإسماعيلية النزارية في قلعة الموت من بني حنيفة، ولد في سنة ٤١٥ هـ، وكان له دور كبير فيها. تولى إمامة الإسماعيلية بعد موت أبيه، تلقب بالهادي، وأسس في سنة ٤٤٠ هـ في مصر.
- (٢) هي سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان، التميمية، من بني يربوع، أم مسند، مشهورة، كانت شاعرة أدبية عارفة بالأخبار، فبعضة الشأن في قومها، بيعت في عهد الأداة أم أبي بكر الصديق، ادعت النبوة بعد وفاة النبي ﷺ، وكانت في بني تغلب في الجزيرة، جمعت حولها جملة من أتباعها، فخافها مسيلمة الكذاب وهو أيضاً ممن ادعوا النبوة فأقبل عليها في جماعة من قومه وتزوج بها، أقامت معه مدة وأدركت صعوبة قتال المسلمين فتدته، وعادت إلى أهلها في الحيرة، ثم بعد ذلك مسيلمة أسلمت وهاجرت إلى البصرة وتوفيت بها سنة ٥٥ هـ/ ٦١٥ م.

تغلب تقود أفناء ربيعة، وجاء معها الهذيل بن عمران<sup>(١)</sup> من بني تغلب وكان نصرانياً فترك دينه وتبعها وعقبة بن هلال في (النمر)، وزياد بن بلال في أياد، والسليل بن قيس في شيبان فاتاهم أمر أعظم مما هم فيه لاختلافهم.

وكانت سجاح تريد غزو أبي بكر فأرسلت إلى مالك بن نويرة<sup>(٢)</sup> تطلب المواعدة فأجابها، وردّها عن غزوها، وحملها على أحياء من بني تميم فأجابته وقالت: أنا امرأة من بني يربوع فإن كان ملكاً فهو لكم وهرب منها عطارذ بن حاجب<sup>(٣)</sup> وسادة من بني مالك<sup>(٤)</sup> وحنظلة إلى بني العنبر وكرهوا ما صنع وكيع، وكان قد أودعها وهرب منها أشباههم من بني يربوع وكرهوا ما صنع مالك بن نويرة واجتمع مالك ووكيع وسجاح فسجعت لهم سجاح وقالت: أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب. فساروا إليهم فلقبهم ضبة وعبد مائة فقتل بينهم قتلى كثيرة وأسر بعضهم من بعض ثم تصالحوها وقال قيس بن عاصم<sup>(٥)</sup> شعراً أظهر فيه ندمه على تخلفه عن أبي بكر بصدقته، ثم سارت سجاح في جنود الجزيرة حتى بلغت النجاج، فأغار عليهم أوس ابن خزيمة الجهمي في بني عمرو<sup>(٦)</sup> فأسر الهذيل وعقبة، ثم اتفقوا على أن يطلق أسرى سجاح ولا يطاء أرض أوس ومن معه.

- (١) هو الهذيل بن عمران التغلبي من الرؤساء في الجاهلية. عدّه ابن حبيب من الجرارين، من ربيعة، والجرار من يرأس ألفاً. قال: قتله بنو مازن بن مالك. قتل يوم الصليب.
- (٢) هو مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو حنظلة. فارس شاعر، من أرداف الملوك في الجاهلية. يقال له: فارس ذي الخمار. وذو الخمار فرسه، وفي أمثالهم: «فتى ولا كمالك» وكانت فيه خيلاء. أدرك الإسلام وأسلم، وولاه النبي ﷺ صدقات قومه. ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر الصديق اضطرب مالك في أموال الصدقات وفرّقها. وقيل: ارتدّ مالك، فتوجه خالد بن الوليد وقبض عليه في البطاح، وأمر ضرار بن الأزور الأسدي، فقتله سنة ١٢ هـ/٦٣٤ م.
- (٣) هو عطارذ بن حاجب بن زرارة التميمي، خطيب من سراة بني تميم. قيل: وفد على كسرى في الجاهلية وطلب منه قوس أبيه، فردّها عليه وكساه حلة ديباج. لما ظهر الإسلام وفد على النبي ﷺ فكان خطيبه، واستعمله على صدقات بني تميم. ارتدّ بعد وفاة النبي ﷺ وتبع سجاح، ثم عاد إلى الإسلام. مات سنة ٢٠ هـ/٦٤٠ م.
- (٤) بنو مالك: بطن من تميم، وهم بنو مالك بن زيد مائة، فهم الأغلب بن سالم بن عقال.
- (٥) هو قيس بن عاصم بن سنان المقري السعدي التميمي. أبو علي، أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم. كان شاعراً اشتهر وساد في الجاهلية. حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية. وفد على النبي ﷺ مع بني تميم وأسلم سنة ٥٩ هـ. نزل البصرة في أواخر أيامه وتوفي فيها سنة ٢٠ هـ/٦٤٠ م.
- (٦) بنو عمرو: بطن من أسد بن خزيمة من العدنانية، وهم بنو عمرو بن قعين بن الحارث بن دوران بن أسد. منهم طليحة بن خويلد الذي ادّعى النبوة ثم أسلم.



يفاجئهم إلا دنو خالد إليهم فأرْقَضُوا<sup>(١)</sup>، فما زالت سجاح في تغلب حتى نقلهم معاوية عام المجاعة وجاءت معهم وحسن إسلامهم وإسلامها وانتقلت إلى البصرة وماتت بها، وصلى عليها سمرة بن جندب<sup>(٢)</sup> وهو على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة. وقيل: إنها لما قتل مسيلمة سارت إلى أخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم ولم يسمع لها بذكر.

### سرى خانم

شاعرة تركية مشهورة ولدت في ديار بكر<sup>(٣)</sup> سنة ١٨١٤ ميلادية و ١٢٣٠ هجرية أتت بغداد وزارت مدافن الأولياء ورجعت إلى ديار بكر ثم شخصت إلى الأستانة وتوفيت فيها. ولها أشعار شائقة ومنظومات رائقة جميعها باللغة التركية والفارسية أعرضنا عن إيراد شيء منها لأنه ليس من موضوع هذا الكتاب.

### سعدى معشوقة مالك بن عقيل العذري

كانت ذات فصاحة وأدب وجمال وكانت مع هذا الفتى على أعظم رتبة الحب من شدة تعلق كل منهما بصاحبه وكان في الحي رجل يحبها وهي لا تحبه فغار منهما فوشى به إلى أهلها فحجبوها عنه فتراسلا بالمحبة وبلغه، فأرسل زوجته عن لسانها إلى مالك بشتم وقطيعة، ولم يعرف أنها زوجة ذلك الرجل ولم تدر الزوجة تفصيل الأمر، وكان عند مالك أنفة، فخرج إلى مكة ناقضاً للعهد.

فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة وما أخفاه زوجها أخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها إلى مكة حتى اجتمعت به. قال كعب بن مسعدة الغفاري: خرجت أنا ومالك نمشي في القمر إذا بنسوة تقول إحداهن: أي والله هو، ثم قربن منا. فقالت إحداهن: قل لصاحبك:

ليست لياليك في حج بعائدة كما عهدت ولا أيام ذي سلم

(١) أرْقَضُوا: تفرقوا وذهبوا. [القاموس المحيط، مادة: رفض].

(٢) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، صحابي من الشجعان القادة. نشأ في المدينة، نزل البصرة. كان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة. ولما مات زياد أقره معاوية عاماً، ثم عزله. كان شديداً على الحرورية. وله رواية عن النبي ﷺ. مات بالكوفة سنة ٦٠ هـ/٦٧٩ م.

(٣) ديار بكر: هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل امتدادها من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة. معجم البلدان، ج ٢/ص ٥٦١.

فقلت قد سمعت فأجب قال قد انقطعت فأجب أنت فقلت ولم يحضرني غيره .  
فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

وانصرفنا فما استقرينا إلا وجارية تقول: أجب المرأة التي كلمتك، فلما جئت إليها  
قالت: أنت المجيب. قلت: نعم، قالت: فما أقصر جوابك؟ قلت: لم يحضرني غيره.  
فقالت: لم يخلق الله أحب إلي من الذي معك. فقلت: علي أن أحضره إليك. فقالت:  
هيهات. فضمته الليلة القابلة ورجعت فرأيت في منزلي فأخبرني بالقصة كالمكاشف فقلت له:  
قد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة.

فلما كان الوقت مضيماً فإذا بالمجلس قد طيب وفرش فجلسا فتعابنا. فأنشدته أبيات  
عبد الله بن الدمينه<sup>(١)</sup>:

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوئ  
وأبرزتني للناس ثم تركتني لها غرضاً أرمى وأنت سليم  
فلو كان قولاً يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوئ  
فأجابها:

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن وفي بعض هذا للحب عزاء  
جزيتك ضعف الود ثم حرمتني فحبك في قلبي إنني إذا  
فالتفتت إلي وقالت: ألا تسمع؟ فغمزته فكف ثم أنشدت:

تجاهلت وصلي حين لاحت عمايتي فهلا صرمت الحبل إذ أن أبصر  
ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته نصيب ولا رأي وعقل موقر  
ولكنما آذنت بالصرم بغتة ولست على مثل الذي حنت أقدراً  
فأجابها:

لقد كنت أنهى النفس عنك لعلها إذا وعدت بالنأي عنك تطيب  
ثم قبلها وأنشد:

دمعي عليك من الجفون سكوب والقلب منك مدح محسوس  
لا شيء في الدنيا أذ من الهوى إن لم يخن عهداً حبيب حبيب

(١) هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد بن بني عامر بن تميم الله، من حثعم، أبو السدي، والدمينه أمه،  
شاعر بدوي من أرق الناس شعراً. قل أن يرى مادحاً أو هاجياً أكثر شعرة العراء، والنسب، والحمد.  
كان العباس بن الأحنف يطرب ويترنح لشعره. هو من شعراء العصر الأموي. اغتاله مصعب بن عمير  
السلولي، وهو عائد من الحج. كان ذلك سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م

فأجابته:

خلوتم بأنواع السرور وهاكم      وأقربتموني للصبابة والحزن  
وعذبتموني بالصدود وإنني      لراضٍ بما ترضونه لي من الغبن

ولما أنشد (لقد كنت أنهى النفس) - البيت - قالت له: وكنت تفعل ما فيك خير بعدها  
وافترقا. فقالت لكعب: ما قلت لك إنك لا تفي بضمانك ولكن إذا كان السحر فأتني. قال  
كعب: فجئت فإذا بالصياح فسألت جارية عن الخبر فقالت: حين خرجتما جعلت في عنقها  
أنشودة وحنقت نفسها، فلحقناها فخلصناها، فجلست ساعة تحادثنا وتفتكر فتقول: إنه  
لقاسي القلب، ثم شهقت فماتت وبلغ الشاب فلزم قبرها فجاءته في النوم فقالت: هلا كان هذا  
من قبل، فمات من وقته.

### سعدى الأسيديّة

كانت مهذبة شاعرة فصيحة. علقها فتى من قومها فمنعه أبوه أن يتزوج إلا بأرفع منها  
وأبى الغلام إلا هي. فلما أيس أبوها زوجها من رجل آخر فاشتدّ وجد الغلام بها ولقيها يوماً،  
فأنشد:

لعمري يا سعدى لطال تأيمي      وبغضني شيخاي فيك كلاهما  
وتركي للحيين لم أبغ منهما      سواك ولم يربح هواي عليهما  
فأجابته سعدى تقول:

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتي      كفاني ما بي من بلاء ومن جهد  
ومن عبرات تعتريني وزفرة      تكاد لها نفسي تسيل من الوجد  
غلبت على نفسي جهاراً ولم أطق      خلافاً على أهلي بهزل ولا جد  
ولم يمنعوني أن أموت بزعمهم      غداً خوف هذا العار في جدث وحدي  
فلا نفس أن تأتي هناك فتلمس      مكاني فتشكو ما تحملت من جهد

فقد أوضحت له أنها هالكة من الغد بعشقه فلما كان الغد جاء فوجدها ميتة فاحتملها إلى  
شعب بذرى جبل - يقال له: عرفات - ملتزماً لها فمات واختفى أمرهما حولاً حتى مر شخص  
من العرب فسمع شخصاً على الجبل يقول:

إننا الكريمان ذوا التصافي      الذاهبان بالوفاء الصافي  
والله ما لقيت في تطوافي      أبعد من غدر ومن إخلاف  
من ميتين في ذرى أعراف

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما.

## سفانة ابنة حاتم الطائي<sup>(١)</sup>

كانت من أجود نساء العرب وأفصحهن مقالاً وهي التي كانت سبباً لنجاة قومها من الأسر من أيدي المسلمين أمام رسول الله ﷺ وذلك أن عدي بن حاتم<sup>(٢)</sup> كان يعادي النبي ﷺ، فبعث علياً إلى طيء فهرب عدي بأهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فأسرته خيل رسول الله ﷺ.

فلما أتى بها النبي ﷺ قالت: هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإن أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الدمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فردّه خائباً أنا بنت حاتم الطائي فقال النبي ﷺ: «يا جارية، هذه صفات المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباهم كان يحب مكارم الأخلاق»<sup>(٣)</sup>. وقال فيها: «ارحموا عزيزاً ذل وغنياً افتقر وعالماً ضاع بين جهال»<sup>(٤)</sup> فأطلقها ومنّ عليها بقومها، فاستأذنته في الدعاء له فأذن لها، قال لأصحابه: «اسمعوا وعوا»<sup>(٥)</sup> فقالت: أصاب الله برك مواقعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا وجعلك سبباً في ردّها عليه، فلما أطلقها رجعت إلى قومها فأنت أخاها عدياً وهو بدومة الجندل<sup>(٦)</sup> فقالت له: يا أخي أنت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فإني قد رأيت هدياً ورأياً سيغلب أهل الغلبة، رأيت خصلاً تعجبني، رأيت يه حب الفقير، ويذك

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرح الطائي القحطاني أبو عدي، فارس، شاعر، جواد، جاهلي. يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، زار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية. مات في عوارض وهو جبل في بلاد طيء. قال ياقوت: وقبر حاتم عليه شعده شيب، ضاع معظمه في سنة ٤٦ ق. هـ/٥٧٨ م.

(٢) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرح الطائي، أبو هب، له طريف أمسية من أبيه من الأجواد العقلاء. كان رئيس طيء، في الجاهلية والإسلام. قدم في حروب الردية. مات في سنة ٩ هـ. شهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، وشهد الحرة، ومات في سنة ٦١ هـ. مات في سنة ٦١ هـ. حشرح الطائي الذي يضرب المثل.

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٥: ٣٤١). والبيهقي في إتحاف السادة المتقين (٨: ٩٤).

(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨: ٥٥٩).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٥: ٣٤٣). وفيه: «عقلاء».

(٦) بدومة الجندل: هي في غانظ من الأرض خمسة فواصح، ومن قبل مغارة عدي شج وسمي «بدومة» نخيل وزرع. سميت بدومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل. معجم القاموس، ج ٢، ص ٥٥٤.



الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه وإني أرى أن تلحق به فإن يك نبياً فللسابق فضله وإن يك ملكاً فلن تزل في عز اليمن.

فقدم عدي إلى النبي ﷺ فأسلم وأسلمت أخته سفانة وكانت على جانب عظيم من الكرم وكان أبوها يعطيها الضريبة من إبله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها: يا بنية، الكريمان إذا اجتمعا في المال أتلفاه فإما أن أعطي وتمسكي وإما أن أمسك وتعطي فإنه لا يبقى على هذا شيء. فقالت له: منك تعلمت مكارم الأخلاق.

### سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه<sup>(١)</sup>

كانت سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً، تزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له قريباً ومات عنها، ثم تزوجها الأصبح بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول، ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان ابن عبد الملك بطلاقها ففعل. وقيل: في ترتيب أزواجها غير ذلك والطرّة السكينية منسوبة إليها.

ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم من ذلك أنها وقفت على عروة بن أذينة وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين وله أشعار رائقة فقالت له: أنت القائل:

قالت وأبشتها سري وبحث به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر  
ألست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصري

قال: نعم، قالت: لم يخرج هذا من قلب سليم وفي كتاب «الأغاني» كان اسم سكينة أميمة. وقيل: أمينة، ولقبتها أمها الرباب بسكينة وفيها وفي أمها يقول الحسين بن علي:

لعمرك إنني لأحسب داراً تكون بها سكينة والرباب  
أحبهما وأبذل جل مالي وليس لعاتب عندي عتاب

وكانت سكينة تحب الهزل واللهو والطرب وهي من الحدق على جانب عظيم.

حكى أنها حضرت مأتماً فيه بنت عثمان بن عفان فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد فسكتت سكينة حتى إذا أذن المؤذن وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت لها سكينة: هذا أبي أم أبوك فقالت بنت عثمان: لا أفخر عليكم أبداً وكانت تجيء يوم الجمعة إلى المسجد فتقوم بإزاء ابن مطير فإذا شتم عليها شتمته هي وجواريتها، فكان يأمر الحارث أن يضرب

(١) للاستزادة يراجع: وفيات الأعيان (١: ٢١١)، نسب قريش (٥٩)، ابن سعد (٨: ٣٤٨)، المحبر (٤٣٨)، الدر المنثور (٢٤٤).

جواربها. وكانت سكيئة عفيفة تجالس الأجلة من قريش وتجمع إليها الشعراء، وكانت ظريفة مزاحة، وكانت من أحسن الناس شعراً، وكانت تصفف جُمَّتَها<sup>(١)</sup> تصفيفاً لم ير أحسن منه.

وحكي أنها أرسلت مرة إلى صاحب الشرط، إن دخل علينا شامي فابعث إلينا بالشرط، فركب وأتى، وأمرت بفتح الباب وخرجت جارية من جواربها ويدها برغوث وقالت: هذا الشامي الذي شكوناه، فلما رأى الشرطي ذلك حصل له الخجل وذهب هو ورجاله بخجله، وكانت قد اتخذت أشعب الطماع<sup>(٢)</sup> مسامراً لها ليمازحها وكانت تدر عليه العطايا وتنشرح لأخباره المضحكة. وقيل: إنها خرجت لها سلعة في أسفل عينها حتى كبرت ثم أخذت وجهها وعظم ما بها وكان «دراقيس» الطبيب منقطعاً إليها وفي خدمتها فقالت له: ألا ترى ما وقعت فيه؟ فقال: أتصبرين على ما يمسك من الألم حتى أعالجك؟ قالت: نعم، فأضجعها وشق جلد وجهها أجمع وسلخ اللحم من تحته حتى ظهرت العروق وكان منها شيء تحت الحدقة فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحية ثم سل عروق السلعة من تحتها وأخرجها ورد العين إلى موضعها وسكيئة مضجعة لا تتحرك ولا تن حتى فرغ وبرئت بعد ذلك وبقي أثر تلك الحزازة في مؤخر عينها.

وقيل: إنه اجتمع في ضيافة سكيئة يوماً جرير والفرزدق، وكثير عزة، وجميل صاحب بشينة، ونصيب فمكثوا أياماً، ثم أذنت لهم فدخلوا فقعدت بحيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم، ثم خرجت جارية لها وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: ها أنا ذا قالت: أنت القائل:

هما دلتاني من ثمانين قامة      كما انحط باز أقم الريش كاسره  
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا      أحيي نرجي أم قتيل نحاذره  
فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا      وأقبلت في أعجاز نيل أبادره

قال: نعم، قالت: فما دعاك إلى إفشاء السر؟ خذ هذه الألف دينار، والحق بأهلك، ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت: أيكم جرير؟ قال: ها أنا ذا، فقالت: أنت القائل  
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا      حين الزيارة فارحعي سلاماً

(١) الجُمَّة: مجتمع شعر الرأس. [القاموس المحيط، مادة: جم].

(٢) هو أشعب بن جبير، المعروف بالطماع. ويقال له: ابن أم حميدة، بحسب أمه العلاء، ومنه لقبه ظريف من أهل المدينة. كان مولى لعبد الله بن الزبير، تأدب ورهق الحديث، كان يحد العباد بضرب المثل بطمعه. أخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب. عاش عمراً طويلاً، قيل أدرك زمن عثمان بن عفان. سكن المدينة في أيامه، وقدم بغداد في أيام المنصور العباسي، توفي بالمدينة سنة ١٥٤ هـ / ٧٧١ م.

تجري السواك على أغر كأنه      برد تحدر من متون غمام  
لو كان عهدك كالذي حدثنا      لوصلت ذاك وكان غير ذمام  
إني أوصل من أردت وصاله      بحبال لا صلف ولا لوام

قال: نعم، قالت: أولاً أخذت بيدها وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيك ضعف  
خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت: أيكم كثير؟ قال:  
أنا. قالت: أنت القائل:

وأعجبني يا عز منك خلائق      كرام إذا عدّ الخلائق أربع  
دنوك حتى يدفع الجاهل الصبا      ودفعك أسباب المنى حين يطمع  
وإنك لا تدريين صبا مطلته      أيشتد إن لاقاك أو يتضرع  
وإنك إن واصلت عملت بالذي      لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

قال: نعم. قالت: قد ملحت وشكلت خذ هذه الألف دينار واذهب لأهلك، ثم دخلت  
وخرجت وقالت: أيكم نصيب؟ قال: أنا. قالت: أنت القائل:

ولولا أن يقال صبا نصيب      لقلت بنفسي النشأ الصغار  
بنفسي كل مهضوم حشاها      إذا ظلمت فليس لها انتصار

قال: نعم، قالت: ربيتنا صغاراً ومدحتنا كباراً خذ هذه الألف دينار والحق بأهلك. ثم  
دخلت وخرجت فقالت لجميل: مولاتي تقرئك السلام وتقول لك: ما زلت مشتاقة لرؤيتك  
منذ سمعت قولك:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة      بوادي القرى إني إذا لسعيد  
لكل حديث بينهن بشاشة      وكل قليل عندهن شهيد

فجعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء خذ هذه الألف دينار والحق بأهلك.

ورويت عن سكيئة قصة أخرى نحو هذه ظهرت بها حذاقتها وانتقادها على أفحل  
الشعراء، وكان عمرو بن عثمان لما تزوج بها عتب عليها يوماً وخرج إلى مال له فقالت  
لأشعب: إن ابن عثمان خرج عاتباً عليّ فاعلم لي حاله. فقال لها: لا أستطيع أن أذهب الساعة  
فقالت: أنا أعطيك ثلاثين ديناراً قال أشعب: فأتيته ليلاً فدخلت الدار، فقال: انظروا من في  
الدار، فأتوه فقالوا: أشعب، فنزل عن فرشه إلى الأرض. فقال: أشعب؟ قلت: نعم، قال:  
ما جاء بك؟ قلت: أرسلتني سكيئة لأعلم خبرك أتذكرت منها ما تذكرت منك، وأنا أعلم أنك  
قد فعلت حين نزلت عن فرشك إلى الأرض. قال: دعني من هذا وغنني:

عوجاً به فاستنطقاه فقد      ذكرني ما كنت لم أذكر

قال: فغنيتها، فلم يطرب ثم قال: غني ويحك غير هذا فإن أصبت ما في نفسي فلك حلتي هذه وقد اشتريتها آنفاً بثلاثمائة دينار فغنيتها:

علق القلب بعض ما قد شجاه      من حبيب أمسى هوانا هواه  
ما ضراري نفسي بهجران من لي      سر مسيئاً ولا بعيداً نواه  
واجتنابي بيت الحبيب وما الخلد      سد بأشهى إليّ من أن أراه

فقال: ما عدوت ما في نفسي، خذا الحلة، قال: فأخذتها ورجعت إلى سكينه فقصيت عليها القصة فقالت: وأين الحلة؟ قلت: معي. فقالت: وأنت الآن تريد أن تلبسها؟ لا والله ولا كرامة، فقلت: قد أعطانيها فأبي شيء تريد مني؟ فقالت: أنا اشتريها منك فبعتها إياها بثلاثمائة دينار.

وقال بعضهم: كان ابن سريج قد أصابته الريح الخبيثة وآلى يميناً أن لا يغني ونسك ولزم المسجد الحرام حتى عوفي، ثم خرج فأتى المدينة ونزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة فأقام في المدينة حولاً ثم أراد الشخوص إلى مكة، وبلغ ذلك سكينه فاغتمت نذك غماً شديداً وضاق به ذرعها وكان أشعب يخدمها، وكانت تأسر بمضاحكته ونوادره. فقالت لأشعب: ويلك إن ابن سريج شاخص وقد دخل المدينة منذ حول ولم أسمع من غنائه قليلاً ولا كثيراً ويعز عليّ ذلك فكيف الحيلة في الاستماع منه ولو صوتاً واحداً؟

فقال لها أشعب: جعلت فداك وأنى لك بذلك، والرجل اليوم زاهد ولا حيلة فيه فافعي طمعك وامسحي بوزك تنفك حلاوة فمك، فأمرت بعض جواربها فوطئن بطنه حتى كادت أن تخرج أمعاؤه وخنقته حتى كادت نفسه أن تتلف ثم أمرت به فسحب على وجهه حتى أخرج من الدار إخراجاً عنيفاً، فخرج على أسوأ الحالات واغتم أشعب غماً شديداً، وندم على ممازحته في وقت لا ينبغي له ذلك، فأتى منزل ابن سريج ليلاً فطرقه. فقيل: من هذا؟ فقال: أشعب، ففتحوا له، فرأى على وجهه ولحيته التراب والدم سائلاً من أنفه وجبهته على لحيته، ففتحوها فممزقة وبطنه وصدره وحلقه قد عصرها الدوس والخنق، ومات الدم فيها، فنظروا إلى سريج إلى منظر فظيع هاله وراعه فقال له: ما هذا، ويحك؟ فقص القصة عليه. فقال ابن سريج: إن الله وإنا إليه راجعون ماذا نزل بك والحمد لله الذي سلم نفسك لا تعودن إلى هذه أمداً.

قال أشعب: فديتك هي مولاتي ولا بد لي منها، ولكن هل لك حيلة في أن تسير إليّ وتغنيها فيكون ذلك سبباً لرضاها عني؟ قال ابن سريج: لا والله لا يكمن ذلك أبداً بعد أن تركته. قال أشعب: قد قطعت أمني ورفعت رزقي وتركتني حيران بالمدينة لا يقبلني أحد، وهي ساخطة عليّ، فالله الله في وأنا أنشدك الله ألا تحملت هذا الإثم في. فأبى عليه.

فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تم على الامتناع قال في نفسه: لا حيلة لي وهذا خارج وإن خرج هلكت، فصرخ صرخة، فتحت آذان أهل المدينة لها ونبه الجيران من رقادهم وأقام الناس من فرشهم، ثم سكت فلم يدر الناس ما القصة عند خفوت الصوت بعد أن راعهم. فقال له ابن سريج: ويلك ما هذا؟ قال: لئن لم تسر معي إليها لأصرخن صرخة أخرى لا يبقى أحد بالمدينة إلا صار بالباب، ثم لأفتحنه ولأرينهم ما بي ولأعلمنهم أنك أردت أن تفعل كذا وكذا بفلان - يعني غلاماً كان ابن سريج مشهوراً به - فمنعتك وخلصت الغلام من يدك حتى فتح الباب ومضى ففعلت بي هذا غيظاً وتأسفاً وإنك إنما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه فقال ابن سريج: اعزب - أخزاك الله.

قال أشعب: والله الذي لا إله إلا هو وإلا فما أملك صدقة وامرأتي طالق ثلاثاً، وهو يخير في مقام إبراهيم والكعبة وبيت النار والقبر قبر أبي رغال إن أنت لم تنهض معي في ليلتي هذه لأفعلن ما قلت لك. فلما رأى ابن سريج الجد منه قال لصاحبه: ويحك، أما ترى ما وقعنا فيه! وكان صاحبه الذي نزل عنده ناسكاً. فقال: لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث؟ وتدمم ابن سريج من الرجل صاحب المنزل فقال لأشعب: اخرج من منزل الرجل. فقال: رجلي على رجلك فخرجا.

فلما صاروا في بعض الطريق قال ابن سريج لأشعب: امض عني. قال: والله لئن لم تفعل ما قلت لأصيحن الساعة حتى يجتمع الناس ولأقولن إنك أخذت مني سواراً من ذهب لسكينة على أن تجيئها لتغنيها سراً وإنك كابرتنني عليه وجحدتنني وفعلت بي هذا الفعل، فوقع ابن سريج فيما لا حيلة له فيه فقال: امض لا بارك الله فيك، فمضى معه، فلما صار إلى باب سكينة قرع الباب فقيل: من هذا؟ فقال: أشعب قد جاء بابن سريج ففتح الباب لهما ودخل إلى حجرة خارجة عن دار سكينة فجلسا ساعة، ثم أذن لهما فدخلتا إلى سكينة فقالت: يا عبيد، ما هذا الجفاء؟ قال: قد علمت بأبي أنت ما كان مني قالت: أجل، فتحدثنا ساعة وقص عليها ما صنع به أشعب فضحكت وقالت: لقد أذهب ما كان في قلبي عليه وأمرت لأشعب بعشرين ديناراً وكسوة، ثم قال لها ابن سريج: أتأذنين بأبي أنت؟ قالت: وأين، قال: إلى المنزل. قالت: برئت من جدي إن برحت من داري ثلاثاً، وبرئت من جدي إن أنت لم تُغن إن خرجت من داري شهراً، وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهراً إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشراً، وبرئت من جدي إن حثت في يميني أو شفعت فيك أحداً. فقال عبيد: واسخنة عيناه، واذهاب ديناه وافضيحتاه، ثم اندفع يغني:

أستعين الذي بكفيه نفعي      ورجائي على التي قتلتني  
ولقد كنت قد عرفت وأبصر      ت أموراً لو أنها نفعتنني  
قلت إني أهوى شفا ما ألاقي      في خطوب تتابعت فدحتني

فقال سكينة: فهل عندك يا عبيد من صبر، ثم أخرجت دملجاً من ذهب كان في عضدها وزنه أربعون مثقالاً فرمت به إليه ثم قالت: أقسمت عليك إلا ما أدخلته في يدك ففعل ذلك ثم قالت لأشعب: اذهب إلى عزة الميلاء فأقرئها مني السلام وأعلمها أن عبيداً عندنا فلتأتنا متفضلة بالزيارة، فأتاها أشعب فأعلمها فأسرعت المجيء فتحدثوا باقي ليلتهم، ثم أمرت عبيداً وأشعب فخرجوا فناما في حجرة مواليتها، فلما أصبحت هبى لهم غداؤهم وأذنت لابن سريج فدخل فتغدى قريباً منها مع أشعب ومواليها وقعدت هي مع عزة وخاصة جواريتها فلما فرغوا من الغداء قالت: يا عزان رأيت أن تغنينا فافعلي فقالت: أي وعيشك فتغنت لحنها في شعر عترة العبسي:

حييت من طلل تقادم عهده      أقوى وأقصر بعد أم الهيثم  
إن كنت أزمعت الفراق فإنما      زست ركابكم بليل مظلم

فقال ابن سريج: أحسنت والله يا عزة وأخرجت سكينة الدملج الآخر من يدها فرمتها لها وقالت: صيري هذا في يدك ففعلت. ثم قالت لعبيد: هات غننا. فقال: حسبك ما سمعت البارحة. فقالت: لا بد أن تغنينا في كل يوم لحناً، فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع مما تسأله غنى:

قالت من أنت على ذكر فقلت لها      أنا الذي ساقه للحين مقدار  
قدحان منك فلا تبعد بك الدار      بين وفي اليبس للمبتول إضرار

ثم قالت لعزة في اليوم الثاني غني فغنت لحنها في شعر الحارث بن خالد:

وقرت بها عيني وقد كنت قبلها      كثير البكاء مشفقاً من صدودها  
وبشرة خود مثل تمثال بيعة      تظل النصارى حوله يوم عيدها

قال ابن سريج: والله ما سمعت مثل هذا قط حسناً ولا طيباً ثم قالت لابن سريج: هات، فاندفع يغني:

أرقت فلم أنم طرباً      وبست مسهداً نصيباً  
لطيف أحب خلق الله      إنساناً وإن غضيباً  
فلم أردد مقالتها      ولم أك عاتباً عتياً  
ولكن صرمت حليبي      فأمسى الجبل منقضيها

فقالَت سَكِينَةُ: قد علمت ما أردت بهذا وقد شفَعناكَ ولم نردِّكَ وإنما كانت يميني على ثلاثة أيام فاذهب في حفظ الله وكلاءته، ثم قالت لعزة: إذا شئت أقمت أو انصرفت ودعت لها بحلة، ولا بن سريج بمثلها، وانصرفت وأقام عييد حتى انقضت ليلته وانصرف فمضى من وجهه إلى مكة راجعاً.

واجتمع يوماً نسوة عند سَكِينَةَ بنت الحسين - عليهما السلام - وهن بالمدينة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه وتشوقن إليه وتمنينه فقالت سَكِينَةُ: أنا آتي لكنَّ به فبعثت إليه رسولاً وهو يومئذ بمكة ووعدته أن يأتيها في الصورين في ليلة سميتها له فوافها على رواحله ومعه الغريض<sup>(١)</sup> فحدثهن حتى وافى الفجر وحن انصرافهن فقال لهن: إني والله مشتاق إلى زيارة قبر النبي ﷺ والصلاة في مسجده ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئاً، ثم انصرف إلى مكة وقال:

ألمم بزینب إن البین قد أفدا      قل الشواء لئن كان الرحیل غداً  
قد خلقت ليلة الصورین جاهدة      وما على الحرِّ إلا الصبر مجتهداً  
لأختها ولأخرى من مناضفها      لقد وجدت به فوق الذي وجداً  
لعمرها ما أراني إن نوى برحت      وهكذا الحب إلا ميتاً كمداً

قال: وانصرف عمر والغريض معه فلما كان بمكة قالَ عمر: يا غريض، إني أريد أن أخبرك بشيء يتعجل لك نفعه ويبقى لك ذكره، فهل لك فيه؟ قال: افعل من ذلك ما شئت، وما أنت أهله. قال: إني قد قلت في هذه الليلة التي كنا فيها شعراً فامض به إلى النسوة فأنشدن ذلك وأخبرهن أني وجهت بك فيه قاصداً.

قال: نعم، فحمل الغريض الشعر ورجع إلى المدينة فقصد سَكِينَةَ وقال لها: جعلت فداك يا سيدتي ومولاتي إن أبا خطاب - أبقاه الله - وجهني إليك قاصداً قالت: أوليس في خير وسرور تركته. قال: نعم، قالت: وفيم وجهك أبو الخطاب - حفظه الله -؟ قال: جعلت فداك إن ابن أبي ربيعة حملني شعراً وأمرني أن أنشدك إياه. قالت: فهاته فأنشدها الشعر بتمامه قالت: فيا ويحه فما كان عليه أن لا يرجل في عدّة فوجهت إلى النسوة فجمعتهن وأنشدتهن الشعر وقالت للغريض: هل عملت فيه شيئاً. قال: قد غنيت ابن أبي ربيعة قالت: فهاته فغنائه الغريض فقالت سَكِينَةُ: أحسنت والله وأحسن ابن أبي ربيعة لولا أنك سبقت فغنيت عمر قبلنا

(١) هو عبد الملك مولى العبلات، من مولدي البربر، من أشهر المغنين اشتهر بـ «الغريض». أشهر المغنين في صدر الإسلام. سكن مكة وغنى سَكِينَةَ بنت الحسين. كان يضرب بالعود، وينقر بالدف، ويوقع بالقضيب، كنيته أبو يزيد أو أبو مروان ولقب «الغريض» لجماله ونضارة وجهه.

لأحسنا جائزتك يا بنانة أعطه بكل بيت ألف درهم فأخرجت إليه بنانة أربعة آلاف فدفعتها إليه.

وقالت له سكيئة: لو زادنا عمر لزدتك، وكانت وفاة السيدة سكيئة بمكة في ربيع الأول سنة ١٢٦ [هـ]. وقيل: سنة ١١٧ [هـ] بالمدينة وهو الأرجح.

### سلمى الملقبة بـ «قرة العين»<sup>(١)</sup>

كانت فتية بارعة الجمال، متوقدة الجنان، فاضلة عالمة. أبوها أحد المجتهدين في العجم، وكانت متزوجة بمجتهد آخر طلقت نفسها من زوجها على خلاف حكم شريعة الإسلام وأمت بالسيد علي محمد<sup>(٢)</sup> تلميذ<sup>(٣)</sup> الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي<sup>(٤)</sup> الذي مزج التصوف

(١) هي من علماء البهائية أتباع «البابية» كانت تاتم بالسيد علي محمد بن المرزا رضی البزاز الشيرازي مؤسس «البابية» التي هي أصل البهائية.

(٢) هو علي محمد بن المرزا رضی البزاز الشيرازي. مؤسس «البابية» التي هي أصل «البهائية». إيراني، ولد بشيراز سنة ١٢٣٥ هـ/١٨١٩ م. مات أبوه وهو رضيع فرباه خاله المرزا سيد علي التاجر. نشأ في «أبي شهر» فتعلم مبادئ القراءة بالعربية والفارسية، تلقى شيئاً من علوم الدين. تقشف. فكان يدكث في الشمس ساعات عديدة. لما بلغ الخامسة والعشرين سنة ١٢٦٠ هـ، جاهر بعقيدة تدعو إلى توحيد الأديان، ومحو التعصبات بأنواعها، وأتباع دين جديد ولقب نفسه بـ «الباب» استناداً إلى حديث: «أن مدينة علم وعلي بابها». تبعه جماعة كبيرة، وهو بالنسبة لهم «المهدي المنتظر» والمخلص في هذا الزمن. قام علماء بلاده يفندون آراءه وأقواله ويظهرون مخالفتها للإسلام. خشيت حكومة إيران الفتنة فسجنت عدداً كبيراً من أصحابه، ونكلوا بأتباعه فانتقل هو إلى شيراز، ثم إلى أصبهان وحماه حاكمها معتمد الدولة منوچهر خان. وبعد وفاة حاكم أصبهان تلقى خلفه أمراً بالقبض على «الباب»، واعتقل وسجن في قلعة «ماكو» في أذربيجان. ثم نُقل إلى قلعة «جهريق» على أثر فتنة سببه، ومنها إلى تبريز، حيث حُكم فيها عليه بالقتل، فأعدم رمياً بالرصاص سنة ١٢٦٦ هـ/١٨٥٠ م. وألقي جسده في خندقها، فأخذه بعض مريديه إلى طهران. وفي حيفا بفلسطين قبر ضخم للبهائية يُقال إن حثّة «الباب» نُقلت إليه خلسة. له مصنفات عدة، وفي كتاب مواقف وأحداث أمرية - ترجمة سلمى بنت علي - منشورات دار النشر البهائية في البرازيل، نيسان، ١٩٩٧ - أحداث كثيرة نعتها فيها مؤسس البهائية والتنكيل التي لحقت بهم من جراء أتباعهم للباب.

(٣) في المصادر والكتب البهائية لم يكن محمد علي تلميذ الشيخ الأحسائي. لأنه هو أصل «الباب» ومؤسسها، لكنه كان قد حضر بعض صفوفه ولا سيما أن الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي كان يحضر للبحث عن «المهدي المنتظر» الذي هو بالنسبة للبهائيين علي محمد الملقب بـ «الباب».

(٤) هو أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر بن راشد العسقي الحنظلي الأحسائي البحراني. متفلسف إمامي، مؤسس مذهب الكشفية، نسبة إلى الكشف والإلهام، وكان يدعيهما «العلم» أتباع ربما قيل لهم الشيخية أيضاً نسبة إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي. يقال إن أعم شطحات وزندقات. ولد في الأحساء سنة ١١٦٦ هـ/١٧٥٣ م. تعلم في بلاد فارس وسفراً فيها. ثم العراق وسكن البحرين. مات حاجباً بقرب المدينة، حمل إليها، ودفن فيها سنة ١٢٥١ هـ/١٨٣٦ م.



والفلسفة بالشرعية، وتسمى السيد علي - المذكور - بالبابي<sup>(١)</sup> وطريقته تسمت به وكانت قرّة العين تكاتبه ويكاتبها فكان يخاطبها في مكاتباته بـ «قرّة العين» فلقت بذلك وكانت تناظر العلماء والفضلاء مكشوفة الوجه بدون حجاب<sup>(٢)</sup>.

ثم لما وقعت المحاربة بين البابيين وعساكر الدولة في مازندران<sup>(٣)</sup> جيشت جيشاً وقادته مكشوفة الوجه وسارت أمامه طالبة إعانتهم، وفي أثناء الطريق قامت في الناس خطيبة وقالت: «أين أحكام الشريعة الأولى - أعني المحمدية - قد نسخت وإن أحكام الشريعة الثانية لم تصل إلينا فنحن الآن في زمن لا تكليف فيه بشيء».

فوقع الهرج والمرج، وفعل كل من الناس ما كان يشتهي من القبائح، ثم قبض عليها ولبست البرقع<sup>(٤)</sup> جبراً، وحكم عليها بأن تحرق حية، ولكن الجلاد خنقها قبل أن تشتعل النار<sup>(٥)</sup> بالحطب الذي أعد لإحراقها.

### سلمى امرأة عروة بن الورد

هي امرأة من بني كنانة، وتكنى أم وهب، وكان عروة بن الورد<sup>(٦)</sup> قد أغار عليهم فأصابها منهم وكانت بكرأ فأعتقها واتخذها لنفسه، فمكثت عنده بضعة عشر سنة، وولدت له ولداً وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه وهي تقول له: لو حججت بي فأمرّ على أهلي وأراهم، فحج بها فأتى إلى مكة ثم أتى إلى المدينة وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير وكان قومها يخالطون بني النضير فأتوهم وهو عندهم فقالت لهم سلمى: إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام فتعالوا إليه وأخبروه أنكم لا تحبون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب

(١) البابي: استناداً إلى حديث: «أنا مدينة علم وعلي بابها».

(٢) لا تفرض البهائية أو البابية الحجاب على النساء، وعندما ظهرت «قرّة العين» سافرة دون حجاب أثارت جدلاً بين الفقهاء وعلماء الدين ولا سيما أنها كانت تناظرهم وهي كذلك. ويقال: إن أحد المقرّبين منها ذبح نفسه عندما نزع الحجاب وظهرت للرجال مكشوفة الوجه ذلك اعتباراً منه أن ما جرى أمراً فادحاً.

(٣) مازندران: اسم لولاية طبرستان. معجم البلدان، ج ٥/ص ٤٨.

(٤) البرقع: ما تستر به المرأة وجهها. [القاموس المحيط، مادة: برق].

(٥) في المصادر والكتب البهائية: أنها بعدما خنقها الجلاد، وكان ذلك بناء لطلبها، رُميت في بئر ولم تحرق.

(٦) هو عروة بن الورد بن زيد العبسي، من غطفان، من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها. كان يلقب بعروة الصعاليك، لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم. قال عبد الملك بن مروان: من قال إن حاتماً أسمع الناس فقد ظلم عروة بن الورد.

مسبيةً، وافتدونني منه فإنه لا يرى أنني أفارقه ولا أختار عليه أحداً. فأتوه فسقوه الشراب، فلما ثمل قالوا له: فادنا بصاحبتنا فإنها وسيطة النسب فينا معروفة وإنه عار علينا أن تكون مسبية فإذا صارت إلينا وأردت معاودتها فاخطبها إلينا فإننا ننكحك.

فقال لهم: ذلك لكم، ولكن لي الشرط فيها أن تخيروها فإن اختارتني انطلقت معي إلى ولدها، وإن اختارتكم انطلقتم بها قالوا: ذلك لك. قال: دعوني ألهو بها الليلة وأفاديها غداً. فلما كان الغد جاءوه فامتنع من فدائها. فقالوا له: قد فاديتنا بها منذ البارحة وشهد عليه بذلك جماعة ممن حضر فلم يقدر على الامتناع وفاداها.

فلما فادوه بها خيروها فاختارت قومها، ثم أقبلت عليه فقالت: يا عروة، أما إنني أقول فيك وإن فارقتك الحق والله ما أعلم امرأة من العرب ألفت سترها على بعل خير منك وأغض طرفاً وأقل فحشاً، وأجود يداً وأحمى لحقيقة، والله إنك ما علمت لضحوك وقور، كسوب مدبر، خفيف على متن الفراش، ثقيل على ظهر العدو، طويل العماد، كثير الرماد، راضي الأهل والأجانب، وما مر عليّ يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إليّ من الحياة بين قومك لأنني لم أكن أشأ أن أسمع امرأة من قومك تقول: قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته، والله لا أنظر في وجه غطفانية أبداً فأرجع راشداً إلى ولدك وأحسن إليهم. ثم فارقت، فقال عروة في ذلك:

أرقت وصحبتني بمضيق عيق	لبرق من تهامة مستطير
سقى سلمى وأين ديار سلمى	إذا كانت مجاورة السدير
إذا حلت بأرض بني عليّ	وأهلي بين زاهرة وكبير
ذكرت منازل من أم وهب	محل الحي أسفل من ثبير
وأحدث معهداً من أم وهب	معرسنا بدار بني النصير
وقالوا ما تشاء فقلت ألهو	إلى الإصباح أثرة ذي أثير
بأنسة الحديد رضاب فيها	بعيد النوم كالعنب العصير

فتزوجها رجل من بني عمها فقال لها يوماً من الأيام: يا سلمى، أثنى عليّ كما أثنت على عروة وكان قولها فيه اشتهر فقالت له: لا تكلفني ذلك. فإن قلت الحق أغضبتك وإلا واللوات والعزى لا أكذب فقال: عزمت عليك لتأتين في مجلس قومي فلتثنين عليّ بما تعلمين.

وخرج فجلس في ندي القوم وأقبلت فرماها القوم بأبصارهم فوقفت عليهم وقالت: أنعموا صباحاً إن هذا عزم عليّ أن أثنى عليه بما أعلم، ثم أقبلت عليه فقالت: والله إن

شملتك<sup>(١)</sup> لا لتحاف<sup>(٢)</sup>، وإن شريك لا شتاف<sup>(٣)</sup>، وإنك لتنام ليلة تخاف، وتشيح ليلة تضاف، وما ترضي الأهل ولا الجار، ثم انصرفت عنه فلامه قومه وقالوا: ما كان أغناك عن هذا القول منها.

## سلامة القس

هي جارية كانت لسهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فاشتراها يزيد بن عبد الملك بثلاثة آلاف دينار فأعجب بها وغلبت على أمره.

وسبب ما قيل لها: سلامة<sup>(٤)</sup> القس أن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمارة أحد بني جشم بن معاوية بن بكر كان فقيهاً عابداً مجتهداً في العبادة<sup>(٥)</sup>، وكان يسمى القس لعبادته، مر يوماً بمنزل مولاها فسمع غناءها فوقف يسمعه فرآه مولاها، فقال له: هل لك أن تنظر وتسمع؟ فأبى، فقال له: أنا أقعدها بمكان لا تراها وتسمع غناءها، فدخل معه فغنته فأعجبه غناؤها، ثم أخرجها مولاها إليه فشغف بها وأحبها وأحبته هي أيضاً، وكان شاباً جميلاً وكثير تردده على منزل مولاها.

فقالت له يوماً على خلوة أنا والله أحبك قال: وأنا والله أحبك. قالت: أحب أن أقبلك قال وأنا والله كذلك. قالت: أحب أن أضع بطني على بطنك. قال: وأنا والله. قالت: فما يمنعك؟ قال: قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] وأنا أكره أن تؤل خلتنا إلى عداوة، ثم قام وانصرف عنها وعاد إلى عبادته وله فيها أشعار منها:

ألم ترها لا يبعد الله دارها إذا طرّبت في صوتها كيف تصنع  
تمدّ نظام القول ثم ترده إلى صلصل من صوتها يترجع  
وله فيها:

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر وهل أنت يوماً عن سلامة مقصر  
ألا ليت أني حيث سارت بها النوى جليس لسلمي كلما عج مزهر

- (١) شملتك: التفافك بالثوب وإدارته على جسمك كله. [القاموس المحيط، مادة: شمل].
- (٢) التحاف: التحف، اتخذ لنفسه لحافاً، وهو ما يتغطى به. [القاموس المحيط، مادة: لحف].
- (٣) اشتاف: شرب كل ما في الإناء. [القاموس المحيط، مادة: شَفَأ].
- (٤) هي سلامة مغنية شاعرة من مولدات المدينة، نشأت بها، أخذت الغناء عن معبد وطبقته، فمهرت في الغناء، وحذقت الضرب على الأوتار، وقالت الشعر الكثير. سمع بها يزيد بن عبد الملك فاشتراها - قيل: بعشرين ألف دينار - فانتقلت إلى دمشق، وبقيت عنده إلى أن توفي. ماتت سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م.
- (٥) كان من قراء مكة المشهورين، المعروفين.

إذا أخذت في الصوت كاد جليسيها يطير إليها قلبه حين ينظرُ  
فلذلك قيل لها سلامة القس .

وكانت أخذت الغناء عن معبد وتعلمت منه جملة أصوات وكان يريدتها ويقدمها على غيرها من مولدات المدينة، ولذلك لما مات عظم موته عندها فجاءت في مشهده، وصارت تفرق الناس حتى قربت من النعش وقد أضرب الناس عنه ينظرون إليها وقد أخذت بعمود السرير وهي تبكي وتقول:

قد لعمري بت ليلي كأخي الداء الوجيع  
ونجى الهيم مني بسات أدنى من ضجيعي  
كلما أبصرت ربعاً خالياً فاضت دموعي  
قد خلا من سيد كا ن لنسا غير مضيع  
لا تلمنا إن خشعنا أو هممنا بخشوع

وكان يزيد أمر معبداً أن يعلمها هذا الصوت فعلمها إياه فندبته به يومئذ وكانت لها مناظرات ومحاورات ومجالس أنس مع حباة، ويزيد لم يسبق لأمثالهم من الخلفاء والملوك، ولم يصل أحد إلى ما وصلوا إليه .

### سميراميس ملكة آشور<sup>(١)</sup>

كانت أجمل أقرانها وأشجع أهل زمانها . ولبت العرش بعد زوجها «فينوس» فكان من همها تحسين مدينة بابل، فشادت بها الهياكل العظيمة، وأنشأت القصور المزخرفة، وغرست الرياض والبساتين، واحتفرت الترغ والخلجان، ومدت عليها المعابر والقناطر، وبنت في ساحة المدينة هيكل «بور» إله الآشوريين، وأقامت فيه تمثالاً ذهبياً طوله ٤٠ قدماً، وكان هذا الهيكل أعظم بناء قام به البشر بلغ ارتفاعه ٦٦٠ قدماً أعلى من الهرم المصري الأكبر، قال عنه «هيرودوتوس»<sup>(٢)</sup> المؤرخ: إنه مربع الشكل مساحته ٤٠٠ ذراع في وسطه برج يرتفع نحو ٦٠٠ قدم ويعلوه سبعة أبراج علو كل منها ٧٥ قدماً، وفي البرج الأخير مسجد<sup>(٣)</sup> فيه تمثال من ذهب

(١) سميراميس: ملكة آشورية أسطورية، بسبب إليها تأسس نينوى، وحدثت لها المعطفة المحفوظة في المتحف البريطاني. أخبار سامورامات زوجة شمش آداد الخامس، والدة آداد نينوى الثالث حكمت بالأمم من سنة ٨١٠ - ٨٠٥ ق.م.

(٢) هيرودوتس: مؤرخ ورحالة يوناني (Herodotos) ولد سنة ٤٨٤ ق.م. دار العالم المعروف بذلك، ولا سيما العراق وفينيقا ومصر. له «تاريخ» هو من أهم المراجع لمعرفة أحوال الأمم القديمة، وأسلافها.

(٣) مسجد: اسم يطلق على كل موضع يُسجد فيه، أو كل موضع يُتعد فيه (القاموس المحقق، مادة مسجد).

وبقره مائدة ومنصة ذهبيتان ثمنهما نحو ٢٢٥ مليوناً، وفي فناء هذا المسجد مذبحان أحدهما ذهبي يوقد عليه في كل عيد ٣٠٠٠ أقة بخور.

وبالجملة فإن هذه الملكة هي التي أحيت لبابل رونقها المذكور، وبهاءها المأثور، وهي التي أولتها تلك العظمة والشهرة بيد أنها لم تكتف بما أكسبها سعيها هذا من الفخر، بل جمحت نفسها إلى الغارة فأثارتها شعواء على مصر، فالحبشة، وفلسطين، فالهند، فانتصرت في جميع غزواتها إلا في الهند فإن أفيالها قد ألقت الرعب في قلوب العسكر ولم تطل حياتها.

ولما بلغها خبر أفيل ملك الهند ارتابت وخافت من انتصار الهنود عليها وإذا لم يكن عندها قوة تضاهيها اجتهدت أن تدفع عنها هذه البلية بطريقة احتيالية فأمرت قواد العسكر بذبح ثلاثة آلاف بقرة من ذوات اللون الأسمر، وأن يسلخوها ويفصلوا جلودها على هيئة الأفيال، ويلبسوها للجمال، فامثلوا ما أمرت وفعلوا ما ذكرت وعلى هذه الصورة أنزلتها إلى ميدان الحرب لتلقي الرعب في قلوب الأعداء بإظهارها لهم استعداداتها الحربية، وشوكتها القوية.

فلما انتشب القتال بين الفريقين انعطف ملك الهند بأفياله الحقيقية على عساكر الأشوريين، وتقدمت الملكة «سميراميس» بجمالها وفرسانها وجلود ثيرانها، ولما اقترن العسكران والتقى الجيشان انكشفت للهنود تلك الحيلة وتحقق عندهم أنه لا يوجد عند الأعداء أفيال كافيها لهم، وإن ما يرى إنما هو حيلة وخداع فتشجعوا وهجموا على صفوف الأشوريين هجمة هائلة فالتقتهم الملكة «سميراميس» برجالها وأبطالها فاشتد القتال وعظمت الأهوال، ودخلت أفيال الهنود بين صفوف الأشوريين فكانت تخطف الرجال عن خيولها وتدوسها، فما لبثت الجمال المصطنعة أن ولت الأدبار وطلبت النجاة والفرار، ولم تكن إلا برهة يسيرة حتى انكسر جيش الأشوريين وانتصرت الهنود انتصاراً عظيماً وكسبت غنائم جسيمة.

وكانت الملكة «سميراميس» قد انجرت جرحاً بليغاً، ولكنها فازت بالهزيمة بسبب خفة فرسها ورجعت إلى بلادها مدحورة صاغرة.

ومن ذلك الحين زهدت في متاع الدنيا ومالت إلى الخمول فقتلها بعد يسير ابنها «تيتاس» وذلك سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد فأنزلها الأشوريون منزلة الإله، وأقاموا لها صوراً منقوشة بهيئة حمامة زعموا منهم أنها نقلت عقب موتها بجسم حمامة وهي في كل حال فخر نساء العصر القديم ونور مشكاته.

## سمية أم عمار بن ياسر

هي سمية بنت خباط<sup>(١)</sup> كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وكان ياسر حليفاً لأبي حذيفة فزوجه سمية فولدت له عماراً<sup>(٢)</sup>، فأعتقه أبو حذيفة. وكانت من السابقين إلى الإسلام. قيل: كانت سابع سبعة في الإسلام وكانت ممن يعذب في الله - عز وجل - أشد العذاب.

قال أحد رجال آل عمار بن ياسر إن سمية أم عمار عذبها هذا الحي من بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم على الإسلام وهي تأبى غيره حتى قتلوها وكان رسول الله ﷺ مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وروي أن أبا جهل ضربها في قلبها بحربة في يده فقتلها فهي أول شهيد في الإسلام. قال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وبلال<sup>(٤)</sup>، وضباب، وصهيب<sup>(٥)</sup>، وعمار، وسمية.

فأما رسول الله ﷺ وأبو بكر فمنعهما قومهما وأما الآخرون فألبسوا أدرع الحديد، ثم صهروا في الشمس وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة فقتلها.

- (١) للاستزادة يراجع: الإصابة (كتاب النساء، الترجمة ٥٨٢)، الروض الأنف (١: ٢٠٣).
- (٢) هو عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان، صحابي ولد سنة ٥٧ ق.هـ/٥٦٧ م، من الولاة الشجعان ذوي الرأي. وهو أحد السابقين إلى الإسلام ولجهاً به هاجر إلى المدينة، وشهد بدرآ، وأحداً، والخندق، وبيعة الرضوان. كان النبي ﷺ يلقبه «الطيب المطيب». وفي الحديث: «ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرحمهما». هو أول من لبس مسجداً في الإسلام، بناه في المدينة وسماه قباء. ولأه عمر الكوفة، فأقام زمناً وعزله عنها شهيداً لحدودها مع علي. قتل في صفين سنة ٣٧ هـ/٦٥٧ م، وكان عمره ثلاث وتسعين سنة.
- (٣) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (٣: ٥٩).
- (٤) هو بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله، مؤذن رسول الله ﷺ، حاكم الحبشة، من مؤيدي السراة، أحد السابقين للإسلام. وفي الحديث: «بلال سابق الحبشة». كان شهيداً لحدود الحبشة، طويلاً، خفيف العارضين، له شعر كثيف. شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، لما أتته في رسول الله ﷺ أذن بلال، ولم يؤذن بعد ذلك أقام حتى خرجت البعث إلى الشام، فسار معهم إلى قبرين في دمشق سنة ٢٠ هـ/٦٤١ م.
- (٥) صهيب بن سنان وهو المعروف بصهيب الرومي، لكنه لم يكن رومياً، بل هو عربي حامي، أمه من الأب، تميمي الأم. بيع صهيب - بعدما أسره مع أمه ودراريها وهم من قومه - للشركاء من أسرى الروم في أسواق بلاد الروم وعرف بصهيب الرومي.

## سودة بنت زمعة<sup>(١)</sup>

ابن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشية العامرية، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن ليبد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية.

وسودة هي زوجة النبي ﷺ. تزوجها بمكة بعد وفاة خديجة قبل عائشة، وكانت قبله تحت ابن عمها السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو من بني عامر بن لؤي، وكان مسلماً فتوفي عنها فتزوجها رسول الله ﷺ ولم تصب منه ولداً إلى أن مات.

وعن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت له: لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز.

وروي عن سودة بنت زمعة قالت: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع أن يحج. قال: «أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه قبل منك»<sup>(٢)</sup> قال: نعم، قال: «فالله أرحم حج عن أبيك»<sup>(٣)</sup>. وتوفيت<sup>(٤)</sup> سودة آخر خلافة عمر.

## سودة ابنة عمار بن الأشتر الهمدانية

كانت أديبة عاقلة شاعرة وفدت على معاوية بن أبي سفيان، فاستأذنت عليه، فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت فقال لها: كيف أنت يا بنت الأشتر قالت: بخير يا أمير المؤمنين، قال لها: أنت القائلة لأخيك:

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة	يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه.	واقصد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخ النبي محمد	علم الهدى ومنارة الإيمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه	قدماً بأبيض صارم وسان

فقالت: يا أمير المؤمنين، مات الرأس وبت الذنب فدع عنك تذكاري ما قد نسي قال:

(١) للاستزادة يراجع: طبقات ابن سعد (٨: ٣٥)، السمط الثمين (١٠١)، الجمع بين رجال الصحيحين (٦٠٧)، الإصابة (كتاب النساء، الترجمة ٦٠٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤: ٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤: ٥).

(٤) قال الواقدي: يُقال: توفيت في آخر زمان عمر بن الخطاب، والأرجح سنة ٥٤ هـ/٦٧٤ م.

هيئات ليس مثل مقام أخيك ينسى قالت: صدقت والله يا أمير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء:

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه ناراً

وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيته قال: قد فعلت. فقولي حاجتك قالت: إنك للناس سيد ولأمورهم مقلد، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسطانك فيحصدنا حصاد السنبل، ويسومنا الخسف ويسألنا الجليلة هذا ابن أرطاة قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإما عزلته فشكرناك وإما فعرفناك فقال معاوية: إياي تهددين بقومك والله لقد هممت أن أردك إليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك فسكتت، ثم قالت:

صلى الإله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً  
قد حالف الحق لا يبغي به ثمناً فصار بالحق والإيمان مقروناً

قال: ومن ذلك قالت: علي بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - قال: ما أرى عليك منه أثر قالت: بلى أتيت يوماً في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجده قائماً يصلي فانفتل من الصلاة، ثم قال برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته خبر الرجل، فبكى ثم رفع يده إلى السماء فقال: اللهم إني لم أمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقتك، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد من جراب فكتب فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ جَاءَ تَعْمُكُمْ بَيْنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥] ، ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٤] ، إذا أتاك كتابي فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام فعزله، فقال معاوية: اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها فقالت: لي خاصة أم لقومي عامة؟ قال وما أنت وغيرك قالت: هي والله الفحشاء واللؤم إن كان عدلاً شاملاً وإلا يسعني ما يسع قومي قال لها: جزأه من أبي طالب وعزكم قوله:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي سلاماً

وقوله:

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سني فتحة الباب  
كالهند وإن لم يفل مضاربه وجه جميل، قلب غير وجاب

اكتبوا لها بحاجتها فكتبوا لها وانصرفت.



## سوسن<sup>(١)</sup> زوجة بواكيم ملكة بني إسرائيل

من سبط يهوذا وقد ذكرت هذه القصة في التوراة بما في سفر «دانيال»<sup>(٢)</sup> - عليه السلام - إنه لما كان في السنة الثالثة من ملك بواكيم قدم «بختنصر»<sup>(٣)</sup> ملك بابل إلى اورشليم وسلمها الله سبحانه وتعالى .

ثم نزل في بيت المقدس ، ولما استقرت آراؤهم على الشريعة الناموسية الموسوية حكم شخصين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد في بني إسرائيل ، فكانا يحكمان في الشعب ويأويان إلى بيت بواكيم الملك وكانت سوسن في أرفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح لأن والديها كانا صديقين في بني إسرائيل .

وكانت في كل يوم تنزل إلى بستانها للنزهة ، فرآها القاضيان فوقعت منهما ، فاشتغلا بها عن النظر في الحكومات وكنتم كل عن الآخر حتى إذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر قال كل منهما لصاحبه : قد اشتد الحر فليذهب كل منا فيستريح وخرجا مضمري العود رجاء الظفر بالجارية .

فلما التقيا فحص كل عن عود الآخر فأظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها ، وإنها دخلت مع جاريتين البستان فعزمت على الحموم وقد أسخفتها ، فأرسلت الجاريتين [لتأياها]<sup>(٤)</sup> بما يلزم لها فظهر القاضيان وأغلقا الأبواب وقالوا لها : لئن لم تجيبينا وإلا قلنا : إنا وجدنا معك شاباً .

ومن أجل ذلك أرسلت الجاريتين وأنت تعلمين مكاننا من بني إسرائيل قالت سوسن : والله لا أغضب ربي أبداً وصرخت فصرخ القاضيان ومضى أحدهما ، ففتح الباب ، وجاء العبيد فأخبراهم بالقصة فبقوا مبهوتين لأنهم لا يعلمون عليها سوءاً .

ثم أتى «بواكيم» فأعلموه بالأمر وأنهما لم يقدرتا على مسك الشاب فجمع الشعب وتقدم الشيخان فكشفا عن سوسن وقالوا : نشهد على هذه أنها دخلت البستان ومعها جاريتان فأرسلتهما وأغلقت الأبواب ، فجاء حدث من وراء شجرة ، فضاجعها ، فحين رأينا المعصية

(١) سوسن : أو سوسان هي امرأة يهودية اشتهرت بطهارتها . اتهمها الشيخان بالزنا ، فظهر بهتانها بفضل دانيال النبي وقتلاً .

(٢) دانيال : من أنبياء بين إسرائيل الكبار . عاش مسيئاً في بابل . وسفر دانيال من أسفار التوراة .

(٣) بختنصر : أو نبوخذنصر أو بنوكدنصر الثاني ملك بابل . خرب اورشليم وسبى اليهود .

(٤) وردت في الأصل «ليأياها» ، ولعل الصحيح ما أثبتناه .

صحنا فانفلت الشاب فبكت سوسن ورفعت طَرْفها<sup>(١)</sup> إلى السماء وقالت: يا الله يا دائم يا عالم الخفيات أنت تعلم إنهما كذبا عليّ.

ثم أقاماها للقتل وكان «دانيال» عليه السلام شاباً عمره ثلاث عشرة سنة فجاء وصاح عليهم أن قفوا فإنها بريئة بما رميت به، ثم أمر بالتفريق بينهما فقال لأحدهما: من أي شجرة جاء الحدث؟ فقال: من تحت شجرة بطم<sup>(٢)</sup>. فقال: كذبت وهذا ملاك الله شاهد عليك بالكذب، ثم أخره وقدم الآخر وقال له: من تحت أي شجرة جاء الحدث؟ فقال: من تحت شجرة زيت<sup>(٣)</sup>. فقال: كذبت، وأقامهما فنشرا ونزلت نار فأحرقتهما. تأمل. وحفظ الله الدم الزكي وعظم أمر دانيال عليه السلام.

(١) طَرْفها: عينيها. [القاموس المحيط، مادة: طرف].

(٢) البطم: شجر من الفصيلة البطمية، تشبه شجر الفستق أوراقها مسننة تحتوي على السمسم، مسمه قوي الرائحة. التداوي بالأعشاب قديماً وحديثاً، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩١.

(٣) شجر الزيت: وهو الزيتون، شجر مشمر زيتي طويل البقاء في الأرض، من فصيلة الزيتونيات ودراغته المعروفة منذ أبعد العصور مقتصرة على بلدان المتوسط، أو على مناطق ذات مناخ مماثل، في أميركا، أو أستراليا. يرمز ورقه منذ القدم إلى السلام. يقال لدهنه الزيت ولثمرة الزيتون «مادا بأدل» حصانص النباتات والأعشاب، محمد أمين الضناوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧.



## فهرس الجزء الأول

٤٤	أريانو ابنة منيوس ملك إكريت	٣	المقدمة
٤٤	أريانو ابنة لاون ملك اليونان	٥	ترجمة المؤلفّة
٤٥	أردوجا خاتون زوجة السلطان أوزبك	٧	تقريب جميل لهذا الكتاب
٤٥	أروجا ملكة كيلوكري	١١	خطبة الكتاب
٤٧	أربلاي المؤلفّة	١٤	ذكر مقالات بعض معاصرات المؤلفّة
٤٧	أرتمسيا ملكة هاليكرناسوس من كاريا		حرف الألف
٤٨	أرجوان جارية أبي العباس الذخيرة	٢٩	أمّنة ابنة وهب أم النبي ﷺ
٤٨	أروى ابنة عبد المطلب	٣٠	أمّنة ابنة عتبة بن الحرث بن شهاب
٥٠	أروى ابنة الحرث بن عبد المطلب	٣١	أمّنة ابنة أبان بن كليب
٥٣	أروى ابنة كريس بن عبد شمس	٣٢	أمّنة الرملية
٥٣	أزرميدخت ابنة أبرويز	٣٣	آن لويز جرمان ابنة الكونت نكر
٥٤	أسباسيا زوجة بركليس	٣٦	آيت كججك ابنة السلطان أوزبك
٥٧	إستير ستنهوب ابنة كارولوس الثالث	٣٧	أتالانتا ابنة شيني ملك سكروس
٦١	أسماء ابنة أبي بكر الصديق	٣٨	أديسا ابنة أدغر ملك إنكلترا
٦٧	أسماء ابنة سلمة وقيل سلام بن مخزوم	٣٨	أدليلينه ديباتي المغنية
٧١	أسماء ابنة عميس بن معبد بن الحرث	٣٩	أرجي ابنة أدرستوس
٧٢	أسماء ابنة النعمان بن شراحيل	٣٩	أرآكة ملكة قسطيلة
٧٣	أسماء ابنة يزيد الأنصارية	٤٠	أريا الرومانية
٧٤	إستير ابنة أبي حائل بن شمعي بن قيس	٤٠	أرسلان خاتون
٧١	إسكندرة ملكة اليهود	٤١	أرسولا العذراء
٧١	أسماء معشقة جعد بن مهجع العذري	٤٢	أرسينوي ابنة بطليموس الأول
٧٩	أسماء ابنة حصن	٤٣	أرسينوي ابنة بطليموس أقلية
٨٠	أسماء ابنة روم	٤٣	أرسينوي ابنة بطليموس أفرجيه

أسماء ابنة محمد بن صصرى .....	٨١	أم الهناء ابنة القاضي أبي محمد .....	١٠٨
أسماء العامرية .....	٨١	أم بسطام بن قيس النصراني .....	١٠٩
آسية ابنة مزاحم امرأة فرعون .....	٨٢	أم حكيم ابنة عبد المطلب الهاشمية ..	١١٠
إعتماد زوجة المعتمد بن عباد .....	٨٣	أم حكيم ابنة قارظ .....	١١٠
أغسطينا عذراء سرقسطه .....	٨٥	أم خالد النميرية .....	١١٣
أفروسيني القديسة .....	٨٥	أم الخير ابنة الحريش بن سراقه .....	١١٣
أفروسيني أمباطورة الشرق .....	٨٦	أم سلمة زوجة السفاح .....	١١٦
أفدوكيسا زوجة الأمباطور أركاريوس ..	٨٦	أم سنان ابنة جشمة .....	١١٨
أفدوكيسا ابنة الفيلسوف ليونكيس .....	٨٧	أم عقبه زوجة غسان بن جهضم .....	١٢٠
أفدوكيسا أنفثاث زوجة فالنتيانوس .....	٨٧	أم عمران ابنة وقدان .....	١٢١
أفدوكيسا زوجة الأمباطور قسطنطين ..	٨٨	أم قيس الضبية .....	١٢١
أفدوكيسا لابوشين أمباطورة روسيا .....	٨٨	أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب .....	١٢٢
أكتافيا شقيقة الأمباطور أوغسطوس ..	٨٩	أم كلثوم ابنة عقبه بن أبي معيط .....	١٢٤
أكتافيا ابنة الأمباطور كلوريوس .....	٩٠	أم كلثوم ابنة عبدود .....	١٢٥
أليصابات زوجة زكريا .....	٩٠	أم موسى الهاشمية .....	١٢٦
أليصابات ابنة هنري الثامن ملكة إنكلترا ..	٩١	أم ندبة زوجة بدر بن حذيفة .....	١٢٧
أليصابات ملكة أسبانيا .....	٩٨	أمالتونسا ابنة ثويدريك .....	١٢٨
أليصابات بتروفنا أمباطورة روسيا .....	٩٩	أمامة ابنة أبي العاص الهاشمية .....	١٢٩
أليصابات ملكة بوهيميا .....	١٠١	أمامة ابنة حمزة بن عبد المطلب .....	١٣٠
أليصابات دو فالوا أو إيزابلا دو فالوا ..	١٠٢	أمامة المريديية .....	١٣٠
ألينور أرغويانه .....	١٠٢	أمامة ابنة ذي الإصبع .....	١٣١
ألينور أروغوزمان .....	١٠٣	أمة العزيز ابنة دحية الأندلسية .....	١٣٢
ألينور زوجة دون جوان دواكنبها .....	.....	أمة ابنة خالد بن سعيد .....	١٣٢
أمستريس زوجة دارا ملك فارس .....	١٠٤	أميمة ابنة رقيقة .....	١٣٣
أمستريس ابنة أخي داريوس .....	١٠٥	أميمة ابنة قيس بن أبي الصلت .....	١٣٤
أليصابات كارمن سيلفا ملكة رومانيا ..	١٠٥	أم جعفر ابنة عبد الله بن عرفطة .....	١٣٤
أم السعد ابنة عصام الحميري .....	١٠٦	أميمة أم تأبط شرا .....	١٣٥
أم العلاء بنت يوسف الحجارية .....	١٠٧	أميمة ابنة خلف بن أسعد .....	١٣٦
أم الكرام .....	١٠٨	أميمة ابنة عبد شمس الهاشمي .....	١٣٧

- أميمة ابنة عبد المطلب الهاشمية ..... ١٣٨  
 أم هارون - رضي الله تعالى عنها ..... ١٣٨  
 أمة الجليل - رضي الله تعالى عنها ..... ١٣٩  
 إنياس خليفة شارل السابع ملك فرنسا ..... ١٣٩  
 أولغا امرأة أيفور دوريكوفيتش ..... ١٤٠  
 أولمبياس ابنة نيوبتوليمس ..... ١٤١  
 أوجين ملكة الفرنسيين ..... ١٤٢  
 أريني أميرة بيزنطية ..... ١٤٤  
 إيزابلا الأولى الملقبة بالكاثوليكية ..... ١٤٥  
 إيزابلا الثانية ملكة أسبانيا ..... ١٤٨  
 إيزابلا فليب لوبل الملقبة بالفرنساوية ..... ١٥٠  
 إيزابلا البافارية ملكة فرنسا ..... ١٥٢  
 ألس المغنية ..... ١٥٢
- حرف الباء الموحدة**
- ياقو الملقبة بالطاهرة ..... ١٥٦  
 بثينة حبيبة جميل بن معمر العذري ..... ١٥٦  
 بثينة ابنة المعتمد بن عباد ..... ١٧٢  
 بدور وقيل قدور الساحرة ..... ١٧٣  
 بدية ابنة السيد سراج الدين الرفاعي ..... ١٧٤  
 بذل المغنية ..... ١٧٤  
 برق جارية علاء الدين البصري ..... ١٧٦  
 بربارة القديسة ..... ١٧٦  
 برنيقة ابنة لاغوس وأنتيفون ..... ١٧٧  
 برنيقة ابنة بطليموس الثاني ..... ١٧٧  
 برنيقة ابنة ماغاس ملك القيروان ..... ١٧٨  
 برنيقة ابنة بطليموس الثامن ..... ١٧٨  
 برنيقة ابنة بطليموس الحادي عشر ..... ١٧٩  
 برنيقة ابنة كوستوبارس وسالومي ..... ١٧٩  
 برنيقة ابنة أغريبال الأول ..... ١٧٩
- بريجيتا القديسة ..... ١٨٠  
 بريرة مولاة عائشة ..... ١٨١  
 بركة خوند والددة السلطان الأشرف ..... ١٨٢  
 برة ابنة عبد المطلب الهاشمية ..... ١٨٣  
 بصيص جارية ابن نفيس ..... ١٨٣  
 بلقيس ملكة سبأ ..... ١٨٤  
 بكارة الهلالية ..... ١٨٩  
 بلنش ملكة فرنسا ..... ١٩٠  
 بمبادور خليفة لويس الخامس عشر ..... ١٩١  
 بنلوبا زوجة عولس اليوناني ..... ١٩٢  
 بهية ابنة عبد الله البكري ..... ١٩٢  
 بوديسيا ملكة الأيسين ..... ١٩٣  
 بوران ابنة أبرويز بن هرمز ..... ١٩٣  
 بوران ابنة الحسن بن سهل ..... ١٩٤  
 بيلمون زوجة السلطان أوزبك ..... ١٩٥
- حرف التاء**
- تحفة الزاهدة ..... ١٩٦  
 تذكارة باي خاتون ..... ١٩٩  
 ترکان خاتون الجلالية ابنة طعماج ..... ٢٠٠  
 تقية ابنة أبي الفرج ..... ٢٠٤  
 تماضر الشهيرة بالخساء ..... ٢٠٥  
 تماضر زوجة زهير ..... ٢١٢  
 تنوسة جارية غنية بنت العباس ..... ٢١٣
- حرف الثاء الستة**
- ثبيثة ابنة فضحان بن حبيبة الأصم ..... ٢١١  
 ثبيثة ابنة مرداس بن قحطان العنبري ..... ٢١١  
 ثبيثة ابنة يعار بن زيد الأصم ..... ٢١٨  
 الثريا ابنة عبد الله بن الحارث ..... ٢١١  
 ثودورا زوجة الملك به ستينان ..... ٢٢٣

حنة أسكو خاتون .....	٣٠٤	حرف الجيم	
حنة ملكة بريطانيا وإرلانده .....	٣٠٤	جان دارك .....	٢٢٥
حنة النمساوية ملكة فرنسا .....	٣٠٦	جليلة بنت مروة الشيباني .....	٢٢٩
حنة بولين ملكة إنكلترا .....	٣٠٧	جميلة الخرزجية .....	٢٣١
حنة البريطانية ملكة فرنسا .....	٣٠٨	جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح .....	٢٣٢
حنة ملكة نابولي .....	٣٠٩	جنان جارية عبد الوهاب الثقفي .....	٢٣٢
حنة ملكة نابلي ابنة شارل دورتسو .....	٣٠٩	جنيفاف ابنة دوق براينت .....	٢٣٧
حنة مورندي منزوليني .....	٣١٠	جنيفاف القديسة .....	٢٣٨
حرف الخاء		جنوب أخت عمرو ذي الكلب النهدي .....	٢٣٩
خديجة ابنة خويلد .....	٣١٣	جهان والدة السلطان شمس الدين .....	٢٣٩
خديجة ملكة جزائر زبية .....	٣١٦	جوج سنددوفان .....	٢٤١
خرقاء بنت النعمان بن المنذر .....	٣١٧	جوزفين ابنة الكونت تشاوي .....	٢٤٢
خزانة ابنة خالد بن جعفر بن قرط .....	٣١٨	حرف الحاء	
خماني ابنة أردشير بن بهمن .....	٣١٩	الحارثية ابنة زيد .....	٢٨٢
خولة بنت الأزور الكندي .....	٣٢٠	حبابة جارية يزيد بن عبد الملك .....	٢٨٢
خولة ابنة منظور بن زبان .....	٣٢٤	حبيبة هانم بنت علي باشا الهرسكي .....	٢٨٥
الخيزران ابنة عطاء أم الهادي والرشيد .....	٣٢٦	حبوس ابنة الأمير بشير الشهابي .....	٢٨٥
حرف الدال		حبيبة بنت مالك بن بدر .....	٢٨٦
دارمية الحجونية .....	٣٢٩	حبيبة بنت عبد العزى العوراء .....	٢٨٧
دختنوس ابنة لقيط بن زرارة الدارمي .....	٣٣٠	حدقة جارية الملك الناصر بن قلاوون .....	٢٨٧
دلوكة بنت زباء ملكة من ملوك القبط .....	٣٣٢	حسانة النميرية ابنة أبي الحسين .....	٢٨٨
دليلة الفلسطينية .....	٣٣٣	حفصة ابنة حمدون .....	٢٩٠
دنابير جارية يحيى بن خالد البرمكي .....	٣٣٤	حفصة ابنة الحجاج الركونية .....	٢٩٠
دهيا ابنة ثابت بن تيفان .....	٣٣٥	حليمة الحضرية .....	٢٩٥
ديدون ابنة الملك بقلوس .....	٣٣٧	حمدونية بنت عيسى بن موسى .....	٢٩٥
حرف الذال		حمدة بنت زياد .....	٢٩٧
ذات الخال .....	٣٣٩	حميدة ابنة النعمان بن بشير .....	٢٩٨
ذبية بنت ثبية الفهمية .....	٣٤١	حنة ألبرت .....	٣٠٢
ذؤابة امرأة رباح القيسي .....	٣٤٢	حنة أليصابات زوجة ألبرو .....	٣٠٣

حرف الزاي	حرف الراء
٣٧٣ . زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسي .	٣٤٣ ..... رحاب الإسرائيلية
..... زبيدة القسطنطينية	٣٤٣ ..... راحيل ابنة بان
٣٧٨ ..... زباء نائلة بنت عمرو بن الظرب	٣٤٥ ..... رادغنده ابنة برنير ملك تورنجه
٣٧٨ ..... الزرقاء جارية ابن رامين	٣٤٦ ..... راد كليف مؤلفة إنكليزية
٣٨١ ..... الزرقاء ابنة عدي بن قيس الهمدانية	٣٤٦ ..... راعوث امرأة موايه
٣٨٢ ..... زرقاء اليمامة ابنة مرة الطسمي	٣٤٧ ..... راحيل الممثلة الشهيرة
٣٨٣ ..... زليخا امرأة قطفير عزيز مصر	٣٥٠ ..... رابعة الشامية
٣٩٠ ..... زوي أمباطورة المملكة الشرقية	٣٥١ ..... رابعة ابنة الشيخ أبي بكر النجاري
٣٩١ ..... زينب ملكة تدمر	٣٥١ ..... رابعة ابنة إسماعيل البصرية العدوية
٣٩٢ ..... زينب ابنة عبد الله بن عبد الحلیم	٣٥٤ ..... رابعة بنت إسماعيل
٣٩٢ ..... زينب ابنة محمد بن عثمان الدمشقية	٣٥٤ ..... الرباب بنت امرئ القيس
٣٩٢ ..... زينب ابنة عثمان بن محمد لؤلؤ	٣٥٥ ..... رصفة بنت آيه
٣٩٣ ..... زينب المرية	٣٥٥ ..... رضية ملكة دهلي في بلاد الهند
٣٩٣ ..... زينب ابنة حدير	٣٥٦ ..... رفقة ابنة بتوئيل
٣٩٥ ..... زينب ابنة جحش	٣٥٨ ..... رقية ابنة علي بن أبي طالب
٣٩٦ ..... زينب ابنة الحرث	٣٥٨ ..... رقية بنت الفيف عبد السلام
٣٩٦ ..... زينب ابنة الإمام أحمد الرفاعي	رقاش ابنة مالك بن فهم بن غنم بن أوس
٣٩٨ ..... زينب ابنة رسول الله ﷺ	٣٥٩ ..... الأسدي
٤٠٠ ..... زينب ابنة جزيمة	٣٦٠ ..... رقية ابنة رسول الله ﷺ
٤٠٠ ..... زينب ابنة العوام أخت الزبير	٣٦١ ..... رملة بنت الزبير بن العوام
٤٠١ ..... السيدة زينب بنت الإمام علي	٣٦٢ ..... رميصاء بنت ملحان بن خالد
٤٠٢ ..... زينب ابنة الطثرية	٣٦٣ ..... رولاند الفرنساوية
٤٠٦ ..... زينب ابنة أبي القاسم أم المؤمنين	٣٦٧ ..... رحمة زوجة نبي الله أيوب
٤٠٨ ..... الأميرة زينب حاتم	٣٦٨ ..... روشنك ابنة الدهقاء أوزبرت
حرف السين	٣٦٩ ..... ريا بنت الفطريق السلمی
٤١٠ ..... سارة زوجة إبراهيم الخمي	٣٧٠ ..... ريا ابنة مسعود بن رقاش العشيري
٤١١ ..... سارة القرظية الإسرائيلية	٣٧١ ..... ريطة بنت عاصم بن عامر بن صعصعة
٤١١ ..... سبيعة ابنة عبد شمس بن عبد مناف	٣٧٢ ..... ريطة بنت العجلان بن عامر



٤٢٩	..... سلمى الملقبة بقرة العين	٤١٢	..... ست الوزراء
٤٣٠	..... سلمة امرأة عروة بن الورد	٤١٢	..... ست الكرام
٤٣٢	..... سلامة القس	٤١٣	..... ست الملك بنت العزيز بالله الفاطمي
٤٣٣	..... سميراميس ملكة آشور	٤١٥	..... سجاح بنت الحارث بن سويد
٤٣٥	..... سمية أم عمار بن ياسر	٤١٨	..... سرى خانم
٤٣٦	..... سودة بنت زمعة	٤١٨	..... سعدى معشوقة مالك بن عقيل
٤٣٦	..... سودة ابنة عمار بن الأشتر الهمدانية	٤٢٠	..... سعدى الأسدية
٤٣٨	..... سوسن زوجة يواكيم ملكة إسرائيل	٤٢١	..... سفانة ابنة حاتم الطائي
٤٣٩	..... الفهرس	٤٢٢	..... سكينه ابنة الحسين بن علي

